مصاعد النظر

للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسّر المؤرّخ برهان الدين أبي الحسن
ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي
المتوفى سنة ٨٨٥ هـ

قدّم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين
أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام
محمد بن سعود الاسلاميّة بالرياض

الجزء الأول

مكتبة المعارف
الرّياض

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٢٣٩٧٩
الرياض - المملكة العربية السعودية

مصاعد النظر

للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسّر المؤرّخ برهان الدين أبي الحسن
ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي
المتوفى سنة ٨٨٥ هـ

قدّم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين
أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام
محمد بن سعود الاسلاميّة بالرياض

الجزء الأول

مكتبة المعارف
الرّياض

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٢٣٩٧٩

الرياض - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والبررة المتقين.

وبعد:

فهذا كتاب «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» للعلاّمة المفسر المحدث المؤرخ برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي، قمت بتحقيقه وإخراجه على نمط من التحقيق والدراسة آمل أن يجوز القبول والاستحسان لدى إخواني المشتغلين بدراسة تفسير القرآن الكريم وعلومه.

والذي دفعني إلى تحقيق هذا الكتاب أمران:

الأول: إن الكتاب في ذاته جيد، وقد بذل فيه مؤلفه جهداً مشكوراً يحمد عليه، وهو ـ كما قال صاحب كشف الظنون ـ كالبحر العباب، حوى كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالقرآن وعلومه.

ثم إن الموضوع الأصلي للكتاب ـ «وهو: بيان مقاصد سور القرآن» ـ موضوع بكر، وعلى جانب كبير من الأهمية بالنسبة لعلم التفسير، ولم نجد أحداً من القدماء ـ ممن سبق البقاعي ـ وَجَّه إليه اهتمامه عند تفسيره كتاب الله عز وجل، ما خلا نتفاً قليلة في بعض الكتب متناثرة هنا وهناك، وهي محاولات ينقصها الاستيعاب والشمول، بخلاف كتابنا هذا الذي استقصى سور القرآن سورة سورة، وجعله صاحبه كتاباً متكاملاً لبيان هذا الجانب من التفسير.

ولقد ظهرت اتجاهات حديثة في التفسير ترمي إلى إبراز محتوى السورة، وتلخيص ما فيها من موضوعات، وربط كل موضوع بالآخر، مما يجسد الموضوع الأصلي الذي تدور السورة في فلكه، ومن هؤلاء الذين يهتمون ببيان مقصاد سور القرآن:

المرحوم الشيخ محمود شلتوت في تفسيره.

والشهيد سيد قطب في كتابه «ظلال القرآن».

والأستاذ الصابوني في كتابه «صفوة التفاسير» مستعيناً بكتاب الأستاذ سيد قطب آنف الذكر..

والدكتور عبدالله شحاته في كتابه «أهداف كل سورة ومقصادها»... الخ.

الثاني: خلو المكتبات العربية والإسلامية من تراث العلامة برهان الدين البقاعي مطبوعاً، مع أن كتبه من الأهمية والقيمة العلمية بمكان، مما يجعل الدارسين اليوم وكأنهم لا يعرفون عن الرجل وكتبه شيئاً.

وها أنا أقدم الكتاب للمسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها، وقد

قدمت له بمقدمة حوت دراسة مفصلة عن المؤلف وعصره، وحديثاً قصيراً عن شيوخه وتلاميذه، وتعريفاً كاملاً بمؤلفاته.

مع العلم بأنني لم أبخل بشيء من الوقت والجهد في تحقيق مسائل الكتاب وأقواله، وفحص كلماته وأعلامه، وتخريج أحاديثه وآثاره، يعلم ذلك جيداً كل من وقف على هوامش الكتاب، وما أردت بذلك إلا خدمة كتاب الله العزيز، والإسهام في نشر تراث أمتنا المجيد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين».

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحقق: دكتور/ عبد السميع محمد أحمد حسنين

الرياض: في غرة محرم لعام ١٤٠٥ هـ

أكتوبر (تشرين أول) لسنة ١٩٨٤ م

الفصل الأول
التعريف بالبقاعي وعصره

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : عصر البقاعي.
المبحث الثاني : نشأته وطلبه العلم.
المبحث الثالث : التعريف ببعض شيوخه وتلاميذه.
المبحث الرابع : آثاره ومنزلته العلمية.
المبحث الخامس : خصومه.

المبحث الأول

عصر البقاعي

وفيه:

الحالة السياسية.

الحالة الاجتماعية ومظاهرها.

الحالة العلمية وأثرها.

عصر البقاعي

يعنى بالعصر:

حقبة من الزمن معلومة البدء والانتهاء، ترتبط بها عوامل وأحداث خاصة.

وقد نشأ البقاعي - رحمه الله - وعاش في العصر المملوكي، ذلك العصر الذي يبدأ تاريخياً منذ انتهاء دولة الأيوبيين سنة ٦٤٨ هـ، وينتهي بفتح الأتراك العثمانيين لمصر وما جاورها سنة ٩٢٣ هـ.

وقد دأب المؤرخون على تقسيم دولة المماليك إلى دولتين:

الأولى: دولة المماليك البحرية:

التي أسسها الأمير عز الدين أيبك أحد موالي السلطان نجم الدين أيوب، واستمر حكمها للبلاد نحواً من مائتين وثلاثين سنة، تنحصر فيما بين سنتي ٦٤٨، ٨٧٤، وعرف أتراك هذه الدولة بالمماليك البحرية، لأن الملك الصالح أسكنهم قلعة الروضة بجوار نهر النيل.

والثانية: دولة المماليك الجراكسة:

وهذه لا تختلف عن سابقتها في شيء، فكلتاهما من المماليك الذين جلبوا إلى البلاد في عصور مختلفة.

وأصل المماليك من الرقيق الذين كانوا يجلبون إلى البلاد العربية من بلاد آسيا وغيرها بواسطة السرقة والخطف، أو في ظروف حروب وغارات يحدث من جرائها الأسر والسبي، وقد يكون الحصول عليهم في ظروف قحط وغلاء يقع في تلك البلدان، فتهون فلذات الأكباد على الآباء، فيبيع الأب ابنه أو بنته للإبقاء على حياتها وتخفيفاً للبلوى.

ويرجع ظهور المماليك في العالم الإسلامي ـ وبخاصة العالم العربي ـ إلى ما قبل قيام دولتهم بأمد طويل، وكان أول من استخدمهم هو المأمون الخليفة العباسي، فقد كان في بلاطه بعض المماليك المعتوقين، ثم سار على سنته أخوه الخليفة المعتصم بالله، فقد أكثر من استقدام المماليك لتدعيم سلطاته وانصرافاً عن العنصر الفارسي.

فكانت هذه سابقة أولى، نهج نهجها الخلفاء والأمراء فيما بعد فاتخذوا من المماليك عدتهم وجندهم، وجعلوهم السند القوي في تدعيم سلطانهم، وبهذا الأسلوب أخذ سلاطين مصر وأمراؤ ها، وكان أول من أحضر المماليك إلى مصر الأمير أحمد بن طولون كما ذكر القلقشندي في «صبح الأعشى»[1] فقد أكثر من شراء مماليك الديلم الذين يقيمون جنوب بحر قزوين، وبلغت عدة من أحضرهم أربعة وعشرين ألف مملوك[2]، ويرجع السبب في ذلك: إلى أن والد الأمير أحمد بن طولون كان من الترك الذين يقيمون بين سيبيريا وتركستان، وقد أسر في بعض الحروب فوقع مع جملة من الرقيق في يد نوح

---

(١) صبح الأعشى ٣/٤٢٤.

(٢) عصر سلاطين المماليك ١/١٣.

بن أسد الساماني فأهداه ومن معه إلى الخليفة المأمون، فظل في خدمة الخليفة حتى لمع نجمه، وصار من كبار قواده[1].

وفي إبّان الدولة الأخشيدية جعل الأمير محمد بن طغج الأخشيدي كل جنده من الأتراك ومن الديالمة، وبلغت عدة ذلك الجيش بمصر نحواً من أربعمائة ألف جندي[2].

ولما انتقلت السلطة إلى الأيوبيين، نهجوا نفس السبيل، فأكثروا من شراء المماليك من شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز، وفارس، وآسيا الصغرى، وتركستان، فكانوا خليطاً من الأتارك والجراكسة والروم والروس والأكراد، بالإضافة إلى أقلية من البلاد الأوروبية.

وكان الأيوبيون مخلصين في معاملة المماليك فأحسنوا تربيتهم، واهتموا بإعدادهم إعداداً عسكرياً، وبنوا لهم الثكنات بجزيرة الروضة بجوار النيل.

وعن طريق الأيوبيين انتقلت السلطة المباشرة إلى المماليك، وذلك بعد مقتل توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين في المحرم سنة ٦٤٨ هـ، واعتلت شجرة الدر عرش البلاد وقد كانت زوجة لأبيه السلطان نجم الدين أيوب، وهي امرأة من أصل أرمني، كانت على قدر وافر من الذكاء والجمال، جيء بها هدية إلى السلطان نجم الدين أيوب، ثم تزوج بها، ولهذه المرأة دور كبير في إنقاذ البلاد بعد موت السلطان إبّان الحرب التي كانت دائرة بين المسلمين والصليبيين، فأخفت موته وكانت الأوامر تصدر تباعاً من القصر بإدارة المعركة وتصريف أمور البلاد، وأعلنت أن السلطان مريض، وأرسلت إلى ولده توران شاه الذي كان في حصن كيفا بالموصل، فلما جاء أُعلن موتُ أبيه ونودي به سلطاناً على البلاد، وقاد الحرب ضد الصليبيين في دمياط، وأحرز عليهم

(١) تاريخ المماليك البحرية ص ٢٤.
(٢) المرجع السابق.

نصراً عظيماً، ولكنه سرعان ما تنكر لشجرة الدر، فعمل على إذلالها وإيذائها، واتهمها بسرقة أموال أبيه، ولكنها كانت أسرع منه في الخلاص من الخصم، فدبرت خطة لقتله، وتم قتله في شهر المحرم سنة ٦٤٨ هـ، وبقتله انتهى حكم الأيوبيين، ووجدت شجرة الدر الفرصة سانحة فأعلنت نفسها سلطانة على البلاد، ولكن ظهرت معارضة من صفوف الشعب تنادي بعُدُولها عن هذا الأمر، إذ لا يتولى أمر المسلمين امرأة، وكان على رأس المعارضين المعز ابن عبد السلام سلطان العلماء، ولما علم بذلك الخليفة المستعصم بالله أرسل ينكر هذا الإجراء وإزاء هذه المعارضات أسرعت شجرة الدر فتزوجت بعز الدين أيبك وهو من أمراء المماليك المقربين للسلطان قبل موته، ولما تزوجته تنازلت له عن السلطة، وكان ذلك في شهر ربيع الثاني سنة ٦٤٨ هـ.

وبذلك يكون عز الدين أيبك الذي كان مملوكاً للسلطان نجم الدين أيوب أول سلطان مملوكي حكم مصر وما جاورها من بلاد الشام، وأصبحت السلطة الفعلية في البلاد للمماليك الذين استمر حكمهم إلى أن جاء الأتراك العثمانيون سنة ٩٢٣ أي نحواً من ٢٧٥ سنة(١).

والمقصود من هذه الدراسة في أعماق تاريخ البلاد: التعرف على أحوالها من ثلاث جهات تهم الباحث في كشف شخصية من يدرسه من علماء ذلك العصر وهي: الحالة السياسية، والحالة الاجتماعية، والحالة العلمية.

أولاً: الحالة السياسية:

المراد بالحالة السياسية: علاقة دولة ما بغيرها من الدول سلماً أو حرباً، وما يترتب على ذلك في داخل البلاد.

وقد تعرضت دولة المماليك إلى كثير من هجمات الدول الطامعة في

(١) راجع ذلك مفصلاً في: عصر سلاطين المماليك ١/٢١، تاريخ المماليك البحرية ص ٣٧.

أراضيها والتي تريد الاستيلاء عليها، وكانت هناك أخطار من هنا وهناك، ويكمن هذا الخطر في الهجمات التترية الوافدة من بلاد آسيا والشرق الأقصى، وكذلك الهجمات الصليبية الحاقدة الآتية من بلاد أوربا.

والتتار أمم وثنية جاهلة من الجنس المغولي الأصفر تسكن الأطراف الشمالية لبلاد الصين، زحفت هذه الجماعات في جيش كالجراد على أواسط آسيا وغربها، فملكوا كثيراً من البلاد،وقتلوا ما لا يحصى من العباد، ثم تتابعت هجماتهم فأتوا إلى العراق بقيادة هولاكو سنة ٦٥٦ فاستولوا عليها وأبادوا مَنْ فيها، وقتلوا الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين، ونهبوا الأموال، وسبوا النساء، وأحرقوا وأغرقوا كتب العلماء، وكان السبب في مجيئهم إلى العراق، الوزير ابن العلقمي الرافضي، الذي امتلأ حقداً وغضباً على أهل السنة، فأخذ يراسل التتار، ويمنيهم بالاستيلاء على العراق، والقضاء على الخلافة العباسية لكي يستعيد الخلافة الفاطمية.

ولما فرغ التتار من الاستيلاء على العراق، اتجهوا بأنظارهم وجيوشهم نحو مصر وبلاد الشام، فزحفوا أولاً إلى بلاد الشام واستولوا على أكثر مدنها مدينة بعد أخرى، ثم أرسلوا رسلهم وكتبهم إلى السلطان قطز حاكم البلاد آنذاك، وأخذوا يهددونه ويتوعدونه، ولكن قطز كان من الشجاعة بمكان فلم يأبه بوعيدهم ولم يخف تهديدهم، فأعدم رسل هولاكو، وأجمع أمره على مواجهة الجيش التتري الزاحف من الشام، وجمع الرجال والعتاد، وسار بجيشه إلى الصالحية، ومنها إلى فلسطين حتى بلغ عين جالوت، وهناك التقى الفريقان في حرب هائلة انجاب غبارها عن نصر حاسم للمسلمين بقيادة قطز. وانهزم التتار وحل بهم النكال مما لم يكن في حسبانهم، وكان ذلك في رمضان في الخامس والعشرين من سنة ٦٥٨.

ولم تقف مطامع التتار نحو الشرق الإسلامي عند هذا الحد، فعمدوا إلى الإغارة على أطراف البلاد، المرة تلو المرة، والفينة بعد الفينة،وذلك في

عهد السلطان الظاهر بيبرس، فالتقى بهم سنة ٦٥٩ هـ في حرب حامية الوطيس عند الأنبار ببلاد العراق، وفيها تشتت شمل التتار، فولوا الأدبار، ولكنهم عادوا بالليل فتجمعوا، وكروا على جيش بيبرس، فتحولت نتائج المعركة إلى صالحهم.

وظلت سجال الحرب بين التتار والمماليك، مرة لهؤلاء، ومرة لهؤلاء إلى أن خرج تيمورلنك من الشام بعد أن أشعل النار في دمشق وتركها خراباً شاملاً، وحطاماً بالياً، ومات بعد خروجه منها بأيام في سنة ٨٠٤، كما يذكر ابن أياس في حوادث هذه السنة، فهدأ الحال وانقطع الاشتباك فيما بين التتر والمماليك.

الغارات الصليبية:

وفي تلك الأثناء التي انشغل فيها المماليك بمقاومة التتار كان الصليبيون يغيرون بين الحين والآخر على أطراف دولة المماليك في مصر والشام، وكان ذلك امتداداً للحروب الصليبية التي بدأت في عهد دولة الأيوبيين وكان الصليبيون قد اتخذوا مدناً لهم في بلاد الشام، مطلة على ساحل البحر المتوسط، فتمركزوا في تلك المدن، واتخذوا منها منطلقاً للإغارة على دولة المماليك.

ومن أشهر سلاطين المماليك الذين قاوموا الغزو الصليبي الظاهر بيبرس، الذي غزاهم واسترد منهم تلك المدن، فقدهاجمهم في صفر سنة ٦٦٤ واستردها منهم، ثم داهمهم في أنطاكية سنة ٦٦٦، واستولى عليها منهم، ثم أغار عليهم في قيسارية سنة ٦٧٥ واستردها منهم.

كذلك فعل السلطان قلاوون الذي فتح حصن المرقب، وطرهم منه ودخل طرابلس عنوة سنة ٦٨٨، ثم ابنه الأشرف خليل بن قلاوون الذي فتح مدينة عكا سنة ٦٩٠ وخلصها من أيدي الصليبيين بعد أن ضربها بالمناجيق.

ويرى المؤرخون أن استيلاء المماليك على مدينة عكا ومدن الساحل كان نهاية الحروب الصليبية[1].

ولكن في عهد الأشرف قايتباي أخذت جموع من الإفرنج الصليبيين يتلصصون على سواحل مصر الشمالية، ويباغتونها بين الحين والحين، وينهبون ما تقع عليه أيديهم من أموال التجار وغيرهم، ومثال ذلك إغارتهم على مدينة الاسكندرية سنة ٨٨٠، وأسرهم كثيراً من تجارها وخاصتها، فأمر السلطان بالقبض على التجار الإفرنج الذين يقيمون بثغر الاسكندرية، ولم يفرج عنهم إلا بعد الإفراج عن التجار المصريين الذين وقعوا في قبضة الصليبيين، وفعلاً تم له ما أراد.

وبذلك يتضح: أن المماليك مع أنهم غرباء عن البلاد، إلا أنهم حافظوا على استقلالها، ودافعوا عن حوزتها، ومنعوا كل غاز معتد من الدخول في أرضها، وكانت محافظتهم على بلاد الشام مثل محافظتهم على مصر وغيرها من البلاد.

ثانياً: الحالة الاجتماعية:

الحالة الاجتماعية: هي مجموعة النظم والعادات والتقاليد التي يسير عليها شعب أمة من الأمم، ويتبعها في طرق معيشته، وهي وثيقة الصلة بنظم الدولة وإدارتها.

وفي العصر المملوكي كان الناس ينقسمون إلى طبقتين متميزتين:

إحداهما: الطبقة الحاكمة، وتتألف من السلاطين والأمراء والجند، وهم من المماليك الأتراك والجراكسة، وهي طبقة من خارج البلاد كما سبق أن عرفنا، وفي يدها الحكم، وهي التي تملك الأرض والجاه، وتنعم بخيرات البلاد.

---

(١) راجع: تاريخ المماليك البحرية ص ١٧٨ وما بعدها.
عصر سلاطين المماليك ٢/٣٤٨ وما بعدها.

والثانية: الطبقة المحكومة: وتتألف من ستة عناصر كما يرى المقريزي وهم:

١ ـ أهل اليسار والغنى من التجار، وأولى النعمة.

٢ ـ الباعة وهم متوسطو الحال من التجار، ويلحق بهم السوقة من أصحاب المهن والحرف.

٣ ـ الفلاحون وهم المزارعون الذين يسكنون الريف والقرى.

٤ ـ الأُجرَاء وأصحاب الأعمال المعيشية البسيطة.

٥ ـ الفقراء وهم معظم الفقهاء وطلاب العلم.

٦ ـ ذو الحاجة والمسكنة، وهم أهل السؤال الذين يتكففون الناس.

ومن هذه العناصر الستة يتألف الشعب المحكوم، وهي العناصر الكادحة في سبيل العيش، والتي تتحمل الضرائب الباهظة، وتدفع نفقات الحرب ومؤنة الدفاع عن البلاد، وليس لها من أمر الحكم شيء، ولا يُسْتَشَارُونَ في سلم أو حرب، ولا يملكون الأرض التي يزرعونها، وإنما الأرض توزع في شكل اقطاعيات على الطبقة الحاكمة كل واحد منهم يأخذ على حسب رتبته، وهؤلاء الزراع أجراء أو عبيد، وليس لواحد منهم الحق في الالتحاق بالجندية أو المدارس العسكرية، وإنما أمامه المساجد يتلقى فيها تعليمه زلفى من الحكام إلى الله تعالى.

ورؤساء هذه الطائفة الكادحة كالعلماء والفقهاء هم الأقرب إلى الحكام، وليس لهم من الوظائف العامة في الدولة سوى القضاء، أو الكتابة في الدواوين، أو التدريس في الجوامع والمساجد، وما عدا ذلك فلا.

وكانت ثروة البلاد في ذلك الوقت ذات وفرة وضخامة يشهد بذلك ما بناه السلاطين من قصور وعمائر ذات روعة وجمال، وما كان لهم من أساطيل بحرية تجوب البحار المصرية بين آن وآخر، وجيوشهم الجرارة، وما كانت تنعم به من عدة ومأكل وملبس، ولكن القابض على هذه الثروة والمتمتع بها

الطبقة الحاكمة، أما أفراد الشعب فكانوا يعانون شقاء في حياتهم، وحرماناً في عيشهم، ولذا فقد كثرت الشكوى في قصائد شعراء ذلك العصر، كما يقول أبو الحسن الجزار:

لا تَعِبْني بصنعة القصَّاب ... فهي أذكى من عنبر الآدابْ
كان فضلي على الكلاب فمذ صـ ... ـرتُ أديباً رجوتُ الكلابْ[1]

وابن نباته الذي يقول:

لا عَارَ في أدبي إن لم ينل رتباً ... إنما العار في دهري وفي بلدي
هذا كلامي وذا حظي فيا عجبا ... مني لثروة لفظ وافتقار[2] يَدِ

ولم يقتصر الأمر على سوء توزيع الثروة، وإنما كانت تحدث المجاعات المخيفة التي تزيد الحال سوءاً، ويذهب ضحيتها كثير من الناس بموتهم جوعاً ومن أثر تلك المجاعات، تلك المجاعة التي روعت مصر في عهد السلطان كتبغا سنة ٦٩٥، فقد توقف النيل، ونقص منسوب المياه، وجفت الآبار، فندرت المحاصيل، وتعطل معظم الأرض من الزراعة، ومن عجيب ما يذكر في ذاك الوقت أن ريحاً مترية هبت على البلاد فكست الزراعة بالأتربة، ففسدت المزروعات وخاصة الصيفية منها، وهلكت معظم الدواب لعدم وجود الأعلاف اللازمة لها، وسرى البخل بين أكابر الأعيان كالأمراء والأجناد، وبلغت الشدة غايتها فأكل الناس الميتة، وكان الناس يبيعون أولادهم لشراء القوت، وينهب الأهالي الخبز من الأفران.

وقد انتفع من هذه المجاعة الأطباء وحفار القبور، وذهبت ضحيتها أصحاب المزارع، فإن الأمير فخر الدين الطنبغا كان له من بين مزروعاته مائة فدان فولا، وهجم الناس عليها وظلوا يأكلون فولها الأخضر حتى لم يبقوا على شيء، وخرج الأمير ليرى مزرعته، فإذا به يرى تلاً كبيراًمن القشر[3].

---

(١) عصر سلاطين المماليك ٦/٢٩٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) تاريخ المماليك البحرية ص ٤٢٨.

وترتب على تلك المجاعة انتشار الطاعون بين الناس، وساد الحزن جميع البلاد، حتى أنه لم يوجد بيت إلا وفيه صياح على ميت، وفي ذلك يقول حبيب الحلبي:

إن هـذا الطاعـون يفتك في العـا ... لم فـتــك امــرىء ظلوم حـقــود
ويــطوف البـلاد شــرقـاً وغــربـاً ... ويســوق العبــاد نحــو اللحــود
كم طوى النشر من أخ عن أخيه ... وسـهـا عـقــل والــد بــولــيــد
إن أعِشْ بـعــده فــإني شـكــور ... مخلص الحمد للولي الحميد (١).

ولم تكن تلك المجاعة هي الوحيدة من نوعها، فقد تلتها مجاعات كثيرة، والذي يراجع كتب التاريخ القديمة، مثل بدائع الزهور لابن إياس، أو الخطط للمقريزي، فسيقف على أخبار تلك المجاعات (٢).

يضاف إلى ما تقدم كثرة الفتن التي كانت موجودة بين الطبقة الحاكمة، وكذلك المؤامرات التي كانوا يدبرونها لبعض وقتل بعضهم بعضاً، وأول هذه المؤامرات، ما حدث من شجرة الدر بعد تنازلها عن العرش لزوجها عز الدين أيبك، ولقي منها ما أغضبه منها، فأضمرت له السوء وقتلته هي وأعوانها في الحمام سنة ٦٥٥، وكذلك المؤامرة التي حاكها الأمير بيدرا ضد السلطان خليل بن قلاوون والتي انتهت بقتله سنة ٦٩٣.

وفي نفس العام حدثت فتنة كبيرة بين الأمراء أنفسهم انتهت بقتل الوزير سنجر الشجاعي، وعزل الناصر محمد بن قلاوون، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً لا يمكن حصرها في تلك العجالة (٣).

وهناك الكثير من ثورات العربان في شتى الأقاليم، وحوادث السطو

---

(١) راجع تاريخ المماليك البحرية ص ٤٣٠.
(٢) وراجع تفصيل ذلك في عصر سلاطين المماليك ٢/٣٢٢ وما بعدها.
(٣) راجعها في كتاب سلاطين المماليك ٢/٣٠٠.

والنهب التي كانت تقع منهم ومن غيرهم، وهي حوادث مشهورة حفلت بها الكتب والمراجع التي أرخت لذلك العصر(١).

ثالثاً: الحالة العلمية:

المقصود بالحالة العلمية: الاشتغال بالعلوم الإسلامية والعربية وغيرها من العلوم، دراسة وتدريساً، وكتابة وتدويناً، وفي هذا العصر كانت الحالة العلمية نشطة إلى حد كبير في كل من مصر والشام، ويرجع هذا النشاط إلى عدة عوامل وهي:

١ ـ وفود العلماء والأدباء إلى مصر والشام:

ففي ذلك العصر يمم العلماء وجوههم نحو مصر فراراً من الزحف التتري المغولي الذي أوقع بالناس الكثير من البلاء والأذى وصنوف التعذيب والتقتيل، وليس بأدل على ذلك ما حدث ببغداد على أيدي التتار، فرأى العلماء أن مصر والشام خير حمى لهم، إليه يفزعون، وإلى رحابه يلجأون، ومن هؤلاء الوافدين: ابن خلكان الإربلي، وابن مالك الأندلسي، وابن أبي حجلة المغربي، والحافظ رشيد الدين النابلسي، وغير هؤلاء كثير وكثير.

٢ ـ تعظيم السلاطين لأهل العلم:

ومما هو جدير بالذكر: أن السلاطين والأمراء في ذلك العصر أقاموا وزناً كبيراً للعلماء، فقدموهم في مسائل كثيرة، وأنزلوهم من نفوسهم المكانة اللائقة بهم وبمراكزهم، وذلك لما كان لهؤلاء العلماء من سلطان في نفوس العامة، ومتانة الصلة التي تربط بينهم وبين أبناء الأمة، فيذكر الحافظ جلال الدين السيوطي في حسن المحاضرة ٢/١١٣: أن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد حضر مرة عند السلطان لاجين، فقام إليه السلطان وقبَّل يده، فما زاد ابن دقيق العيد على قوله له: أرجو هالك بين يدي الله.

---

(١) راجع: بدائع الزهور، والسلوك للمقريزي، وهي برمتها في عصر سلاطين المماليك ٢/٣٠٤ وما بعدها.

وهذه الحفاوة التي لقيها العلماء من الحكام رغبت الكثير من أبناء الشعب في طلب العلم، والسعي في تحصيله عن حب واخلاص، لكي يصل الأواخر منهم إلى ما وصل إليه الأوائل.

٣ - شعور العلماء بواجبهم وتنافسهم في آدائه:

فلما دالت دولة العلم التي كانت قائمة في بغداد والعراق وأبيدت كتبه، وقطع التتار رقاب علمائه، رأى العلماء في مصر والشام أنهم أمام مسئولية ضخمة تقتضي منهم القيام بواجبهم في نشر الدين، وتجديد العلم، وإحياء ما أبادته أيدي الغزاة الغاشمين، فقاموا بذلك قياماً مشكوراً، وسعوا إليه سعياً حميداً، فكانت حركة إحياء علمية جليلة، وكان بينهم في هذا المجال تنافس شديد في ميدان التأليف والتدوين.

٤ - انشاء دور التعليم:

والمراد بدور التعليم في ذلك العصر: المساجد والمدارس التي بنيت في العصور السابقة، والتي جد بناؤها في تلك الآونة، وأهم هذه المساجد والمدارس التي قصدها طلاب العلم في ذلك العصر:

١ - جامع عمرو بن العاص:

وهذا الجامع أسسه عمرو بن العاص الذي فتح مصر سنة ٢١ هـ وقد عني به سلاطين المماليك عناية فائقة فقاموا بترميم ما تهدم منه، وتجديد محتوياته، وقد حفل هذا الجامع بضروب من الدراسات الإسلامية والعربية وتخرج فيه كثير من الأدباء والعلماء.

٢ - جامع أحمد بن طولون:

وهو ذلك الجامع المشهور بحي القلعة بالقاهرة بدأ ابن طولون في بنائه سنة ٢٦٣ وفرغ منه سنة ٢٦٦، وقد ظل هذا الجامع منارة كبرى يشع منه نور العلم في مصر ردحاً طويلاً من الزمن، وقد اعتنى به السلاطين والأمراء فوقفوا له الأوقاف الواسعة، ورتبوا فيه دروساً للتفسير والحديث، والفقه

والنحو وغير ذلك من العلوم، وأمّه الطلاب من كل صوب، وأتوه من كل فج.

٣ ـ الجامع الأزهر:

وهذا الجامع بناه جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وبدىء في بنائه سنة **٣٥٩**، وتم سنة **٣٩١**، وظل هذا الجامع يؤدي رسالته العلمية في عصر الفاطميين وكذلك في عصر الأيـوبيين إلى أن جاء عصر المماليك، فحظى بعنايتهم من ترميم وتجديد، وحولوه إلى جامعة علمية تليق بتاريخه الحافل، وماضيه المشرق، ولقي شيوخه وطلابه رعاية طيبة، فرصدت له الأموال، ووقفت لأجله الأوقاف، وظل مصدراً للعلوم والمعارف في أرجاء الدنيا إلى يومنا هذا.

٤ ـ جامع الحاكم:

أسسه العزيز بالله الفاطمي، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله سنة **٣٩٣** ولما تهدم سنة **٧٠٢** بواسطة زلزال، جدده الأمير بيبرس، ورتب فيه دروساً للفقه على المـذاهب الأربعة، ودرسـاً للحديث، ودرسـاً للنحو والصـرف والقراءات، وكان بجانبه كتّاب لتعليم الأيتام، وتحفيظهم القرآن.

أما المدارس فكانت كثيرة ومنتشرة في أرجاء البلاد ومنها:

١ ـ المدرسة الصلاحية:

وهذه المدرسة أنشأها صلا الدين الأيوبي سنة **٥٧٢** بجوار مسجـد الإمام الشافعي، وقد عاشت في العصر المملوكي مدة طويلة أدت دوراً هائلاً في تعليم الناشئة من أبناء الأمة، كما يذكر السيوطي في حسن المحـاضرة ٢/١٧٥.

٢ ـ المدرسة القمحية:

وهذه المدرسة أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي أيضاً سنة **٥٦٦**، وكانت بجوار جامع عمرو بن العاص ورتبت فيها الدروس للفقه المالكي

خاصة، وعرفت بالمدرسة القمحية، لما كان يرسل من القمح إلى فقهائها ومدرسيها، وقد أوقفت عليها الأوقاف.

٣ ـ المدرسة الفاضلية:

وأنشأ هذه المدرسة القاضي الفاضل، بجوار داره سنة ٥٨٠ ورتب فيها دروساً للفقه المالكي والفقه الشافعي وأوقف عليها مكتبة تضم نحو مائة ألف مجلد في مختلف العلوم.

٤ ـ المدرسة الصالحية:

أنشأ هذه المدرسة الملك الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الأيوبيين سنة ٦٣٩، وكانت مكونة من أربع مدارس، كل مدرسة منها لمذهب من المذاهب الأربعة، وهي أول مدرسة أنشئت على هذا النمط.

وفي عصر المماليك حظيت هذه المدرسة بعناية بعض السلاطين فأوقفوا لها الأوقاف الواسعة، كما يذكر السيوطي في حسن المحاضرة ٢/١٥٩.

وهناك كثير من المدارس التي يبلغ عددها أربعاً وخمسين مدرسة ذكرها صاحب كتاب «عصر سلاطين المماليك» ٣/٣٧ ـ ٥٨.

وفي هذا العصر عرفت دور الكتب، العامة منها والخاصة، وقد تنافس الأمراء والسلاطين في اقتناء النفيس من الكتب في قصورهم، والحاق عدد منها بالجوامع والمساجد ليكون في أيدي طلاب العلم ممن لا يقدرون على اقتناء الكتاب.

ومن هذه الدور التي عرفت في ذلك العصر:

١ ـ خزانة الكتب بجامع الحاكم بأمر الله.

٢ ـ خزانة الكتب بجامع الخضيري ببولاق.

٣ ـ خزانة كتب جامع المؤيد.

٤ ـ خزانة الكتب التي كانت توجد بالقبة المنصورية.

٥ ـ خزانة الكتب بالمدرسة الناصرية.

٦ ـ خزانة الكتب بالمدرسة الحجازية.

٧ ـ خزانة المدرسة المحمودية التي بناها الاستادار جمال الدين محمود عام ٧٩٧.

قال المقريزي: وعمل فيها خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها.

٨ ـ خزانة كتب المدرسة الظاهرية.

وترتب على نشاط هذهالحركة العلمية في ذلك العصر كثرة المؤلفات في العلوم المختلفة، ووضعت الموسوعات العلمية في شتى العلوم والفنون، ومن رام الوقوف على نتاج هذه الحركة العلمية المزدهرة فليرجع إلى كتاب «عصر سلاطين المماليك» فقد كتب فيه مؤلفه ما يقرب من مائة صفحة حول هذه المؤلفات.

المبحث الثاني

نشأته وطلبه العلم

وفيه:

١ ـ اسمه ونسبه.

٢ ـ مولده.

٣ ـ نشأته وطلبه العلم.

٤ ـ مشاركته في الغزو.

٥ ـ أعماله ومناصبه.

٦ ـ وفاته.

اسمه ونسبه:

هو الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ـ بضم الراء المشددة وتخفيف الموحدة ـ ابن علي بن أبي بكر، البقاعي الخرباوي الدمشقي الشافعي نزيل مصر.

كنيته: أبو الحسن.
ولقبه: برهان الدين.
ونسبته: البقاعي والخرباوي.

والبقاعي نسبة إلى وادي البقاع من أرض لبنان حالياً، ومن الأراضي السورية قديماً قبل أن يقوم الاستعمار بتقسيم بلاد الشام إلى دويلات.

وجاء في معجم البلدان١/٦٦٩ ومراصد الاطلاع ١/٢١١ ودائرة المعارف للبستاني ٥/٥٢٢: أن وادي البقاع موضع يقال له: بقاع كلب

قريب من دمشق، وهو أررض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كبيرة ومياه غزيرة.

وزاد البستاني: وهو سهل فسيح بين لبنان والجبل الشرقي، يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وطوله نحو سبعين ميلاً، ويختلف عرضه بين ثلاثة وسبعة أميال. اهـ.

وفي معجم ما استعجم ١/٢٦٣: البقاع ـ على لفظ ـ: جمع بقعة والبقاع بالشام، وهي بقاعان: بقاع بعلبك، وبقاع لبنان، قال الطائي:

فلم يبق في أرض البقاعين بقعة   وجاد قرى الجولان بالمسبل الوبل

فكلمة «البقاع» في الأصل جمع، مفرده بقعة، بضم الباء في المفرد، وكسرها في الجمع، كما ضبطه صاحب القاموس المحيط ٣/٦.

ويجوز فتح الباء في «بقعة» مع كسرها ـ أيضاً ـ في الجمع فتكون بوزن كلبة وكلاب، كما في المصباح المنير ١/٩٣.

وقال ابن منظور في لسان العرب ٨/١٨: والبقعة والبقعة ـ والضم أعلى ـ قطعة من الأرض على غير هيئة يجتنبها، والجمع: بقع وبقاع بالكسر اهـ. بتصرف.

إذن فالباء من «البقاعي» مكسورة مراعاة للجمع في الكلمة قبل النسبة إليها.

ولكن جاء في فهرس المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة في تونس: «البقاعي» بضم الباء.

وقال السخاوي في الضوء اللامع ١١/١٩١: البقاعي بضم الموحدة ثم قاف، نسبة إلى قرية من البقاع العزيزي من عمل الشام ـ ابراهيم بن عمر ابن حسن، اهـ.

فربما أن السخاوي نظر إلى مفرد الكلمة وهو بقعة بضم الباء، وتبعه على ذلك صاحب فهرس المكتبة العبدلية.

وأما «الخرباوي»: فنسبة إلى «خربة روحا» إحدى قرى سهل البقاع التي ولد فيها رحمه الله.

ويجوز في «خربة» فتح الخاء مع فتح الراء وتسكينها، كما يجوز ضم الخاء مع تسكين الراء.

كذا في مراصد الاطلاع ١/٤٥٧.

وأما «روحا» فبفتح الراء، وتسكين الواو، وحاء مهملة ممدودة في آخرها همز.

كذا في معجم ما استعجم ٢/٦٨١.

ونسبه الكتاني في فهرس الفهارس إلى مصر وخطأه الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه «معجم المؤرخين الدمشقيين» ص ٢٥٩.

والحق: أن البقاعي شامي المولد، والمنشأ والوفاة، فقد ولد في «خربة روحا» بسهل البقاع، وعاش أكثر حياته في دمشق، وبها مات وأما إقامته بمصر فكانت فترة عارضة لطلب العلم بها.

٢ ـ مولده:

أجمعت المصادر التي ترجمت للشيخ رحمه الله، على أنه ولد بقرية «خربة روحا» بوادي البقاع سنة ٨٠٩.

كما أنه ذكر تحديد عام ولادته بهذا التاريخ في تفسير سورة الشورى في نظم الدرر ومصاعد النظر.

ولم أعثر على خلاف عند أحد في تحديد سنة ولادته، إلا أنهم أتبعوا هذا التاريخ بقولهم: تقريباً، ولم يبينوا وجه التقريب وسببه.

٣ ـ نشأته وطلبه العلم:

في أسرة كبيرة يقال لها بنو حسن بقرية «خربة روحا» ولد البقاعي لأبوين فقيرين يعيشان عيشة الكفاف، فقد كانا لا يملكان شيئاً من عرض الدنيا، وفي أحضان هذين الأبوين نشأ البقاعي طفلاً صغيراً يتلمس أول الطريق، وفي ظلال تلك القرية في سهل البقاع الخصيب تعلم القراءة والكتابة، كما حفظ القرآن الكريم على عمه أحمد بن حسن الرباط، فقد كان رجلاً حافظاً للقرآن عارفاً بكافة فروع العلم[١]، وكان البقاعي يملك استعداداً فطرياً ملموساً يجعله متقدماً في تحصيل مبادىء العلم، ولا سيما في حفظ القرآن، فقد ظهرت عليه سمات النباهة، وبدت لديه مخايل النجابة، وفي حوالي العاشرة من عمره حفظ الصبي القرآن الكريم، وتلك غاية يتطلع إليها الناس جميعاً حينما يكون لهم أولاد في تلك السن المبكرة.

وبينما الصبي يواصل دراسته الأولية في كتاب القرية تحت رعاية عمه وبصر أبيه، وقعت أسرته تحت وطأة كارثة هائلة أودت بحياة رجالها، ففي شهر شعبان سنة ٨٢١ هجم على أسرته جماعة يقال لهم «بنو مزاحم» فقتلوا أباه وعميه وأصيب هو بعدة ضربات في جسده كاد من جراءها أن يموت، وكانت سنه إذ ذاك الثانية عشرة من عمره[٢].

ولما حلت تلك النكبة بأسرته، ورزىء في أبيه وعميه وصار يتيماً بفقد أبيه، ولم يطب له المقام بتلك القرية، وكأن الخطر بات محدقاً بأهلها، ينذر بتوالي الحوادث والنكبات في جنباتها[٣] عندئذ أخذه جده لأمه علي بن محمد السلمي ورحل به، وجدّ في السير ممعناً في الاختفاء عن الرقباء والمترصدين

---

١) الضوء اللامع ١/٢٧٤.

(٢) شذرات الذهب ٧/٣٤٠.

(٣) ذكر ابن العماد في الشذرات نقلاً عن البقاعي أن الوقائع استمرت بتلك القرية أكثر من ثلاثين سنة.

حتى وصل إلى دمشق التي كانت في ذلك الوقت إحدى حواضر العالم الإسلامي، يؤمها العلماء من كل صوب، ويقصدها الطلاب من كل فج.

وفي دمشق حط الفتى رحاله، فطاب نفساً، وهدأ بالاً، ولم يكن له من المآرب ما يشغله عن العلم وتحصيله، فاستأنف رحلته مع القرآن، وأخذ يجدد حفظه، فيعيده مرة بعد أخرى، وهناك بدأ في تعلم القراءات على أحد شيوخ دمشق، وغير ذلك من العلوم الشرعية والعربية، ومرت سنوات والفتى على هذا الحال، إلى أن كانت سنة ٨٢٧ وسطع في سماء دمشق نجم من ألمع النجوم، فقد عاد إليها الحافظ شمس الدين بن الجزري الذي تركها منذ سنوات، وهو من المحققين في علم القراءات، وأحد البارعين في علوم العربية، وما أن استقر به المقام حتى هرع إليه البقاعي وكأنه كان ينتظر مقدمه، فأخذ عنه القراءات، واعتبره من كبار شيوخه.

ولكن البقاعي لم يستمر في إقامته بدمشق، فتركها ورحل إلى القدس، وهناك حفظ منظومتي ابن الهائم في الجبر والحساب، وألف بعض كتبه بل وبدأ في عمل منظومته في علمي الحساب والجبر التي سماها «الباحة» وكانت سنه في هذا الوقت ثمانية عشر عاماً، ولكن لم يطل به المقام في القدس، فسرعان ما وصله نبأ وفاة أمه بدمشق، فعاد إليها في العام نفسه، أي في سنة ٨٢٨، فأقام بدمشق وطال مكثه بها، فحفظ النصف الأول من البهجة لابن الوردي، وألف كتابه «كفاية القارىء وغنية المقرىء» في رواية أبي عمرو، كما حضر دروس تقي الدين بن قاضي شهبة ولازم تاج الدين بن بهادر وظل ملازماً له حتى مات سنة ٨٣١.

وفي سنة ٨٣٢ ترك دمشق، ورحل مرة أخرى إلى القدس فمكث بها مدة عامين، حفظ أثناءهاالتحفة للحافظ ابن حجر، ودرس كافية ابن الحاجب في التصريف.

وفي سنة ٨٣٤ شد رحاله، وجد في سيره، حتى ألقى عصا الترحال في القاهرة كعبة العلم ومقصد العلماء في ذلك الوقت، فالتقى بعلمائها وبخاصة

الحافظ ابن حجر العسقلاني فلازمه وكتب عنه، كما كتب له، وانتفع به غاية الانتفاع، ولا سيما في علم الحديث، وأعجب به ابن حجر، فأثنى عليه كثيراً، وعده من كبار تلامذته، بل ومن كبار أصحابه، ووصفه بالعَلّامة، وأثنى على مؤلفاته، وقيَّد عليها عبارات الثناء والاعجاب.

وفي مصر سمع البقاعي كثيراً من علمائها، كالشرف السبكي وشمس الدين الونائي، ورحل إلى كثير من بلادها كالاسكندرية ودمياط بغية تحصيل العلم من الشيوخ الذين ذاع صيتهم، وعمت بين الناس شهرتهم[1].

وفي سنة ٨٤١ وصل البقاعي الأراضي الحجازية، فأدى فريضة الحج، وطاف ببلاد الحجاز، ورحل إلى المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي والصلاة فيه، كما ذهب إلى الطائف، ومر بوادي النمل الذي ورد في القرآن ذكره، ففاضت دموعه، وزادت أشجانه كما زار كثيراً من المساجد والمشاهد هناك.

ويتحدث البقاعي في تفسيره عن ذلك الوادي فيقول[2]: «وهو واد بالطائف - كما نقله البغوي عن كعب - وهو الذي تميل إليه النفس، فإنه معروف إلى الآن عندهم بهذا الاسم، ويسمى أيضاً «نَخِب» بوزن كتف، وقد رأيته لما قصدت تلك الديار لرؤية مشاهدها، والطواف في معابدها ومعاهدها، والتبرك بآثار الهادي في الانتهاء والمبادىء، ووقفت بمسجد قرب سدرة تسمى «الصادرة» مشهور عندهم أن النبي ﷺ صلى به، وهذه السدرة مذكورة في غزوة الطائف من السيرة الهاشمية واقتصر في تسمية الوادي على «نخب»، وأنشدت فيه يوم وقوفي ببابه، وتضرعي على أعتابه:

مررت بوادي النمل يا صاح بكرة
فصحت وأجرت الدموع على خدي

---

(١) الضوء اللامع ١ /١١٠.
(٢) نظم الدرر ١٤/١٤٢.

ويمت منه موقف الهاشمي الذي
ملأ الأرض توحيداً يزيد على العد
وكم موقف أفرشته حرّ جبهتي
وأبديت في أرجائه ذلة العهد

ثم رجع إلى القاهرة وأقام بها لم يبرحها إلا في رحلته إلى حلب بصحبة شيخه الحافظ ابن حجر، ولما عاد من تلك الرحلة ظل مقيماً بمصر لم يفكر في الرحيل عنها إلا في أخريات حياته عندما آذاه بنو قومه من علماء عصره، الذين دب داء الحسد إلى قلوبهم وأعماهم مرض الحقد عن رؤية محاسنه، وذلك عندما ألف كتابه «نظم الدرر» وأغروا به الحكام، وسعوا بينه وبين السلاطين، فتركها إلى دمشق، وكانت هي الرحلة الأخيرة في حياته، وظل بدمشق حتى مات رحمة الله عليه[1].

ومن خلال هذا العرض يدرك القارىء أن الرجل قد رحل في سبيل العلم، وأكثر من الرحلات بين البلاد والأقطار، كما أكثر من التلقي والسماع، فكان ذلك سبباً في غزارة علمه وتنوع معارفه، فضلاً عن استعداده الفطري ومواهبه التي امتاز بها.

وفي تلك المدة الطويلة التي قضاها البقاعي في طلب العلم سواء في زمن البدء والتحصيل، أم زمن الكتابة والتدوين، لم يكن له مصدر مالي ينفق منه، بل لم يكن له أحد يتولى الإنفاق عليه، وإنما كان ينفق على نفسه من عمل يده، فقد رزقه الله حسن الخط، وجودة الكتابة، فكان يكتب لغيره من العلماء نظير أجر معلوم، فمن هذا الأجر، يأكل ويلبس، ويكفي نفسه مؤنة العيش، كما كان يقوم بتعليم الصبيان مبادىء العلوم بجانب القرآن الكريم، وقد عَدَّ السخاوي ذلك نقيصة رمي الشيخ بها[2]، ولكن هيهات هيهات،

---

(١) راجع بدائع الزهور ٣/١٦٩، ومفاكهة الخلان ١/٢٣.
(٢) الضوء اللامع ١/١٠٧.

إنه الحقد على الرجال، والحسد الذي يملأ قلوب العلماء، عندما يرون غيرهم يتفوق عليهم همة وعلماً وعملاً، وفي مقدمة «مصاعد النظر» صرح البقاعي بأنه كان فقيراً لا يملك شيئاً من المال، وأنه كان يديم المكث في المساجد انقطاعاً عن أهل الدنيا، وليجد فيه السكن والمأوى، والمكان اللائق للكتابة والمذاكرة، فقد قال وهو ينعي حظه مع علماء عصره:

«والله الذي جلت قدرته، وتعالت عظمته، لو أن لي سعة تقوم بما أريد، لكنت أبذل مالاً لمن ينبهني على خطأي، فكلما نبهني أحد على خطأ أعطيته ديناراً».

ويقول:

«فصنيعهم صنع من يريد التشنيع على رجل مسلم مقبل على ما يعنيه تارك لما لا يعنيه منقطع إلى الله تعالى، في بيت من بيوته، يتلو كتابه ويقيم الصلاة، وينفق مما رزقه الله سراً وعلانية، وقد قنع بما آتاه الله».

ويبدو أن فقر البقاعي كان يغرى به أعداءه، فيمعنون في إيذائه، ويتفننون في وسائل الكيد له، ولكنه ـ رحمه الله ـ ما كان يبالي بهم ولم يعبأ بكيدهم وإيذائهم، فقد كان خوفه من الله أكثر، ورهبته من الخالق أكبر، فكان كثير الاعتصام بحبله، دائم اللجوء إلى كنفه، وفي ذلك يقول أثناء عودته من الأراضي المقدسة:

يا رب فانصرني إذا ما استضعفوا حالي، فما أنا من سواك براهب

٤ ـ مشاركته في الغزو:

وكما كان البقاعي عَلَماً في ميدان العلم، ومعلماً يرحل إليه الطلاب من كل صوب، كان ـ أيضاً ـ جندياً معدوداً من جنود المسلمين، شجاعاً لا يرهب العدو، ولا تخيفه كثرة الأعداء، ولذا فقد شارك في الحروب التي وقعت في عصره، وهي التي دارت رحاها بين المماليك والصليبيين، فقد شارك في غزوة رودس وقبرص، ورابط في دمياط وغير ذلك من الوقائع.

وهذه الجندية صفة موروثة لدى البقاعي، فقد ورثها عن آبائه وأجداده فكلهم كانوا فرساناً في الحروب، شجعاناً عند النزال، وبذلك يفخر البقاعي في إحدى قصائده فيقول:

إنّا بنو حسن والناس تعرفنا ... وقت النزال وأسد الحرب في حَنَق[١]
كم جئتُ قفراً ولم يسلك به بشر ... غيري ولا أنس إلا السيف في عنقي[٢]

٥ ـ أعماله ومناصبه:

لم تذكر المصادر ـ حسب علمي ـ أن البقاعي تولى أعمالاً عامة سوى التدريس فالذي ورد أنه تولى التدريس والإقراء في بعض المدارس مثل:

١ ـ المدرسة المؤيدية:

فقد تولى التدريس بتلك المدرسة وكان يقوم بإقراء القرآن وتحفيظه مع الاعتناء بتجويده وقراءاته[٣].

٢ ـ اقراؤه الحديث بالقلعة:

كما عينه الحافظ ابن حجر لإقراء الحديث من صحيح البخاري بالقلعة في عهد الظاهر جقمق، وكثيراً ما أثنى ابن حجر على قراءته[٤].

٣ ـ تولى مشيخة القراء بتربة أم صالح:

وهذه المدرسة بناها السلطان قلاوون بالقرب من قبر السيدة نفيسة سنة ٦٨٢ برسم أم الملك الصالح علاء الدين بن قلاوون.

٦ ـ وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعمل والنشاط، مليئة بالانجازات العلمية الضخمة،

---

(١) الحنق: أشد الغيظ.
(٢) الضوء اللامع ١١١/١.
(٣) معم المصنفين ٢٨٢/٣.
(٤) أنباء الهصر ص ٥٠٨.

وثرية بالمواقف البطولية والشجاعة، يسلم البقاعي روحه إلى ربه، فيموت بدمشق التي بدأ منها نشاطه وكفاحه.

فقد أجمعت المصادر على أنه ـ رحمه الله ـ توفي بدمشق ليلة السبت ١٨ من رجب سنة ٨٨٥ وصلى عليه من الغد بالجامع الأموي، ودفن بالحمرية خارج دمشق من جهة قبر عاتكه[1].

رحم الله البقاعي رحمة واسعة، وأدخله فسيح جنته، فقد كان رجلاً، وكان عالماً، مفسراً ومحدثاً، فقيهاً ومؤرخاً، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، وغفر لأولئك الذين ناؤوه وطاردوه، بما كان في قلوبهم من حسد له، وحقد عليه.

---

(١) الضوء اللامع ١/١٠٧. والبدر الطالع ١/٢١. أنباء الهصر ص ٥٠٨. وبدائع الزهور ١٦٩/٣. ومفاكهة الخلان ١/٢٣. وشذرات الذهب ٧/٣٤١.

المبحث الثالث

التعريف ببعض شيوخه وتلامذته

١ ـ شيوخه :

لقد كان طبيعياً أن يكثر شيوخ البقاعي، فرحلاته المتعددة إلى كثير من البلاد والأقطار، أتاحت له اللقاء بكثير من العلماء والأخذ عنهم وهؤلاء الذين أفاد منهم، وعدوا من أساتذته وشيوخه من الكثرة بمكان ولما كان استقصاء ذكرهم في هذه الدراسة أمر يصعب حصوله، فقد رأيت أن أقتصر في التعريف ببعضهم والاقتصار على ترجمة من لهم أثر كبير في حياته، والذين لا يكفُّ عن ترديد أسمائهم في مؤلفاته، ومنهم :

١ ـ الحافظ بن حجر العسقلاني :

هو قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن محمد، المعروف بابن حجر العسقلاني، الكتاني المصري.

ولد ـ رحمه الله ـ في شعبان سنة ٧٧٣ بمدينة الفسطاط بمصر وتوفي أبوه وهو صغير، فكفله بعض أقاربه وهو الزكي الخروبي، فقد كان أحد الأوصياء

عليه حفظ القرآن صغيراً، وحصل مبادىء العلوم، وتفقه على مذهب الشافعي، ورحل إلى كثير من الأقطار طلباً للعلم. فذهب إلى الشام، والحجاز واليمن، وحج وهو صغير، وما زال دائباً في طلب العلم وتحصيلة حتى أتى عليه زمن لم يكن أحد أحفظ للحديث منه فسمي حافظ عصره.

وفي سنة ٨٢٧ تقلد منصب قاضي القضاة، في عهد السلطان برسباي وظل به حتى سنة ٨٣٠، وأدار هذا المنصب بمهارة وكفاءة، وكان فيه مهيباً جليلاً.

ولقد كانت مجالسه العلمية حافلة بطلاب العلم من الوجهاء والأعيان والعلماء والطلاب، وترك ثروة علمية هائلة، ومؤلفاته كثيرة الفائدة، عظيمة القيمة تبلغ أكثر من مائة وخمسين مصنفاً، في الحديث والفقه والتاريخ.

ومن مؤلفاته:

١ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري.
ويعد هذا الكتاب من أعظم مؤلفات هذا العصر، ومن أجل شروح البخاري.

٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة.
وهو تراجم لأصحاب الرسول ﷺ، رتبه على حروف الهجاء.

٣ ـ إنباء الغمر بأبناء العمر.
وهو كتاب في التاريخ، ذكر فيه حوادث ذلك العصر، وترجم فيه لكثير من أعيانه وعلمائه.

٤ ـ لسان الميزان.

٥ ـ تهذيب التهذيب.

٦ ـ تقريب التهذيب.

وهذه الثلاثة في علم الرجال، وكلها تدل على تمكنه وتضلعه في هذا الفن.

ولقد احتل ابن حجر مكانه مكينة في قلب تلميذه البقاعي فأحله من نفسه المحل اللائق به، وكذا فعل ابن حجر بتلميذه، فبادله حباً بحب، وتقديراً بتقدير، ولولا أن التلميذ أهل لتقدير أستاذه ما فعل ذلك ابن حجر وهو المحدث الورع، والعالم الوقور.

وكثيراً ما يردد البقاعي ذكر أستاذه في كتبه، وعندما يفعل ذلك فإنما يلقي عليه هالة من التقدير والاعجاب، فما ذكره مرة إلا ويقول: «قال شيخنا حافظ عصره أبو الفضل ابن حجر».

كما كانت بينهما رسائل متبادلة، وتحدث هذه المراسلة عندما يكون البقاعي في رحلة من رحلاته، أو مشاركاً في غزوة من غزواته، يدلنا على ذلك رسالة البقاعي التي أرسلها لشيخه وهو في غزوة رودس سنة ٨٤٦ وقد ضمنها البقاعي وصفاً كاملاً للغزوة، لأنه يعلم مدى اهتمام أستاذه ابن حجر بحوادث التاريخ، وهذه الرسالة أثبتها ابن حجر في كتابه «أنباء الغمر» ٩/٢٠٠ ط الهند، حوادث سنة ٧٤٧ وقدم للرسالة بقوله: «وقد شرح لي صاحبنا العلامة ابراهيم الوقعة فأثبتها في هذا التعليق».

وهذا إن دل فإنما يدل على ثقة الحافظ ابن حجر في تلميذه وصاحبه البقاعي، وأنه أثير لديه، ثقة عنده فيما يرويه.

وتوفي الحافظ ابن حجر ليلة السبت ٢٨ من ذي الحجة سنة ٨٥٢. راجع ترجمته في:

١ ـ الضوء اللامع للسخاوي ٢/١٠٢.

٢ ـ نظم العقيان للسيوطي ص ٧.

٣ ـ حسن المحاضرة للسيوطي أيضاً ١/١٥١.

٤ ـ بدائع الزهور ١٨/٢ .

وقد ألف السخاوي كتاباً بعنوان: الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر.

٢ ـ شمس الدين بن الجزري:

هو شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي، ثم الشيرازي، الشافعي ويعرف بابن الجزري.

ولد بدمشق في ٢٥ رمضان سنة ٧٥١، وتفقه على أعلامها وطلب الحديث والقراءات، وبرع في كل فن، ولكنه عرف باتقانه وتحقيقه لعلم القراءات وعرفه الناس بأنه مقرىء محدث، حافظ مفسر، فقيه مؤرخ، نحوى ناظم، أقرأ الناس وبنى مدرسة للقراء وسماها «دار القرآن» رحل إلى كثير من البلاد مثل مصر والعراق، وينبع والمدينة، وبلاد الروم، وتولى قضاء شيراز فباشره مدة طويلة، ثم رحل إلى اليمن تاجراً، وأقام بها ثم رحل إلى القاهرة، ثم سافر عن طريق الشام والبصرة حتى وصل شيراز فأقام بها إلى أن مات سنة ٨٣٣ في شهر ربيع الأول، ودفن بالمدرسة التي بناها.

وله كثير من المؤلفات القيمة، التي تدل على علو منزلته وبراعته في كافة العلوم، منها: النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء وتذكرة العلماء في أصول الحديث، والتمهيد في التجويد[١].

٢ ـ تلاميذته:

مما لا شك فيه أن عالماً في منزلة البقاعي العلمية، لا بد أن يكثر تلامذته كما أن من طبيعة المورد العذب أن يكثر رواده، والبقاعي كان منهلاً عذباً يكثر عدد تلامذته، ولكن من الصعب استقصاؤهم في مثل هذه المقدمة

---

(١) راجع؛ طبقات القراء ٢/٢٤٧. والضوء اللامع ٩/٢٥٥. شذرات الذهب ٧/٢٠٤. البدر الطالع ٢/٢٠٧. فهرس الفهارس ١/٢٢٣.

وبخاصة إذا كان كتابه «عنوان الزمان» الذي أورد فيه تراجم تلاميذه غير موجود وقت اعداد هذه المقدمة، ومن هنا فسأكتفي بذكر من عثرت عليه منهم في كتب التراجم الأخرى.

١ ـ شهاب الدين الرملي:

وهو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن زهير، الرملي ثم الدمشقي، الشافعي المقرىء الشاعر[١].

ولد في ربيع الأول سنة ٨٥٤ بالرملة، ونشأ بها، ثم تحول إلى دمشق فحفظ المنهاج، وألفية ابن مالك في النحو وألفية العراقي في الحديث والشاطبية والدرة في القراءات، ولازم البقاعي لما كان بدمشق فأخذ عنه الحديث، وكتب عنه قطعة من كتاب «نظم الدرر».

ورحل إلى القاهرة وغيرها من البلاد في طلب العلم، وتولى مشيخة الاقراء بجامع بني أمية، واقراء القرآن بتربة أم الصالح بعد البقاعي وكان ديّناً خيّراً.

٢ ـ محيي الدين النعيمي:

هو أبو المفاخر عبد القادر بن محمد بن عمر بن يوسف النعيمي الدمشقي الشافعي[٢].

ولد سنة ٨٤٥، وتتلمذ على برهان الدين البقاعي، وبدر الدين ابن قاضي شهبة، وبرع في الحديث والتاريخ، ورحل إلى كثير من الأقطار لطلب العلم، وله مؤلفات كثيرة تدل على سعة باعه، وكثرة اطلاعه، ومنها:

---

(١) الضوء اللامع ١/٢٢١.

(٢) راجع: الضوء اللامع ٤/٧٧٨. شذرات الذهب ٨/١٥٣.

الدارس في تاريخ المدارس، تذكرة الأخوان في حوادث الزمان العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان، تحفة البررة في الأحاديث المعتبرة، وغير ذلك من الكتب الأمهات.

وتوفي رحمة الله في الرابع من جمادي الأولى سنة ٩٢٧.

المبحث الرابع

آثاره

وفيه:

أ ـ مؤلفاته.

ب ـ جوانب ثقافته.

أ ـ مؤلفاته

أما مؤلفات البقاعي فالحديث عنها يطول، فقد نبغ ـ رحمه الله ـ في جميع العلوم التي كانت معروفة في عصره، لأنه حصلها بنهم، وتعلمها بشغف، ولذا فقد ترك ثروة علمية هائلة، تشهد بعلو همته، وترفع من مكانته، وتدفع قالة السوء عنه، ولقد ألف في كل فن، وصنف في كل علم، وها هي مؤلفاته:

١ ـ الإباحة في شرح الباحة:

والباحة: منظومة في علمي الحساب والمساحة، نظمها وهو بالقدس سنة ٨٢٧ وسِنُّهُ ثمانية عشر عاماً.

ذكره صاحب كشف الظنون ١/٢١٦.

ومنه نسخة بالمكتبة الخديوية بمصر تقع في نحو ٢٠٠ صفحة.

راجع: جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٩٨.

٢ ـ أحسن الكلام المنتقى من ذم الكلام:

انتقاه من كتاب «ذم الكلام» لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، المتوفي سنة ٤٨١.

راجع: كشف الظنون ١/١٦، ٨٢٨.

٣ ـ أخبار الجلاد في فتح البلاد:

ذكر جورجي زيدان ٣/١٩٨: أنه موجود في مكتبة لا له لي بالأستانة.

وذكر الدكتور صلاح الدين المنجد: أنها تحت رقم ١٩٩٤ تاريخ.

ومنه نسخة أخرى في مكتة داماد ابراهيم بتركيا رقم ٨٨٦.

٤ ـ الإدراك لفن الاحتباك:

ذكره البقاعي في نظم الدرر ١/٧٥ من المخطوطة.

٥ ـ أسد البقاع الناعسة في معتدى المقادسة:

ألفه في ذم بعض أهل القدس.

ذكره صاحب كشف الظنون ١/٨١.

٦ ـ الاستشهاد بآيات الجهاد:

منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٧٦.

٧ ـ أسواق الأشواق من مصارع العشاق:

جمع فيه كتاب «مصارع العشاق في شارع الأشواق» للقاضي أبي المعالي عبد العزيز بن عبد الملك المتوفي سنة ٤٩٤.

وكتاب «الواضح المبين» للحافظ مغلطاي المتوفي سنة ٧٦٢

وكتاب «مغازل الأحباب ومنازه الألباب» لشهاب الدين محمد بن سليمان الحلبي المتوفي سنة ٧٢٥، وقد رتب البقاعي كتابه ترتيباً حسناً وجعله على مقدمة وعشرة أبواب.

راجع: كشف الظنون ٢/١٧٠٣.

ومن هذا الكتاب نسخه بالخزانة العامة بالرباط رقم ٣٣٢٤ وتبلغ ٢٨٠ ورقة، نسخت سنة ٨٧٦ بخط علي بن محمد المنظراوي.

ومنه نسخة مصورة على ميكروفيلم بمكتبة جامعة الململك سعود بالرياض تحت رقم ١/٣٢٠.

وذكر جورجي زيدان في «تاريخ آداب اللغة العربية ١٩٨/٣ أنه يوجد من هذا الكتاب نسخة بباريس، ونسخه أخرى بمكتبة الاسكوريال.

٨ ـ الإسفار عن أشربة الأسفار:

ألفه سنة ٨٤٤ لما خرج من البحر راجعاً من غزوة قبرص ورودس، ولم يتيسر لهم الفتح.

ذكره في كشف الظنون ١/٨٦.

٩ ـ إشعار الواعي بأشعار البقاعي:

وهو ديوان شعر ضمنه أشعاره.

ذكره في كشف الظنون ١/١٠٤.

١٠ ـ أشلاء الباز على ابن الخباز:

صنفه في الرد على خصمه ناصر الدين بن الزفتاوي أحد النواب.

ذكره في كشف الظنون ١/١٠٥.

١١ ـ الاطلاع على حجة الوداع:

ذكره البقاعي في مصاعد النظر في سورة النصر.

وذكره صاحب كشف الظنون ١/١١٧.

١٢ ـ إظهار العصر لأسرار أهل العصر:

وهو تذييل على كتاب شيخه الحافظ ابن حجر المسمى «إنباء الغمر بأنباء العمر». بدأه بحوادث سن ٨٥٥ وانتهى فيه إلى سنة ٨٧٠.

ذكره صاحب كشف الظنون ١/١١٨، ١٧١.

ومنه نسخة بخط المؤلف بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، تحت رقم ٨٩ تاريخ وتبلغ ٣٠٠ ورقة.

١٣ ـ الإعلام بسن الهجرة إلى الشام:

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٥١.

ومنه نسخة في مكتبة بلدية اسكندرية تحت رقم ٢٠٢٠ كتبت في حياة المؤلف.

ونسخة في شستربتي رقم ٣/٣٦٦٦ كتبت سنة ٨٨١.

ونسخة بدار الكتب بمصر تحت رقم ٣٥٥١ ح كتبت سنة ٩٩٥.

١٤ ـ الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة:

ذكره في كشف الظنون ١/١٤٠.

قال الشوكاني في البدر الطالع ١/٢٠: وفيه ما يشفي.

ومن هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩ تفسير.

١٥ ـ إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر:

ألفه في شوال سنة ٨٨١ بدمشق، عندما رأى جماعة من العوام مجتمعين

حول شيخ في الجامع يرقصون ويرفعون أصواتهم، فكتبه نهياً لهم عما هم فيه من الابتداع.

وذكره صاحب كشف الظنون ١/١٧٠.

١٦ ـ الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان:

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤ م مجاميع.

١٧ ـ بذل النصح والشفقة بصحبة السيد ورقة:

منه نسخة بالمكتبة الظاهرية تحت رقم ٣٧٣٣ في ٦٨ ورقة نسخت سنة ٨٨٤.

قال المؤلف في آخرها: وكان فراغي من تسويدها سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة في منزلي الملاصق للمدرسة البادرائية من دمشق[١].

١٨ ـ بيان الإجماع على منع الاجتماع في بدعه الغناء والسماع:

ذكره صاحب كشف الظنون ١/٢٦٠.

١٩ ـ تحذير العباد من أهل العناد ببدعه الاتحاد:

ومنه نسخة بالمكتبة السعودية رقمها ٨٦/٤٧٤ تبلغ ٢٢ ورقة.

وقد نشر هذا الكتاب محققاً مع كتاب «تنبيه الغبي» الآتي تحت عنوان «مصرع التصوف» بتحقيق عبد الرحمن الوكيل عضو جماعة أنصار السنة سنة ١٩٥٢.

٢٠ ـ تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي:

توجد منه نسخة بالمكتبة السعودية تحت رقم ٨٦/٤٧٤ تبلغ سبعين ورقة.

---

(١) راجع: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية وضع محمد ناصر الألباني ص ٣٣٨ ط مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٠.

٢١ ـ تهديم الأركان من ليس في الامكان أبدع مما كان:

وهي رسالة رد فيها على بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة كما ذكر فيها اعتراضات على الغزالي في الإحياء وفرغ من تأليفها سنة ٨٨٣.

ذكره صاحب كشف الظنون ١/٥١٣.

وأورده صاحب كشف الظنون بعنوان: دلالة البرهان على أن ليس في الإمكان أبدع مما كان.

راجع: معجم المصنفين ٣/٢٧٩ وكشف الظنون ٢/٧٥٩.

٢٢ ـ تهذيب جمل الخونجي:

واسم كتاب الخونجي: الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق.

ومؤلفه: محمد بن ناماور بن عبد الملك، المتوفى سنة ٦٢٤.

فهذبه البقاعي وحرر قواعده، وفرغ منه في رجب سنة ٨٦١.

ذكره صاحب كشف الظنون ١/٦٠٢.

٢٣ ـ جواهر البحار في نظم سيرة النبي المختار:

وهو أرجوزة في سيرة النبي ﷺ، وعمل عليها البقاعي شرحاً في مجلدين.

راجع: كشف الظنون ١/٦١٢.

ومنه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٤٣ تاريخ طلعت وتبلغ ٣٨ ورقة.

راجع: فؤاد السيد: فهرس المخطوطات المصوره ٤/١٤٣، وصلاح الدين المنجد معجم المؤرخين الدمشقيين ص ٢٦١.

٢٤ ـ خير الزاد المنتقي من كتاب الاعتقاد:

انتقاه البقاعي من كتاب «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد «للحافظ البيهقي صاحب السنن، بعد ما قرأه على شيخه الحافظ ابن حجر، وفرغ منه البقاعي في ذي القعدة سنة ٨٦١.

راجع: كشف الظنون ١/٧٢٧، ٢/١٣٩٣.

٢٥ ـ دلائل البرهان لمنصفي الإخوان على طريق الإيمان:

فرغ منه في جمادي الأولى سنة ٨٧٧، وأرسله إلى بعض إخوانه بالقاهرة. كذا في كشف الظنون ١/٧٥٩.

٢٦ ـ أدلة البرهان القويم على تناسب أي القرآن العظيم:

وهو اختصار ـ لكتاب «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور».

ومن هذا الكتاب نسخة بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم ٤٧٢٤ وتبلغ ٤٦٤ لوحة.

٢٧ ـ رفع اللثام عن عرائس النظام:

وهو مختصر في العروض والقوافي، وقد رتبه البقاعي على قسمين:

الأول: في العروض. والثاني: في القافية. وفرغ من تأليفه سنة ٨٤٨.

كذا في كشف الظنون ١/٩١٠.

٢٨ ـ سر الروح:

هو اختصار لكتاب «الروح» لابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١.

كذا في كشف الظنون ٢/١٤٢١.

ومن هذا الكتاب نسخة بالحرم المكي تحت رقم ٦٥٤ تصوف وتبلغ ٦٥ لوحة.

٢٩ ـ السيف المسنون اللماع على المفتي المفتون بالابتداع:

وهو رد على السيوطي لما أفتى بلزوم قراءة الفاتحة عقب الصلوات.

ذكره صاحب كشف الظنون ٢/١٠١٨.

٣٠ ـ شرح جمع الجوامع:

وهو كتاب في الأصول شرح فيه كتاب «جمع الجوامع» للسبكي، ولهذا الكتاب شروح كثيرة من بينها شرح البقاعي.

كذا في كشف الظنون ١/٥٩٦.

٣١ ـ صواب الجواب للسائل المرتاب المعارض المجادل في كفر ابن الفارض.

ويأتي بعنوان: تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد.

وعنوان: تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض.

راجع: كشف الظنون ١/٣٥٥، ٣٨٢، ٢/١٠١٨.

٣٢ ـ ضوابط الإشارات إلى أجزاء علم القراءات:

ذكره في كشف الظنون ٢/١٠٩٠.

ومنه نسخة في المكتبة الظاهرية تحت رقم ٧٤٢٢، كتبت سنة ٨٦٦ وتبلغ ٨ ورقات.

٣٣ ـ العدة في أخبار الردة:

ذكره في المناسبات ٦/٩٤ أ.

٣٤ ـ عظم وسيلة الاصابة في صنعة الكتابة:

وهو منظومة في الخط والنقط والشكل.

ذكره كشف الظنون ٢/١١٤٢.

٣٥ ـ عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران:

ذكره صاحب كشف الظنون ٢/١١٧٤.
ومنه نسخة في مكتبة كوبرولي بتركيا تحت رقم ١١١٩.
ونسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٠١ تاريخ.
ونسخة في المكتبة الأحمدية بالزيتونة في تونس تحت رقم ٥٠٣٤ تراجم.
ومنه قطعة بخط المؤلف في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٤٣ تاريخ.

وهذا الكتاب قيد التحقيق بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية.

٣٦ ـ عنوان العنوان:

وهو اختصار لكتاب «عنوان الزمان».

؟ ذكر جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٩٨ أن منه نسخة في أكسفورد.

ومنه نسخة في المكتبة التيمورية بمصر تحت رقم ١٤٧٤ تاريخ.

٣٧ ـ الفارض:

قال صاحب كشف الظنون ٢/١٢١٥: ذكره ـ يعني البقاعي ـ في دلالة البرهان وقال: ومن أراد بسط الأدلة في هذه الرسالة فعلية بكتابي «الفارض» فإنه بحر عباب، وذكرى عظيمة، لا يستغني عنه في هذا الزمان متشرع.

٣٨ ـ الفارض في تكفير ابن الفارض:

ذكره البقاعي في كتابه «تحذير العباد» ص ٢٥٧، ولعله هو الكتاب السابق.

٣٩ ـ الفتح القدسي في آية الكرسي:

فرغ منه في شهر شعبان سنة ٨٧٩.

ومنه نسخة في مكتبة تشستربتي تحت رقم ٣٦٦٦/٤.

ونسخة مصورة عن النسخة السابقة بالمكتبة المركزية بجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية بالرياض على ميكروفيلم تحت رقم ٣٦٦٦/ف وتبلغ ٢٨ لوحة.

٤٠ ـ القول المعروف في الرد على منكري المعروف:

ذكره صاحب كشف الظنون ١٣٦٤/٢.

٤١ ـ القول المفيد في أصول التجويد:

ذكره في كشف الظنون ١٣٦٥/٢.

ومنه نسخة في المكتبة الظاهرية تحت رقم ٧٤٢٣، في ١٦ ورقة نسخت سنة ٨٦٦ هـ.

ونسخة أخرى بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم ١٧٥٥ د.

ونسخة مصورة عن السابقة بمكتبة جامعة الرياض على ميكروفيلم تحت رقم ١٤/٣٣١ ف.

٤٢ ـ كفاية القارىء في رواية أبي عمرو:

ذكره صاحب كشف الظنون ١٥٠٠/٢.

٤٣ ـ مالا يستغني عنه الإنسان من ملح اللسان:

وهو كتاب في النحو أوله: «الحمد لله الذي جعل النحو صلاح الألسنة».

وفرغ منه في جمادي الأولى سنة ٨٣٦ هـ.

ذكره صاحب كشف الظنون ١٥٧٥/٢.

٤٤ ـ مختصر سيرة النبي ﷺ وثلاثة من الخلفاء الراشدين.

ذكره جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ١٩٨/٣.

وقال الزركلي في الأعلام : ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة عبيد بدمشق.

ومنه نسخة في برلين تحت رقم ٩٦٩٤.

٤٥ ـ مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور:

ويسمى أيضاً: المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى.

قال صاحب كشف الظنون ٢/١٧٠٤: جمع فيه ما لم يحوه كتاب كالبحر العباب.

وهو هذا الكتاب الذي نقوم بتحقيقه.

٤٦ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:

طبع هذا الكتاب لأول مرة محققاً بالهند، وظهر منه حتى الآن ثمانية عشر مجلداً تنتهي بآخر سورة ق.

ونسخه المخطوطة متوفرة وكثيرة، منتشرة في مكتبات العالم، مثل مكتبات مصر وتركيا،! والمدينة المنورة، والرياض، والمغرب، وتونس، ودمشق والعراق، وبلغاريا، وباريس، ولندن.

٤٧ ـ النكت الوفية بما في شرح الألفية:

والألفية منظومة في الحديث للحافظ زين الدين العراقي المتوفي سنة ٨٠٦ لخص فيها كتاب «علوم الحديث» لابن الصلاح.

وبلغ البقاعي في شرحه إلى نصف المنظومة، وأودعه ما استفاده من شيخه الحافظ ابن حجر.

راجع: كشف الظنون ١/١٥٦.

٤٨ ـ النكت والفوائد:

وهو كتاب شرح فيه العقائد لسعد الدين التفتازاني.

ذكره صاحب هدية العارفين ١/٢٢.

٤٩ ـ الوفيات:

ذكر فيه أسماء من توفي وتاريخ وفاتهم من سنة الهجرة إلى سنة ٧٤٥هـ.

ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة عاشر أفندي في مجموع تحت رقم ١١٦٢ في ١٤ ورقة.

* * *

هذا، وللشيخ كتب أخرى غير ما ذكرت، تحتاج إلى بحث وتنقيب في مكتبات العالم المختلفة، فقد كان ـ رحمه الله ـ علماً يراه القريب والبعيد، ويشهده القاصي والداني، وكان لكتبه أكبر الأثر في نفوس العلماء وطلاب العلم، مما عمل على ذيوعها وانتشارها، وتعدد نسخها.

وذكر الدكتور صلاح الدين المنجد أنه يوجد في ليدن بألمانيا فهرست لمصنفات البقاعي بخط أحمد بن خليل اللبودي تحت رقم ٢٤٨٣.

راجع: معجم المؤرخين الدمشقيين ص ٢٥٩.

ب ـ جوانب ثقافته

عرفنا مما تقدم أن البقاعي قد أحاط بمعارف عصره، وأنه نبغ في كافة العلوم التي كانت سائدة آنذاك، والناظر في تراثه بإمعان يدرك لأول وهلة أنه أمام شخصية علمية متعددة المواهب، مختلفة الجوانب، فهو مفسر، محدث، مؤرخ، أديب وشاعر.

وفي هذه العجالة من البحث سوف أتحدث عن تلك الجوانب المختلفة للتعرف عليها من جهة، ولبيان مكانته العلمية من جهة أخرى.

أولاً: مكانته في التفسير وعلومه:

لا شك أن البقاعي في مجال التفسير علم من أعلامه، وهو حامل رايته

في حله وترحاله، وكتابه «المناسبات» أشهر من أن يجهله عالم أو طالب علم، سواء كان ذلك في عصره أم في ما تلاه من عصور، وكذلك كتابه، «مصاعد النظر» الذي حوى كل صغيرة وكبيرة تتعلق بعلوم القرآن، والذي سيأتي عنه الكلام في الفصل التالي على حدة.

وكتاب المناسبات الذي اشتهر به البقاعي يعد أول خطوة من خطوات التجديد في التفسير، والتحرر من العادات التي توارثها المفسرون الأقدمون وتناقلوها طبقة عن طبقة، لأنهم إما مفسر يعتمد على المأثور من القول لا يعدوه إلى غيره حتى ولو كان ضعيفاً أو موضوعاً لا يصلح للأخذ به.

وإما متعصب لمذهب من المذاهب العقائدية أو الفقهية يحاول أن يخضع نصوص القرآن لتأييد مذهبه والحط من المذاهب الأخرى، لا يألو في ذلك جهداً حتى ولو أداه ذلك إلى التكلف وركوب متن الشطط.

وإما مغرق في اللغة. فيصبغ كتابه بالإكثار من الإعراب، والإنسياق في سرد المذاهب النحوية، ورد كل مذهب على الآخر، وبذلك تضيع المعاني، ويضل القارىء طريقه في هذا الحشد من أقوال النحاة، ولا يعرف أهذا كتاب نحو أم كتاب تفسير، وكتاب البقاعي في جملته يخلو من تلك المظاهر المعيبة، والتي لا تمت إلى التفسير بأدنى صلة.

وكان ـ رحمه الله ـ موفقاً في اعتناقه بإبراز المناسبات بين كل آية وآية، بل وبين كل جملة وجملة، وهذا جانب مهم من جوانب التفسير، وإبراز كنوز القرآن التي لا تنضب ولا تنتهي، كما كان موفقاً في اختيار وتحديد المنهج الذي التزمه فيه.

ثانياً: البقاعي محدثاً:

ما من أحد ترجم للبقاعي إلا وصفه بأنه محدث، مبرز في هذا الجانب، بل لقد وصفوه بأنه من الحفاظ.

فمثلاً يقول ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة:

الحافظ العلامة برهان الدين البقاعي(١).

ويقول السيوطي: برهان الدين أبو الحسن العلامة المحدث الحافظ(٢).

ويقول الصيرفي: الإمام العلامة المحدث البقاعي الشافعي خرّج في الحديث العالي والنازل، ورقّاه قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر حتى جعله قارىء البخاري في القصر بقلعة الجبل بحضور السلطان في دولة الظاهر جقمق، وكان يثني على قراءته وفصاحته، وهو كذلك مع الدين والخير(٣).

ويقول ابن أياس: وكان عالماً فاضلاً محدثاً ماهراً في الحديث(٤).

ويقول ابن طولون: المحدث البرهان البقاعي(٥).

وقد ألف البقاعي في مصطلح الحديث فشرح ألفية الزين العراقي، وأتى في هذا الشرح بما يدل على تفوقه في علوم الحديث، وهو معروف لدى العلماء، فقد ذكره وأثنى عليه كل من ترجم للشيخ رحمه الله.

وزعم السخاوي في كتاب له: أن البقاعي سطا على شرح للألفية وضعه الشيخ محمد بن محمد الموصلي بتقييده عن الحافظ ابن حجر(٦).

وعندي أن هذه أكذوبة من أكاذيب السخاوي التي سوّد بها ترجمة العلامة برهان الدين البقاعي في محاولته اليائسة لطمس تاريخ الرجل، وتشويه سيرته وصورته، ولو كان ما ذكره صحيحاً لما خفي أمره على الشيخ الموصلي، بل وما خفي على الحافظ ابن حجر، ولا سيما وأن البقاعي كان كلما عمل

---

(١) النجوم الزاهرة ١٦/٣٤٧.
(٢) نظم العقبان ص ٥٤.
(٣) أنباء الهصر ص ٥٠٨.
(٤) بدائع الزهور ٣/١٦٩.
(٥) مفاكهة الخلان ٢/٦.
(٦) التبر المسبوك ص ٣٧١.

كتاباً، أو وضع رسالة أطلع عليها شيخه الحافظ ابن حجر، وقد صرح البقاعي في مقدمة مصاعد النظر بأن ابن حجر أطلع على تلك الحاشية وكتب له ثناء عليها، وهذا وحده كاف في رد مزاعم السخاوي ومناوراته، ودحض مفترياته.

والذي يطلع على كتب البقاعي، وبخاصة كتابيه: مصاعد النظر، ونظم الدرر، اللذين وقعنا عليهما، يجده في تخريج الأحاديث وما يتعلق بها من بيان درجاتها، وضبط رواتها، وعدالة نقلتها، كالملاح الماهر يخوض في مصنفات الحديث، ويمخر عباب فن الجرح والتعديل، فيستخرج مما يتعلق بالحديث واسناده لآلىء ودرر، حتى أن القارىء ليجد برد الراحة يثلج صدره ويقين العلم يطمئن فؤاده، والبقاعي بما منحه الله من موهبة نادرة، وبما اكتسب من ثقافة واسعة في الحديث وعلومه يرتاد هذا المجال عن تمكن واقتدار.

كما أن كتب البقاعي تشهد بأن له اطلاعاً واسعاً، وإلماماً غير محدود بكتب الحديث، سواء منها الكتب الستة، أم ما ألف قبلها، وما أتى بعدها.

ثم إنه يتتبع الحديث الواحد في جميع مصادره باستيعاب، ويبحث عنه في شتى المصادر باستقصاء، فلا يكل ولا يسأم، من عزوه لكل تلك المصادر، ومن سياقه مرة بعد مرة، لكي يوقف القارىء على كل ألفاظ الحديث التي اختلفت روايتها لدى كل مصنف بزيادة أو نقصان، بتقديم أو تأخير، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتابه «مصاعد النظر».

ثالثاً: البقاعي مقرئاً:

سبق أن ذكرت: أن البقاعي اهتم بتحصيل القراءات في مطلع صباه وأنه قرأ على كبار المقرئين في عصره، منهم الامام شمس الدين ابن الجزري ـ رحمه الله ـ، وكان أول كتاب ألفه البقاعي ـ على ما يبدو لي ـ كان في القراءات

سنة ٨٢٧ وكانت سنة إذ ذاك ثمانية عشر عاماً، وهذا الكتاب هو «كفاية القارىء وغنية المقرىء» في قراءة أبي عمرو.

ولما أطلع عليه شيخه الحافظ ابن حجر أعجب به غاية الاعجاب وكتب عليه بخطه:

«فهكذا هكذا تنظم اللآلىء؛ وإلى هنا تنتهي رتب أولى المعالي، إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً، ويا ليت شعري ومن هذه بدايته، فما الذي بلحاق النجم ينتظر»(١).

وليس هذا هو الكتاب الوحيد الذي ألفه البقاعي في القراءات فقد ألف كتباً أخرى تدل على تبحره في هذا الفن، مثل كتاب: «ضوابط الاشارات إلى أجزاء علم القراءات» وكتاب: «القول المفيد في أصول التجويد» ولم يكن البقاعي مصنفاً في القراءات فحسب، وإنما مارس علم القراءات إقراءاً وتدريساً في عدة مدارس، كان يوكل إليه القيام بإقراء الطلاب فيها كما سبق أن ذكرت في ترجمته.

رابعاً: البقاعي مؤرخاً:

وفي التاريخ ألف البقاعي عدة كتب تشهد كلها بتضلعه في هذا الفن، وتدل على تبحره فيه، فقد ذيل بكتاب ضخم على تاريخ شيخه الحافظ ابن حجر المسمى «إنباء الغمر» بدأه بذكر الحوادث التي انتهى عندها شيخه.

كما أنه ترجم لشيوخه وأقرانه وتلاميذه في معجم كبير يدل على تفوقه في هذا الميدان.

ومن آثاره في التاريخ:

١ ـ أخبار الجلاد في فتح البلاد.

---

(١) راجع: ص ٢٢ من كتاب مصاعد النظر.

٢ ـ عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران.

٣ ـ عنوان العنوان، وهو اختصار للكتاب السابق «عنوان الزمان».

٤ ـ إظهار العصر لأسرار أهل العصر.

ذيل به على تاريخ شيخه الحافظ ابن حجر المسمى:

أنباء الغمر.

٥ ـ الوفيات.

ذكر فيه أسماء وتاريخ من توفي، من سنة الهجرة إلى سنة ٧٤٥.

٦ ـ مختصر سيرة الرسول ﷺ وثلاثة من الخلفاء الراشدين.

٧ ـ الاعلام بسن الهجرة إلى الشام.

٨ ـ جواهر البحار في نظم سيرة المختار.

وتدل هذه المؤلفات بأنه قد أحاط بكل نواحي هذا الفن، فألف في كل جانب من جوانبه، وقد انتفع السخاوي في كتاب «الضوء اللامع» بكتاب «عنوان الزمان» للبقاعي، فنقل عنه كثيراً في تراجم علماء ذلك العصر[١].

كما انتفع به جلال الدين السيوطي في كتابه نظم العقبان[٢].

خامساً: البقاعي شاعراً وناظماً:

لم يشتهر البقاعي بأنه شاعر، لأن شهرته في التفسير غطت على هذا الجانب من جوانبه الثقافية، وله ديوان بعنوان «إشعار الواعي بأشعار البقاعي» والذين اطلعوا على هذا الديوان حكموا بأن الجيد من شعر البقاعي متوسط، وقد تناول في شعره الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء قديماً، وفي مقدمة كتاب «مصاعد النظر» كثير من شعره ـ وهذه بعض النماذج منه:

---

(١) راجع ـ مثلاً ـ ١/ ٢٠٠، ٢٢٩.

(٢) راجع منه ص ٥، ١٠، ٢٩.

قال رحمه الله يشيد بكتاب فتح الباري لشيخه ابن حجر:

إن كنت لا تصبو لصف عذارى — دع عنك تهيامي وخلع عذارى
إن الغرامُ له رجال دينهم — تلف النفوس على هوى الأقمار
خاضوا بحار العشق وقت هياجها — إذ موجها كالجحفل الجرار
فاستوسقوا درراً تجل نعوتها — صاروا بها في العاشقين دراري
لله أيام الوصال وطيبها — لو لم تكن ككواكب الأسحار
ليلات أرتشف الرحيق من الثغو — رفأنثني من دون شرب عقار
وأدير في روض الوجوه محاجرى — عجباً فتعييني عن الأنوار
بأبي الخدود نواضرا حسناتها — كنواظر الغزلان في الدينار
قصدت يكون المسك حسن ختامها — فتعلمت من ختم فتح الباري
شرح البخاري الذي في ضمنه — نظمت علوم الشرع مثل بحار
في كل طرس منه روض مزهر — وبكل سطر منه نهر جاري
وبه زوائد من فوائد جمة — وفرائد أعيت على النظار
شرح الحديث به فكم من مشكل — فيه انجلى للعين بالآثار
يأتي إلى طرق الحديث يضمها — إن العيان مصدق الأخبار
وتزاحمت أفديه في تحصيله — زمر الملوك فسل من السفار
من فيض أحمد نبعه وله منا — سبة به اشتهرت لدى الأفكار
إن قلت نهر فهو للحجر انتهى — ومن الحجارة منبع الأنهار
أو قلت بحر صقلان أصله — فالناس عالة بحرها الزخار
كم قد رحلت وكم جمعت مصنّفا — فالدين قد أحييت بالأسفار
وسكنت في العلياء تقي وفضائلا — أنت الشهاب بك اهتدى السارى
رحلت إليك الطالبون ليقتدوا — وتتابعوا سبقاً من الأقطار
وتراكضوا خيل الشبيبة حين لم — تركس بوهن أو بوصف عذارى

---

(١) راجع: كشف الظنون ١/١٠٤. ونظم العقيان ص ٢٤.

فارقت في أرض البقاع عشائري ... أطوى إليك فيافيا وصحارى
فارقت منهم كل أروع ماجد ... حامي الذمار بسيفه والجار
فمصنفاتك سهلت وتنزهت ... من طاعن يرجو قذى أو عار
تربو على مائة ونصف أودعت ... دررا تضيء الليل وقت سرار
وتضوع بالمسك الذكي لناشق ... حسناً فيخجل أن يضوع الداري
لم تبلغ المقصود من أوصافكم ... كلا ولم يقرب من المعشار
فاسلم على كر الليالي راقياً ... رتب العلا، تهنأ بفتح الباري[1]

وله أيضاً:

للعبد يجري الأجر بعد الموت في ... تسع كما قال النبي المصطفى
اجراء نهر، حفر بئر، غرس نخـ ... ـل، نشر علم، والتصدق في الشفا
وبناء بيت لابن السبيل ومسجد ... وبتركه ابناً صالحاً أو مصحفاً[2]

---

(١) راجع: فتح الباري للحافظ ابن حجر ١٣/٥٥.
(٢) نظم العقيان ص ٢٥.

الفصل الثاني

التعريف بالكتاب

وفيه النقاط التالية:

١ ـ تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف.
٢ ـ وصف نسخ الكتاب الخطية.
٣ ـ منهج المؤلف في الكتاب.
٤ ـ القيمة العلمية للكتاب.
٥ ـ مآخذ على المؤلف في كتابه.
٦ ـ بيان المنهج الذي اتبعته في التحقيق.

الفصل الثاني

التعريف بالكتاب

قبل البدء في تحقيق أي كتاب لا بد من ذكر بعض الأمور المهمة التي تهم من يطالعه، وسوف أحصر الكلام في هذا الفصل عن النقاط الآتية:

١ ـ تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف:

اسم هذا الكتاب: «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور». هكذا جعل المؤلف عنوان الكتاب، ونص عليه في افتتاحيته بقوله: «وبعد»: فهذا كتاب سميته «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» ويصلح أن يسمى: المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى.

كما جاء ذكر اسمه مصرحاً به في كتب التراجم التي ترجمت للمؤلف رحمه الله، ولم أقف على خلاف يعتد به في تلك التسمية، ثم إن نص المؤلف على اسم الكتاب في مقدمته يجعل مظنة الخلاف في ذلك أمراً بعيداً.

وأما نسبة الكتاب إلى المؤلف رحمه الله ـ فلم أعثر على خلاف في ذلك

ولن يصادف الباحث أدنى صعوبة في تحقيق هذه النسبة لأن المصادر القديمة والحديثة تتفق في نسبة الكتاب إلى الشيخ الإمام برهان الدين البقاعي.

كما أنه من أوضح الأدلة على ذلك: أن المؤلف ـ رحمه الله ـ أكثر من ذكره والاحالة عليه في عدة مواضع من كتابه «نظم الدرر» وليس في إمكان أحد أن يماري في نسبة كتاب «نظم الدرر» إليه.

وقد نقل صاحب كشف الظنون عن البقاعي أنه قال وهو بصدد الحديث عما لقيه من أهل عصره لما ألف «نظم الدرر» وصنفت بسبب ذلك كتابي «مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور» ثم صنفت «الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة».

٢ ـ وصف النسخ الخطية للكتاب:

يوجد من هذا الكتاب عدة نسخ موزعة على المكتبات العامة بمصر والرباط ومكتبة الحرم بمكة المكرمة.

منها ثلاث نسخ بدار الكتب المصرية، ونسخة واحدة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية.

١ ـ أما نسخة معهد المخطوطات فهي النسخة التي كتبها المؤلف بخطه وذكر في آخرها: أنه بدأ في كتابة مسودته في نصف شوال سنة ٨٧٠ وفرغ منها ليلة الجمعة رابع عشر من جمادي الأولى سنة ٨٧١، وفرغ من النسخة التي بأيدينا الآن ليلة الثلاثاء رابع عشر من شعبان من السنة نفسها بمنزله بالقاهرة.

ويبلغ عدد أوراق هذه النسخة ١٤٦ ورقة، وبالورقة ثلاثة وعشرون سطراً، وخطها نسخ دقيق في كتابته، وعلى هوامشها تكملات للأصل وكتب على الصفحة الأولى: «كتاب مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور».

وتحت العنوان: «من الله به على أحوج الخلائق إلى عفو الخالق،

ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، لطف الله بهم أجمعين، وأسكنهم جنان النعيم، مع النبيين والصديقين والصالحين آمين، آمين، آمين.

وبعد هذا الكلام من ناحية اليسار مكتوب: ابتدأت في مسودة هذا الكتاب في سادس عشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، ووصلت إلى سورة ص حيث أنا في نظم الدرر، وفرغت منه في أثناء سنة احدى وسبعين وفرغت من المبيضة إلى سورة الزمر في سادس عشر ربيع أول في العام المذكور ثم فرغت من المسودة ليلة الجمعة رابع عشر من جمادي الأولى من السنة ثم من المبيضة ليلة رابع عشر من شعبان من السنة.

وعلى يمين هذا الكلام مكتوب: «وفيه من تصنيف البقاعي أيضاً: القول المعروف، والأجوبة السرية، وفيه من غيره نظم متشابه القرآن للعالم السخاوي.

وتحت هذا الكلام مكتوب:

الحمد لله المتفضل بانعامه على من يشاء

بأن دين الله أضحى موضحاً	أسرار قول الله في القرآن
وأتى بما ترك الورى من بعده	تفي الورى أبد مدى الأزمان
فمن ادعى نسجاً على منواله	فقد ادعى ما ليس في الإمكان
وإذا المفسر رام يوماً أنه	بمثاله يأتي بلا اذعان
قلنا له قم وقايس عد ذا	وأما الدليل، عليك بالبرهان

قال ذلك وكتبه أقل تلامذته وأحوجهم إلى عفو الله ومغفرته خليل الذهبي... المقرىء، لطف الله به وبالمسلمين أجمعين آمين.

وبعد هذه الأبيات: «يطلب من الله الغفران إبراهيم بن سليمان».

وعلى الجانب الأيسر كلام مطموس، وفي أعلى الصفحة أختام وكلمات

أغلب الظن أنها وقوف، ولكن الكلام يصعب قراءته فقد خلا من الوضوح.

النسخة الثانية:

وهذه النسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٦٧ تفسير، وتبلغ ٤٧٠ لوحة من الحجم المتوسط وقيل: إنها مصورة من نسخة المؤلف، ولكن عدد لوحاتها ينفي ذلك، لأن عدد أوراق نسخة المؤلف ١٤٦ ورقة كما سبق أن ذكرت.

وهي نسخة رديئة التصوير، يتعذر الانتفاع بها، فكثير من الأوراق يبدو وكأنه مطموس تماماً نظراً لرداءة تصويره، ثم أن بها نقصاً وزيادات.

أما النقص: فاللوحة ٩٠ ساقطة.

وأما الزيادات: فاللوحة ٩٣ مكررة، وكذلك اللوحة ٢٢٢ واللوحة ٤١١ واللوحة ٤٣٠.

وعلى أول ورقة منها مكتوب كلمات بالخط الكوفي يتعذر قراءتها ومربع به كلمات يبدو أنها كلمات فارسية.

وعلى الورقة الثانية منها فهرس للسور، ولكنه ناقص لأنه يبدأ بسورة الفاتحة، وينتهي بسورة ن.

وعلى الورقة الثالثة وقف من السلطان عثمان خان بن السلطان مصطفى خان، وفي نهاية الصفحة من أسفل يوجد ختم مكتوب فيه: بنك لطيف ابر هيم ضنيف.

النسخة الثالثة:

وهذه النسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٦٩١ ب، وتبلغ ١٤٩ ورقة من القطع الكبير وبالصفحة الواحدة ٣١ سطراً، ومتوسط كلمات السطر ثلاثة عشر كلمة، ومكتوبة بخط نسخ دقيق في غاية من الدقة والوضوح.

وعلى الورقة الأولى منها مكتوب: «مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور».

وتحت هذا العنوان مكتوب: كتاب مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تأليف مولانا وسيدنا العالم المحقق، والامام المدقق، فريد زمانه، ووحيد عصره وأوانه، الشيخ برهان الدين البقاعي، روح الله روحه وضاعف أجره وبره، بمنه، وكرمه، آمين.

وفي أعلى الورقة من جهة اليسار مكتوب: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور.

وأسفل مكتوب: تملكه العبد الفقير محمد بن محمد القاضي بالجزائر عفى عنهما، بتاريخ ذي الحجة سنة خمس وعشرين واثنى عشر مائة، ثم أن تملكته حبسته على طلب العلم من الحنفية.

وفي آخره كلام غير مقروء.

وفي أسفل الصفحة كتابات غير واضحة، وختم دار الكتب المصرية ومربع يحوي أرقام النسخة: الرقم العام، والرقم الخاص.

وهذه النسخة - كما قلت - مكتوبة بخط نسخ في غاية من الدقة والوضوح، ولكن ليس عليها تاريخ النسخ، ولا اسم الناسخ، ويبدو أن الكاتب كان يكتب بسرعة ومن أجل ذلك سقط منها كلمات وجمل، بل وأسطر كاملة، في مواضع متفرقة منها، كما بينت ذلك في هامش الكتاب وغاية ما يمكن من الانتفاع بها أنها تعين على قراءة نسخة المؤلف لأنها عتيقة وقديمة.

النسخة الرابعة:

وهذه النسخة بدار الكتب المصرية أيضاً: تحت رقم **٢٠٣٢٣** ب، منسوخة عن النسخة السابقة، وتبلغ ٧٢٠ صفحة من القطع الكبير،

وأوراقها نظيفة وخطها نسخ واضح، واسم ناسخها: محمود صدقي النساخ بدار الكتب المصرية، وتم الفراغ من نسخها صباح يوم السبت ٢١ شوال سنة ١٣٥٦ الموافق ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٧، والحقت بسجل دار الكتب سنة ١٩٣٨ فهي نسخة حديثة جداً، ولما كانت منسوخة عن النسخة السابقة فإنها توافقها في كل ما فيها من أخطاء أو كلمات وجمل وأسطر ساقطة، إلا أنها تزيد عن سابقتها في عدد الأوراق والصفحات نظراً لحجم الخط الذي كتبت به.

وبعد تصفح هذه النسخ الأربعة رأيت أن نسخة المؤلف تكفي في تحقيق الكتاب لأنها أصل جميع هذه النسخ وغيرها من النسخ الموجودة في بلاد أخرى من العالم، ثم استعنت بالنسخة الثالثة لا لتكون أصلاً وإنما للاستعانة بها في قراءة الكلمات التي عراها شيء من الغموض أو التي حشرت في أماكن ضيقة من السطور، ومع ذلك فقد اعتبرتها وأشرت للأماكن التي تختلف فيها مع نسخة المؤلف، كما نبهت على الكلمات والجمل الساقطة، والألفاظ المغايرة، فكل ما في نسخة المؤلف أثبته في الأصل، وما خالفه من النسخة الأخرى أشرت إليه في الهامش، إلا في ما ندر وكان له وجه.

وللتمييز بين النسختين رمزت لنسخة المؤلف بالحرف «م»، لأنها من معهد المخطوطات، ورمزت للثانية بالحرف «د» لأنها نسخة دار الكتب المصرية.

وللعلم فإنني لم أسع في طلب نسخة الحرم المكي لأنها مصورة عن نسخة المؤلف.

وكذلك نسخة خزانة الكتب بالرباط لأنها كتبت بخط مغربي وليست لي دراية بالخط المغربي، إضافة إلى ما ذكرت سابقاً من أن وجود نسخة المؤلف يغني عما عداها من النسخ الأخرى إذ هي الأصل الذي يعتمد في تخريج ما عداها من النسخ مهما كثرت، ومهما كانت قيمتها زماناً ومكاناً.

٣ ـ منهج المؤلف في الكتاب:

أما منهج البقاعي في الكتاب، فقد نهج فيه نهجاً لم يسبقه إليه أحد من العلماء والذين كتبوا حول القرآن مما يتعلق به، وسوف أوجز الحديث عن هذا المنهج فيما يلي:

١ ـ بدأ الشيخ كتابه ببيان فضائل القرآن عامة، وحشد في تلك الناحية جل ـ بل كل ـ الأحاديث والآثار التي تتناول فضائل القرآن، ورتبها ترتيباً حسناً، يدل على سعة أفق، وتمكن في دراساته في الحديث وعلومه.

٢ ـ بدأ كل سورة ببيان مكيتها أو مدنيتها، لأنه يرى أن نسبة السورة إلى محل نزولها من جملة صفاتها التي يلزم التعريف بها ثم إنه يحكى الإجماع إن وجد، وأما إن كان هناك خلاف في محل نزول السورة فإنه يذكر المذاهب والأقوال منسوبة إلى أصحابها، ثم يدلي برأيه مدعوماً بدليله، وبذلك يقضي على الخلاف.

٣ ـ يهتم ببيان الآيات أو الآية المستثناة من مدنية السورة أو مكيتها، وبيان الخلاف الوارد في ذلك أيضاً، وبيان الراجح من الأقوال.

٤ ـ بيان أسماء السورة إن كان لها أكثر من اسم والربط بين كل اسم وما يدل عليه، كما فعل في سورة البقرة وغيرها من سور أخرى.

٥ ـ بيان عدد آيات السورة عند مذاهب العدد، وذكر الآيات موضع الاختلاف، معتمداً في ذلك على كتاب «البيان» لأبي عمرو الداني.

٦ ـ بيان مقصود السورة، والربط بين هذا المقصود وبين اسمها الذي اشتهرت وعرفت به.

٧ ـ سرد الأحاديث الواردة في فضائل السورة.

٨ ـ بيان درجة الأحاديث والحكم عليها ببيان ما في سندها من حال بعض الرواة والنقلة، لكي يدخل الطمأنينة على قلب القارىء عند كل حديث.

٩ ـ شرح بعض الألفاظ الغامضة في بعض الأحاديث معتمداً في ذلك غريب الحديث لأبي عبيد، والقاموس للفيروز أبادي، والخطابي في معالم السنن، والحافظ المنذري في الترغيب، وابن الأثير في جامع الأصول.

١٠ ـ بيان معاني الأحاديث المشكلة بالاعتماد على أقوال كبار العلماء وبيان الساقط من تلك الأقوال، والادلاء برأيه فيه، مما يجعل الأمر في الذروة من الوضوح.

١١ ـ العناية بأسماء الرواة الذين تتشابه أسماؤهم، وتحديد اسم الراوي بما لا يدخله في اسم غيره.

١٢ ـ إذا كانت السورة مبدوءة بالأحرف المقطعة، فإنه يحاول أن يستنبط من مخارج وصفات هذه الأحرف دلالة على مراحل الدعوة الاسلامية من هبوط وصعود، وانكماش وانتشار، مثل ما ذكره في سورة مريم وطه والشورى ونحوها من السور المبدوءة بتلك الأحرف.

٤ ـ القيمة العلمية للكتاب:

كتاب «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» يعد من أهم الكتب في الدراسات المتعلقة بعلوم القرآن، بما حواه من القضايا العديدة التي تهم دارس القرآن.

ففي الحديث عن فضائل القرآن العامة تناول قضية السجع والفواصل في القرآن، وأشبع فيها الكلام، وأطال فيها من النظر، بعرض لأقوال المشهورين من العلماء، وبين ما فيها من الصواب.

وكذلك تعرض لقضية الشعر «ونفيه عن القرآن أيضاً، ثم عن رسول الله ﷺ، وعرض للأبيات التي كان يتمثل بها النبي ﷺ في بعض المواقف، وكذلك بعض أبيات الرجز التي كانت تجري على لسانه ﷺ في بعض المواطن والغزوات، وبين أن النبي ﷺ ما استقام على لسانه بيت واحد من الشعر

الذي كان يتمثل به، وإنما كان دائماً ينطقه مكسوراً وخالياً من مراعاة الوزن، وذلك بما يقدمه من بعض الألفاظ ويؤخره من البعض الآخر، وقد ألم البقاعي بأطراف هذه القضية من كل جوانبها، فلم يترك فيها قولاً ولا رواية إلا أتى بها وبين ما فيها.

وكذلك بحثه قضية المعوذتين، وما أثير حولها من الأقوال التي تزعم أن عبد الله بن مسعود كان يحذفها من مصحفه بحجة أنهما ليستا من القرآن، ويترتب على ذلك دعوى أن القرآن زيد فيه، ونقص منه، فبين البقاعي أنها دعوى باطلة، وأن عبد الله بن مسعود بريء من نسبة ذلك إليه، وقد أطال فيها الحديث، وأتى على ذلك من البراهين والدلائل التي توضح الحق فيها، مما هو مسطور في موضعه من الكتاب.

ثم إن البقاعي رجل طويل الباع في علم الحديث، عارف بمتونه، عالم بأسانيده، وإذا تعرض لموضوع فإنه يحيط به من كل جانب، ويذكر كل ما ورد فيه من حديث أو أثر، فمثلاً يذكر في سورة البقرة أكثر من مائة حديث أحصاها من كتب السنة المتعددة، ما عرف منها، وما لم يعرف حتى اليوم، ثم يتبع كل حديث منها بما يجلو مرتبته بذكر ما قيل فيه من تحسين أو تضعيف، وبيان حال رواته إن كان بينهم أحد فيه مقال، معتمداً في ذلك على قول أهل الشأن من العارفين بالأسانيد، والضالعين في علم الرجال.

وكل هذا وغيره يشير إلى أن البقاعي من المتمكنين في العلم، والراسخين فيه، الحافظين لأصوله، والعارفين بفروعه، ومن وراء ذلك يتمتع بذاكرة واعية وذهن متوقد، قادر على الإحاطة بنواحي العلوم فضلاً عن معرفته بموطن الداء وموضع الدواء.

وهذا مما يجعل لكتابه شأناً أي شأن، ويعطيه من القيمة العلمية ما ليس لكتاب سواه في هذا الباب، فالكتاب مع أن موضوعه الأصلي بيان مقاصد سور القرآن، إلا أنه يعد موسوعة حافلة بكل النصوص التي تتصل بعلوم القرآن من قريب أو بعيد، والتي هي الأسس والدعائم لعلوم القرآن،

مع أمانة في النقل، ورد كل قول إلى قائله، وتصويبه والثناء عليه إن كان صواباً، ورده في أدب إن كان معيباً.

د ـ مآخذ على المؤلف في كتابه:

إن ما بينته من قيمة الكتاب، وما ذكرته من محاسنه، لا يمنع من إبداء بعض الملاحظات عليه، والتي رأيت أن أنبه عليها القارىء، ليكون على بينة منها، مقتصراً على ما هو الأهم.

١ ـ ذكره بعض الأحاديث الضعيفة، بل المنكرة، مخالفاً بذلك شرطه في الكتاب، ومتناسياً وعده الذي قطعه على نفسه في المقدمة من أنه لن يذكر حديثاً ضعيفاً أو مردوداً ـ ومثال ذلك:

أ ـ نقل عن سنن أبي داود حديث عائشة في الإفك، أن رسول الله ﷺ جلس وكشف عن وجهه وقال: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم: ﴿ **إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ الآية.

مع أن أبا داود عقب على هذا الحديث في سننه بقوله: هذا حديث منكر.

٢ ـ نقل عن مستدرك الحاكم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل، وسورة النور، يعني النساء.

مع أن الذهبي علق هذا الحديث بقوله: موضوع، آفته عبد الوهاب، قال أبو حاتم: كذاب.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٩٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن ابراهيم الشامي. قال الدارقطني: كذاب.

٣ ـ نقل عن مسند أحمد بن منيع حديث أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر له، ومن قرأ يس فكأنما قرأ القرآن اثنى عشرة مرة... الحديث.

مع أن حديث أبي بن كعب في فضائل سورة القرآن، موضوع باتفاق أهل العلم، وأنه من اختراع أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، كما ذكر السيوطي في اللالىء ١/١١٨، والفتنى في تذكرة الموضوعات ص ٨٢، والذهبي في الميزان ٤/٢٧٩.

٤ ـ نقل عن مسند الفردوس حديث أبي بكر الصديق، أن رسول الله ﷺ قال: سورة يس تدعى في التوراة المعمة.

وهذا الحديث أورده السيوطي بطوله في اللآلىء ١/١٢١، وقال: إنه حديث باطل، أ. هـ.

لأن الحديث من رواية محمد بن عبد الرحمن الجدعاني، وهو منكر الحديث كما قال الذهبي في الميزان ٣/٦١٩ نقلاً عن البخارى. وفي السند ـ أيضاً ـ سليمان بن مرقاع الجندعي، قال العقيلي: منكر الحديث كما ذكر الذهبي في الميزان ٢/٢٢٢، والمغنى ١/٢٨٣.

ثم إن متن الحديث يشهد بنكارته عند من يتأمله، وهذا هو لفظه:

«قال رسول الله ﷺ: سورة يس تدعى في التوراة المعمة. قيل: يا رسول الله وما المعمة؟، قال: تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهاويل الآخرة وتدعى القاضية الرافعة، تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف نور وألف يقين وألف بركة، ونزعت منه كل غل وداء.

فالحديث كما ترى ملىء بالمبالغات التي تدل على نكارته وتشهد بوضعه.

٥ ـ في سورة الزمر نقل عن المعجم الكبير للطبراني حديث إسلام وحشي ابن حرب الطويل، وهو من رواية أبين بن سفيان، وهو رجل مرجىء منكر الحديث كما ذكر الذهبي في الميزان ١/٧٨.

مع أن قصة إسلام وحشي واردة في غزوة أحد من كتاب المغازى في

صحيح البخاري ٣٦/٥ على غير ما يذكره الوضاعون، كما ذكرته في الهامش في الموضع المذكور.

٦ ـ ما نقله في فضائل سورة الواقعة، وسورة التغابن مسنداً إلى أبي بن كعب رضي الله عنه، وقد بينت حال تلك الأحاديث في موضعها من الكتاب.

ب ـ يروي أحاديث صحيحة ويسندها إلى كتب لا تصلح للتخريج مع أن هذه الأحاديث واردة في الكتب الستة أو في أحدها.

مثال ذلك: ما رواه في فضائل سورة التحريم من حديث عبد الله بن عباس ونسبه إلى البغوي في تفسيره، مع أن الحديث وارد في كتاب الطلاق من صحيح مسلم ٨٣/١٠ بشرح النووي.

جـ ـ في بعض السور يأتي بآثار لا تدل على شيء من فضائلها وإنما تدل في الدرجة الأولى على فضائل الأشخاص.

مثال ذلك: ما ذكره في سورة إبراهيم عن سياد بن جعفر قال: دخلت على حبيب أبي محمد فقال: اقرأ علي، فأخذت مصحفه فأول ما وقع في يدي: «واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد» فجعل يقول: واستفتحوا وبكى.

وما ذكره في سورة الشعراء، أن عمر بن عبد العزيز قرأ: **﴿أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾** فجعل يرددها ويبكي.

وما روى أبو نعيم عن عبد الله بن رباح، أن صفوان بن محرز كان إذا قرأ هذه الآية **﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾**بكى حتى يقول: قد اندق قضيض زوره.

وعندي: أن هذه الآثار ونحوها لا تدل على فضيلة للسورة بقدر ما تدل على فضيلة الشخص القارىء، فقد ذكر الله تعالى: أن من صفات

المؤمنين أنهم يبكون عند قراءة القرآن أو سماعهم له، فقال في سورة الأنفال:

﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليه آياته زادتهم إيماناً...﴾.

وقال في سورة الإسراء: **﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً، ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾.**

د ـ ذكر أحاديث على أنها تدل على فضيلة السورة وليست فيها دلالة على شيء من ذلك، وإنما هي من قبيل التفسير بالمأثور لبعض آيات أو كلمات منها، ومن ذلك: ما ذكره في فضائل سورة القصص فقال: وروى أبو يعلى بسند ـ قال الهيثمي: رجاله ثقات ـ عن سعيد رضي الله عنه أنه سئل عن قول الله تعالى: **﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى ميعاد ﴾** قال: معاده: آخرته.

ورواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «معادك»: الجنة.

وفي رواية: «إلى معاد» قال: الموت.

وما ذكره في فضائل سورة السجدة قال: وروى ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: **﴿ وجلناه هدى لبني إسرائيل﴾** قال: جعل موسى عليه السلام هدى لبني إسرائيل.

وفي قوله تعالى: **﴿ فلا تكن في مرية من لقائه ﴾** من لقاء موسى ربه عز وجل.

فأنت ترى أن هذه الأحاديث لا تدل بأي حال على فضيلة للسورة، وإنما هي من قبيل التفسير بالمأثور لبعض كلمات، أو إيضاح لبعض المعاني.

وما ينبغي لفت الأنظار إليه: أن تلك الهنات اليسيرة، بجانب المحاسن

العديدة التي انطوى عليها الكتاب، لا تحط من قيمته، ولا تنقص من منزلته، وحسب الرجل ـ رحمه الله ـ أن يكون قد عرض لكافة الموضوعات المتعلقة بكتاب الله تعالى، ووضعها في مصنف جامع، سيبقى مصدراً هاماً وأميناً لكل دارس للقرآن الكريم وعلومه.

والكتاب الجيد هو الذي يبعث قارئه على التأمل والبحث، إذ يترك له مجالاً فسيحاً للتأييد والتفنيد، وما وجدنا في عالم الكتب كتاباً سلم من النقد حتى يسلم كتاب «مصاعد النظر» للحافظ برهان الدين البقاعي.

وكفى بالرجل إنصافاً: أن كثرت محاسن كتابه، بحيث لو أحصيت لظهرت أمامها النقدات، وكأنها تمشي على استحياء وخجل.

٦ ـ منهجي في التحقيق:

تتعدد مناهج التحقيق تبعاً لتعدد أغراض المحققين، ولذا فقد رأيت من الأفضل أن أبين المنهج الذي اتبعته، لكي يكون القارىء على بينة من ذلك، وهذا المنهج يتلخص في الخطوات الآتية:

١ ـ حققت عنوان الكتاب، وأثبت نسبته إلى المؤلف.

٢ ـ اعتمدت في نسخ الكتاب على نسخة المؤلف لأنها الأصل الأول والأهم لما عداها من النسخ الأخرى.

٣ ـ ذكرت مواقع الآيات وأرقامها، وبينت في الهامش مكان كل آية استشهد بها المؤلف، فذكرت سورتها ورقمها في هذه السورة.

٤ ـ خرجت الأحاديث الواردة في الكتاب، وحاولت قدر الإمكان الاستقصاء في التخريج، فذكرت الكتاب والباب، كما ذكرت رقم الحديث إن كان الكتاب الذي يحتويه مرقماً.

٥ ـ شرحت غريب الأحاديث، والألفاظ الغريبة المذكورة في الكتاب، كما علقت على بعضها بما يحتاجه لبيان أحكامه.

٦ ـ تكلمت عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة ببيان أقوال علماء الجرح والتعديل في رواة تلك الأحاديث.

٧ ـ ألزمت نفسي عند النقل من أي مرجع، أو الاستفادة منه، أن أذكر اسمه واسم مؤلفه، وأن أشير إلى الجزء والصفحة، وتاريخ الطبعة، ابتغاء الأمانة في النقل، والدقة في العزو، ولكي يتمكن القارىء من مراجعته متى أراد.

٨ ـ علقت على الكتاب بما هو ضروري لايضاح مقاصده، ورددت عليه فيما رأيت أنه جانب الصواب فيه، كما هو مدون بالهامش.

٩ ـ رجعت إلى مصادره الأصلية التي نقل عنها المؤلف، وذكرت أماكن النقل من تلك المصادر.

١٠ ـ نبهت على التعبير الذي يرد في الكتاب غير متمشٍ مع فصيح اللغة، كما نبهت على الأخطاء النحوية.

١١ ـ عرفت بالأعلام والرواة، وذلك بإيراد ترجمة تحتوى على اسم العلم أو الراوي، وولادته ومذهبه، وبعض كتبه، وتاريخ وفاته.

١٢ ـ ربطت موضوعات الكتاب بعضها ببعض لكي يتمكن القارىء من الإلمام بكل موضوعاته دون عناء.

١٣ ـ عرفت بالمدن والبلدان والمواضع الغريبة التي وردت في الكتاب.

١٤ ـ زدت بعض الكلمات ـ أو الجمل ـ متى اقتضى المقام تلك الزيادة ووضعتها بين قوسين، مع الإشارة إلى مصدر تلك الزيادة من كتب التفسير والحديث، وغيرها.

١٥ ـ وضعت للكتاب فهارس فنية عامة تشتمل على ما يأتي:

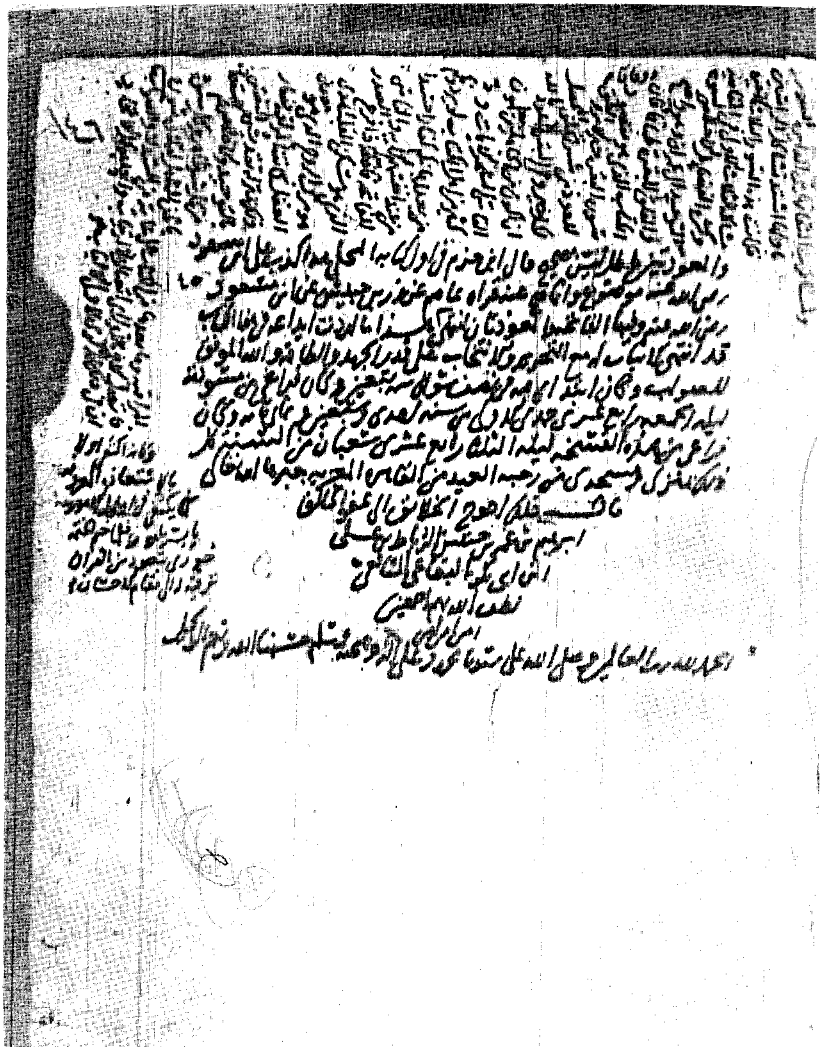
١ ـ فهرس الآيات القرآنية

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية.

٣ ـ فهرس الآثار.
٤ ـ فهرس القوافي.
٥ ـ فهرس الأعلام.
٦ ـ فهرس القبائل والأمم والجماعات.
٧ ـ فهرس الأماكن والبلدان.
٨ ـ فهرس الكتب.
٩ ـ فهرس الموضوعات.



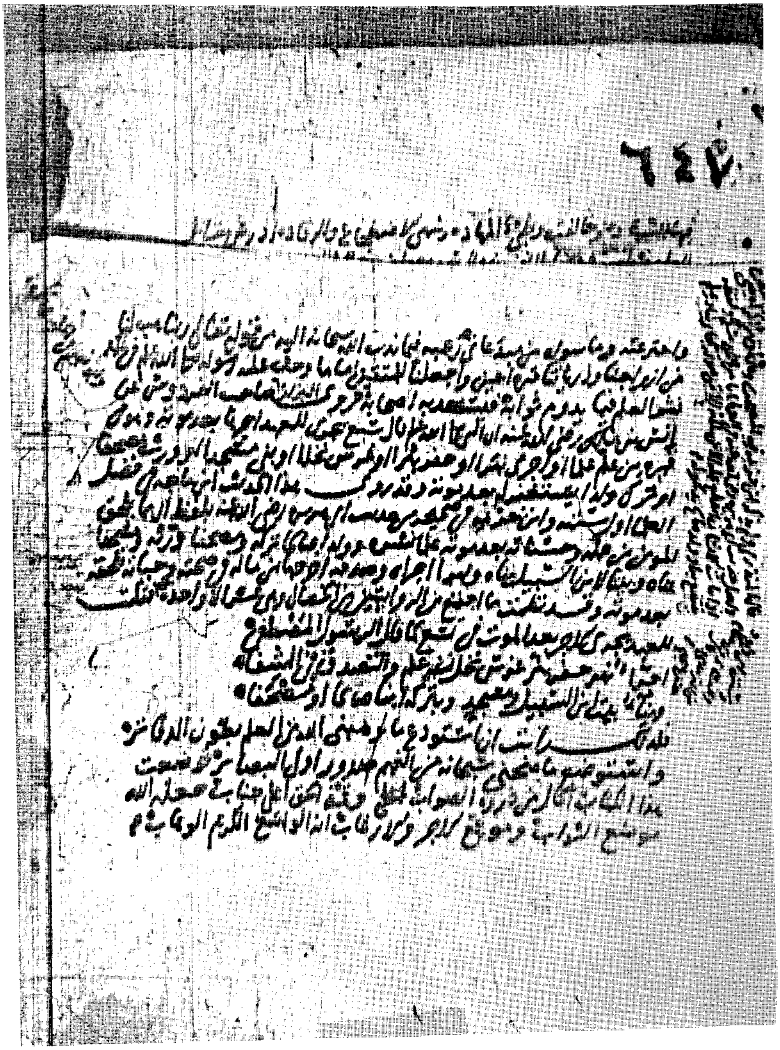
عنوان الكتاب بخط المؤلف



الصفحة الأخيرة من الكتاب بخط المؤلف



الصفحة الأولى بخط المؤلف



الصفحة الثانية بخط المؤلف

مَصَاعِدُ النَّظَر

للإشراف على مقاصد السُّوَر

تأليف

الحافظ المفسّر المؤرّخ برهان الدين أبي الحسن

ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي

المتوفى سنة ٨٨٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم)[١]

الحمد لله الذي أعلم سور الكتاب، بما دل على مقاصدها أولو[٢] الألباب ودل بمقاصدها على تناسب جميع أجزائها من الطلاب، من خاض فنون العلوم[٣] وفتح عن كنوزها الأغلاق والأبواب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، الكريم الفتاح، العلي الوهاب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده الأواب، ورسوله الذي بيَّنَ للناس ما نزل إليهم من غير شك ولا ارتياب، ونصب لهم على ذلك دلائل الصواب، فلم يدع لبساً ولا غرب عنه معنى ولا غاب، وحمل[٤] ذلك عنه أنجاب الأصحاب، فأدوه إلى من رغب فيه من جميع الأحزاب، من شيخ، أو كهل (أو يافع)[٥] أو شاب،

(١) غير موجودة في نسخة المؤلف.

(٢) في د: أولي.

(٣) في د: العلم.

(٤) في د: وحمل عنه ذلك.

(٥) ساقطة من د.

تتميماً للأسباب وتعميماً للدعاء المجاب، فكان من تلك الطبقات، من صدَّق قوله ﷺ (الجامع)[1]، «رب مبلغ أوعى من سامع»[2] فبين من دقائق المعاني، وجلائل المباني، ما أربى به على من تقدمه، فأجمل وأحسن وأطاب.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأنجاب، خير آل وأكرم أصحاب وسلم تسليماً يملأ السهول (والجبال)[3] والشعاب، ويسهل الصعاب ويطيب المبدأ ويكرم المآب، ما جلّل[4] وجه السماء سحاب، أو انجلى عن أرجائها البديعة وأنجاب.

وبعد: فهذا كتاب، سميته: «مصاعد النظر، للإشراف على مقاصد السور». ويصلح أن يسمى: «المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى».

اصطنعته وغيره من مصنفاتي، واخترعته وما سواه من مبتدعاتي، رغبة فيما ندب الله سبحانه إليه من قوله تعالى: ﴿ **ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[5]، وحث عليه رسوله ﷺ في عدة نشر العلم، فيما يدوم ثوابه، فيسعد به أصحابه.

روى البزار[6]، وأبو نعيم في الحلية[7] - وذكره صاحب

(١) ساقطة من: د.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ٢/١٩١ وكتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رب مبلغ أوعى من سامع ١/٢٤ ترجمة.

(٣) ساقطة من د.

(٤) أي غطى وجه السحاب وستره.

(٥) سورة الفرقان آية ٧٤.

(٦) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار البصري، صاحب المسند الكبير، كانت له رحلات إلى أصبهان وإلى االشام، أثنى عليه الدارقطني، وتوفي بالرملة سنة ٢٩٢ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٦٥٤، تاريخ بغداد ٤/٣٣٤، شذرات الذهب ٢/٢٠٩.

(٧) هو الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى ابن مهران =

الفردوس[1] - عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: سبع يجري للعبد أجرها بعد موته وهو في قبره، من علَّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً «أو ورَّث مصحفاً[2]»، أو ترك ولداً يستغر له بعد موته[3].

وقد روى هذا الحديث ابن ماجة في «فصل العلماء» أول سننه، وابن خزيمة[4] في صحيحه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ:

= الأصبهاني الصوفي، ولد سنة ٣٣٦ قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ١٠٩٢/٣: وأجاز له مشايخ الدنيا نيف وأربعين وثلاث مائة وله ست وستين، اهـ. له «حلية الأولياء» وغيره من المصنفات توفي في المحرم سنة ٤٣٠ وله أربع وتسعون سنة.
راجع: تذكرة الحفاظ ١٠٩٢/٣، البداية والنهاية ٤٥/١٢، وشذرات الذهب ٢٤٥/٣.

(١) هو المحدث الحافظ: شيرويه بن شهر دار بن شيرويه، سمع أصحاب الحديث بهمذان، وابن منده بأصبهان، وابن العطاء ببغداد، وكان كيساً، حسن الخلق والخلق، ذكي القلب صلباً في السنة، كثير الصمت توفي سنة ٥٠٩ في ١٩ رجب.
راجع: تذكرة الحفاظ ١٢٥٩/٤، شذرات الذهب ٢٤/٤، والنجوم الزاهرة ٢١١/٥.

(٢) قوله «أو ورَّث مصحفاً». في النفس شيء من هذه الجملة، لأن المصحف لم يجمع الا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو معروف، فلو كانت ثابتة لكانت بمثابة الاشارة من النبي صلى الله عليه وسلم الى الأمر بجمع القرآن في مصحف، ولما كان ثمة اختلاف بين أعلام الصحابة حول فكرة جمعه ـ كأبي بكر وعمر وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، كما ورد في صحيح البخاري وغيره، وأصل الحديث في الصحيح وليس فيه هذه الجملة، كما سيشير إليه المؤلف عما قريب.

(٣) الحلية ٣٤٤/٢. قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث قتادة.

(٤) هو امام الأئمة: أبو بكر محمد بن اسحاق، بن خزيمة، النيسابوري، مولى مجشر بن مزاحم، ولد في شهر صفر سنة ٢٢٣ ه بنيسابور ورحل الى كثير من البلدان الاسلامية لتلقي العلم عن أعلامه، وسمع من البخاري ومسلم رحمهما الله، وتوفي ليلة السبت الثاني من ذي القعدة سنة ٣١١ هـ ودفن في داره.
راجع: سير أعلام النبلاء ٢٣٥/٩، طبقات القراء ٩٧/٢، البداية والنهاية ١٤٩/١١، تذكرة الحفاظ ٧٢٠/٢.

««إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً نشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، ومسجداً بناه، وبيتاً لابن السبيل بناه، ونهراً أجراه وصدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته»[1].

وقد نظمت ما اجتمع من الروايتين من الخصال، وهي عشرة إلا واحدة فقلت:

للعبد يجري الأجر في تسع كما قال النبي المصطفي
إجراء نهر، حفر بئر، غرس نخل نشر علم، والتصدق في الشفا
وبناء بيت لابن السبيل ومسجد وبتركه ابناً صالحاً، أو مصحفاً

(قال المنذري: ولم يذكر ابن خزيمة فيه المصحف، فقال: أو نهر أكراه، يعني أجراه، أو حفره[2].

وأصل حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الوصايا من صحيح مسلم، وسنن أبي داود والنسائي، والأحكام من الترمذي وقال: حسن صحيح ولفظه[3]:

(١) سنن ابن ماجه: المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير ١/٨٨ حديث رقم ٢٤٢.
وصحيح ابن خزيمة: أبواب الصدقات والمحبسات ٤/٢١ حديث رقم ٢٤٩٠.

(٢) هو أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، بن عبد الله، بن سلامة الحافظ الكبير، الامام الثبت، ولد في شعبان سنة ٥٨٠ ه وكان بارعاً في علوم الحديث، ومعرفة رجاله وعلله، وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٥٦ هـ؟.
راجع: تذكرة الحفاظ ٤/١٤٣٦، البداية والنهاية ١٣/٢١٢، وشذرات الذهب ٥/٢٧٧.

(٣) الترغيب والترهيب: كتاب العلم ١/٩٩. وكتاب الصدقات ٢/٧٣.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته ١١/٨٥.
وسنن أبي داود: كتاب الأحكام، باب ما جاء في الصدقة عن الميت ٣/١١٧ حديث رقم ٢٨٨٠.
وجامع الترمذي: كتاب الأحكام، باب الوقف ٢/٤١٨ حديث رقم ١٣٩٠.
قال الامام النووي في شرح مسلم ١١/٨٥: وقال العلماء: معنى الحديث: أن عمل =

«إذا مات الإنسان، انقطع عمله، إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».[1]

فلذا رأيت (أن أستودع)[2] ما وهبني الله من العلم بطون الدفاتر وأستوضح ما منحني سبحانه من الفهم صدور أولى البصائر، فوضعت هذا الكتاب، الحال من ذروة الصواب، وقمة الحق أعلى جناب، جعله الله موضع[3] الصواب، وموقع الأجر والإرغاب، إنه الواسع الكريم الوهاب.

وذلك أنه لما منَّ الله - وله الحمد - عليّ بصوغي لكتاب «المناسبات بين السور والآيات» بل الجمل والكلمات، الذي لم تسمح الأعصار بمثله حقيقة غير غلو، ولا نسج ناسج على منواله وشكله، إخباراً بالحق من غير فخر ولا علو، فإنه أخرج من كتاب الله تعالى خفايا أسرار ما ظفر بها أحد، وأبدى غرائب أنوار ما عثر على بارق منها ولا وجد، وأجرى سوانح أنهار ما صدر

= الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له الا في هذه الأشياء الثلاثة، لكونه كان سببها، فان الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه، من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي: الوقف.

وقال: وفيه دليل لصحة أصل الوقف، وعظيم ثوابه، وبيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والايضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع. اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/٤٤٠: فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله، كما جاء في الحديث: إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه.

والصدقة الجارية - كالوقف ونحوه - هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: «انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم.... الآية».

والعلم الذي نشره في الناس، فاقتدى به الناس بعده، هو أيضاً من سعيه وعمله، وثبت في الصحيح: من دعا الى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً. اهـ.

(١) ما بين المربعين ساقط من النسخة: م وزدناه من د.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) في د: موقع.

عن عذب ينابيعها ولا ورد، كأن قلبي فيه مدداً طوالاً أسير الواردات، وسمير الخفايا الشاردات، بينت فيه سرائر آيات، ما بيّن أحد ظاهر تفسيرها وأبديت أسرار سور ما كشف أحد خفي ضميرها، وعليّ عند المحاققة البيان وعندالامتحان يكرم المرء أو يهان:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبيّن من بكى ممن تباكي

فليست ـ لعمرو الله ـ النائحة الثكلى. مثل النائحة المستأجرة. أرد فيه على أهل كل باطل وعناد، بما في كتبهم ولهم فيه اعتقاد، مع بيان ما فيه من غث أو سمين، أو مزلزل أو مكين، ركبت إلى بيدائه وفسيح أرجائه وفنائه مطايا ليال حالفت فيها السهاد، وخالفت وطيء المهاد، وشهي الاضطجاع والرقاد، أدرس مسائل العلوم، وأسرد وسائل الفنون والرسوم، وأمنع جلائل الهموم، وأمعن النظر في دقائق الفهوم، وأبعد أماني الغرور وأعبد الرب الغفور، وأنفي وساوس الصدور، وأتقي[١] دسائس اللذاذة والسرور، أترقى[٢] مما عندي إلى غيره، وأتقوى أشكاله، فأزيل إشكاله، وأسيّره بسيره.

ولم يزل ذلك دأبي واختياري لذلك، ودأب الله لي باضطراري إلى طريقة السالك، حتى انجاب عن قلبي ديجور الشكوك، وامتلأ من نور المعارف والسلوك، ففاضت علي جواهر المعاني، وأقبلت إليّ باختصاصها وجوه التهاني، فقذفت إلى صدري أمواج الأسرار صافية عن زبد، وعطفت إلى فكري أمواج الأنوار،خالية عن نكد رأى أهل العصر، أنه أمر[٣] يفوت غالب القوى، ويقف دون علياته ألباب العقلاء، فإني مهدت لكل جملة مهاداً يدل على الحال الذي اقتضى حلولها بمحلها، وأوجب ترتبها على ما قبلها من شكلها، وما أوجب تأكيدها، أو أعراها وتقييدها، ونحو ذلك من أفانين

(١) في د: وأفنى.
(٢) في د: أتوقى.
(٣) في د: رأي.

الكلام، وأساليب النظام، فأثنى عليه المصنفون، منهم العالمون أولو السجايا الطاهرة، والمزايا الباهرة الزاهرة المتقون، وصوب إليه بالطعن الحاسدون وبالازدراء والثلب الناقصون.

نعم. ولقد انتدب لهذا الكتاب البديع[1]، والديوان العلي الرفيع أقوام من الأغبياء، والأساة القساة الأعتياء، لا يفهمون معانيه ولا يدر كون قواعده ومبانيه، ذكروا أنهم ظفروا فيه بما لا يليق فأخذوا يشنعون عليه، ويصوبون بالطعن إليه، وقسموا فيه الأقوال، وفرقوا وجوه الانتحال، ولم يذكروا شيئاً من محاسنه المحققة، ومعاليه المعجبة المونقة، التي هي بالنسبة إلى ما رأوا وأثبتوا له النقص على ما ادعوا، كالبحر بالنسبة إلى صغير القطر.

فكانوا كما قال النبي ﷺ - فيما أخرجه أبو داود الطيالسي وابن ماجة في الزهد من سننه، وأحمد بن منيع وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب الأمثال عن أبي هريرة رضي الله عنه -: مثل الذي يجلس فيسمع الحكمة ثم لا يحدث إلا بشرٍّ ما يسمع، كمثل رجل أتى راعياً، فقال: يا راعي أجزرني شاة[2] من غنمك، فقال له: اذهب فخذ بأذني خير شاة فذهب فأخذ كلب المغنم[3].

وكالذين يتبعون المتشابه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله.

على أن من الأمر المشهور الذي لم يخف على أحد أن الإمام مالكاً

---

(١) يعني بذلك: كتابه المناسبات.

(٢) أجزرني - بجيم وزاي معجمة، ثم راء مهملة - أي أعطني شاة تصلح للذبح من أجل الأكل.

راجع: النهاية ١/٢٦٧.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي: كتاب العم، باب الاحتراز في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/٣٧. حديث رقم ٩٠.

وسنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الحكمة ٢/١٣٩٦ حديث رقم ٤١٧٢.

وفي سند الحديث علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، قال البخاري وأبو حاتم: لا يحتج به.

راجع: الميزان ٣/١٢٨.

ـ رحمه الله ـ قال: كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك، إلا صاحب هذا القبر. يعني: النبي ﷺ.

وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ صنَّفتُ هذه الكتب، وما آلوت فيها جُهداً، وإني لأعلم أن فيها الخطأ، لأن الله يقول: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»[1].

فكلام هذين الإمامين يدل على أن وجود الخطأ للمُصَنِّف، لا يوجب ترك تصنيفه، ولا الغض عنه، لا سيما إن كان مشهوراً بالدين، غير مغموص عليه ولا مرتاب فيه.

اللهم إلا أن يكون الأمر الذي (فيه)[2] أُخْذُ عليه أمراً محققاً لا جواب عنه ويعرف به ولا يرجع عنه، ولا يحتج له بشيء يقبل، وقل أن يرى مصنِّف إلا وهو يقول:

وإن تجد عيباً فسد الخللا ... فجل من لا عيب فيه وعلا

أو معنى ذلك.

وبعضهم يأذن في إصلاح الخطأ من كتابه للعالِم المتحري، بعد التوقف والتثبت.

وأنا لم أدَّع العصمة فيما قلت، وما تركت أحداً ممن يلم بي، إلا قلت له: المراد: الوقوف على الحق من معاني كتاب الله تعالى، والمساعدة على ما ينفع أهل الإسلام، فمن وجد لي خطأ، فليخبرني به لأصلحه.

ووالله الذي جلَّت قدرته، وتعالت عظمته، لو أن لي سعة تقوم بما

---

(١) سوة النساء آية ٨٢.

(٢) في م: دال.

(٣) زيادة عن د.

أريد لكنت[1] أبذل مالاً لمن ينبهني على خطأي، فكلما نبهني أحد على خطأ، أعطيته ديناراً.

ولقد نبهني غير واحد على أشياء (فيه)[2] فأصلحتها، وكنت أدعو لهم، وأثني عليهم، وأقول لهم هذا الكلام، ترغيباً في المعاودة إلى الانتقاد، والاجتهادفي الإسعاف بذلك والإسعاد.

فكان طريق هؤلاء ـ لو أن كلامهم كان عن بصيرة، وكان لله بقصد النصيحة ـ أن يأتوا إليَّ، أو يرسلوا، لينظروا[3] ما عندي في ذلك الذي ذكروه هل أُبدي لهم، أو لذكرى إياه معنى صحيحاً، أو اعترف بالخطأ، فإن أصلحته كنا قد تعاوناً على البر والتقوى، وإن أبقيته، وجب الطعن حينئذ على حسب ما يستحقه ذلك المعنى.

وحيث لم يفعلوا ذلك، كان طعنهم، إما عن جهل، لأن من جهل شيئاً عاداه:

وكم من عائب معنى صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وأما عن حسد لمن لا يحاسدهم، فصنيعهم صضنع من يريد التشنيع على رجل مسلم، مقبل على ما يعنيه، تارك لما لا يعنيه، منقطع إلى الله تعالى في بيت من بيوته، يتلو كتابه، ويقيم الصلاة، وينفق مما رزقه الله سراً وعلانية، وقد قنع بما آتاه الله، ما زاحم أحداً منهم قط على دنيا، ولا ألحَّ على أحد في سؤال ولا تصدى لعلو في الأرض، وأحواله في ذلك معروفة من أربعين سنة فأكثر والشباب مقبل، والزمان غض، والأمل فسيح، وليس لهم وجه في الكلام (فيمن)[4] هذا حله، إلا تصديق قول النبي ﷺ، الذي رواه

---

(١) في م: كنت.
(٢) ساقطة من د.
(٣) في د: لننظر.
(٤) ساقطة من د.

الطبراني في الأوسط، عن أنس رضي الله عنه: «لو كان المؤمن في جحر ضب، لقيض الله له من يؤذيه[1].

ومالي (من)[2] ذنب عندهم، إلا اعتزالي عنهم، وعدم مشاحنتهم في دنياهم ورضائي بما قسم الله، ومحبتي لإظهار الفائدة فيهم، وشمول الفضل لهم.

فما أجدرهم بما أجاب به ابن عباس رضي الله عنهما بعض من صنع به هذا الصنيع.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام[3] في كتاب «فضائل القرآن» حدثنا

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٤٣٥ حديث رقم ٧٤٦٧، ونسبه إلى الطبراني في معجمه الأوسط، والبيهقي في شعب الايمان، كلاهما عن أنس وهو حديث ضعيف.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٨٦: فيه أبو قتادة بن يعقوب بن عبد الله العذرى، ولم أعرفه، وبقية رجال الطبراني ثقات اه.
وله شاهد بمعناه عند ابن أبي شيبة، قال السيوطي: ضعيف.
ومعنى الحديث: قال المناوي في فيض القدير ٥/٣٢٤: لأن المؤمن محبوب الله، وإذا أحبه عرضه للبلاء، وذلك يتضمن ألطافاً على حسب حاله من مقامات الإيمان، إما تكفير لذنوب، أو ابتلاء ليظهر صبره، أو لرفع درجة لا يبلغها إلا بالبلاء، ويبتليه أيضاً في الدنيا بتنويع محنها، لئلا يحبها ويطمئن إلى رخائها، فيشق عليه الخروج منها. اه.

(٢) ساقطة من د.

(٣) هو الإمام المجتهد الحافظ: القاسم بن سلّام البغدادي اللغوي الفقيه، سمع ابن عيينة وعباد بن العوام وغيرهما، وحدث عنه الدارمي، والحارث بن أبي أسامة ومحمد ابن يحيي المروزي، وآخرون، وكان حافظاً للحديث وعلله، وعارفاً بالفقه والاختلاف، وإماماً في اللغة والقراءات، مات بمكة سنة ٢٢٤ هـ؟.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٤١٧، سير أعلام النبلاء ١٠/٤٩٠، معجم الأدباء ١٦/٢٥٤، تهذيب التهذيب ٣/١٤٦، معرفة القراء ١/١٤١، البداية والنهاية ١٠/٢٩١.

يزيد ـ يعني ابن هارون ـ عن كهمس بن الحسن[1]، عن عبدالله بن بريدة قال: شتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له رضي الله عنه، أما إنك تشتمني وفيّ ثلاث خصال إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فأفرح، وعلى لا أقاضي إليه أبداً وإني لأسمع بالغيث يصيب البلد من بلدان المسلمين فأفرح، ومالي به من سائمة وإني لآتي الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم.

وهو عند البيهقي[2] ـ أيضاً ـ من هذا الوجه.

ولا ريب عند من له أدنى إنصاف (أن)[3] من شنَّع على من هذا حالُه، فقد عرّض نفسه للمقت من الله، واملعن والدعاء بالهلاك من خُلَّص عباد الله، على مدى الأعصار، في كل ارتحال وقرار، وصار[4] ممن قال فيه الإمام الرباني، أبو الحسن الحرالِّي[4]، في تفسيره، عند قوله تعالى: ﴿ ومن

(١) هو أبو الحسن كهمس ـ آخره سين مهملة ـ بن الحسن التميمي الحنفي البصري، العابد، من كبار الثقات حدث عن أبي الطفيل وعبد الله بن بريدة والحسن البصري، وحدث عنه ابن المبارك ويحيى القطان، وخلق، ومات ـ رحمه الله ـ سنة ١٤٩.

راجع: سير أعلام النبلاء ٦/٣١٦، تذكرة الحفاظ ١/١٤٧، ميزان الاعتدال ٣/٤١٥.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حجة في الحديث والفقه الشافعي، ولد سنة ٣٨٤ ه بخسروجرد من قرى بيهق بنيسابور، وكانت له رحلات كثيرة في سبيل العلم وتدوين الحديث، مات بنيسابور سنة ٤٥٨ ه ودفن ببلده، له السنن الكبرى، ودلائل النبوة، وغيرهما.

راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/٢٨٩، شذرات الذهب ٣/٣٠٤، طبقات الشافعية الكبرى ٤/٨.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) فيد: وصاروا.

(٥) هو علي بن أحمد بن الحسن بن ابراهيم، أبو الحسن الحرالي، الأندلسي والحرالي: نسبة الى حرالّة ـ مشددة اللام ـ من بلاد المغرب.

قال السيوطي في طبقات المفسرين ص ٧٦: كان من أحلم الناس، بحيث يضرب به المثل، ولا يقدر أحد أن يغضبه، اه وله كتاب في التفسير عنوانه: «مفتاح الباب =

يبدل نعمة الله﴾[1]، قال: وأصل هذا التبديل: رد علم العالم عليه، ورد صلاح الصالح إليه، وعدم الاقتداء بعلم العالم وصلاح الصالح، وذلك هوالمتاركة التي تقع بين العامة، وبين العلماء والصالحين، وهو كفر نعمة الله وتبديلها.

«من بعد ما جاءته».

في ضمنه إشعار باعتبار أمر الأمة، بمبتدأ أمرها من أيام النبوة، وأيام الخلافة، وسير الخلفاء الذين هم عقد أزِمَّة رسول الله ﷺ، وحجته على أمته، وأئمة الأزمان، القائمين بأمر الله، الظاهرين على الحق إلى يوم القيامة.

«فإن الله شديد العقاب».

في إشعاره منال عقاب يقع بهم في الدنيا كفارة، وتأخير عقاب يقع[2] بطائفة منهم في الآخرة، انتهى.

والعجب منهم في أنهم أشد الناس خوفاً ونكوصاً، وكَفًّا عمن يتهددهم بأن يصيبهم بعذاب، أو يمسهم بعقاب، من كل مكشوف العورة، أو مرتكب لبعض المناكير المشهورة، وهم يرون من يؤذيني يذهبون واحداً بعد واحد، على هيئات منكرة وصفات مستعظمة مستكبرة، وهم بذلك لا يعتبرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد قلت في حالي وحالهم، واعظاً لنفسي، حذار من حلول رمسي[3]، وهو من الطويل الأول، مطلق مرادف.

= المقفل لفهم الكتاب المنزل» جعله قوانين كقوانين أصول الفقه مات بحماة سنة وثلاثين وستمائة هجرية.

راجع: طبقات المفسرين للداودي ٣٨٦/١، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٧٦، ميزان الاعتدال ١١٤/٣، شذرات الذهب ١١٩/٥.

(١) سورة البقرة آية ٢١١.

(٢) في د: يتسعر بهم.

(٣) في د: نفسي.

لسانَك عوّد[1] ذكر ربك[2] لا تكن   بذي غفلة عنه ـ فديت ـ ولا لاغي
وإن سدد الأعداء إليك سهامهم   فإن نبال العدل تحمي من الباغي
فلا تخشى من كيد إذا كنت ذا تقي   فربك أخاذ لكل امرىء طاغي

على أن حالهم في تشنيعهم ظاهر، فإنه لو كان لهم علم، أو كان كلامهم لله لبدأوا بما في مشاهير التفاسير، التي يتغالى فيها المفاليس منهم والمياسير، من البلايا التي تعم الآذان، وتخرس ذَرِبَ[3] اللسان، فنبهوا عليه، وحذروا منه، وأزالوه منتلك التفاسير، بطريق من الطرق.

وذلك في تفسير قصة يوسف وداود، عليهما السلام، وسورة الحاج، والنجم في قوله تعالى: ﴿ إلا إذا تَمَنَّى ألقى الشيطان في أُمنيَّته ﴾[4]، وقوله: ﴿ أفرأيتم اللاَّت والعُزَّى ﴾[5].

وفي «الكشاف» من التصريح بخلق أفعال العباد، وذم أهل السنة بمخالفة ذلك في نسبة الأمور كلها إلى الله، وجعلهم مبتدعة، وهجوهم بالأشعار، وعدهم حمراً موكفة[6].

وفيه في آخر الزخرف عند قوله[7]: «فأنا أول العابدين ﴾[8].

---

(١) في د: عن.

(٢) في م: «مولاك» وهو لا يستقيم وزناً.

(٣) أي سليط اللسان وفاسد المنطق.
قال في النهاية ١٥٦/٢: من قولهم: ذرب لسانه، اذا كان حاد اللسان لا يبالي ما قال.

(٤) سورة الحج: آية ٥٢.

(٥) سورة النجم: آية ١٩.

(٦) قال في اللسان ٣٦٣/٩: وأصل الوكف في اللغة: الميل والجور، والوكف ـ بالتحريك ـ: الاثم. وقيل: العيب والنقص، وقد وكف الرجل، يوكف وكفا، إذا أثم.

(٧) آية ٨١.

(٨) الكشاف ٣٩٧/٣ ط طهران.

وفي سورة براءة عند[1]: «عفا الله عنك لِمَ أَذِنْتَ لهم»[2].

إلى غير ذلك مما أعمى الله أبصارهم، بل بصائرهم، حين تركوا الكلام فيه وفي أمثاله، كسيرة البكري[3]، التي لم تزل على غالب الأزمان تقرأ

---

(١) آية ٤٣.

(٢) الكشاف ٢/١٩٢ ط طهران.

وفيه يقول:

(عفا الله عنك): كناية عن الجناية، لأن العفو رادف لها، ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت.

و (لم أذنت لهم): بيان لما كنى عنه بالعفو، ومعناه: مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم، وهلا استأنيت بالإذن؟.

(حتى يتبين لك) من صدق في عذره ممن كذب فيه.

وقيل: شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه من الأساري. فعاتبه الله تعالى. اهـ.

راجع رد ابن المنير عليه في موضعه.

(٣) البكري هو:

أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكري، توفي في أواسط القرن الثالث الهجري، ربما في حدود سنة ٢٥٠ هجرية.

قال عنه الذهبي في الميزان ١/١١٢: ذاك الكذّاب الدجال، واضع القصص التي لم تكن قط، فما أجهله وأقلَّ حياءه، وما روى حرفا من العلم بسند، اهـ.

واسم كتابه «تنقلات الأنوار» أو «ضياء الأنوار».

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوي ١٨/٣٥٢: وفيه من أنواع الأكاذيب المفتريات، وغرائب الموضوعات، ما يجل عن الوصف، مثل حديث السبع حصون وهضام بن حجاف، ومثل حديث الدهر، ورأس الغول، وكلندجة، وغير ذلك من كتبه، وغير ذلك من أماكن لا وجود لها، وغزوات لا حقيقة لها، وأسماء ومسميات لا يعرفها أحد من أهل العلم، ورواية أحاديث تخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين، وتخالف ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيها من الأقوال والأفعال المضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما برأه الله منه، وهي من جنس أحاديث الزنادقة النُّصَيْرِيَّة وأشباههم، الذين يختلفون ما فيه غلو في علي وغيره. =

في جامع الأزهر جهاراً، مع أن إجماع أهل النقل مُعْتَقَدٌ على أنها مكذوبة على رسول الله ﷺ، ولا يجد قارئها منيزجره، ولا ينهاه ولا يأمره، وصوبوا إلى كتابي الطعن بمجرد الظن، بل الوهم، من غير تحرير ولا فهم، وما ذاك إلا داء عضال، سكن قلوبهم، فصارت كالحجارة قسوة والجبال.

وأما كتب أصول الدين، وكتب الملل والنحل، فملآنة من نقل المذاهب الباطلة والأقوال الزائفة المائلة.

وكان مما قال بعضهم: إن هذا الكتاب لا يحل إبقاؤه بين الناس، لأنه قسمان:

أحدهما: نقل الكتب القديمة، وهي قد بدلت، فلا يحل نقلها.

والثاني: كلام من عنده، لا سلف له فيه، فهو كلام في القرآن

= وفيه من القدح في دين الإسلام والإفساد له ما يوجب إباحة دم من يقول ذلك وإن كان جاهلاً استتيب، فإن تاب، وإلا قتل.

وأقل ما يفعل بمن يروي مثل هذا: أن يعاقب عقوبة تردعه عن مثل ذلك وكذلك يستحق العقوبة من يكريها لمن يقرؤها ويصدّق ما فيها، ومن ينسخها ـ أيضاً ـ كذلك.

ويجب على أهل العلم إظهار ما يعلمون من كذب هذه وأمثالها، فكما يجب بيان كذب ما نقل عنه في الأحاديث كأحاديث البخاري: يجب بيان كذب ما كذب عليه من الأحاديث الموضوعة التي يعلم أنها كذب، كما بين أهل العلم من حال من كان يكذب عليه من الرواة، وبيان ما نقل عنه من الكذب الذي يعلمون أنه كذب.

وكثير من الموضوعات إنما يعلم أنها موضوعة خواص أهل العلم بالأحاديث، وأما مثل ما في «تنقلات الأنوار» من الأحاديث فهو مما يعلمه من له أدنى علم بأحوال الرسول ومغازيه: أنه كذب وعلى ولاة الأمور عقوبة من يروي هذه، أو يعين على ذلك بنوع من أنواع الإعانة. ولولي الأمر أن يحرقها، فقد حرق عثمان رضي الله عنه كتبا هذه أولى بالتحريق منها. اهـ.

راجع: الأعلام للزركلي ١/١٤٨.
ميزان الاعتدال ١/١١٢.
فتاوي شيخ الاسلام ١٨/٣٥١.

بالرأي، لا يحل، وهذا عناد منهم من الألد الفاضل[١]، وتقليد[٢] من الشرير الجاهل، ونحو هذا الكلام الذي لا يقوله من في قلبه رائحة من الدين، ولا المروءة، وقد قال الله تعالى: ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب ﴾[٣]، ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ﴾[٤]، ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾[٥].

وقال ﷺ - فيما صح عنه من رواية الشيخين وغيرهما، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما -: حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج[٦].

فعند ذلك عرضت الكتاب على قضاة القضاة وغيرهم، من علماء مصر:

---

(١) هكذا في جميع الأصول، ولا أدري ماذا يعني بهذا التعبير.

(٢) في د: تقلية.

(٣) سورة ص آية ٢٩.

(٤) سورة المائدة: آية ٤٨.

(٥) سورة آل عمران آية ٩٣.

(٦) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٤٥/٤.

وسنن أبو داود: كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل ٣٢٢/٤ حديث رقم ٣٦٦٢، عن أبي هريرة.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٩/٢، ٢٠٢، ٢١٤ عن عبد الله ابن عمرو بن العاص، ج ٥٠٢/٢، ١٣/٣ عن أبي هريرة، ج ٤٦/٣، ٥٦ عن أبي سعيد الخدري.

أما حديث مسلم فعن أبي سعيد رضي الله عنه ولفظه:

«لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج».

وليس فيه: «عن بني اسرائيل».

راجع صحيح مسلم: كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ١٢٩/١٨.

ومسند الإمام أحمد ٣٩/٣.

تقريظ شرف الدين المناوي

فكتب عليه قاضي القضاة، شيخ الإسلام شرف الدين، يحيى بن محمد المناوي[١] الشافعي. أعلى الله درجته، ورفع منزلته، ومات رحمه الله قبل فتنة ابن الفارض[٢] بعد الخطبة:

وبعد: فقد وقفت من هذا التأليف الحسن المستجاد[٣]، على ما أعرب عن أن مؤلفه إمام علاّمة، في فنون العلم، فإنه قد أحسن وأجاد، وأظهر من مجموع حسن، مجموعاً حسناً، في غاية من الصواب، ولا يقال: قد استوضح في بعض المناسبات بما جاء في التوراة والإنجيل، لأنه افتدى في ذلك بأئمة الإسلام، أهل الأصول والتأصيل، كالسيد عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في صفة سيد الأنام، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعده الأئمة الأعلام، فتعين القول بالجواز، على من اتضح ذلك لديه، ولامنع على من اشتبه ذلك عليه.

فحق لهذا التأليف أن يُتلقى بالقبول، ولا يُصغَى لقول حاسد فيه ولا

---

(١) فقه أصولي محدّث، نشأ بالقاهرة، وأخذ الفقه والأصول عن ولي الدين العراقي وسمع الحديث منه، وله كثير من التصانيف، منها: شرح مختصر المزني، وحاشية على الروض الأنف للسهيلي، توفي سنة ٨٧١ هجرية.
راجع: الضوء اللامع ١٠/٢٥٥، حسن المحاضرة ١/٢٥٣، شذرات الذهب ٧/٣١٢.

(٢) هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد، الحموي الأصل المصري المولد والوافة، وشهرته ابن الفارض، ولد في ذي القعدة سنة ٥٧٦ ه قالقاهرة، وتوفي يوم الثلاثاء الثاني من جمادي الأولى سنة ٦٣٢ ه.
وفي زمن البقاعي جرت فتنة عارمة حول عقيدة ابن الفارض هذا، كان للبقاعي أثر كبير في إيضاح الحق فيها.
راجع: ابن خلكان ٣/٤٥٤، شذرات الذهب ٥/١٤٩، النجوم الزاهرة ٦/٢٨٨، حسن المحاضرة ١/٢٢١.

(٣) في د: المستجاب.

عذول، والله تعالى يبقي مؤلفه منهلاً للواردين، ويديم النفع به، وبعلومه للمسلمين. في تاسع عشر شعبان، عام ثمانية وستين وثمانمائة.

تقريظ ابن الشحنة

وكتب قاضي القضاة شيخ الإسلام، محب الدين، محمد بن قاضي القضاة، شيخ الإسلام، محب الدين، محمد بن الشحنة، الحلبي الحنفي[1]، وثبت على نصر السنة في فتنة أهل الاتحاد، فأيد الله به الدين، أسبغ الله ظلاله، وزكى أعماله مشيراً إلى أسماء الكتاب الثلاثة: نظم الدرر (من تناسب الآي والسور، وفتح الرحمن في تناسب أجزاء آي القرآن، أو ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان:

الحمد لله ذي الحكم المتناسبة الدرر)[2] والنعم المتراكبة الدرر، نحمده على ما فتح من الفيض الرحماني، ونشكره على ما أبدى منالتناسب الترجماني ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، كلمة حق محققة الإيمان، وقول صدق جاء به الدليل والبرهان، وشهادة عبد أخلص لله نيته ما استطاع، وأصفى طويته، فكشف له عن مخبات الخدود والقناع، ونشهد أن سيد البشر (محمداً) عبده ورسوله، الذي شرف به الأقطار والبقاع، وخصه بنهاية الأوج، وغاية الارتفاع.

صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، الحائزين قصب السباق[3]، بعزيز حديثه وكريم صحبته، وسلّم تسليماً كثيراً.

---

(١) هو قاضي محب الدين محمد بن محمد، بن محمد، بن محمود، بن غازي الثقفي الحلبي، كان حنفي المذهب، ولد بحلب سنة ٨٠٤ هـ، قدم الى مصر فتولى بها عدة مناصب حتى توفي في شهر المحرم سنة ٨٩٠ هـ.

(٢) ما بين المربعين ساقط من د.

(٣) في م: الحائزين عن الطاق، بسماع حديثه، وشريف رؤيته، الحائزين قصب السباق... الخ.

أما بعد: فقد وقف العبد الفقير، الضعيف الحقير، على هذا المصنَّف العديم النظير، المشتمل من الورد الصافي على العذب النمير، فوجد مؤلفه قد حلى فيه من أبكار أفكاره المقصورات في الخيام، على الأكفاء الكرام، من ذوي العقول والأفهام، كل خريدة بعيدة المرام، على[1] من قعد عن طلب المعالي ونام، وسلك مسلكاً قل من سلكه من الفحول قبله، وبحث بصائر فكرة، عن تحرير ما أورده ونقله واستدل بقوة علمه، وجودة فهمه، بأدلة برهانُها قاطع، وضياؤها ساطع، مقتدياً بما وقع في الكتاب المبين، من قوله تعالى: ﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾[2].

ولا ريب أن الاستدلال بغير المبدّل منها، من أقوى الأدلة القاطعة، وأعظم البراهين الساطعة، لا سيما إذا قص الله ـ أو رسوله ـ ذلك علينا، مبيناً من غير إنكار، على أنه شرع لنبينا.

وأي استدلال أَمْيَزُ (وآمن)[3] من كلام الله جل وعز؟.

وقد صرح أصحابنا: أن كلام الله القديم، المصون عن التحريف، والتديل إن عبر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرانية فتوراة، وإن عبر بالسريانية فإنجيل وإن كلامه لا يختلف، وإنما تختلف العبارات، وتتفاوت الأعمال بالنية، وإنما الأعمال بالنيات.

وهذا السيد عمر بن الخطاب، العظيم الشأن، رضي الله عنه، كان يأتي اليهود ويسمع من التوراة، فيتعجب كيف تصدق ما في القرآن، كما رواه[4] الطبري من طريق الشعبي، في غير ما مكان.

---

(١) في د: عن.
(٢) سورة آل عمران: آية ٩٣.
(٣) في د: وآمز.
في م: وأمزة.
(٤) في د: روى.

وإنما ورد النهي عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم، فيما يتطرق إليه احتمال أحد الأمرين، إلا ما ورد في شرعنا ما يقضي بأحدهما، فيرفع الخلاف من البين.

وقد استدل المؤلف[1] على صنعه من الكتاب والسنة، بأدلة كان المبتكر لها والسابق إليها، فلم أر التعرض لذكرها، ومزاحمته عليها، فالله تعالى يبقيه لإبداء الفوائد، ويجزيه من ألطافه الخفية، على أجمل العوائد، بمنه وكرمه قال ذلك مرتجلاً، وحشفة[2] عجلاً، فقير لطف الله الخفي، محمد بن الشحنة الحنفي، ستر الله ذلله، ورحمه وغفر له، بتاريخ سابع عشر شعبان المذكور.

تقريظ حسام الدين الطهطاوي

وكتب قاضي القضاة، شيخ الإسلام، الشريف حسام الدين، محمد ابن أبي بكر ابن الشيخ الطهطاوي، الحسيني المالكي، الشهير بابن حريز[3]، ومات رحمه الله قبل فتنة أهل الاتحاد، أعلى الله مناره، ورفع مقداره. بعد الخطبة:

وبعد: فقد وقفت على جزء من الكتاب الموسوم بـ«نظم الدرر من تناسب الآي والسور» جمع الشيخ الإمام، العلامة الرَّحالة الحافظ: برهان الدين البقاعي، شرف الله به البقاع، ونشر من فوائده وفوائده، ما تلذ به الخواطر وتتشنف به الأسماع، فرأيته فريداً في بابه، غريباً في إعرابه، بما أتى

---

(١) فيد: المصنف.

(٢) هكذا في الأصول، ولم أدر لم ذكرها هنا.

(٣) هوقاضي القضاة المالكي، أصل أسرته من بلاد المغرب، ولد سنة ٨٠٤ هـ ونشأ بمنفلوط، وتولى قضاء المالكية بمصر عام٨٦١ هـ وظل في هذا المنصب نحوا من اثني عشر عاماً، حتى توفي في شعبان سنة ٨٧٣ هـ؟

راجع: حسن المحاضرة ٢/١٢٤. ابن إياس ٢/٥٨، ٨٣، ٩٦، ١٠٦.

على عجمه[1] وأعرابه، قد غاص في بحار العلوم، فاستخرج منها فرائد الدرر، وسبر محاسنها فجمع منها أحاسن الغور، وتتبع شواذ الملح، فجمع منها ما شَتَّ، وأرسل خيله في حلبتها، فحازت قصب السبق، فتصرف فيها كيف شاء، فوهن عند ذلك عضد حاسده، وفيه فتر، أعاد الله من بركاته، ونفعنا بصالح دعواته.

في الخامس من شهر رمضان المعظم قدره، عام ثمانية وستين.

تقريظ القاضي عز الدين الحنبلي

وكتب قاضي القضاة، شيخ الإسلام، عز الدين، أحمد ابن قاضي القضاة برهان الدين: إبراهيم ابن قاضي القضاة ناصر الدين، نصر بن أحمد الكناني العسقلاني الأصل، المصري الحنبلي[2]، أدام الله نعمته، وفسح مدته، وثبت على نصر السنة في فتنة أهل الاتحاد، وكان من خير الأنصار والأعضاد.

وبعد: فقد وقفت من هذا التأليف العجيب، والتصنيف الغريب، على ما ذكرني بما أعلمه من غزارة علم مصنِّفه، وكثرة فضائله، وحسن إدراكه، وجودة ذكائه ولا يعيب حسنه ما استشهد به من الكتب القديمة.

ففي القرآن والسنة، ونَقْلِ العلماء قديماً وحديثاً، ما يشهد بحسن فعله لكن لكل حسن غائب، ونعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف، والله تعالى يديم لجامعه البقاء، ويطيل له في العلو والارتقاء.

وكُتب في عاشر شهر رمضان، سنة ثمان وستين.

---

(١) في م: عن.

(٢) المولود بالقاهرة في ذي القعدة سنة ٨٠٠ هجرية، والمتوفي بها في جمادي الأولى سنة ٨٧٦هـ، من تصانيفه: نظم أصول ابن الحاجب، مختصر المحرر في الفقه، شرح الألفية.

راجع مصادر ترجمته: الضوء اللامع ١/٢٠٥، حسن المحاضرة ١/٢٧٧ شذرات الذهب ٧/٣٢١، إيضاح المكنون ١/٣٢٣.

تقريظ الشيخ الأقصرائي

وكتب شيخ الإسلام، بركة الأنام، الشيخ أمين الدين، يحيى بن محمد الأقصرائي الحنفي[1]، شيخ الديار المصرية غير منازَع، ومرجع الناس فيها غير مدافَع أدام الله شمول الإسلام والمسلمين ببركاته، وأعاد علينا جميعاً من صالح دعواته لكنه مال على أهل السنة في فتنة ابن الفارض، وأغنى الله ـ ولد الحمد ـ عنه وما ضر إلا نفسه.

وبعد: فقد شرفت بوقوفي على مواضع من المؤلَّف البديع، المتـوَّج بـ «نظم الدرر من تناسب الآي والسور» تصنيف سيـدنا ومـولانا الإمـام العلامة، الحبر الفهامة المدقق المحقق، ذي التآليف الرفيعة في الأنواح، فتوحاً من رب الأرباب، المستغني عن الإطناب في الألقـاب، خالصـة خلاصـة المتقدمين، ونخبة الأئمة المتأخرين، زاده الله علماً وعملاً، دلتني على علو درجته في أنواع العلوم وأصنافها، وبراعته فيها وكفايته لطلابها وأُلَّافها.

وإذا كانت العلوم منحاً إلهية، وعطايا ربانية، فلا يبعد أن يفتح الله على بعض المتأخرين، ما عسر على كثير من المتقدمين.

ومن نظر في مؤلفه بعين الإنصاف، وترك الاعتساف، علم مقدار ما حازه من قصبات السبق في مضمار التحقيق والتوفيق، وما نقله من كلام المخالف وأدلته، لفوائد كثيرة. منها: لردها، والالتزام بها، وتبيين ما انغلق

---

(١) ولد سنة ٧٩٧ هـ؟

قال ابن إياس: كان إماماً عالماً فاضلاً مفتياً، نفع المسلمين، من أجل علماء الحنفية باعا في الفقه، ديناً خَيِّراً، قائماً في الحق. اهـ.

وفي عام ٨٧٩ ه خرج من مصر حاجاً ومعه ابنه أبو السعود محمد وكان من أهل العلم والفضل، فدهمه الموت وهو عائد من مكة، فحزن عليه الشيخ حزناً شديداً، فلم يمكث بعده إلا تسعة أيام، وتوفي في ٢٧ المحرم سنة ٨٨٠ هـ؟.

راجع: حسن المحاضرة ١/٢٢٧، الضوء اللامع ١٠/١٠٨، شذرات الذهب ٣٢٨/٧.

منها، ولعدم فهمهم لها لقصور نظرهم، وسوء اعتبارهم، لما يتعلق بذلك، وربما يظهر من ذلك مطابقتها للشريعة المطهرة، من أعظم الدلائل على براعته في العلوم، وقد وقع ذكر دلائلهم لما ذكر في الكتاب والسنة الشريفة، ولم تزل الكتب الكلامية مشحونة بدلائل المخالفين المعاندين، لما ذكر من الأمور، وغير ذلك من العلوم، ولا ينكر ذلك إلا معاند غير ناظر لطريق الصواب.

والله يجعل ما قاسه في تأليفه خالصاً لوجهه، موجباً للفوز لديه، إنه البَرُّ الجواد المتفضل على جميع العباد.

وكُتب في سادِس عَشَر شهر رمضانَ سنة ثمان وستين.

تقريظ سيف الدين السيرافي

وكتب الإمام العلاَّمة، الشيخ عضد الدين (الحنفي)[١] عبد الرحمن بن الإمام العلاَّمة، نادرة زمانه، الشيخ يحيى ب الإمام العلاَّمة، سيف الدين السيرافي ثم المصري، الحنفي[٢]، شيخ البرقوقية[٣]، بارك الله في حياته للإسلام، وأدام كونه ملاذاً للخاص والعام، وكان في فتنة ابن الفارض ساكتاً.

وبعد: فقد وقفت على مواضع من المؤلِّف، الذي فاز ـ كمؤلِّفه ـ بالقدح المعلى في رتب الكمال، واشتهر ـ كمصنِّفه ـ بالتفوق على الأكفاء

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) المتوفي سنة ٨٨٠ هجرية، له شهرة في التفسير، ومن مصنفاته: حاشية على خطبة أنوار التنزيل للبيضاوي.

راجع: إيضاح المكنون ١/١٤١، هدية العارفين ١/٥٣٣.

(٣) هيالمدرسة التي أنشأها الظاهر برقوق بين القصرين، ابتدأ بناءها عام ٧٨٦ ه‍، وانتهى منه عام ٧٨٨ ه‍، ورتب بها دروساً للمذاهب الأربعة، ودرساً للحديث، ودرساً للقراءات.

راجع: حسن المحاضرة ٢/١٦٣، بدائع الزهور ١/٢٦٤.

والأمثال، وإنه لأرفع قدراً من أن يفتقر إلى تعريف، أو أن يتوقف ظهور مزيّته(١) على تكلُّف إطراء وتوصيف، فلا زال عَلَمُ مصنِّفه مرفوعاً أبداً، وثناء فضله منصوباً بخفض العدا.

بتاريخ سابع عشر شهر رمضان، سنة ثمان وستين وثمانمائة.

تقريظ محيي الدين الكافيجي

وكتب الإمام العلاَّمة، محيي الدين، محمد بن سليمان الكافيجي الحنفي(٢)، شد الله به أزر الدين، ثم كان كالأمن في فتنة ابن الفارض:

الحمد لله الذي جعل العلماء، ورثة الأنبياء، وبعث رسوله أفضل الرسل والأصفياء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجباء الأتقياء. وبعد:

فأقول: هذه مقالة منوطة بأمور مقصودة ههنا(٣).

الأمر الأول: أن تأليف الكتب مشروع، لقول الله تعالى: ﴿ **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً** ﴾(٤).

ولقول النبي ﷺ: «ما رآه المؤمنون(٥) حسناً، **فهو عند الله** حسن»(٦). ولدلائل أخرى محررة في موضعها.

---

(١) في د: مرتبته.

(٢) كان فقيهاً أصولياً، مفسراً محدثاً، صرفياً نحوياً، بيانياً منطقياً، حكيماً رياضياً، ولد سنة ٧٨٨ هـ في بلاد صروخان، وكانت شهرته بمصر، ولازمه جلال الدين السيوطي، وتوفي بمصر سنة٨٧٩ هـ.

راجع: الضوء اللامع ٧/٢٥٩، حسن المحاضرة ١/٣١٧، البدر الطالع ٢/١٧١.

(٣) فيدد: هنا.

(٤) سورة الكهف آية ٤٦.

(٥) في د: المسلمون.

(٦) أخرجه الإمام أحمد المسند ١/٣٧٩ من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولفظه: «عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد=

الأمر الثاني: أن نقل الأقوال والأخبار، المشتملة على العبرة والعظة، جائز شرعاً سواء كانت الأقوال معلومة الصدق، أولاً[1].

أما نقل الأقوال المعلومة الصدق، فلا غنى عنها، لغاية ماس الحاجة إلى معرفتها.

وأما نقل الأقوال الغير المعلومة الصدق، فليزداد ظهور الأقوال المعلومة الصدق، المخالفة إياها في موجبها ومقتضاها، بسبب الاطلاع على بطلانها، إما في الحال، وإما في الاستقبال.

ولما تقرر في العلوم: أن الأشياء تتبين بالأضداد، والاحتراز بذلك عن الوقوع في الورطة والفساد.

ونظير ذلك: معرفة السموم، وسائر الأمور الضارة، كما قال الشاعر:

عـرفت الشـر، لا لـلشـر، لكـن لتـوقيـه
ومن لم يعـرف الشـر من النـاس يقـع فيـه

ولأجل هذا قال العلماء المحققون: جلب جميع المنافع ليس بواجب

= صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء».

وذكره العلامة ابن القيم في الطرق الحكمية ص ١٣٣ ط المدني موقوفاً ـ أيضاً ـ على ابن مسعود، وقال: رواه عنه الإمام أحمد وغيره، اهـ.

وفي بعض ألفاظه: وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح.

(١) الصواب: أم لا. ومنه قوله تعالى: «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون».
فالمناسب للفظ «سواء» أم، لا أو.

بالاتفاق ودفع المفاسد[1] واجب بالاتفاق[2].

ومصداقه: عموم حاسة اللمس جميع أعماق البدن، سوى الكبد من بين الحواس دون غيرها من الحواس، على ما فصل في موضعه.

ألا ترى: أن العلماء من الفقهاء وغيرهم ينقلون في مصنفاتهم المذاهب المختلفة والآراء المناقض بعضها لبعض[3]، سواء كانت حقة، أو باطلة، يشهد به من يطالعها ويفهمها.

الأمر الثالث: أن نقل شيء من التوراة والانجيل وغيرهما، يجوز في التأليف في هذا الزمان، لغرض من الأغراض المعتبرة، كالاعتبار[4]، والاتعاظ، وإن لم يجز الاستدلال بها على الأحكام والأصول، على ما نص به العلماء في الكتب.

ونظير ذلك: خبر المستور، الذي لم يظهر قبوله ولا رده، فيجوز العمل به وإن لم يجب.

وقريب من هذا قول الحنفيين: شريعة من قبلنا (هي شريعتنا)[5] ابتداء إذا حكيت لنا بلا إنكار عليها، قال الله تعالى: ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس... الآية** ﴾[6].

---

(١) لعل الصواب: «ودفع جميع المفاسد» ليدل على العموم، كما في سابقة حيث عم في جميع المنافع، ولأنه لا استثناء في المفاسد، لأن الواجب دفعها جميعها، بخلاف المنافع فهي على حساب الاستطاعة، لقوله تعالى:
«فاتقوا الله ما استطعتم» وقوله: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»، ولما هو مقرر من: أن الطاعة على قدر الطاقة. ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان: «إذا أمرتكم بشي فأتوا منه ما استطعتم».

(٢) وقد ذكره المؤلف، كما ترى.

(٣) في د: بعضاً.

(٤) في د: للاعتبار.

(٥) في د: كشريعتنا.

(٦) سورة المائدة آية ٤٥.

والحاصل: أن نقل سفر من أسفار التوراة والإنجيل وغيرهما ـ على ما ذكرنا ـ جائز شرعاً، لا شبهة قادحة فيه، وإن كانت منقدحة في الأوهام.

ومعلوم عندك: أن لا اعتبار لها بالإجماع، على ما حُرِّر في أصول الفقه.

. فكيف وقد روى في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو[1] رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: بلغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج[2].

وقال أهل التحقيق من المحدثين في بيان هذا الحديث: المراد منه ههنا: هو الحديث عنهم بالقصص والحكايات، لأن في ذلك عبرة وعظة لأولى الألباب، وأما النهي الوارد عن كتابة التوراة والإنجيل، ففيما عدا القصص والأخبار.

فحصل الجمع والتوفيق بينهما على ما تسمع وترى.

هذا وقيل: كان النهي عنها قبل اشتهار شأن القرآن، حذرا من الالتباس والاشتباه، ولأجل هذا، نهى عن كتابة الحديث قبل اشتهاره، فلما اشتهر شأنه أي اشتهار، رخص فيها، وكذلك الأمر الذي نحن بصدده.

وقال[3] (البيضاوي)[4] في تفسير قول الله تعالى: ﴿إن الله لا يستحي

---

(١) في د: عمر، وهو خطأ.

(٢) تقدم تخريجه حد ١٦.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) هو ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي، علم بالتفسير والحديث والفقه والأصول، توفي بتبريز سنة ٦٨٥ ه ومن مصنفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير، منهاج الوصول إلى علم الأصول، الغاية القصوى ف يدراية الفتوى.
راجع: هدية العارفين ١/٤٦٢، البداية ١٣/٣٠٩، طبقات الشافعية ٥/٥٩.

أن يضرب مثلاً ما ﴾[١]: مثل في الانجيل عن الصدر[٢] بالنخالة، والقلوب القاسية بالحصاة، ومخاطبة السفهاء بإثارة الزنابير[٣].

ومثل (هذا)[٤] وقع كثيراً في سائر كتب التفاسير، كالكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للإمام الرازي. (وفي)[٥] كتب الحديث كصحيح البخاري وغيره (أيضاً، وفي كتب الكلام، كالصحائف والمواقف وغيرهما، وفي كتب أصول الفقه، كالبزدوي وغيره أيضاً)[٦] يشهد بذلك كله من يطالعها ويتأمل فيها.

.لا. ولقد ذكر (في)[٧] التاريخ: أن القصص والأخبار (العجيبة)[٨] الغريبة كقصة كقصة عوج بن عنق وغيرها، يجوز كتابتها وحكايتها، وإن كانت غير معلومة الحال لتضمنها عبرة وعظة ومصالح، لقول الله تعالى: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب»[٩].

ولما اشتهر عند الناس: أن ما لا يدرك كله، لا يترك كله، فإن العلم بالبعض خير من الجهل بالكل.

قال الله تعالى: ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾[١٠].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦.
(٢) في البيضاوي: غلّ.
(٣) تفسير البيضاوي على هامش الشهاب ٢/٨١.
(٤) ساقطة من: د.
(٥) ساقطة من: د.
(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.
(٧) ساقطة من: د.
(٨) ساقطة من: د.
(٩) سورة يوسف آية ١١١.
(١٠) سورة طه آية ١١٤.

ومن ههنا نشأ قول من قال:

فكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك

الأمر الرابع: أن نقل القصص والأخبار من التوراة وغيرها، قد شاع بين الناس شيوعاً لاخفاء فيه، فقد حل محل الإجماع السكوتي.

ولهذا[1] وقع كثيراً في كتب السلف بلا إنكار عليه، كما وقع في هذا العصر في هذا التأليف المسمى بـ «نظم الدرر من تناسب الآي والسور». على ما حررنا فيما مر.

فإن قلت: فكيف[2] تقبل هذه الدعوى منك ههنا، وقد ذكر في بعض علم الكلام: أن الكتب السماوية قد نسخت تلاوتها وكتابتها؟.

قلت: لا استبعاد ههنا على ما ذكرنا فيما قبل من التفصيل والتحرير، فيحمل ما ذكرنا ههنا على نسخ كتابة التوراة الدالة على الأحكام المناقضة لأحكام شريعتنا لا على نسخ كتابة التوراة الخالية عن الدلالة عليها.

فحصل الجمع بينهما على ما ترى.

وأنت تعلم: أن العمدة والمدار في أمثال هذا، إنما هو قول الفقهاء والمحققين، لا قول[3] المتكلمين، لما تقرر: أن صاحب البيت أدرى بما فيه، كما تعلم أن نسخ الوجوب، لا يستلزم نسخ الجواز، كصوم عاشوراء، فإنه جائز شرعاً وأن نسخ وجوبه.

وتعلم أيضاً: أن المثبت أولى من النافي.

الأمر الخامس: أن هذا الكتاب «نظم الدرر» كتاب عظيم الشأن،

---

(١) في د: وهذا.
(٢) في د: كيف.
(٣) في د: أقوال.

ساطع البيان مؤسس بحسن ترتيب، وجودة نظام، على أحسن جواهر القواعد، مرصع بأنواع فرائد الفوائد والعوائد، وأنه بحر لا تنقضيّ عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، وموصوف بما تراه محط دائرة الضبط والبيان، وعطية من عطايا الجواد الرحمن.

كتاب في سرائره سرور ... مناجيه من الأحزان ناجي
وكم معنى بديع تحت لغظ ... هناك تزاوجا كل ازدواج

ولقد تأمل العبد الفقير فيه حق التأمل كما ينبغي، في مواضع كثيرة، فوجده ممتلئاً بأجناس درر نفيسة منظومة، متناسبة عالية، ومتوجاً بأصناف فصوص لامعة غالية، ومناسباً صدره عجزه، ومقروناً بلطائف دقائق المعاني والفحوى، مع رعاية السياق والسباق، ولأجل هذا صار مثلاً مشهوراً في البلدان والآفاق ما عام أحد من الفضلاء والعلماء في بحره، سوى العالم العلامة، والبحر الفهامة، الفائق على الأقران، أفصح من سحبان في البيان، الألمعي، العظامي، العصامي بديع الزمان، وقاد الذهن، نقاد الطبع، الأصمعي، منحة الرحمن، الرحالة في الرواية، العمدة في الدراية، أمام الهدى، نوى التقى، شمس الضحى زين الورى فلك العلى، وهو المستحق للمدحة بالوصف الجميل، على جهة التعظيم والتبجيل وليس يزيد الشمس نوراً وبهجة، إطالة ذي وصف، وإكثار مادح، وأنشدت فيه:

وإني لا أستطيع كنه صفاته ... ولو أن أعضائي جميعاً تكلم

---

(١) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة، يضرب به المثل في البيان يقال: «أخطب من سحبان، وأفصح من سحبان». اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام، وكان إذا خطب لا يعيد كلمة، لا يتوقف، ولا يقعد حتى يفرغ، أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به، وأقام في دمشق أيام معاوية، وتوفي سنة ٥٤ هجرية.

راجع: بلوغ الأرب للألوسي ٣/١٥٦، خزانة الأدب ٤/٣٤٧، ومجمع الأمثال ١/١٦٧.

وأقول: لا شك (أن)[1] قول من قال:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

صادق في شأنه حقاً، وكذلك قول من قال:

ويا من لديه أن كل امرىء له نظير

وإن حاز الفضائل هل له

ونسبة جميع ما ذكرته في تعداد مناقبه ومحاسنه وفضائله، إلى مالم يذكر من سائر كمالاته الجمة، أقل من نسبة قطرة إلى قطران البحر المحيط.

فانظر إلى نظري إليك، فان عنوان ما أخفيت في أحشائي.

نعني بذلك كله الشيخ الإمام الهُمَام، شرف السلف، خير الخلف، المدرس المؤلف المفتي، برهان الدين، أبو الحسن، إبراهيم، الشهير بالبقاعي، خوله الله تعالى بالأبقيين: الذكر الجميل في الأولى، والأجر الجزيل في الأخرى.

ولولا الخوف من سآمة الخواطر بالإسهاب، لأوردنا ههنا أساليب عجيبة، ومعاني نفيسة غريبة.

وكُتب يوم السبت، العشرين من شهر رمضان، سنة ثمان وستين.

تقريظ العلامة تقي الدين الشمني

وكتب الإمام العلامة الصالح، تقي الدين محمد بن الشيخ الإمام العلامة كمال الدين محمد الشمني الحنفي[2]، أدام الله النفع للمسلمين

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) المغربي الأصل، ثم القاهري، محدث، فقيه، أصولي، توفي بالقاهرة سنة ٨٢ هـ، ومن مصنفاته: نظم النخبة لابن حجر.
راجع: الضوء اللامع ٩/٧٤، هدية العارفين ٢/١٨٣.

بعلومه، والهناء للعالمين بالورود في بحور فهومه، وأعلى مناره، وجعل النجاح والفلاح في الدارين داره، بعد الخطبة البديعة، ومات - رحمة الله - قبل الفتنة.

وبعد: فقد وقفت على هذا المصنَّف المعظم، والجوهر المنظم، فإذا هو من الحسن في غاية، ومن التحقيق والتدقيق في نهاية، لم تكتحل عين بمثاله، ولا نسج ناسج على منواله.

وكيف لا، ومؤلفه قد حوى الفنون النقلية والعقلية، والعلوم الشرعية الأصلية والفرعية، عالم عامل، سالك كامل، حافظ ضابط، مجاهد مرابط، نفع الله به ذوي الحاجات والطلاب، وفتح لنا وله من الخير والأبواب، ونفعنا بدعواته، وأعاد علينا من بركاته، والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وكتب في خامس عشر (من شهر)[1] رمضان، سنة ثمان وستين.

تقريظ تقي الدين الحصني

وكتب العلامة الشيخ تقي الدين، أبو بكر، محمد (بن)[2] شادي، الحصنى الشافعي[3]، بارك الله في حياته للمسلمين، وأدام كونه ملاذاً للطالبين، بعد الخطبة البليغة، ثم مات مع أنصار ابن الفارض.

وبعد: فقد وقفت على المجلد الرابع للمناسبات، فرأيته شاملاً على

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) فقيه محدث، ولد في الحصن من بلاد حوران، سنة ٧٥٢، وتوفي بدمشق سنة ٨٢٩ هـ.

راجع: البدر الطالع ١/١٦٦، شذرات الذهب ٧/١٨٨.

بدائع الآيات، محتوياً على فنون (من)[1] الحجج والبينات، وهو ـ مع وجازة لفظه ـ حاوٍ لمنتخب كل مديد وبسيط، جامع لخلاصة كل وجيز ووسيط، مطلع على زبدة مطالب هي نتائج أنظار المتقدمين، مظهر لنخب مباحث، هي أبكار أفكار المتأخرين، فهو بحر محيط بغرر درر الدقائق، وكنز أودع فيه نقود الحقائق، ألفاظه معادن جواهر المطالب الشرعية، وحروفه أكمام أزاهير النكات اللفظية، ففي كل لفظ منه روض من المنى، وفي كل شطر منه عقد من الدرر.

فلله در مؤلفه، قد أبرز ذخائر العلوم والمعارف، وافتلذ[2] الأناسي من عيون اللطائف، وسلك منهاجاً بديعاً في كشف أسرار التحقيق، واستولى على الأمد الأقصى من دفع منار التدقيق، أظهر غرائب مناسبات، مامستها أيدي الأفكار وعجائب نكات، ما فتق رتقها أذهان أولى الأبصار.

فجزاه الله أفضل الجزاء، وجعل له في الدارين أطيب الثناء.

وكُتب في عاشر شوال، سنة ثمان وستين وثمانمائة.

وما كان لي غرض قبل ذلك في[3] عرض الكتاب على أحد، فلما تكلم فيه الحاسدون عرضته هذا العرض، فشهر ـ ولله الحمد ـ أمره، وفشا في الفضلاء شأنه وذكره وحمدت عاقبته، وشرح صدره، فكان كما قيل:

وإذا أرد الله نشر فضيلة طويت ... أتاح لها لسان حسود
لو اشتعال النار في جزل الغضا ... ما كان يعرف طيب عرف العود

ثم أظهرت ما كتب لي من قبلهم من العلماء على مصنفاتي، وغيرهم من مدة من السنين، يزيد بعضها على الأربعين.

على أني كنت قليل الاعتناء بأخذ خطوط المشايخ، وكان أصحابي

(١) ساقطة من: د.
(٢) أخرج أحسن ما فيها.
(٣) في د: على.

يلومونني على ذلك، فكنت أقول لهم، إني إذا صرت إلى سن يؤخذ فيه عن مثلي، فإن كنت أهلاً في نفسي، فأنا لا أحتاج إلى شهادة أحد، وإن لم أكن أهلاً، لم تفدني إجازات المشايخ، كما قل التلعفري[1] رحمه الله تعالى:

وعندهم أن الإجازة غاية النهـ ـاية للإقراء ما فوقها اعتلا
فياليت شعري، هل رأيتم إجازة تحج عن القارىء وتتلو إذا تلا

على أن أقول، إن الله تعالى إن كان يعلم أني لا أكون إذ ذاك أهلاً يؤخذ قولي مسلماً، فلا أحياني الله إلى ذلك الزمان.

فأريتهم خط الإمام العلامة، عماد الدين، ابن شرف الدين القدسي الشافعي تلميذ ابن الهائم رحمه الله[2]، على (مفردتي)[3] في أول زياراتي للقدس الشريف وكان سني إذ ذاك دون العشرين، (وذلك في)[4] سنة سبع وعشرين وثمانمائة: «الشيخ الإمام، المقرى المجيد».

وكتب لي شيخ الإسلام حافظ العصر، قاضي القضاة، أبو الفضل، شهاب الدين، أحمد بن حجر المصري[5]، رحمه الله على مفردتي في قراءة أبي

---

(١) هو شهاب الدين أبو المكارم: محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيماني والتلعفري نسبة إلى التل الأعفر بنواحي الموصل، ولد بالموصل سنة ٥٩٣ هـ؟ وقرأ بها، ورحل إلى دمشق ثم إلى حلب، وكانت وفاته بحماة في شوال سنة ٦٧٥ ه، وله ديوان شعر.
راجع: شذرات الذهب ٣٤٩/٥، النجوم الزاهرة ٢٥٥/٧.

(٢) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي المصري، ثم المقدس الشافعي، ويعرف بابن الهائم، كان عالماً بالفرائض والحساب، والفقه والعربية، ولد بالقاهرة سنة ٧٥٦ ـ وقيل: سنة ٧٥٣ ه ـ ثم رحل إلى بيت المقدس وظل بها إلى أن توفي سنة ٨١٥ ه.
راجع: الضؤ اللامع ١٥٧/٢، شذرات الذهب ١٠٩/٧، البدر الطالع ١١٧/١.

(٣) زيددة عن: د.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد، ابن حجر العسقلاني المصري، أصله من ـ

عمرو بن العلاء البصري[1] المسماة: «كفاية القارىء، وغنية المقرىء» وذلك في أول ما أتى إلى القاهرة، سنة أربع وثلاثين، ما من جملته:

فهكذا هكذا تنظم اللآلى، وإلى هنا تنتهي رتب أولى المعالي، إن الهلال إذا رأيت نموه، أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً، ويا ليت شعري، ومن هذه بدايته فما الذي بلحاق النجم ينتظر.

وكتب قاضي القضاة، شيخ الإسلام، سعد الدين بن الديري الحنفي[2]، رحمه الله:

وقفت على هذا المؤلَّف، الموسوم بالكفاية، الجامع بين صحيح الرواية، وغريب الدارية، الشاهد لمصنفه ببلوغ رتبة النهاية في سن البداية.

وكتب قاضي القضاة، شيخ الإسلام، محب الدين، بن نصر الله البغدادي الحنبلي[3]، رحمه الله، وما كان رآني أصلاً[4]، ما أشار إلى ذلك في كتابته:

= عسقلان ببلاد الشام، وإليها ينسب، ولد بمصر ف يشعبان سنة ٧٧٣ هـ وتوفي والده وهو صغير فكفله بعض أقاربه، برع في كثير من العلوم، أشهرها الحديث والتاريخ، وتوفي ليلة السبت ٢٨ من ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ.

(١) اسمه على أشهر الأقوال: زبان بن العلاء بن عمار، أبو عمرو التميمي المازني البصري، قال الحافظ أبو العلاء الهمذاني: هذا الصحيح الذي عليه الحذائق من النساب، اهـ. وأبو عمرو هذا أحد القراء السبعة، وامام من أئمة اللغة والأدب، واختلف في سنة ولادته، فقيل: سنة ٧٠، وقيل ٦٨ هجرية، كما اختلف أيضاً في سنة وفاته فقيل: سنة ١٥٤، وقيل ١٥٩ وقيل ١٥٦ هـ، كانت ولادته بمكة، ووفاته بالكوفة.

(٢) هو أبو السعادات سعد الدين: سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد ابن أبي بكر بن أبي مصلح بن أبي بكر النابلسي، القدسي، الحنفي ويعرف بابن الديري، مفسر، فقيه، متكلم، وقاضٍ، ولد بمصر سنة ٧٦٨ هـ وتوفي بمصر سنة ٨٦٧ هـ.

(٣) هو أبو الفضل محب الدين أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر ولد ببغداد سنة ٧٦٥، ونشأ بها، وتولي الافتاء والقضاء بمصر، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٤٤ هـ، له حاشية على تنقيح الزركشي في الحديث.

(٤) في د: قط.

وقفت على هذا التصنيف المنيف، المشتمل على كل معنى فائق شريف، فرأيته قد احتوى من علوم القرآن العظيم على معظمها، ومن فضائله على أفضلها وأكرمها[1] وهو مصنف فرد في معناه، لا يشبع من نظره من وقف عليه أو رآه، لكثرة فوائده الغزيرة وعظم نوادره[2] المنيرة، فدعوت لمصنفه - شكر الله سعيه الكريم - دعاء فائقاً، وأحببته على الغيب حباً صادقاً، فلقد أجاد وأفاد، وارتفع قدره المنيف به وساد.

وكتب العلامة قاضي القضاة، كما الدين، محمد بن العلامة ناصر الدين، محمد ابن البارزي، الحموي الشافعي[3]، وهو كاتب السر بالديار المصرية رحمه الله، على القطعة التي عملتها من كتابي: «جامع الفتاوى لايضاح بهجة الحاوي «وهو كتاب غريب، مزجت فيه كلام البهجة - على أنه نظم - بكلام الشرح مزجاً، صارا بحيث يظن أن الكلامين متن مستقل، مثل كتاب «الأنوار» للأردبيلي، وهو أكبر عمدى في هذا الشرح:

وقفت متأملاً في محاسن هذا الجامع، متفكراً في فصاحة خطيبه، وما أبدعه فيه من إعجاب الناظر، وإطراب السامع، فألفيته حاوياً لكل حجة، شاملاً للأنوار والبهجة وعلمت تميز مصنفه على أقرانه، وتنبهه على أهل زمانه، أمده الله بالكفاية، وجعل خاتمته بالحسنى وزيادة.

وكتب قاضي القضاة، سعد الدين بن الديري[4]، رحمه الله:

---

(١) يصدق هذا الوصف على كتاب «مصاعد النظر» موضوع دراستنا هذه، فقد حوى في مقدمته على أكثر ما دُوِّن في علوم القرآن.

(٢) ف يد: أنواره.

(٣) ولد بحماة في ١٣ رجب سنة ٨٠٧ ونشأ بها، وسمع بحمص والقاهرة وغيرهما من البلاد، وولي القضاء وكتابة السر بحلب، وحج، وزار بيت المقدس وتوفي في ربيع الثاني سنة ٨٧٥ هجرية.
راجع: الضوء اللامع ١٠/٢٤، إيضاح المكنون ٢/٤٣ معجم المؤلفين ١١/٣٠٨.

(٤) تقدمت ترجمته قريباً ص.

وقفت على تأليفه فألفته ... وألفيته يفتر عن نور بستان
يضوع شذاه عابقاً ناطقاً بما ... تضمن من نثر ونظم لعقبان
دعا بالمعاني فازدلفن تطيعه ... بأيسر إيضاح وأبلغ تبياني
فجازاه رب الخلق من خير ما جزى ... لتحقيق إتقان وتصديق برهان

ولا غرو أن يحتوي هذا الجامع على معاني الحاوي، وأن تنبهج بنضارته البهجة، وأن ينشرح بهذا الشرح البديع كل صدر، وتثلج به كل مهجة، وقد بلغ من أعلام[1] المباني كل قلّة[2]، وحل من بحار المعاني بكل لجة، وحققه البرهان الصادق، فهل تبقى لمعاند من حجة.

وكتبت في سنة سبع وأربعين وأنا في غزوة روس[3] (كتاباً إلى قاضي القضاة ابن حجر،) كتاباً إلى قاضي القضاة شيخ الإسلام، محقق العصر، شمس الدين محمد ابن على القاياتي[4]، رحمهما الله، فأثبت ابن حجر ذلك الكتاب في تاريخه المسمى «إنباء الغمر بأنباء العمر» وافتتحه بقوله:

«وقد شرح لي صاحبنا العلامة إبراهيم الوقعة، فأثبتها في هذا

---

(١) في د: أعلى.

(٢) في المصباح المنير ٧٩٣/٢: قلة الجبل: أعلاه، والجمع قُلَل وقلال أيضاً مثل بُرْمة، وبرم وبرام، وقلة كل شيء: أعلاه.

(٣) قا ل ياقوت في معجم البلدان ٧٨/٣: هي جزيرة ببلاد الروم مقابل الاسكندرية، وكان أهلها يغيرون منها على بلاد مصر.اهـ ـ بتصرف.
وقد غزاها المسلمون مرتين، الأولى سنة ٨٤٦ هـ وهي التي عناها المؤلف وفيها انتصروا وأسروا كثيراً من الأعداء، والثانية كانت سنة ٨٦١ ه وكانت الغلبة فيها للأعداء، كما ذكره صاحب النجوم الزاهرة ٣٦٠/١٥.

(٤) هو أبو عبد الله شمس الدين: محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتي الشافعي، كان محدثاً، فقيهاً، أصولياً، نحوياً، بيانياً، ولد سنة ٧٨٥ هـ، وأخذ عن السراج البلقيني والع بن جماعة، وتولي القضاء بمصر، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٠ هـ، وومن تصانيفه: شرح منهاج الطالبين، في فروع الفقه الشافعي.

التعليق»[1] ولم أنظر تاريخه، ولا علمت بشيء من ذلك، إلا بعد موته، على أنه قلّ أن يكتب فيه «العلامة» لأحد.

أنظر ترجمته للشيخ شهاب الدين الحناوي[2]، وقاضي القضاة شمس الدين الونائي [3] وغيرهما.

وكتب إليّ القاياتي، وهو أعز الناس كتابة، وأعظمهم تثبتاً في أقواله وأفعاله:

«جواب كتابي الشيخ البرهاني، أدام الله بركة علومه على المسلمين، ومن الكتاب ـ والله ـ لقد حصل للعبد غاية (السرور)[4] بورود شرفكم الكريم، وحمدت الله (تعالى)[5] على عافيتكم، ومما يشمل الناس من حسن نظركم، وجميل آرائكم وشفقتكم للعامة، ونصحكم للخاصة، وما فيه مما يلائم هذا».

وكتابه هذا، وكتاب ابن حجر، الذي أجابني به عن كتابي، (ما)[6]

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ٩/ ٢٠٠ /ط الهند سنة ١٩٧٦ حوادث سنة ٨٤٧.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد، بن إبراهيم، الأنصاري الفيشي القاهري المالكي، ويعرف بالحناوي، ولد سنة ٧٦٣ ه بفيشا المنارة إحدى قرى محافظة الغربية بمصر، ثم قدم القاهرة، فطلب العلم على عدد من أفاضلها مثل عز الدين بن جماعة، والشمس الزواوي، والزين العراقي، وتوفي ليلة الجمعة ١٨ جمادي الأولى سنة ٨١٤ ه.
راجع: الضؤ اللامع ٢/ ٦٩ شذرات الذهب ٧ /٢٦٢.

(٣) هو شمس الدين محمد بن اسماعيل بن محمد بن أحمد الونائي، ثم القرافي القاضي، اشتهر بالعلم والفضيلة، وشغل التدريس فترة كبيرة، ثم ولي قضاء دمشق مرتين، وكان مولده في شعبان سنة ٧٨٨ ه، وتوفي في صفر سنة٨٤٩ هـ.
راجع: انباء الغمر ٩/ ٢٤٢ /ط الهند.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) ساقطة من: د.

هما إلا في جملة ما كتبت فيه مسودة كتابي «نظم الدرر» في سورة يونس عليه السلام.

وكتب لي ابن حجر بسؤاله لأمر دعاه إلى ذلك على كتابي «عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران».

«الشيخ الإمام، العلامة (الأوحد)[1]، المتقن المتفنن، الحافظ المحقق».

وكتب على حاشيتي على شرح ألفية الشيخ زين الدين العراقي[2] نحو هذا.

وكتب لي هو وغيره ـ أيضاً ـ على أشياء غير هذا.

منه: ما كتبه العلامة، محقق عصره، الكمال محمد بن الهمام الحنفي[3]، وحاله في ضبط اللفظ والقلم، والمواجهة للملوك وغيرهم بِمُرِّ الحق معروف، على كتاب «الانتصار من المعتدي بالأبصار».

وقفت على ساحل بحر زاخر، إذ وفقت للنظر في هذا المؤلف الباهر،

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) هو زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن إبراهيم الكردي العراقي، المصري الشافعي، كان حافظاً محدثاً، فقيهاً أصولياً، أديباً لغوياً، رحل إلى دمشق وحلب والاسكندرية والحجاز ومن مصنفاته: الألفية في علوم الحديث، نظم الدرر السنية في السيرة الزكية، المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٦ هـ في الثاني من شهر شعبان.
راجع: الضوء اللامع ١٧١/٤، حسن المحاضرة ٢٠٤/١ البدر الطالع ٣٥٤/١.

(٣) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد، بن سعود، القاهري، الحنفي كمال الدين، عالم بالفقه والأصول والتفسير، والفرائض، والحساب، والنحو والصرف، وعلوم الطبيعة، ولد بالاسكندرية سنة ٧٩٠ ه، وقدم القاهرة ورحل الى حلب، وجاور بالحرمين. له «شرح الهداية في الفقه الحنفي» والتحرير في الأصول، وتوفي سنة ٨٦١ هـ.
راجع: البدر الطالع ٢٠١/٢، الضوء اللامع ١٢٧/٨، شذرات الذهب ٢٩٨/٧.

المنتصب على معارضه كالسيف الباتر فلعمري لقد سلك في نظره ـ بعد سبيل الأبرار ـ ما يعجز عنه فحول راسخي النُّظَّار، من دقائق زبد أبكار الأفكار، فاستحق أن يقال فيه على رؤوس الأشهاد إلى يوم التناد:

ولا غرو أن أبدي العجائب ربه   وفي ثوبه بر وفي قلبه بحر

فياليت شعري كيف أكون في سن[1] الشباب، أستحق من هؤلاء الفحول هذه الألقاب، ثم أصبر في سن الشيخوخة إلى اعتراض من لم يكن في ذلك الزمان في عداد من يذكر، ولا هو ـ والله ـ الآن في عداد من يفهم كلامي الذي اعترض عليه، فلقد صدق ـ لعمري ـ القائل:

إذا مضى القرن الذي أنت فيهم   وخلفت في قرن فأنت غريب

وتنقسم[2] الناس بعد ذلك، فمِنْ عارف بمآثري، خالٍ من الحسد، مُتَلٍّ بحلى الدين، فهو مُثْنٍ عليّ بما يعلم، ومن جاهل، فهو مسلّم لأكبر منه، ومن قائل: إني عثرت على شيء غريب لمن تقدمني فنسبته إليّ.

فقلت: من العجب كوني أطلع على شيء من القرآن، لا يعثر غيري على شيء منه.

وأعجب من ذلك: أن يتجدد لي علم ذلك، كلما تجدد من أحد سؤال، أو بدأ في آية إشكال.

وهذا نحو ما قررته في معنى قوله تعالى ـ في سورة هود عليه السلام ـ:

﴿ أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾[3].

---

(١) في د: بر الشباب.

(٢) في م: وتقتسم.

(٣) سورة هود الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

وقلت: فما لي أتعبت نفسي في كتابتي للمسودة من أوله إلى آخر سورة هود على نهج لم يرضني، بعد أن علمت سورة يوسف عليه السلام، حتى احتجت إلى أن كررت على ما مضى فأصلحته، فما كان قريباً من سورة يوسف عليه السلام، كان أقل احتياجاً للإصلاح، وما كان بعيداً كالأعراف وما قبلها، صار تصنيفاً آخر، قاسيت في إصلاحه أكثر من الأمور المبتكرة، وجاء المجلد منه في مجلدين بعد الإصلاح. وهذه مسودته فيها مواضع، من عرف يقرؤها، أشهدت على أن الكتاب له دوني.

وكتابي هذا[1] قد نوهت فيه بالنقل عن جماعة، ما عرفهم المصوبون إلا مني منهم الأستاذ أبو الحسن الحرّالي[2].

والقاعدة التي افتتحت بها كتابي عن الشيخ أبي الفضل المغربي[3] رحمه الله لم يسمعها منه غيري[4].

لو كنت ممَّن يتشيَّع بما لم يعط، لم أنسبها إليه، فإنها أحسن من كل ما في كتابي وهي الأصل الذي أبتني ذلك كله عليه.

ولقد سألني بعض أكابر المغاربة أن أسقط ذكره ليكتب الكتاب، ويرسل به إلى الغرب، قال: لأن المغاربة لا يُقرُّون للشيخ أبي الفضل بما أصفه أنابه فلم أجبه إلى ذلك، وامتنع هو من الكتابة، إلا على ذلك الشرط.

فعلمت أن ذلك حسد منهم للشيخ أبي الفضل رحمه الله، على تقدير

---

(١) يعني: نظم الدرر.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد عبد الصمد، بن حسن، بن عبد المحسن المشدالي، البجائي، المغربي، المالكي، ولد سنة ٨٢٠ هـ وتوفي بعينتاب سنة ٨٦٥ هـ.
راجع: معجم المؤلفين ١١/ ٢٥٩.

(٤) راجع نظم الدر للمؤلف ١/٨ /ط الهند سنة ١٩٦٩ م.

صحته لأن أهل كل بلد يحسدون من بَزَّهم منهم سبقاً، وعلاهم فوقاً، وأعلاهم فضلاً وأعزهم فصاحة ونبلا، ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** ﴾[1]، إنا لله وإنا إليه راجعون.

على أن أكثر المصريين كانوا ـ أيضاً ـ يحسدونه، رحمه الله.

ووالله ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل رأي نفسه.

فلا يعتبْ عليَّ أحدٌ في هذا الكلام، فإنه نفثه مصدور، ورمية معذور، شغله الذباب عن كثير من مقاصده، ونفّر عنه الذباب كثيراً من مصايده، ولقد منع كثيراً من العلماء عن إظهار محاسن أعمالهم، ومعالي أقوالهم وأفعالهم.

نقل الإمام بدر الدين الزركشي، المصري الشافعي[2] في كتابه «البرهان في علوم القرآن» عن القاضي أبي بكر بن العربي[3]، أنه قال في

---

(١) سورة النساء: آية ٥٤.

(٢) هو محمد بن بهادر بن عبد الله، المصري الشافعي، تركي الأصل، ولد عام ٧٤٥ واشتغل بطلب العلم صغيراً، وأخذ عن جمال الدين الانوي، وسراج الدين البلقيني، وعني بالفقه والأصول والحديث، وألف الكثير من الكتب منها: البحر في الأصول، وشرح البخاري ولم يتمه، وتفسير القرآن وصل فيه إلى سورة مريم، وتوفي سنة ٧٩٤ هـ.

راجع: حسن المحاضرة ٢٠٦/١

الدرر الكامنة ١٠٥٩/٣

شذرات الذهب ٣٣٥/٦

(٣) هو أبو بكر محمد بن عبد الله، بن محمد، بن عبد الله، بن أحمد، المعافري الأندلسي، الأشبيلي، المالكي، المعروف بابن العربي، عالم بالحديث، وعلوم القرآن، والفقه والأصول، والأدب والنحو، ولد بأشبيلية سنة٤٦٨ هـ، وتولى بها القضاء، ثم رحل إلى بغداد والقاهرة، ثم رجع إلى الأندلس، وتوفي في ربيع الآخر سنة٥٤٣ هـ وله شرح صحيح الترمذي وغيره.

راجع: وفيات الأعيان ١٦٩/١، تذكرة الحفاظ ٨٦/٤، شذرات الذهب ١٤١/٤ نفح الطيب ٣٣٥/١.

«سراج المريدين»: ارتباط آي القرآن العظيم، بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، منسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا (وبين الله)[1]، رددناه إليه[2].

ومما يصلح إيراده في هذا المضمار، مما يلي من الأشعار، ما قلته في سنة خمسين وثمانمائة، وكنت مرابطاً في ثغر دمياط، فتأملت يوماً أحوالي وأحوال الحسدة، فوجدتها في غاية البعد عن مواقع حسدهم، فإن طلبي غير ما يطلبونه، فلم نتزاحم على مقصد من المقاصد، فانستد تعجبي من أمرهم، فقلت من الطويل الثالث، والقافية متواتر مصمت، مطلق، مرادف:

ألا ربّ شخص قد غدا[3] لي حاسدا ... يرجّى[4] مماتي وهو مثلي فان
ويا ليت شعري أن أمت ما يناله ... وماذا عليه لو أطيل زماني
عدوى قاصٍ عنه ظلمى (آمن)[5] ... من الجور، داني النفع حيث رجاني
وهل لي تراث غير قوس أعدها ... لحرب ذوي كفر، وغير يماني
وما يبتغي الحساد مني وإنني ... لفي شغل عنهم بأعظم شأني
أنكب نفسي عن مخوّف[6] يومها[7] ... لعلي أن أحظى بنيل أماني
نعم، إنني عما قريب لميت ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان[8]

(١) زيادة عن البرهان.
(٢) البرهان ١/٣٦.
(٣) في د: أتى.
(٤) في د: يرجو.
(٥) ساقطة من: د.
(٦) في م: خوف.
(٧) في م: يؤتها.
(٨) تحخكت االدال لضرورة الوزن.

كأنك بي أنعى إليك وعندها ... ترى خيراً صمّت له الأذنان
فلا حسد يبقى لديك[1] ولا قلى ... فتنطق في مدحي بأي معان
وتنظر أوصافي فتعلم أنها ... علت[2] عن مدان في أعز مكان
ويمسي رجال قد تهدم ركنهم ... فمدمعهم لي دائم الهملان
فكم من عزيز (بي)[3] يذل جماحه[4] ... ويطمع فيه ذوشقا وهوان
فيا رب من يفجأ[5] بهول يؤوده[6] ... ولو كنت موجوداً إليه دعاني
ويا رب شخص قد دهته مصيبة ... لها القلب أسى دائم الخفقان
فيطلب من يجلو صداها فلا يرى ... ولو كنت، جلتها يدي ولساني
وكم ظالم نالته مني غضاضة ... لنصرة[7] مظلوم ضعيف جنان
وكم خطة سيمت ذووها معرة[8] ... أعيذت بضرب من يدي وطعان
فإن يرثني من كنت أجمع شمله[9] ... بتشتيت شملي، فالوفا[10] رثاني
وإلا نعاني كل خلق ترفعت ... به هممي عن شائن وبكاني
إلهي كما أوليتنيها تفضلاً ... فأتمم بإيتائي نعيم جنان

وأنه ليعجبني ما حكاه المسعودي[11] في «مروج الذهب» في ترجمة

---

(١) في د: اليك.
(٢) في د: علمت.
(٣) ساقطة من: د.
(٤) في د: جنابه.
(٥) في د: يفىء.
(٦) في د: يورده.
(٧) في د: لنصري.
(٨) في د: خطت سيمت ذروتها.
(٩) في د: جمع.
(١٠) في د: فالوقاد.
(١١) هو ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مؤرخ. صاحب كتاب «مروج الذهب» وكتاب «التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم» وكتاب «المقالات في أصول الدينات». وتوفي بمصر سنة ٣٤٥ في شهر جمادي الآخرة.

المنصور، ثاني الخلفاء العباسيين، أنه قال لمعن بن زائدة الشيباني[1]: ما أسرع الناس إلى قومك بالأذى[2]، فقال: يا أمير المؤمنين:

إن الغرانيق تلقاها محسّدة ... ولن ترى للئام الناس حساداً[3]

الغرانيق: السادة[4]

أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، وأيضاً:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة بأني كامل[5]

وروى الطبراني في الكبير، عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الإسلام ثلاث أبنيات: سفلى، وعليا وغرفة، فأما السفلى: فالإسلام، دخل فيه عامة المسلمين، فلا تسل أحداً منهم إلا قال: أنا مسلم، وأما العليا: فتفاضل أعمال المسلمين، بعضهم أفضل من بعض، وأما الغرفة: فالجهاد في سبيل الله.

هذا، وإن هذا العلم الذي أفاض الله ـ وله الحمد ـ عليّ ـ وأصله:

= راجع: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/١٤١، طبقات الشافعية ٢/٣٠٧، النجوم الزاهرة ٢/٣١٥.

(١) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني، من أشهر أجواد العرب وشجعانهم وكان من الفصحاء المعروفين، عاش في العصرين: الأموي والعباي، ولي إمارة اليمن وسجستان وبها مات مقتولاً سنة ١٥١ هجرية على خلاف بين المؤرخين في سنة وفاته.

راجع: وفيات الأعيان ٢/١٠٨، تاريخ بغداد ١٣/٢٣٥، خزانة الأدب ١/١٨٢.

(٢) في مروج الذهب: ما أسرع الناس إلى حسد قومك؟

(٣) مروج الذهب ٣/٢٩٩.

(٤) وقال في اللسان ١٠/٢٨٧: هي في الأصل: الذكور من الطير، ابن الأنباري: الغرانيق: الذكور من الطير، واحدها غرنيق، سمى به لبياضه. اهـ.

(٥) قائلة أبو الطيب المتنبي. أنظر ديوانه ٣/٢٦٠ بشرح أبي البقاء المكبري ط دار المعرفة، بيروت سنة ١٣٩٧.

بذل الرقة والانكسار، والتضرع والافتقار ـ لأدق العلوم أمراً، وأخفاها سراً، وأعلاها قدراً.

لأنه في الحقيقة، إظهار البلاغة من الكتاب العزيز، وبيان ذلك في كل جملة (من)[1] جمله.

فإن البلاغة ـ كما أطبقوا ـ مناسبة المقال مقتضى الحال.

وهذا الكتاب لبيان الداعي إلى وضع كل جملة في مكانها، وإقامة حجتها في ذلك وبرهانها، لأن هذا العلم ـ على العموم ـ علم تعرف منه علل الترتيب.

وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب.

وثمرته: الاطلاع على المرتبة[2] التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق، الذي هو كلحمة النسب.

فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال.

وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة، المطلوب ذلك فيها.

ونسبته من علم التفسير، نسبة علم المعاني والبيان من النحو، فهو غاية العلوم.

قال الإمام بدر الدين الزركشي[3]: قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وممن أكثر منه: الإمام فخر الدين[4]، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط.

---

(١) ليست بالأصل، ولعل ما كان بالأصل: جملة جملة.

(٢) في د: الذي.

(٣) البرهان للزركشي ١/٣٦.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين =

إلى غير ذلك مما يصلح أن يكون ثناء على كتابي، فيعرف بمقداره، ويوضح بدائع أسراره.

على أن الثناء ممن صنف كتاباً، والتعريف به أول الكتاب، مما ندب إليه الأقدمون، في أنهم يرون تصدير الكتاب بالرؤوس الثمانية، وهي: الغرض، والمنفعة والسمة، ومن أي علم هو، ومرتبته، وقسمته، ونحو التعليم فيه، والمؤلف.

فأما الغرض: فهو الغاية السابقة في الوهم، المتأخرة في الفعل.

وأما المنفعة: فهو ما يحصل به من الفائدة للنفس، ليتشوقه الطبع، على أن الغرض والغاية والمنفعة واحد، بحسب الذات، وإنما تختلف بالاعتبار.

فمن حيث تطلب بالفعل، تسمى غرضاً.

ومن حيث بتأدي إليها الشيء، ويترتب عليها، تسمى غاية.

ومن حيث حصول الفائدة بها، وتشوق الكل إليها بالطبع، تسمى منفعة.

فيصدر الكتاب بذكر غايته، ليعلم طالبه أنه هل يوافق غرضه، أم لا، وتذكر منفعته ليزداد جدًّا ونشاطاً في طلبه.

وأما السمة: فهي العنوان الدال بالإجماع على ما فصّل ثمة، وسواء كان ذلك بحد(١) ، أو برسم(٢) ، تام أو ناقص، أو غير ذلك.

= الرازي: الإمام المفسر، أصله من طبرستان وولد بالري واليها ينسب، ورحل إلى كثير من البلاد منها: خوارزم، وخراسان، وتوفي بهراة سنة ٦٠٦ هجرية. وله كثير من المؤلفات في شتى أنواع العلوم.

راجع: الوفيات ١/٤٧٤، طبقات الشافعية ٥/٣٣.

(١) الحد هو القول الدال على حقيقة الشيء، وهو نوعان:

أ ـ تام: وهو المركب من جنس الحقيقة وفصلها القريبين، كتعريف الانسان بأنه حيوان ناطق.

ب ـ ناقص: وهو ما كان التعريف فيه بالفصل فقط، كتعريف الإنسان بأنه ناطق.

(٢) الرسم قول يعرف به تمييز الشيء عما سواه، وهو تام وناقص: =

وأما من أي علم هو: فهو نوع العلم الموضوع هناك.

وأما مرتبته: فبيان متى يجب أن يقرأ.

وأما قسمته: فهو بيان ترتيب ذلك الكتاب، وفنونه، وجملة مقالاته، وأبوابه وفصوله.

وأما نحو التعليم: فهو بيان الطريق المسملوك فيه لتحصيل الغاية.

وأما نحو المؤلف: فهو واضع الكتاب، ليُعلم قدره، ويوثق به.

على أن السنة المطهرة قد أشارت إلى ذلك، فلسنا ـ والحمد لله ـ متبعين في الحقيقة إلا إياها.

وذلك في كتب النبي ﷺ، حيث قدم اسمه الكريم، فقال: «من محمد»، ولما كان الغرض الانقياد لما يأمر به من تلك الأمور العظيمة وعدم مجاوزة الحد به، كما فعل بعيسى عليه السلام، وصف نفسه الشريفة بما يحتاج إليه في ذلك فقال: «عبد الله ورسوله».

ثم بين الغرض من الكتاب بقوله: أدعوك بدعاية الإسلام.

ثم ذكر المنفعة ترغيباً وترهيباً بقوله: أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك اثم الأديسيين[1].

ثم أشار إلى الإسلام، بأنه التبرؤ من عبادة ما سوى الله، كائناً (من كان) إلى آخر ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة**

= ـ التام: هو المركب من الجنس القريب والخاصة، كتعريف الإنسان بأنه حيوان ضاحك.

ب ـ والناقص: ما كان التعريف فبه بالخاصة فقط، كتعريف الإنسان بأنه ضاحك.

راجع: حد المنطق لابن حزم ص ١٧.

والتفكير المنطقي للدكتور عبد اللطيف محمد العبد ص ٢٥.

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب أو =

. . . .

= يعلمهم الكتاب ٢٣٤/٣، وكتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران ١٦٩/٥ وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم ١٠٧/٢.

و «الأريسيين» قال النووي في شرح مسلم ١٠٩/١٢: واختلفوا في المراد بهم على أقوال، أصحها وأشهرها: أنهم الأكّارون، أي الفلاحون والزَّراعون، ومعناه: أن عليك اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا، لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقياداً فإذا أسلم أسلموا، وإذا امتنع امتنعوا، وهذا القول هو الصحيح وقد جاء به مصرحاً به في رواية رويناها في كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي.

وفي غيره: «فإن عليك إثم الأكارين».

وفي رواية ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال: «والا فلا يحل بين الفلاحين وبين الإسلام».

وفي رواية ابن وهب: واثمهم عليك.

قال أبو عبيد: ليس المراد بالفلاحين الزارعين خاصة، بل المراد بهم: جميع أهل مملكته.

الثاني: أنهم اليهود والنصارى، وهم أتباع عبد الله بن أريس الذي تنسب إليه الأروسية من النصارى، ولهم مقالة في كتب المقالات، ويقال لهم: الأرْوسيون.

الثالث: أنهم الملوك الذين يقودون الناس إلى المذاهب الفاسدة ويأمرونهم بها.

انتهى كلام الإمام النووي رحمه الله تعالى.

وقال ابن الأثير في النهاية ٣٨/١: قد اختلف في هذه اللفظة صيغة ومعنى:

فروى «الأديسَيْنْ» بوزن الكريمَيْنْ. وروى «الأديسين» بوزن الشرِيبِينَ وروى «الأديسِيِّينَ» بوزن العظيميين، وروى بإبدالِ الهمزة ياء مفتوحة في البخاري.

وأما معناها فقال أبو عبيد: هم الخدم والخَوَلُ، يعني لصده إياهم عن الدين، كما قال: «ربَّنا إنا أطعنا سادتنا»، أي عليك مثل اثمهم.

وقال ابن الاعرابي: أدس يأْدس أدساً فهو أديس، وأدّس يؤدّس تأديساً فهو أدّيس. وجمعها أديسون وأدِّيسُون وأدَادِسة، وهم الأكّارون وإنما قال: ذلك لأن الأكّارين كانوا عندهم من الفرس، وهم عبدة النار، فجعل عليه اثمهم.

وقال أبو عبيد في كتاب الأموال: أصحاب الحديث يقولون: «الأديسيين» منسوباً مجموعاً، والصحيح: الأديسين، يعني بغير نسب، ورده الطحاوي عليه، وقال=

سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله (١).

ثم .نبه على أن ذلك هو الإسلام بقوله: ﴿ فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾.

فإن تولوا، فقولوا، بل نحن لا نتولى، بل اشتهدوا بأنا فاعلون لما أمرنا به في هذه الآية، فنكون بذلك مسلمين.

وإذ قد عرف أن ما ذكرته من الثناء على (كتابي) وغيره سنة قديمة، جاء شرعنا بتحسينها، عرف أنه حسن، لا سيما مع ما دعا إليه، وحمل عليه، فإنه ليس في قوة كل أحد أن يعرف الرجال بالحق، بل أكثرهم إنما يعرف الحق بالرجال فهو كالبهيمة التي لا تعرف إلا ما شخص لها من الأجرام، وتَبَدَّى لبصرها من الأجسام.

وإلا، فكتبي ـ ولا سيما «نظم الدرر» الذي هذا الكلام بسببه ـ لا تحوجني إلى ثناء أحد عند العالم المنصف، وقليل ما هي، بل وكذا سائر أفعالي وأحوالي عند من تضلع بعلم السنة، وتطبع بطباع الصحابة، وأين ذلك حيَّاه الله وبَيَّاه (٢)، وأنعشه بروح المعرفة وأحياه.

= بعضهم: إن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأدوسية، فجاء على النسب إليهم. وقيل: إنهم أتباع عبد الله بن أديس ـ رجل كان في الزمن الأول ـ قتلوا نبياً بعثه الله إليهم.
وقيل: الأدّيسون: الملوك، واحدهم أدّيس.
وقيل: هم العشارون.
انتهى كلام صاحب النهاية.
وهذا الكلام في جملته لا يخرج عن كونهم رعايا الأمة التابعين لملوكهم وأمرائهم كالزراع والعمال ونحوهم.

(١) سورة آل عمران آية ٦٤.

(٢) قيل: أصله: بَوَّأك ـ مهموزاً ـ فخفف وقلب، أي أسكنك منزلاً في الجنة وهيأك له.
وقيل: عجل لك ما تحب.
راجع: النهاية ١/١٧٦، مختار الصحاح ص ٧٣.

وكان مما قال بعضهم في كتابي: إنه لا حاجة إليه، ولا معوَّل عليه.

على أنه قائم بما لولاه لا فتضح أكثرهم، لو وافقه في القرآن مناظر، وحاوره في كثير من الجمل من أهل الملل محاور، في مكان يأمن فيه الحيف، ولا تخشى سطوة السيف، لو قال: أنتم قلتم: إن القرآن معجز، وكذا آية مستقلة توازي الكوثر التي هي أقصر سورة، فما قال في قوله تعالى: ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب كُلًّا هدينا ونوحاً هدينا من قبل، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين. وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا، وكلاً فضلنا على العالمين** ﴾ (١).

فهذه الآيات بمقدار الكوثر، نحو أربع مرات.

إن قلت: إن المعجز مطلق نظمها بهذه الألفاظ، فأنا أرتب من فيها غير هذا الترتيب.

وإن قلتم: إنه أمر يخص هذا النظم على ما هو عليه من الترتيب فبينوه، لحيَّرهم.

ومثل ذلك سواء قوله: ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوداً زبوراً، ورُسلاً قد قصصناهم عليك من قبلُ ورسلاً لم نقصصهم عليك وكَلَّم الله موسى تكليماً** ﴾ (٢).

وأوضح من ذلك قوله تعالى في سورة (ص): ﴿ **كَذَّبَتْ قبلَهم قومُ نوح**

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٤ ـ ٨٦.

(٢) سورة النساء آية ١٦٣ ـ ١٦٤.

وعادٌ وفرعونُ ذو الأوتاد، وثمودُ وقوم لوط وأثحابُ الأيكة أولئك الأحزاب إن كُلٌّ إلا كَذَّبَ الرسلَ فحق عقاب ﴾[١].

وفي سورة ـ ق ـ : ﴿ كذبت قبلَهم قومُ نوح وأصحابُ الرَّسِّ وثمودُ، وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لوطٍ، وأصحابُ الأيكة وقومُ تُبَّع كُلٌّ كذَّبَ الرسلَ فحَقَّ وعيدِ ﴾[٢].

فتغاير النظمان، وزاد أحدهما.

فلو أن أحدًّاً رتبهم على ترتيبهم في الوجود، وختم ما في سورة ص بالخالي من التأكيد، كان الإعجاز باقياً، أم لا.

وعلى كل تقدير يختار، يلزم إشكال، إذا ترتل كتابي زاح، وزهق باطله وطاح وبغيره يعسر زواله، ويتعذر إبطاله[٣].

ولقد أخبرني بعض الأفاضل: أن شخصاً من اليهود لقيه خالياً، فقال له: ماذا قال نبيكم في الروح؟. فقال له: أنزل الله عليه فيها قوله تعالى: ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الرُوح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾[٤].

فقال له مستهزئاً: بيان مليح هذا.

قال: فأبهتني ثم تركني وانصرف، وقد بلغ من نكايتي مالا يعلمه إلا الله، وما دريت ما أجيبه.

ولو كان يعرف ما بينه فيها كتابي هذا، الذي صَوَّبُوا إليه من الغض،

---

(١) سورة ص آية ١٢ ـ ١٤.
(٢) سورة ق آية ١٢ ـ ١٤.
(٣) راجع نظم الدرر.
(٤) سورة الاسراء آية ٨٥.

ما يكاد الحبل منه يرفَضُ، غيظاً وينقض، لأخزاه وأخجله، ونكَّس رأسه وجهَّله.

ولما كان ذلك الذي جلبته إليك، وجلوته عليك، مما هو في الغرابة كأنه منام، بل أضغاث أحلام، عملت هذا الكتاب الذي مُحَصَّله: أن من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها.

فقد تضمن إبرازه مع ما أفاده بالقصد الأول شحذ الأذهان، ومعاناة لمن استولت عليهم النسوان، وأكثروا لهم من الطعم والدهان، ليعلموا أن العلم من عزة المرام، وعظمة المقام، بحيث لا يهون أبداً، كما أنه قَطُّ ما هَانَ، فيرجعوا عن الفجور والزور والبهتان، فليفتحوا طريق سورة من السور، وإن كانت في غاية الوجازة والقصر فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه، على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه.

وهكذا في دليل الدليل، وهلم جراً.

فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لا حم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها.

مثاله: مقصود سورة البقرة: وصف الكتاب المذكور أولها بصريح اسمه، الناظر بأصل مدلوله، إلى جمعه لكل خير، المشير بوصفه إلى ما في آخر الفاتحة من سؤال الهداية، والإبعاد من طريق الضلال، ثم بوصفه في قوله: ﴿ **بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** ﴾[1]، المنوِّه آخرها بالذين آمنوا به في قوله: ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه** ﴾[2] إلى آخره.

وذلك هو عين أولها، لكونها تعييناً لرؤوس مَنْ شمله وصف التقوى في فاتحتها وذلك بعد تحقيق قوله: «هـدى» (٣) بما بـيَّن من دعائم الإسـلام الخمس، ضمن محاجة أهل الكتاب، بما تكفل بالدلالة على أكثر مقاصد القرآن، وأعرب عما لزمته البلاغة مما جر إليه الصيام من الأكل والشرب، ببيان المآكل والمشارب، وما يحل النكاح وما يحرمه وما يتبع ذلك على تلك الوجوه الحسان، والأساليب التي علت في رتب البيان على الجوزاء والميزان، فلا لاحِقٌ، ولا مُدانٍ.

وذكر تعالى في أولها أضداد مَنْ آمن به، دليلاً على صحة الدعوى في نسبة معناه إليه سبحانه، وذلك بالتعجيز لهم فيما حكم به من وصفهم، وألزمهم من كفرهم، فلم يقدروا على التكذيب بالتقصي عنه، والبعد منه.

فلما ثبتت قدرته، واتضحت جلالته وعظمته، في أنه لا نِدَّ له ولا مكافىء، ولا عديل ولا منافي، رجع إلى الكتاب، فبين صحة الدعوى في نظمه، كما بينها في معناه فقال: ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا** ﴾[4]. ثم هددهم على الإصرار بعد البيان ومر فيما ناسب ذلك ولاَ حَمَةٌ، واتصل به ولاَءَمَه، مما تكفل ببيانه أصل هذا الكتاب آية آية، بل جملة

---

(١) سورة البقرة آية ٤.
(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥.
(٣) سورة البقرة آية ٢.
(٤) سورة البقرة آية ٢٣.

جملة، وفي كثير من الأماكن كلمة كلمة، إلى أن قال: ﴿ **فإمّا يأتينّكم مني هدى** ﴾[1].

فرجع إليه بإنذاره بني إسرائيل فقال: ﴿ **وامنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم** ﴾[2] واستمر هكذا يدل على نبل مقصود السورة، وما احتيج إلى الدلالة عليه من تلك المقدمات.

ثم يرجع إلى أمر الكتاب، وبيان ماله من الشرف والصواب، مرة بعد مرة، وكرة في إثر وكرة، حتى عرف أنه مقصودها، وسر معانيها وعمودها، إلى أن قال: ﴿ **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين** ﴾[3]. ثم شرع يدل على كونه ﷺ، ويندب إلى الانفاق على جهاد أعدائه يوم الفصل.

ولما ذكر النفقة التي جعلها وصفاً لمن هداه الكتاب، فحذر مَنْ تَرَكَها مِنْ تَرْكِها باليوم الموعود، ووصف الملك الحاكم في ذلك اليوم، وقرر أمر الرجوع إليه، وأعاد ذكر النفقة في سياق النبات الذي هو أدل شيء على بعث الأموات لذلك اليوم وختم بصفة العلم في قوله تعالى: ﴿ **والله واسع عليم** ﴾[4]، كان ذلك مَحَزّاً بديع الإشكال لذكر الكتاب، فعبر بما يشمله، ويشمل كل ما دعا إليه، وحث عليه من النفقات وغيرها فقال: ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء** ﴾[5].

واستمر في النفقات، وما جَرَّ إليه ذكرها، من إخلاصها من شوائب الخبث ودل على بعض الآداب في تلك.

---

(١) سورة البقرة آية ٣٨.
(٢) سورة البقرة آية ٤١.
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٢.
(٤) سورة البقرة آية ١١٥.
(٥) سورة البقرة آية ٢٦٩.

وختم بعد صفة العلم بصفة القدرة، فقال: ﴿ إن الله على كل شيء قدير﴾[١]. فختم بما به بدأ، حيث قال بعد أمثال المنافقين: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾[٢].

ثم أخبر بأن خلص عباده آمنوا بما دعا إليه عموم الناس عند الآية الأولى من قوله: ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾[٣]، وما تبع ذلك فقال: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾[٤] إلى آخرها.

فكان آخرها نتيجة أولها.

ولأجل اختلاف مقاصد السور، تتغير نظوم القصص وألفاظها، بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك المقصد.

مثال: مقصود سورة آل عمران: التوحيد.

ومقصود صورة مريم عليها السلام: شمول الرحمة.

فبدئت آل عمران بالتوحيد، وختمت بما بني عليه من الصبر، وما معه مما أعظمه التقوى، وكرر ذكر الاسم الأعظم الدال على الذات، الجامع لجميع الصفات، فيها تكريراً لم يكرر في مريم[٥]

فقال في قصة زكريا عليه السلام: ﴿ كذلكَ الله يفعل ما يشاء ﴾[٦].

وقال في مريم: ﴿ كذلكَ قال ربُّكَ هو عليَّ هيِّنٌ، وقد خلقتُك من قبلُ ولم تَكُ شيئاً ﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٨.

(٢) سورة البقرة آية ٢٠.

(٣) سورة البقرة آية ٢١.

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٥) تكرر في سورة آل عمران ٢٠٣ مرات، وفي سورة مريم ٧ مرات.

(٦) سورة آل عمران آية ٤٠.

(٧) آية ٩.

وقال في آل عمران في قصة مريم عليها السلام: ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه ـ إلى أن قال: كـذلك الله يخلق مـا يشاء** ﴾[١].

وفي مريم: ﴿ **قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنتَ تقيّاً، قال: إنما أنا رسولُ ربكِ لأهبَ لكِ غلاماً زكياً، قالت أنَّى يكونُ لي غلامٌ ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيّاً، قال كذلكِ قال ربكِ هو عليَّ هيِّنٌ** ﴾[٢].

وغير ذلك، بعد أن افتتح السورة بذكر الرحمة لعبد من خُلَّص عباده، وختمها بأن كل من كان على نهجه في الخضوع لله يجعل له وُدّاً، وأنه سبحانه يَسَّرَ هذا الذكر بلسان أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، وأجملهم كلاماً، وأحلاهم نطقاً.

وكرر الوصف بالرحمن ـ وما يقرب منه من صفات الإحسان من الأسماء الحسنى ـ في أثناء السورة تكريراً يلائم مقصودها، ويثبت قاعدتها وعمودها.

فسبحان من هذا كلامُه، وعز شأنه، وعلا مرامه.

هذا يسير من إجمال ما فصله كتاب نُظم الدرر، وحصَّله من أفانين البلاغة والسور.

فذلك البحر الخضم، والطود العالي الأشم، فمن أراد التبحر في هذا الفن فليربط نظره، وليحط بفنائه همه، ويقف بأرجائه فكرهُ، والله الهادي.

وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا، بما في سليقتهم من أفـانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابـة كغيره من الفنون.

---

(١) آية ٤٥ ـ ٤٧.
(٢) آية ١٨ ـ ٢١.

قال أبو عبيد في كتاب «الفضائل»: حدثنا معاذ، عن عوف، عن عبد الله بن مسلم ابن يسار، عن أبيه قال: إذا حدَّثت عن الله حديثاً، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده.

وروى عبد الرزاق عن ابن عيينة، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا، فليسله عما قبلها[1].

يريد ـ والله أعلم ـ: أن ما قبلها يدله على تحرير لفظها، بما تدعو إليه المناسبة.

وروى الحارث بن أبي أسامة[2]، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه حدَّث: أن قوماً يدخلون النار ثم يخرجون منها، فقال له القوم: أو ليس الله تعالى يقول: ﴿ **يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾[3]؟ فقال لهم أبو سعيد رضي الله عنه: اقرأوا ما فوقها: ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثلَه معه ليفتدوا به من عذابِ يوم القيامة ما تُقُبِّلَ منهم ولهم عذاب أليم، يريدون أن يخرجوا... الآية** ﴾[4].

---

(١) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه ٣/٣٦٥ حديث رقم ٥٩٨٨.

(٢) هوأبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة، التميمي البغدادي، الحافظ صاحب المسند. ولد سنة ١٨٦ ه، سمع يزيد بن هارون، وعلي بن عاصم، وروح ابن عبادة وكثيرين، وأخذ عنه خلق عظيم منهم: أبو جعفر الطب ي، وأبو بكر الشافعي. وتوفي في يوم عرفة سنة ٢٨٢ ه عن سبع وتسعين سنة.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/١٧٥، شذرات الذهب ٢/١٧٨، ميزان الاعتدال ١/٢٠٥.

(٣) سورة المائدة آية ٣٧.

(٤) سورة المائدة آية ٣٦.

وفي التفسير: أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿ **فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم** ﴾[1]، فأبدله القارىء بأن قال: غفور رحيم.

فقال الأعرابي ـ ولم يكن قرأ القرآن ـ : إن كان هذا كلام الله هكذا، إن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه.

إذا تقرر ذلك، فتعريف هذا العلم، اسم هذا الكتاب المصنَّف فيه.

فهو: علم يعرف منه مقاصد السور.

وموضوعه آيات السور، كل سورة على حيالها.

وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة.

ومنفعته: التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير.

ونوعه: التفسير، ورتبته: أوله.

فيشتغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له، من حيث أنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً.

وأقسامه: السور.

وطريقة السلوك في تحصيله: جمع جميع فنون العلم.

وأقل ما يكفي من كل علم مقدمة تعرف باصطلاح أهله، وما لا بد من مقاصده ولا سيما علم السنة، فكلما توغل الإنسان فيه، عظم حظه من هذا العلم، وكلما نقص، نقص.

فلذلك أذكر كثيراً من فضائل القرآن، ولا سيما ماله تعلق بفضائل السور، ليكون معيناً على المقصود، وأذكر كون السورة مكية، أو مدنية، لأن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٩.

نسبتها إلى محل النزول من جملة صفاتها، وعدد آياتها من كمال التعريف بذاتها.

فلأجل هذا (ذكرت)[1] ذلك، موضحاً ما فيه من اختلاف العادين من أهل الممالك، والله المستعان.

---

(١) ساقطة من: د.

سورة الفاتحة

قال النووي[1] في «التبيان»: في السورة لغتان: الهمز، وتركه. والترك أفصح وهو الذي جاء به القرآن، وممن ذكر اللغتين ابن قتيبة[2] في «غريب الحديث». انتهى[3].

---

(۱) قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٠: الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامي الحوراني الشافعي صاحب التصانيف النافعة. اهـ. ولد في المحرم سنة ٦٣١ هـ، وتوفي بنوى في شهر رجب سنة ٦٧٦ هـ؟.

(٢) هوأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِيْنُوري، كان عالماً في اللغة والأدب والنحو والشرع والحديث والتفسير، وكان ثقة دَيِّناً فاضلاً، ولد في بغداد، واشتغل بالتدريس، وله كثير من المصنفات الحسان، مثل: عيون الأخبار والمعارف، وتأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث. توفي سنة ٢٧٦ هجرية، وقيل سنة ٢٧٠ هـ.

(٣) التبيان ص ١١٨.

وقال الزركشي في البرهان ١/٢٦٣: قال القنبيي: السورة تهمز، ولا تهمز فمن همـزت جعلها من أسأرت، أي أفضلت من السؤر وهو ما بقي من الشراب في =

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مكية.

قال الأصفهاني: وهو قول قتادة(١)، وأبي العالية(٢)، وعليه أكثر العلماء.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه، ومجاهد، وعطاء: مدنية.

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن إبليس رَنَّ حين أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة.

ومثل هذا لا يقال بالرأي، فله حكم الرفع.

قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح(٣).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة، من كنز تحت العرش.

وفي البخاري في حديث أبي سعيد بن المُعَلَّى رضي الله عنه: أن أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم(٤).

= الإناء، كأنها قطعة من القرآن.

ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم، وسهل همزتها.

(١) هو قتادة بن دُعَامة بن عزيز بن عمرو، أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ، وكان ضريراً، يضرب به المثل في الحفظ. قال الإمام أحمد: كان أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث رأساً في الغريب والعربية وأيام العرب ١٠ هـ. توفي سنة ١١٧ هجرية، وقيل: سنة ١١٨ هـ.

(٢) هو رفيع بن مهران البصري الرياحي، من كبار التابعين، أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، ودخل على أبي بكر، وصلى خلف عمر قال الطبري: هو ثقة مجمع على توثيقه، روى له البخاري ومسلم، مات سنة تسعين هجرية، وقيل: سنة ٩٦ هـ.

راجع: النهاية في طبقات القراء ١/٢٨٤، شذرات الذهب ١/١٠٢ تذكرة الحفاظ ١/٦١، وطبقات القراء للذهبي ١/٤٩.

(٣) مجمع الزوائد ٦/٣١١.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ما جاء في تفسير سورة الفاتحة ٦/٢١ وباب تفسير سورة الحجر ٦/١٠٢.

وسورة الحِجْر مكية بالاتفاق.

وقال ابن إسحاق[1] في سيرته: حدثنا يونس، عن يونس بن عمرو، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ـ هو الهمداني الكوفي، ثقة: أن رسول الله ﷺ قال: لخديجة رضي الله عنها: إني إذا خلوت وحدي، أسمع نداء، وقد ـ والله ـ خشيت أن يكون هذا أمراً، فقالت: معاذ الله، ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر رضي الله عنه، وليس رسول الله ﷺ ثَمَّ، ذكرت خديجة حديثه له، فقالت: اذهب يا عتيق مع محمد إلى ورقة[2]، فلما دخل رسول الله ﷺ، أخذ أبو بكر بيده، فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة فانطلقا إليه، فقصا عليه، فقال: إذا خلوتُ وحدي، سمعتُ نداء خلفي: يا محمد يا محمد، فأنطلق هارباً في الأرض، فقال له: لا تفعل، إذا أتاك فأثبت حتى تسمع ما يقول: ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا،

---

(١) ابن اسحاق هو: أبو بكر ـ وقيل: أبو عبد الله ـ محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة، المعروفة بسيرة ابن هشام، توفي سنة ١٥١ هجرية على المشهور. قال عنه ابن خلكان: كان ثبتا في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير، فلا تجهل إمامته فيها.

راجع: وفيات الأعيان ٦١٢/٤، تاريخ بغداد ٢١٤/١، ميزان الاعتدال ٤٦٨/٣، تذكرة الحفاظ ١٧٢/١.

(٢) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى، كان ممن اعتزل عبادة الأصنام في الجاهلية، وطلب الدين، وقرأ الكتب السماوية السابقة وامتنع عن أكل ذبائح الأوثان، وكان يتعبد على ملة ابراهيم عليه السلام، وكان يدعو إلى التوحيد، وهو القائل:

لتعبدوا إلهاً غير خالقكم ... فإن دعوكم فقولوا بيننا حُدَدُ
سبحان ذي العرش سبحاناً نعوذ به ... وقبل قد سبح الجودى والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له ... لا ينبغي أن يناوىء ملكه أحد
لا شي مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودي المال والولد

راجع: الأغاني ١١٩/٣، سيرة ابن كثير ٢٧٠/١، بشائر النبوة الخاتمة ص ٥٦.

ناداه: يا محمد، قل بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين» حتى بلغ: «الضالين». قل: لا إله إلا الله.

فأتى ورقة فذكر له ذلك، فقال (له)[1] ورقة: أبشر، ثم أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بَشَّر به ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل، فإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك، فلما توفي ورقة، قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت القسّ في الجنة عليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي وصدقني»، يعني: ورقة. انتهى[2].

وعندي: أنها نزلت مرتين، من كل من البلدين مرة، فإن ذلك لائق بجلالها وعظمتها، ومناسب لتسميتها بالمثاني، فهي مكية مدنية معاً وبه قال بعض العلماء[3]، حكاه الأصفهاني.

---

(١) زيادة عن دلائل النبوة.

(٢) قال البيهقي في دلائل النبوة ٤١٣/١: فهذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه «اقرأ باسم ربك» و «يا أيها المدثر».

(٣) يضاف إلى ذلك ما قاله القرطبي في التذكار، قال ـ رحمه الله ـ قول مجاهد: وأنزلت بالمدينة، فقد روى ذلك عن أبي هريرة وعطاء بن يسار والزهري.

وقيل نزلت بمكة، قال ابن عباس وقتادة وأبو العالية، وهو أصح، لقوله تعالى: «ولقد أتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم».

والحجر مكية بإجماع، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ أنه كان في الإسلام صلاة قط بغير «الحمد لله رب العالمين».

وفي صحيح مسلم ابن عباس قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب في السماء فتح، ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه مَلَكٌ، فقال: هذا ملَك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته.

فهذا الحديث يدل على أنها مدينة، وأن جبريل لم ينزل بها، وليس كذلك بل نزل بها جبريل عليه السلام بمكة لقوله تعالى: «نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المرسلين». وهذا يقتضي جميع القرآن، فيكون جبريل عليه السلام نزل بتلاوتها بمكة، ونزل الملك بفضلها وثوابها بالمدينة، فتتفق الآثار. اهـ.

وحكى أبو الليث السمرقندي[١]: أنه نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة.

ضابط المكي والمدني

وكل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي.

وكل ما نزل بعدها فهو مدني، ولو كان النبي ﷺ وقت نزوله في بلد أخرى[٢].

قال الإمام برهان الدين الجعبري[٣]، المقرىء الشافعي، في كتابه «حسن المدد في معرفة العدد»: ولمعرفته طريقان: سماعي، وقياسي.

فالسماعي: ما وصل إلينا نزوله بإحداهما[٤].

والقياسي: قال علقمة عن عبدالله: كل سورة فيها «يا أيها الناس» فقط، بخلاف الحج، أو «كَلَّا» أو أولها حرف تَهَجٍّ، سوى الزهراوين، والرعد في وجه، أو فيها قصة آدم عليه السلام، وإبليس أعاذنا الله منه - سوى الطولي - فهي مكية.

وكل سورة فيها «يا أيها الذين آمنوا» فقط، أو ذكر المنافقين فهي مدنية.

---

(١) هو أبو الليث أحمد بن عمر السمرقندي، الحنفي، فقيه له كثير من المصنفات، مات ببغداد سنة ٥٥٢ هجرية بعد عودته من أداء فريضة الحج.
راجع: النجوم الزاهرة ٥/٣٢٦
معجم المؤلفين ٢/٣٢.

(٢) راجع البرهان للزركشي ١/١٨٧ وما بعدها. والاتقان للسيوطي ١/١٢.

(٣) هو الإمام إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس أبو محمد الرَّبْعي الجعبري السلفي - بفتحتين نسبة إلى طريقة السلف، وهو من المحققين الثقات، شرح الشاطبية والرائية، وله كثير من المصنفات في مختلف العلوم، ولد رحمه الله سنة ٦٤٠ هـ بربض قلعة جعبر، وقرأ للسبعة وللعشرة، واستوطن بلد الخليل حتى توفي في شهر رمضان سنة ٧٣٢ هـ.
راجع: الطبقات ١/٢١ ترجمة ٨٤.

(٤) أي بمكة أو بالمدينة.

وقال هشام بن عروة عن أبيه: كل سورة فيها قصص الأنبياء، والأمم الخالية والعذاب، فهي مكية.

وكل سورة فيها فريضة، أو حد، مدنية.

رواه أبو داود عن عروة فقال: حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: ما كان من حد، أو فريضة، فإنه أنزل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والعذاب، فإنه أنزل بمكة[١].

وروى الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نزل المفصل بمكة فمكثنا حججاً نقرأ، لا ينزل غيره.

قال الهيثمي: وفيه خديج بن معاوية، وثقة أحمد وغيه، وضعفه جماعة[٢].

ولم يأت ما نزل في شيء من البلدين مرتباً في نسق واحد، لأن ترتيب النزول كان باعتبار الحاجة والوقائع، ثم نسخه ترتيب المصحف العثماني المنقول من المصحف التي استنسخها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، المنقول من الرقاع المكتوبة بين يدي سيدنا رسول الله ﷺ بأمره، وعلى حسب ما أمر بترتيبه كما أمره الله به سبحانه، حيث ك كان يقول ـ أذا أنزلت عليه الآية ـ: ضعوها في سورة كذا بين آية كذا، والتي قبلها.

قال الإمام الفراء أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني[٣] في كتابه: «البيان عن اختلاف أئمة أهل الأمصار واتفاقهم في عدد آي القرآن».

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٢٣/١٠ حديث رقم ١٠١٩٨، والداني في البيان ورقة ٤٥ ب.

(٢) مجمع الزوائد ١٥٧/٧.

(٣) هو الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الداني، الأموي القرطبي، قال ابن الجزري: الإمام العلامة، الحافظ، أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين. اهـ. توفي سنة ٤٤٤ هـ وشيعه جمع عظيم.

حدثنا فارس بن أحمد، فا احمد بن[1]... بنا أحمد بن عثمان. بنا الفضلابن شاذان، بنا ابراهيم بن موسى، أنا يزيد بن زُرَيْع[2]، بنا سعيد، عن قتادة قال: المدني: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرعد، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا[3]، وأنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ويا أيها النبي لم تحرم، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر، ولم يكن الذين كفروا، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله والفتح، مدني، وما بقي مكي.

وذكر أن من أول النحل إلى ذكره الهجرة مكي[4]، وسائر ذلك مدني.

وذكر أن أول[5] «ألم أحسب الناس» إلى قوله: «وليعلمن المنافقين»[6] مدني وسائرها مكي.

وذكر أن[7] الآيتين اللتين في إبراهيم: «ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله» إلى قوله: «وبئس القرار»[8] مدني، وسائرها مكي.

﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ﴾ إلى هذه الآية: **﴿ حتى يأتي وعد الله ﴾**[9] مدني، وسائرها مكي.

---

(١) هكذا بالأصل.

(٢) بتقديم الزاي المعجمة على الراء المهملة مصغراً، كذا ضبطه الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/٢٦٤.

(٣) سورة محمد.

(٤) الآية ٤١ وهي قوله تعالى: «والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون».

(٥) هي سورة العنكبوت.

(٦) الآيات ١ ـ ١١.

(٧) في د: أن أول الآيتين.

(٨) الآيتان ٢٨ ـ ٢٩.

(٩) سورة الرعد: آية ٣١، وهكذا أورد المؤلف تلك الآية ولم يشر الى سورتها.

وذكر في الأعراف (وهذه الآية)[1]: ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر** ﴾[2] مدنية.

وفي الحج: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته» إلى قوله: «أو يأتيهم عذاب يوم عقيم» مكي[3].

حدثنا فارس بن أحمد، ثنا أحمد بن محمد، نا أحمد بن عثمان، نا الفضل نا أحمد بن يزيد، نا أبو كامل فضيل بن حُصَيْن ثنا حسَّان بن إبراهيم، نا أمية الأزدي، عن جابر بن زيد قال: أنزل على النبي ﷺ من القرآن أول ما أنزل بمكة: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، ثم ن والقلم، ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر، ثم تَبَّتْ يدا أبي لهب، ثم إذا الشمس كُوِّرت، ثم سبِّح اسمَ ربِّك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك الكوثر، ثم ألهاكم التكاثر، ثم أرأيت الذي كُذِّب بالدين، ثم قل يا أيها الكافرون، ثم ألم تر كيف فعل ربك، ثم قل أعوذ برب الفلق، ثم قل أعوذ برب الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنَّجْم إذا هوى، ثم عبس وتولى، ثم إنا أنزلناه، ثم والشمس وضحاها، ثم والسماء ذات البروج، ثم والتين والزيتون، ثم لإيلاف قريش، ثم القارعة، ثم لا أقسم بيوم القيامة، ثم الهُمَزَة، ثم المرسلات، ثم ق والقرآن، ثم لا أقسم بهذا البلد، ثم والسماء والطارق، ثم اقتربت الساعة، ثم ص والقرآن، ثم الأعراف، ثم الجن ثم يس، ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم كهيعص، ثم طه، ثم الواقعة، ثم طسم الشعراء، ثم طس النمل، ثم طسم القصص، ثم بني إسرائيل، ثم التاسعة - يعني يونس - ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم والصافات ثم لقمان، ثم سبأ، ثم الزمر، ثم حم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم حم

(١) زيادة عن: م.

(٢) آية ١٦٣.

(٣) وراجع: البيان للداني. ورقة ٤٦.

الزخرف ثم حم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم والذاريات، ثم هل أتاك حديث الغاشية، ثم الكهف، ثم حم عسق، ثم إبراهيم، ثم الأنبياء، ثم النحل أربعين آية[١]، وبقيتها بالمدينة، ثم تنزيل السجدة، ثم إنا أرسلنا، ثم والطور، ثم المؤمنون، ثم تبارك الذي بيده الملك، ثم الحاقة، ثم سأل سائل، ثم عم يتساءلون ثم والنازعات، ثم إذا السماء انفطرت، ثم إذا السماء انشقت، ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم ويل للمطففين.

فذلك ما أنزل عليه ﷺ بمكة، خمس وثمانون سورة إلا من سورة النحل، فإنه نزل بمكة أربعون آية، وبقيتها بالمدينة[٢].

وما أنزل بالمدينة، ثمان وعشرون سورة، سوى سويرة النحل، فإنه أنزل بمكة من سورة النحل أربعون آية، وبقيتها بالمدينة.

وأنزل عليه بعد ما قدم المدينة: سورة البقرة، ثم آل عمران، ثم الأنفال ثم الأحزاب، ثم المائدة، ثم المُمْتَحَنَة، ثم النساء، ثم إذا زلزلت، ثم الحديد ثم سورة محمد، ثم الرعد، ثم الرحمن، ثم هل أتى على الإنسان، ثم سورة النساء القصرى[٣]، ثم لم يكن الذين كفروا، ثم الحشر، ثم إذا جاء نصر الله والفتح، ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم يا أيها النبي لم تحرم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم سبح الحواريون[٤]، ثم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ثم التوبة، خاتمة القرآن[٥].

فذلك ثمان وعشرون سورة.

---

(١) الى آخر قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء أذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾.

(٢) البيان ورقة ٤٦.

(٣) هي سورة الطلاق.

(٤) هي سورة الصف.

(٥) سميت خاتمة القرآن لاشتمالها على آخر الآيات نزولاً، وهي قوله: فإن تولوا فقل حسبي الله... الخ. كما سيذكره المؤلف بعيد قليل، ولكن على خلاف واسع وطويل في تحديد آخر الآيات أو السور نزولاً.

وآخر آية أنزلت[1]: ﴿ **فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** ﴾[2].

هكذا عد المطففين في المكي، وسيأتي ما يرده.

وقال البيهقي[3] في دلائل النبوة: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ[4]، أخبرني أبو محمد زياد العبدلي[5]، ثنا محمد بن اسحاق، نا يعقوب بن ابراهيم الدَّوْرَقِي نا أحمد بن نصر بن مالك الفراحي، نا علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، حدثني يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قال: (أول)[6] ما أنزل الله من القرآن بمكة: «اقرأ باسم ربك الذي خلق».

فذكره على ترتيبه، غير أنهعطف الكل بالواو، لا بثم.

ولما قال: حم المؤمن، خالف الترتيب، فقال: حم الدخان، وحم السجدة وحم عسق، وحم الزخرف، والجاثية، والأحقاف، والذاريات، والغاشية، وأصحاب الكهف، والنحل، ونوح، وإبراهيم، والأنبياء، والمؤمنون، وألم السجدة، والطور وتبارك الذي بيده الملك، والحاقة، وسأل سائل، وعم يتساءلون، والنازعات، وإذا السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت، والروم والعنكبوت.

---

(١) في د: نزلت.

(٢) سورة التوبة آية ١٢٩.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي، نسبة إلى بيهق، إحدى قرى نيسابور. ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. وكان في الحديث واسع الحفظ، وافر المحصول، وله: السنن الكبرى، والسنن الصغرى، ودلائل النبوة، وشعب الإيمان، والأسماء والصفات، وكانت في شعبان ٤٥٨ هـ ودفن في بيهق مسقط رأسه.

(٤) في م: العدل.

(٥) في م: الخزاعي.

(٦) ساقطة من: م وزدناها من د.

وقال: وما أنزل بالمدينة: ويل للمطففين، والبقرة.

فساقه كما رتب في رواية أبي عمرو، ولم[1] يخالفه إلا في ذكر المطففين فيما نزل بالمدينة، كما هو أقرب وأصوب.

وقد ورد به حديث أخرجه ابن ماجة، وابن حبان (في صحيحه)[2]، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا أخبثَ الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: «ويل للمطففين» فأحسنوا الكيل بعد ذلك[3].

ولما وصل إلى التحريم، خالفه في الترتيب، مع أنه لا يعطف إلا بالواو، فقال: والصف، والجمعة، والتغابنُ، والفتح، وبراءة.

وأسقط ذكر الفاتحة والأعراف ومريم، مما نزل بمكة، فنبه عليه البيهقي، ثم ساق سنده إلى مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن أول ما أنزل الله على نبيه ﷺ: (من القرآن)[4] اقرأ باسم ربك.

فذكر معنى هذا الحديث، وذكر السورة التي سقطت من الرواية الأولى في ذكر ما نزل بمكة، وقال: ولهذا الحديث شاهد في تفسير مقاتل[5]، وغيره من أهل التفسير.

---

(١) في م: لم. بدون الواو.

(٢) ساقطة من د.

(٣) سنن ابن ماجة: كتاب التجارات، باب التوفي في الكيل والوزن ٢/٧٤٨ أحديث رقم ٢٢٢٣.

قال في الزوائد: إسناده حسن.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، الخرساني، المروزي، مفسر متكلم، عالم بالقراءات واللغة، وأصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة، ثم بغداد، وتوفي بالبصرة سنة ١٥٠ هجرية. ومن مؤلفاته: التفسير الكبير والوجوه والنظائر في القرآن، والآيات المتشابهات، وكان غير ثقة في رواية الحديث.

راجع: ميزان الاعتدال ٤/١٧٣، وفيات الأعيان ٢/١٤٧.

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «الفضائل»: حدثنا عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة.

فذكر ما تقدم، لكنه رتبه على ترتيب المصحف، وأسقط الرعد والحجرات والرحمن والجمعة، والمنافقون والإنسان.

فلا أدري، أأسقطها الكاتب، أو هي ساقطة من الرواية.

وزاد الفجر، والليل إذا يغشى، وأنا أنزلناه في ليلة القدر، فذكرها في المدني.

وقال الإمام أبو عمرو الداني: حدثنا خلف بن إبراهيم، نا أحمد بن محمد ثنا علي بن عبد العزيز، نا القاسم بن سلام، نا هشيم، ثنا أبو بشر، عن سعيد ابن جبير[١]، في قوله عز وجل: ﴿ **ولقد ءاتيناك سبعاً من المثاني** ﴾[٢] قال: هي السبع الطوال[٣]: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس[٤].

---

(١) هو: أبو عبد الله - وقيل: أبو محمد - سعيد بن جبير بن هشام الكوفي من كبار أئمة التابعين في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع، وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وغيرهما من كبار الصحابة، قتله الحجاج ابن يوسف بواسط سنة ٩٥ هجرية، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاجُ سعيدَ ابن جُبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

راجع: حلية الأولياء ٤/٢٧٢، وفيات الأعيان ٢/١١٢

(٢) سورة الحجر آية ٨٧.

(٣) في م: الطول.

(٤) القول بأن سورة يونس من السبع الطوال تساهل، ومبني على أساس غير دقيق، ولعل فيه تَقَوُّلاً على سعيد بن جبير، لأن قبلها سورة التوبة وهي تبلغ ١٢٩ آية. وبعدها سورة النحل وآياتها ١٢٨ آية، أما هي فعدد آياتها ١٠٩ آيات، فالأولى: اعتبار إحدى هاتين السورتين من السبع الطوال.

قال: وقال مجاهد:(١) هي السبع الطوال.

ذكر علماء العدد

وأما عدد آي الفاتحة: فهي سبع عند جميع أهل العدد، وهم خمسة: مدني، ومكي، وكوفي، وبصري، وشامي.

١ ـ فالمدني:

رواه شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي، المدني القارىء(٢)، مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، ورضي عنها.

وأبو جعفر يزيد بنالقعقاع، المدني القارىء(٣)، مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي(٤).

---

(١) هو مجاهد بن جبر ـ ويقال: جبير بالتصغير ـ، أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم، من أعلام التابعين، وأئمة المفسرين، قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها، بلغ من العمر ثلاثاً وثمانين سنة، ومات سنة ١٠٣ هجرية. وقيل: سنة ١٠٤.
راجع: طبقات القراء ٢/٤١، معجم الأدباء ٦/٢٤٢.
شذرات الذهب ١/١٢٥، حلية الأولياء ٣/٢٧٩.

(٢) قال ابن الجزري في الطبقات ١/٣٢٩: إمام ثقة مقرىء المدينة مع أبي جعفر وقاضيها ومولى أم سلمة مسحت على رأسه ودعت له بالخير، قال: وهو أول من ألف في الوقوف، وكتابه مشهور. اهـ. ومات ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٠ هـ في خلافة مروان بن محمد، وقيل سنة ١٣٨ في خلافة المنصور.
راجع: طبقات القراء لابن الجزري ١/٣٢٩، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/٦٤.

(٣) هو الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي، أحد القراء العشرة تابعي مشهور جليل القدر، ويقال: اسمه جندب بن فيروز، أخذ القراءة عن مولاه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، رضي الله عنهم قال الذهبي ١/٥٨: عن قرائتهم على أبي بن كعب.
واختلف في سنة وفاته، فقيل سنة ١٣٠ هـ، وقيل ١٢٩ هـ، وقيل غير ذلك.
راجع: طبقات القراء ٢/٣٨٢، معرفة القراء الكبار ١/٥٨.

(٤) هو عبد الله بن عَيَّاش بن أبي ربيعة عمرو أبو الحارث المخزومي، التابعي الكبير، ولد =

وهو مذهب أول وأخير.

أ ـ فالأول: رواه عنها نافع بن أبي نعيم[1].

قال الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي، الشافعي، المقرىء نزيل دمشق[2]، في كتابه «جمال القراء»: وبه أخذ القدماء من أصحاب نافع.

ب ـ والأخير: رواه اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري المدني[3]، عن سليمان ابن مسلم بن جماز عنها[4].

= بالحبشة، قرأ القرآن على أبي بن كعب، وسمع من عمر وابن عباس: وأبيه عياش، وكان أقرأ أهل المدينة في زمانه، توفي سنة ٦٩ بالبصرة في طاعون الجارف.

راجع: طبقات القراء ١/٤٣٩، ومعرفة القراء الكبار ١/٤٩.

(١) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أحد القراء السبعة وأصله من أصبهان، انتهت إليه رياسة القراء بالمدينة، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة، توفي بالمدينة سنة ١٥٩ هـ، وقيل سنة ١٦٩ وهو الأصح.

راجع: طبقات القراء ٢/٣٣٠، ومعرفة القراء الكبار ١/٨٩.

(٢) ولد سنة ثمان ـ أو تسع ـ وخمسين وخمسمائة بسخا من بلاد مصر، وقرأ القراءات على أبي القاسم الشاطبي، وأبي الفضل الغزنوي، قال ابن الجزري ١/٥٦٩: وكان إماماً علّامة محقّقاً، مقرئاً مجوّداً، بصيراً بالقراءات وعللها، إماماً في النحو واللغة، والتفسير والأدب، وكان عالماً بكثير من العلوم غير ذلك، مفتياً أصولياً، مناظراً، وكان مع ذلك ديِّناً خيراً متواضعاً، حلو المحاضرة، حسن النادرة، وافر الحرمة، كبير القدر، شرح الشاطبية وسماه «فتح الوصيد» فهو أول من شرحها، بل هو ـ والله أعلم سبب شهرتها في الآفاق، وكتاب التفسير، وصل فيه إلى الكهف، وهو كتاب نفيس. اهـ مختصراً.

وتوفي رحمه الله سنة ٦٤٣، ودفن بقاسيون، وهو غير السخاوي صاحب كتاب: «الضوء اللامع» المتوفي في الثامن والعشرين من شعبان سنة ٩٠٢ هـ.

(٣) هو أبو إسحاق ـ ويقال: أبو إبراهيم ـ إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري، المدني، مولاهم، جليل ثقة، ولد سنة ١٣٠ هـ، ووقرأ على شيبة بن نصاح، ونافع، وقرأ عليه الكسائي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والدوري وغيرهم. وتوفي ببغداد سنة ١٨٠ هـ، وقيل: ١٧٧، وقيل: ٢١٠ هـ.

(٤) هو أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز، وقيل: سليمان بن سالم بن جمّاز. =

قال السخاوي: وعليه الآخذون بقراءة نافع اليوم، وبه ترسم الأخماس[1]، والأعشار وفواتح السور، في مصاحف أهل المغرب. انتهى.

قال الإمام أبو عمرو الداني: وقد اختلف أبو جعفر وشيبة في ست آيات، عد منهن أبو جعفر آية، ولم يعدها شيبة، وعد شيبة خمساً، ولم يعدهن أبو جعفر وكان اسماعيل يأخذ فيهن بقول شيبة، وسيذكرن فيها بعد.

أي في الفرش إن شاء الله تعالى.

٢ ـ والمكي:

يروى عن عبدالله بن كثير[2]، وغيره من أهل مكة.

ورواه عبدالله بن كثير عن مجاهد بن جبر، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب رضي الله عنه، موقوفاً عليه.

وأسند الداني (عن) الفضل بن شاذان[3] قال: كتب إليّ ابن أبي[4] بزة

= ـ بجيم، ثم ميم مشددة، بعدها ألف، ثم زاي ـ الزهري المدني ـ مقرىء جليل ضابط، أخذ القراءات عن أبي جعفر وشيبة، ثم عرض على نافع، ومات سنة نيف وسبعين ومائة هجرية.

راجع: الطبقات لابن الجزري ١/٣١٥.

(١) الأخماس: وضع علامة بعد كل خمس آيات.

والأعشار: وضع علامة مغايرة على رأس عشر آيات.

(٢) هو أبو معبد عبد الله بن كثير بن المطلب، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي، أمام المكيين في القراءة، فارسي الأصل، أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وحدث عن عبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن مطعم، وغيرهم. قال ابن مجاهد: ولم يزل عبد الله هو الامام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومائة.

راجع: معرفة القراء للذهبي ١/٧١، وغاية النهاية لابن الجزري ١/٤٤٥.

(٣) هو أبو العباس الفضل بن شاذان بن عيسى، الرازي، أحد الأعلام، وشيخ القراء بالري، أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن يزيد الحلواني، ومحمد بن ادريس الأشعري، وروى عن أبي عمرو الدوري، قال أبو عمرو الداني: لم يكن في دهره مثله في عمله وفهمه وعدالته، وحسن اطلاعه. اهـ. ومات ـ رحمه الله ـ في حدود سنة ٢٩٠ هـ.

راجع: معرفة القراء ١/١٩١، غاية النهاية ٢/١٠.

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، أستاذ محقق ضابط =

بخـــطه وقــال: أدُّوه عني، عن عكــرمـة بن سليمــان[١]،عن شبــل[٢] واسماعيل[٣]، عن عبدالله بن كثير عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب رضي الله عنهم.

٣ - والكوفي:

عن حمزة بن حبيب الزيات[٤]، عن ابن أبي ليلى[٥] عن (أبي)[٦] عبد

= متقن، قرأ على أبيه، وعبد الله بن زياد، وعكرمة بن سليمان، وقرأ عليه خلق كثير، وكانت وفاته سنة ٢٥٠ عن ثمانين سنة.

(١) هو أبو القاسم عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر المكي، قال الذهبي: شيخ مستور ما علمت أحداً تكلم فيه، كان إمام أهل مكة في القراءة بعد شبل وأصحابه وقد تفرد عنه البَزِّي بحديث التكبير من الضحى. اهـ. وكانت وفاته قبيل المائتين.

(٢) هو أبو داود شبل بن عباد المكي، مقرىء مكة، ثقة ضابط، وهو أَجَلُّ أصحاب ابن كثير، عرض القراءة على عبد الله بن كثير، وابنه داود، وعكرمة بن سليمان وعبد الله بن زياد. ومات في حدود سنة ٢٦٠ هـ.

(٣) هو أبو اسحاق إسماعيـل بن عبدالله بن قسـطنطين، المخـزومي، المكي المعروف بالقسط، مقرىء مكة، قرأ على عبد الله بن كثير، وكان ثقة ضابطاً قرأ عليه الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه. مات سنة ١٧٠ هـ.

(٤) هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الكوفي، مولى آل عكرمة الزيات، أحد القراء السبعة، وسمى بالزيات لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، قرأ على محمد بن أبي ليلى، والأعمش، وطلحة ابن مُصرِّف، وقرأ عليه الكسائي وهو من أجلِّ أصحابه. قال الذهبي:

وكان - يعني حمزة - إماماً حجةً، قيِّما بكتـاب الله تعالى، حـافظا للحـديث بصيراً بالفرائض والعربية، عابداً خاشعاً، قانتاً لله، ثخين الورع عديم النظير. اهـ.

ومات رحمه الله سنة١٥٦ هـ بحلوان ودفن بها.

(٥) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، الأنصاري، الكوفي القاضي، أحد الأئمة الأعلام، أخذ القـراء عن طلحة بن مُصَـرِّف، والمنهال ابن عمـرو، والشعبي، والأعمش، وغيرهم، وأخذ عنه حمزة الزيات، والكسائي وخلق كثير. قال القاضي أبو يوسف: ما ولى القضاء أحد أفقه في دين الله ولا أقرأ لكتاب الله، ولا أقوَلَ حقاً بالله، ولا أعف عن الأموال، من ابن أبي ليلى. اهـ.

ومات في رمضان سنة ١٤٨ هـ.

(٦) ساقطة من: د.

الرحمن، عن عبدالله بن حبيب السلمي الكوفي المقرىء[1].

وأبو عبد الرحمن بسند بعضه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، موقوفاً عليه.

قال الداني: وأهل الكوفة رووا العدد عن أهل المدينة، ولم يسم أهل الكوفة في ذلك أحداً بعينه يسندون إليه، وهوعندهم الأول.

وقد خالفت رواية إسماعيل - يعني ابن جعفر المدني - عن أهل المدينة رواية أهل الكوفة عنهم في سبع وخمسين آية، يذكـرن في مواضعهن من الأبواب والسور.

وقال أبو عمرو: إن عدد أهل الكوفة رواه الكسائي[2]، وسليم[3]، عن حمزة.

يعني بالسند الماضي.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى، الضرير، مقرىء الكوفة، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولأبيه صحبة، أخذ القراءة عرضاً عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بـن ثابت، وأبي بن كعب، رضي الله عنهم أجمعين، وقرأ عليه خلق كثير وكان ثقة كبير القدر، وحديثه مخرج في الكتب الستة. مات سنة ٧٤ هجرية وقيل: ٧٣.

(٢) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن الكسائي الأسدي، الكوفي المقرىء، احد الأعلام، أخذ القراءة عن حمزة الزيات، وعيسى بن عمر الهمداني، وابن أبي ليلى، وأبي بكر بن عياش، وأخذ عنه كثير من أئمة القراءات، منهم المقلون، ومنهم المكثرون، وألف في القراءات والنحو والأدب والعدد،وتوفي بالرى سنة ١٨٩ هـ. قال الذهبي: وهو الصحيح.

(٣) هو سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب بن سعيـد بن سليم، الكوفي المقرىء، كان ضابطاً حـاذقاً، عـرض القرآن عـلى حمزة، وكـان أخص أصحابـه وأضبطهم، قال يحيى بن عبد الملك: كنا نقرأ علي حمزة ونحن شباب، فإذا جاء سليم، قال لنا حمزة: تحفظوا وتثبتوا، فقد جاء سليم.
توفي سنة ١٨٨ هـ، وقيل: ١٨٩ هـ.

قال: وذكره سليم عن سفيان، عن عبد الأعلى[1]، عن أبي عبد الرحمن[2]، عن علي رضي الله عنه.

وذكر عن نصير بن يوسف النحوي[3]، أنه قال: سمعت العدد من الكسائي مراراً.

٤ ـ والبصري:

عن المُعَلَّى[4] بن عيسى[5] عن عاصم بن أبي الصباح ميمون الجُحْدُري[6].

---

(١) هو أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر، الغساني، الدمشقي أحد شيوخ دمشق، أخذ القراءة عن أيوب بن تميم، ونافع بن أبي نعيم وروى عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو زرعة الدمشقي، مات محبوساً بالعراق سنة ٢١٨ عنه شهر رجب، وكان سبب حبسه: الفتنة التي اشتعلت نارها بسبب القول بخلق القرآن.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلَمي، تقدمت ترجمته قريباً.

(٣) هو أبو المنذر نصير بن يوسف بن أبي نصر، الرازي، البغدادي، النحوي أستاذ كامل، ثقة، أخذ القراءة عن الكسائي، وأبي محمد اليزيدي. وروى عنه محمد بن عيسى الأصبهاني، وداود بن سليمان صاحب السنن، وغيرهما كثير. توفي سنة ٢٤٠ هـ تقريباً.

(٤) في د: عن.

(٥) هو معلي بن عيسى ـ ويقال: ابن راشد ـ البصري، الورّاق الناقط، روى القراءة عن عاصم الجحدري، وعون العُقَيْلي، وروى عنه عبد الرحمن بن عطاء وعبيد بن عقيل، وغيرهما، وهو الذي روى عدد الآي والأجزاء عن عاصم الجحدري، قال الداني: وهو من أثبت الناس فيه.

(٦) هو عاصم بن أبي الصباح العجاج، الجحدري، البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة، عن ابن عباس، وقرأ على الحسن ونصر ابن عاصم، وقرأ عليه المعلي بن عيسى، وأبو المنذر سلام بن سليمان قال ابن الجزري: وقراءته في الكامل والاتضاح فيها مناكيرﷺ ولا يثبت سندها، والسند إليه صحيح في قراءة يعقوب من قراءته على سلام عنه.

ومات سنة ١٢٨ هـ.

قال الداني: موقوفاً عليه، وبه كان يعد أيوب بن المتوكل[١]، ويعقوب ابن اسحاق الحضرمي[٢]، غير أن أيوب خالف عاصماً في آية واحدة، وهي قوله تعالى في سورة ص: ﴿ قال فالحقُّ والحقَّ أقولُ ﴾[٣] عدها عاصم ولم يعدَّها أيوب.

٥ ـ والشامي:

عن عبدالله بن ذَكْوان[٤]، عن أيوب بن تميم[٥]، عن يحيى بن الحارث الذِّمَاري[٦] [٧].

---

(١) هو أيوب بن المتوكل الأنصاري البصري، إمام ثقة، ظابط، له اختيار تبع فيه الأثر، قرأ على الكسائي وحسين الجعفي، ويعقوب الحضرمي، وروى عنه محمد بن يحيى القطيعي وكان أجل أصحابه. توفي سنة ٢٠٠ هـ.

(٢) هو يعقوب ابن اسحاق بن يزيد بن عبد الله، أبو محمد، الحضرمي، البصري أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة، قرأ على سلام الطويل، ومهدي ابن ميمون، وروى عن حمزة والكسائي. وأخذ عنه خلق كثير. قال أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف، والا ختلاف في القرآن، وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحو، وأروي الناس لحروف القرآن. اهـ.

مات سنة٢٠٥ هـ عن ثمان وثمانين سنة.

قال ابن الجزري: ومات أبوه عن ثمان وثمانين سنة، وكذلك جده، وجد أبيه.

(٣) سورة ص آية ٨٤.

(٤) هو أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشر ـ وقيل: بشير ـ بن ذكوان بن عمرو القرشي الفهري، الدمشقي، إمام، أستاذ، راوٍ ثقة، أخذ القراءة عن أيوب ابن تميم، وقرأ على الكسائي لما قدم الشام. قال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالعراق، ولا بالحجاز، ولا بالشام، ولا بمصر، ولا بخراسان، في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه. توفي في شوال سنة ٢٤٢ هـ.

(٥) هو أبو سليمان أيوب بن تميم بن سليمان بن أيوب التميمي الدمشقي. ضابط مشهور، قرأ عليه عبد الله بن ذكوان، وكثير من أئمة القراءات، وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ، وقيل ٢١٩ هـ.

(٦) في د: الرمادي. وهو خطأ.

(٧) هوأبو عمرو ـ ويقال: أبو عمر ـ يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى بن سليمان بن =

قال أبو عمرو: موقوفاً عليه، وبعضهم يوقفه على عبدالله بن عامر اليحصبي القارىء[1].

فصارت مذاهب العدد ستة.

وموجب اختلافهم: التوقيف كالقراءة.

قال أبو عمرو: وهذه الأعداد، وإن كانت موقوفة على هؤلاء الأئمة، فإنما لها ـ لا شك ـ مادة تتصل بها، وإن لم نعلمها، إذا كان كل واحد منهم قد لقي غير واحد من الصحابة، وشاهده وسمع منه، أو لقي مَنْ لقي الصحابة، مع أنهم لم يكونوا أهل رأي واختراع، بل كانوا أهـل تمسك واتباع[2].

وبالله التوفيق.

وقال السخاوي ما معناه: ولو كان ذلك راجعاً إلى الرأي لعد الكوفيون «الر» آية، كما عدوا «الم»، ولعدوا «المر» كما عدوا «المص»، ولعدوا «طس» كما عدوا «يس»، ولعدوا «كهيعص» آيتين، كما فعلوا في «حم عسق»، ولعد الشامي «إنما نحن مصلحون»[3]، كما عد «غشاوة ولهم عذاب عظيم»[4]، ومثل ذلك كثير، انتهى.

نفي السجع عن القرآن

ومن هنا تعلم يقيناً: أنه[5] لا سجع في كتاب الله أصلاً، فإنه لا ريب

= الحارث، الغساني، الذماري، ثم الدمشقي، إمام الجامع الأموي، وشيخ القراءة بدمشق، بعد ابن عامر، معدود من التابعين، فقد لقى واثلة بن الأسقع وروى عنه وقرأ عليه، والذماري: نسبة الى ذمار قرية باليمن قرب صنعاء، أخذ عن سعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله، وأخذ عنه صدقة بن عبد الله، والوليد بن مسلم، وأيوب بن تميم. مات سنة ١٤٥ هـ وله من العمر تسعون سنة.

(١) البيان للداني ورقة ٢٦ أ.

(٢) البيان ورقة ٢٤ ب.

(٣) سورة البقرة آية ١١.

(٤) سورة البقرة آية ٧.

(٥) في د: أن.

عند من له أدنى مزاولة لذلك: أن طس، أوفق عند الساجعين لمبين، من يس للحكيم. فلو كان السجع مقصوداً، لما وقع الإجماع من العادِّين على أن «طس» ليست بآية، وعد بعضهم «يس» آية[1].

ولما وقعت فاصلة واحدة بين فواصل كثيرة، مخالفة لها في الوزن والروي. فلا ينبغي الاغترار بما يوجد في بعض كتب الأماثل[2] من المتأخرين، كالبيضاوي[3] والتفتازاني[4]، من تخريج بعض الفواصل على السجع، لأنه خولف فيها النظم الذي ورد في سورة أخرى، مثل: «هارون[5] وموسى».

أو عَدَل عن عبارة[6] إلى عبارة أخرى، لمثل ذلك، نحو قوله تعالى في سورة يس: ﴿ فما استطاعوا مُضِياً ولا يَرجِعون ﴾[7].

قال البيضاوي: إن الأصل كان: ولا رجوعاً، فغير لموافقة الفواصل[8].

---

(١) قال الزركشي في البرهان ١/٢٦٨: وقال بعضهم: إنما عدوا «يس» آية ولم يعدوا «طس» لأن طس تشبه المفرد، كقابيل في الزنة والحروف، ويس تشبه الجملة من جهة أن أوله ياء، وليس لنا مفرد أوله ياء اهـ.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٦١٥: فلان أمثل بني فلان، أي أدناهم للخير، وهؤلاء أماثل القوم، أي خيارهم.

(٣) تقدمت ترجمة ص ٢٦.

(٤) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، عَلَم في النحو والصرف والمعاني والبيان، والفقه والمنطق، ولد بتفتازان سنة ٧١٢ هـ، وتوفي بسمر قند سنة ٧٩١ هـ، ومن تصانيفه: «شرح تلخيص المفتاح» في المعاني والبيان، وحاشية على الكشاف في التفسير، والمقاصد في علم الكلام.

راجع: شذرات الذهب ٦/٣١٩، مفتاح السعادة ١/١٦٥.

(٥) في الأصل قارون.

(٦) في م: عن عبارة، عن معنى، إلى...

(٧) آية: ٦٧.

(٨) تفسير البيضاوي ٢/٣١٦ وعبارته هكذا:

«ولا يرجعون»: ولا رجوعا، فوضع الفعل موضعه للفواصل.

وهذا أمر عظيم، لا تليق نسبته إلى جلال الله، فهي زلة عالم حقيقة، يشتد النفور عنها، والبعد منها[٢].

قال الإمام فخر الدين الرازي ـ فيما نقله عنه أبو حيان في «النهر» ـ في قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ولا الظِّلُّ ولا الحَرُور﴾[٣] إنه لا يقال في شيء مِن القرآن: إنه قدم أو أخر لأجل السجع، لأن معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ، بل فيه وفي المعنى[٤].

يعني: ومتى حُوِّل اللفظُ لأجل السجع، عما كان يتم به المعنى بدون سجع، نقص المعنى، والله أعلم.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني[٥] في كتابه «إعجاز القرآن»: ذهب

---

(١) في م: بشدة.

(٢) في هامش النسخة د: أقول: لوقيل: ولا رجوعاً لما أفاد عدم رجوعهم في نفس الأمر، إذ النفي حينئذ: عدم استطاعتهم الرجوع، ولا يلزم منها نفي الأمرين أعني استطاعتهم، وعدم رجوعهم في نفس الأمر، فما أبلغ كلام رب العزة سبحانه. كتبه محمد بن العناي.

(٣) سورة فاطر آية ٢١.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ٣٠٩/٧.
وتفسير الرازي ١٧/٢٦ وفيه يقول:
وفي مثل هذا يقول المفسرون: إنه لتواخي أواخر الآي، وهو ضعيف، لأن تواخي الأواخر راجع إلى السجع، ومعجزة القرآن في المعنى لا في مجرد اللفظ.
فالشاعر يقدم ويؤخر للسجع، فيكون اللفظ حاملاً له على تغيير المعنى، وأما القرآن فحكمة بالغة، والمعنى فيه صحيح، واللفظ فصيح، فلا يقدم ـ ولا يؤخر ـ اللفظ بلا معنى، اهـ.

(٥) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري، ثم البغدادي الباقلاني، ولد بالبصرة سنة ٣٣٨ هـ، وسكن بغداد، وسمع بها الحديث وتوفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ لسبع بقين من ذي القعدة. له «إعجاز القرآن» و «الانتصار»، وتمهيد الأوائل، وتلخيص الدلائل.
راجع: تاريخ بغداد ٣٧٩/٥، النجوم الزاهرة ٢٣٤/٤، شذرات الذهب ١٦٩/٣.

أصحابنا ـ يعني الأشاعرة ـ كلهم إلى نفي السجع عن القرآن، وذكره أبو الحسن الأشعري [1] (في غير موضع) [2] من كتبه.

وذهب كثير ممن نخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالتجنيس، والالتفات، وما أشبه ذلك، من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة.

وأقوى ما يستدلون به عليه: اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون، عليهما السلام، ولمكان السجع، قيل في موضع: هارون وموسى. ولما كانت الفواصل في مواضع أخر بالواو والنون، قيل: موسى وهارون.

قالوا: وهذا يفارق أمر الشعر، لأنه لا يجوز أن يقع الخطاب إلا مقصوداً إليه، وإذا وقع غير مقصود إليه، كان دون القدر الذي نسميه شعراً، وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير، لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه.

ويبنون الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع.

قال أهل اللغة: هو موالاة الكلام على وزن واحد.

قال ابن دريد [3]: سجعت الحمامة، أي رددت صوتها، وأنشد:

---

(١) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله الأشعري اليماني، البصري، عالم متكلم، تنسب إليه طائفة الأشعرية ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ، وسكن بغداد، وكانت له مواقف مشهورة في الرد على الملحدة والشيعة، والجهمية والخوارج وغيرها، توفي ببغداد سنة ٣٣٠ هـ، ومن تصانيفه: الفصول في الرد على الملحدين، التبيين عن أصول الدين.

راجع: تاريخ بغداد ٣٤٦/١١، البداية لابن كثير ١٨٧/١١ شذرات الذهب ٣٠٣/٢.

(٢) ساقط من: د.

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، من أئمة اللغة والأدب، ولد =

طَـرِبْـتَ فَـأبكـتـكَ الحَـمـام الـسـواجـعُ
تَمِـيـل بهـا ضَـحْـواً غـصـونٌ نـوائـع

النوائع: الموائل، من قولهم: (جائع)(1) نائع، أي متمائل ضعفاً.

وهذا الذي يزعمونه غير صحيح، ولو كان القرآن سجعاً، لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها، لم يقع بذلك إعجاز، ولو(2) جاز أن يقال: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز. وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات، وليس كذلك الشعر.

وقد روى: أن النبي ﷺ قال للذين حاوروه وكلموه في شأن الجنين: كيف فدى من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، أليس دمه قد يطل(3)، فقال: أسجاعة كسجاعة الجاهلية.

وفي بعضها: أسجاعه كسجع الكهان(4).

= في البصرة سنة ٢٢٢ هـ، وبها تعلم ونشأ، وانتقل إلى عمان عند ظهور الزنج سنة ٢٥٧هـ فأقام بها اثني عشر عاماً، وله كتاب «الجمهرة في علم اللغة»، وقصيدته المشهورة «المقصورة» وصفة السرج واللجام. والمجتني. وكانت وفاته سنة ٣٢١ بعد اصابته بفالج وهو في التسعين من عمره.

راجع: خزانة الأدب ١/٤٩٠، ميزان الاعتدال ٢/٣٦٢، تاريخ بغداد ٢/١٩٥.

(١) زيادة عن كتاب الاعجاز للباقلاني.

(٢) في د: ولو كان جاز.

(٣) في الأصل: يطل. بياء تحتية بعدها طاء مهملة. وهي أيضاً صحيحة. قال النووي في شرح مسلم ١١/١٧٨: وأما قوله «فمثل ذلك يطل» فروى في الصحيحين وغيرهما بوجهين:
أحدهما: «يطلّ» بضم الياء المثناة وتشديد اللام، ومعناه: يُهدر ويُلغي ولا يُضمن.
والثاني: «بَطَل» بفتح الباء الموحدة وتخفيف اللام على أنه فعل ماضٍ من البطلان، وهو بمعنى الملغي أيضاً، وأكثر نسخ بلادنا بالمثناة، ونقل القاضي: أن جمهور الرواة في صحيح مسلم ضبطوه بالموحدة. اهـ.

(٤) سيأتي تخريجه ص ٩٤.

فرأى ذلك مذموماً.

والذي يقدرونه أنه سجع، فهو وَهْمٌ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه، دون بعض لأن السجع من الكلام، يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع.

وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى.

وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود منه[1] وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ.

ومتى ارتبط المعنى بالسجع، كان إفادة السجع كإفادة غيره.
ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع، كان مستجلباً لتحسين الكلام، دون تصحيح المعنى.

ثم قال: ويقال لهم: لو كان الذي في القرآن ـ على ما تقدرونه ـ سجعاً لكان مذموماً مرذولاً، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه، واختلفت طرقه، كان قبيحاً من الكلام. وللسجع منهج مرتب محفوظ، وطريق مضبوط، متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أن الشاعر إن خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً، وكان شعره مرذولاً، وربما أخرجه عن كونه شعراً، وقد علمنا: أن بعض ما يدعونه (شعراً)[2] سجعٌ متقارب الفواصل، متداني المقاطع وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه، وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير، وهذا في السجع غير مرض، ولا محمود.

---

(١) في إعجاز القرآن للباقلاني: فيه.
(٢) ساقطة من نسخة المؤلف وزدناها عن د.

وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون في موضع، وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع، ولتساوي مقاطع الكلام، فليس بصحيح، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه.

وهي : أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً، من الأمر الصعب، الذي[1] تظهر فيه الفصاحة، وتبين فيه البلاغة، وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة، على ترتيبات متفاوتة، ونبهوا بذلك على عجزهم، عن الاتيان بمثله مبتدأ ومكرراً.

ولو كان فيهم تمكن من المعارضة، لقصدوا تلك القصة، فعبَّروا عنها بألفاظ لهم تؤدي تلك المعاني ونحوها، وجعلوها بإزاء ما جاء به، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مساواته فيما جاء به، كيف وقد قال لهم: ﴿ **فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين** ﴾[2].

فعلى هذا يكون القصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها، إظهار الإعجاز على الطريقين جميعاً، دون السجع الذي توهموه[3].

هذا ما قاله في سر التكرار، وتبعه[4] عليه كل من رأينا كلامه في هذا.

وقد بينت في كتابي «نظم الدرر» أن الأمر على غير هذا، وأن مقصد القرآن مما هو في العلو عن هذا الغرض بمراتب لا تنالها يد المتناول، ويقصر عن عليائها كل متطاول.

وذلك أن كل سورة لها مقصد معين ـ كما سيوضحه هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى ـ تكون جميع جمل تلك السورة دليلاً على ذلك المقصد.

---

(١) في الأصل: التي، والتصويب عن الباقلاني.

(٢) سورة الطور: آية ٣٤.

(٣) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٨٩ ـ ٩٥/ط صبيح بتحقيق الدكتور محمد خفاجي.

(٤) في الأصل: تتبعه.

فلذلك يقتضي الحال ـ ولا بد ـ ما أتى عليه فيها نظم المقال، ومن هنا تغايرت الألفاظ في القصص، واختلفت النظوم، وجاء الإيجاز تارة، والأطناب أخرى والتفصيل مرة، والإجمال أخرى.

فسورة طه لها نظر عظيم إلى الوزير، والإرشاد إلى طلبه. ولذلك كانت سبب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصرح فيها على لسان موسى عليه السلام بطلب الوزير بلفظه، فلذلك كانت العناية به أكثر، فقدم في الذكر تنبيهاً على ذلك.

ولذلك قيل فيها: ﴿ **إنَّا رسولاَ ربِّك** ﴾[1] بالتثنية. وفي الشعراء بالأفراد[2]، لأنه لا عناية فيها بذلك.

وقد بينت كل موضع ذكروه، بما أفاد أنه لا يجوز في مذاهب البلاغة، ووجوه البيان، أن يعبر عنه بذلك[3] الأسلوب، وما أوجب القول بالتقديم والتأخير، والتحويل والتغيير، لأجل الفواصل، ألا ترى ما ذكره العلماء، أن نصف العلم هو: لا أدري. فصار كل من ورد عليه سؤال لا يعرف الجواب الحق فيه، قال برأيه، ما لم يتحقق مشيه على شواهد الكتاب والسنة، وأسرار اللغة.

والذي لا يدع عندك لبساً في هذا: أن أبا حيان بعد أن نقل في سورة فاطر عن الرازي ما قدمته عنه، نسيه في أول الصافات على قرب العهد، وقال: «مارد»[4] اسم فاعل، وفي النساء: «مريد»[5] للمبالغة، وموافقة

---

(١) سورة طه آية ٤٧.

(٢) سورة الشعراء آية ١٦، وهي قوله تعالى:
﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾.

(٣) في م: بغير.

(٤) سورة الصافات آية ٧، وهي قوله تعالى: ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾.

(٥) سورة النساء آية ١١٣، وهي قوله تعالى:
﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً وان يدعون إلا شيطاناً مريداً﴾.

الفواصل هناك. انتهى[1].

والواقع: أن المعنى الذي قصد في كل من السورتين، لا يتم إلا بما عبر له فيها ولو قيل غيره لفسد. وموافقة كل منهما في موضعه للفواصل، تزيده حسناً، لا أنه يصح التعبير بالآخر، وما خص هذا إلا للفاصلة.

وبيان ذلك في تفسيري فراجعه، واحرص عليه، فإنك لم تظفر بمثله، وإن أمعنت في مطالعته، بأن لك سرُّه، والله الهادي.

وسبب وقوع هؤلاء الأكابر في مثل هذا، أشار إليه الإمام علم الدين السخاوي في «شرح الرائية»، عند مدح الشاطبي[2] للباقلاني بكتابي الإعجاز والانتصار، فقال: إنه لولا كتاب الانتصار، لخالطت شبه المبتدعة العقول، وتشكك الناس في الإسلام واستأصلهم المبتدعة، وأكثر ضعفاء القراء وغيرهم اليوم ينطقون بتلك الشبه التي ألقاها المبتدعون ويعتقدونها، وإن كانوا لا يدرون ما تحتها من الغوائل، ولا يعلمون ما يلزمهم منها. انتهى.

ولا يستبعد هذا، فإن الشبهة ربما كان المراد بها غامضاً، ولها ظاهر له نوع قبول، فيقولها بعض من لم يفهم معناها، غير قاصد شراً، فيأخذها بعض الأكابر، لما أعجبه من ظاهرها، فتشتهر عنه، كما وقع في سبب اعتقاد أن التوراة نزلت جملة، وفي أن المراد بـ «أنهم إليهم لا يرجعون﴾ في سورة يس[3]: الرجوع إلى الدنيا، ونحو ذلك كثير، والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٧ /٣٥٢.

(٢) هو أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني، الأندلسي، الشاطبي ولد بشاطبة سنة ٥٣٨ وكان ضريراً، وكان متبحراً في القراءات، والتفسير والحديث، والنحو، وكان ناظماً، وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٠ هـ. ومن تصانيفه: حرز الأماني في القراءات السبع، عقيلة القصائد في أسنى المقاصد.

راجع: طبقات القراء ٢/٢٠، شذرات الذهب ٤/٣٠١، حسن المحاضرة ١/٢٨٤.

(٣) سورة يس آية ٣١.

ولم يحصر القاضي أبو بكر السجع بمعيار يضبطه، وزمام يربطه، بحيث يميزه عن غيره.

وهو عندي: تكلف الإتيان بالكلام على روي واحد، وقافية متزنة، من غير أن يكون موافقاً لشيء من أنحاء[1] الشعر، وقل ما يكون ذلك.

كما أن الشعر: تكلف الإتيان بالكلام على روي واحد، وقافية واحدة، مع التقييد بالوزن من بحر واحد.

وهنا يضطر الشاعر والساجع ـ ولا بد ـ إلى اتباع المعنى اللفظ، فيصبح اللفظ على ذلك النوع الذي التزمه، لئلا يَعُدَّه الناظمون والساجعون عاجزاً وعن الاقتدار على صوغ الكلام قاصراً، فينتقص المعنى لهذا الالتزام، في كثير من المواضع غصباً عليه، فيصير أسير الألفاظ، وعبد الأوزان.

هذا ما لا بد منه لكل شاعر، وإن تفاوت الناس فيه، وليس ـ قطعاً ـ كذلك القرآن وسيأتي لذلك مزيد تفصيل وبيان.

ولهذا فرق النبي ﷺ في بعض الكلام[2]، بين الدخيل في ذلك والأصيل، الذي صارت له فيه ملكة صيرت قدرته عليه أشد من قدرة غيره.

قال أهل المغازي ـ وذكره عنهم الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة ـ لما كانت عزوة الخندق، وعمل النبي ﷺ في الخندق بنفسه الشريفة رأى المسلمون أنه إنما بطش معهم ليكون أجدَّ لهم، وأقوى لهم بإذن الله عز وجل فجعل الرجل يضحك من صاحبه إذا رأى منه فترة، وقال النبي ﷺ: «لا يغضب اليوم أحدٌ من شيء ارتجز به، ما لم[3] يكن قول كعب[4]، أو

(١) في د: أنهار.

(٢) في د: الأحكام.

(٣) في د: مما لم.

(٤) هو كعب بن مالك بن عمرو بن القَيْن الانصاري، الخزرجي، الصحابي، كان من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم، وممن أدرك الجاهلية والإسلام، وحضر يوم عثمان وحاول نجدته، وعمي في آخر حياته، مات سنة ٥٠ هـ، وعمره سبع وسبعون سنة.

حسان»[١]، رضي الله عنهما، فإنهما يجدان من ذلك قولاً كثيراً، أو نهاهما أن يقولا شيئاً يخفضان به أحداً.

فالمعنى ـ من غير شك ـ: أنهما إذا قالا شيئاً، كان قولهما له ظاهراً في أنهما قصدا معناه، وأن غيرهما ليس كذلك، بل يكون الرَّوِيُّ والقافية قد حكما عليه بمعنى لم يرده، على أن حسان رضي الله عنه ـ وهو أشعر الذين فضلهما النبي ﷺ في الشعر ـ قد اضطره الوزن إلى ما لم (يكن)[٢] يريده قطعاً.

فإنه قال في غزوة الغابة ـ وهي غزوة ذي قرد[٣] ـ وكان النبي ﷺ قد أمَّر على مَنْ سبق فيها سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه، ثم لحقهم النبي ﷺ، وكان مما قيل فيها من الشعر قول حسان بن ثابت رضي الله عنه[٤].

لولا الذي لاقت[٥] ومسّ نسورها[٦] بجنوب سايـة[٧] أمس في التقواد

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، ومات بالمدينة المنورة سنة ٥٤ هجرية.
راجع: الإصابة ١/٣٢٦، خزانة الأدب ١/١١١.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) غزوة ذي قرد كانت في السنة السادسة من الهجرة، وتسمى غزوة الغابة، وقرد ـ بفتح القاف والراء وبالدال المهملة ـ قال النووي في شرح مسلم ١٢/١٧٣:
ماء على نحو يوم من المدينة، مما يلي غطفان. اهـ.
وقال السمهودي في الوفا ٤/١٢٨٨: ذي قرد ماء لطلحة بن عبيد الله، اشتراه فتصدق به على مارة الطريق. اهـ.

(٤) بعض أبيات ذكرها ابن هشام في السيرة ٢/٢٨٥.

(٥) الضمير المؤنث المستتر عائد على الخيل، فقد أضمرها ولم يتقدم لها ذكر.

(٦) النسور: ما يكون في باطن حافر الدابة، مثل الحصى والنوى، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٥/٤٢٥: نسر الحافر: ما في بطنه، كأنه النوى والحصى.

(٧) ساية: اسم مكان. قال في معجم البلدان ٣/١٨٠: اسم واد من حدود الحجاز.

للقينكم يحملن كل مدجّج حامي الحقيقة، ماجد الأجداد
ولسرّ أولاد اللقيطة أننا سلم غداة فوارس المقداد

قال(١): فلما قالها حسان رضي الله عنه، غضب عليه سعد بن زيد رضي الله عنه وحلف ألا يكلمه أبداً.

قال: «انطلق إلى خيلي وفوارسي، فجعلها للمقداد.

فاعتذر إليه حسان وقال: والله ما ذاك أردت، ولكن الروي وافق اسم المقداد وقال أبياتاً يرضى بها سعداً رضي الله عنه:

إذا أردتم الأشَدَّ الجلْدَا أو ذا غناء فعليكم سعدا
سعد بن زيد لا يُهَدُّ هَدًّا

فلم يقبل منه سعد، ولم يغن شيئاً، رضي الله عنهما وأرضاهما(٢).

ومثل ذلك كثير في الشعر جداً، يعلمه كل من زاول ذلك.

وأما السجع: فقد روى البخاري في الطب وغيره من صحيحه، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قضى في الجنين يقتل في بطن أمه، بغُرَّة: عبد، أو وليدة. فقال الذي قضى عليه: كيف أغرم ما لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهلّ، فمثل ذلك بَطَل. فقال النبي ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكهان» من أجل سجعه الذي سجع.

وفي رواية: فقال النبي ﷺ)(٣): سجع كسجع الأعراب(٤).

---

(١) القائل: ابن هشام.
(٢) راجع: السيرة لابن هشام ٢/٢٨٧.
(٣) ما بين المربعين ساقط من: د.
(٤) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب الكهانة ٧/١١٧.
وصحيح مسلم: كتاب القسامة، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ ١١/١٧٧.

=

(ذلك)[1] والله أعلم: أنه لو كان نظره إلى المعنى وتصحيحه، لأغنى عن هذا السجع، أن يقول: كيف أغرم ما لا حياة له.

ولو قصد السجع، وتهذيب المعنى، لأتى بما يدل على نفي الحياة التي جعلها مَحَطَّ أمره، فإنَّ ما أتى به، لا يستلزم نفيها.

ولو تقيد بالصحة، لاعتنى بنفي النطق عن نفي الاستهلال، فإنه أعم، وبنفي الأعم، ينتفي الأخص.

فصح بهذا أنه دائر مع تحسين اللفظ، صح المعنى، أم لا، لئلا يعيبه أهل صناعة السجع.

ولا ينطبع في عقل عاقل: أن يكون النبي ﷺ يذم السجع وهو يرتكبه في القرآن والسنة، ولو كان ذلك لأسرعوا للرد عليه، وتصويب الطعن إليه، ولو ظفروا منه بما يشبه ذلك، لأكثروا به التشنيع، ولملأوا الأرض من التوبيخ والتقريع، ولأغناهم ذلك عما كانوا يتعلقون به من الذم، الذي لا يشك في أنه كذب من النسبة إلى الشعر والسحر، وقد كان ﷺ أشرف همة، وأعلى مقداراً، من أن يذم شيئاً، وينحو نحوه، على ما هو معروف من أخلاقه،

= وسنن أبي داود: كتاب الديات، باب دية الجنين ١٩٢/٤ حديث رقم ٤٥٧٦ ولفظ الحديث - كما في صحيح البخاري -: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ا امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بحجر فأصاب بطنها وهي حامل، فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم... الحديث.

وفي صحيح مسلم وسنن أبي داود: أن هاتين المرأتين كانتا ضرتين، ضربت امرأة ضرتها بعمود فسطاط وهي حبلى فقتلتها... الحديث.

قال الإمام النووي في شرح مسلم ١٧٨/١١: إنما ذم سجعه لوجهين: أحدهما: أنه عارض به حكم الشرع، ورام إبطاله.

والثاني: أنه تكلفه في مخاطبته. وهذان الوجهان من السجع مذمومان.

(١) ساقطة من: د.

ومشهور من شمائله وأعراقه، بل قد جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه السجع قسيماً للخبر.

روى أصحاب فتوح البلاد في فتح مكران من بلدان فارس: أن الحكم بن عمرو[1] لما فتحها، أرسل بالأخماس مع صحار[2] العبدي، فلما قدم على عمر رضي الله عنه سأله عن مكران، وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه، فقال له: يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، وماؤها وشل[3] وتمرها دقل[4]، وعدوها بطل وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها[5] شر منها، فقال: أَسَجَّاع أنت أم مخبر؟ قال: لا والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت.

فقد جعل الفاروق السجع قسيماً للخبر، ولم يَرُدَّ عليه ذلك[6] أحد ممن حضر فدل على أن التقيد به عيب لإخلاله بالفائدة، أو بتمام الفائدة.

---

(١) هو الحكم بن عمرو بن مجدّع الغفاري، صحابي، حديثه في البخاري وغيره، صحب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن مات، وانتقل إلى البصرة في أيام معاوية، ثم أقام بمرو وبها مات سنة ٥٠ هجرية.
راجع: الاصابة ٢/٢٩، تاريخ الاسلام ٢/٢٢٠.

(٢) هو صحار بن عياش بن شراحيل بن منقذ العبدي، من بني عبد القيس، كان خطيباً مفوهاً وكان من شيعة عثمان. وله صحبة. وممن شهدوا فتح مصر ولما قتل عثمان كان ممن طالب بدمه، وشهد صفين مع معاوية، وسكن البصرة وفيها مات سنة ٤٠ هجرية تقريباً.
راجع: الإصابة ٢/١٧٠ ترجمة رقم ٤٠٤٠.

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٦/١١٣: الوشل: الماء القليل وجمعه أوشال. اهـ.

(٤) قال الزمخشري في الفائق ٢/٤: الدقل: تمر رديء لا يتلاصق، فإذا نثر تفرق وانفردت كل ثمرة عن أختها. اهـ.
وراجع: النهاية ٢/١٢٧.

(٥) في د: وماؤها.

(٦) في د: ولم يرد ذلك عليه أحد.

ولعله إنما جوز أن يكون مخبراً، لأنه انفك عن السجع في آخر كلامه، وكرر لفظ «قليل» فكان ما ظنه.

لأنه لو أراد السجع، لأمكنه أن يقول: والكثير بها ذليل، والقليل بها ضائع كليل، وما وراءها شر منها يا قوم قيل.

ولقد نفي الله سبحانه (وتعالى)[1] عن هذا القرآن العظيم، تصويب النظر إلى السجع، كما نفي عنه قرض الشعر. فإنه قال تعالى:[2] ﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكَّرون ﴾[3].

فكما أن قول الشاعر إتيانه بالكلام (موزوناً بالقصد، فكذلك قول الكاهن اتيانه باكلام)[4] مسجوعاً، والقرآن منزه عن هذا، كما هو منزه عن ذلك، وإن وقع فيه كل الأَمْرَيْن[5]، فغير مقصود إليه، ولا معول عليه، بل لكون المعنى انتظم به على أتم الوجوه، فأتى به لذلك، لا لأجل السجع، ثم يبين أنه غير مقصود بالانفكاك عنه في كثير من الأماكن، بقرينة ليس لها[6] مجانس[7] في اللفظ، لتمام المعاني المرادة عندها.

فيعلم قطعاً: أن ذلك غير مقصود أصلاً، لأن مثل ذلك لا يرضى به أقل الساجعين، بل يراه عجزاً، وضيقاً عن تكميل المشاكلة ونقصاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإذا تأملت الفواصل في الاتيان بها تارة متناظرة ـ (تارة)[8] بكثرة

---

(١) زيادة عن: د.

(٢) كان الأحسن أن يقول: «فإنه تعالى قال» إلا إن جعل الضمير للشأن، فإنه يستقيم.

(٣) سورة الحاقة الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

(٤) ساقط من: د.

(٥) في د: وان وقع فيه كل من الأمرين من الأماكن بقرينة.

(٦) في د: بها.

(٧) في د: محاسن.

(٨) ساقطة من: د.

وأخرى بقلة ـ وتارة منفكة عن التناظر بالكلية، بل يؤتى في كل آية بفاصلة لا توافق الأخرى، لا روياً، ولا وزناً، كما «لكافرون» علمت أن هذا المذاهب هو الصواب ولا سيما آخر سورة اقرأ.

وإذا تبحرت في علم العدد، أتقنت الدليل على[1] ذلك والمستند.

فإياك أنْ تجنح إلى موافقة من قال بمراعاة السجع في موضع من آيات الكتاب فتكون قد أبعدت عن الصواب، ويتوب الله على من تاب.

وهذا كله لا ينفي أن يكون في السجع والشعر ما هو حسن جداً وبليغ، وعليه ينطبق قوله ﷺ، الذي رواه البخاري، وأبو داود، وابن ماجة عن أبي بن كعب رضي الله عنه. والبزار عن عائشة رضي الله عنها: إن من الشعر حكمة[2].

وكذا ما رواه الدارقطني من وجه ضعيف، عن عائشة رضي الله عنها، أنه ذُكر عند رسول الله ﷺ الشعرُ فقال: هو كلام فحسنه كحسنه وقبحه كقبيحه[3].

ورواه الشافعي عن عروة (عنها)[4] مرسلاً[5].

---

(١) في د: في.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ٨/٢٩.

وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر ٤/٣٠٣ حديث رقم ٥٠١٠.

وسنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب الشعر ٢/١٢٣٥ حديث رقم ٣٧٥٥ ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/١٢٤.

(٣) سنن الدار قطني: باب خبر الواحد يوجب العمل ٢/١٥٥، ولفظه هكذا: هو كلام، فحسنه حسن، وقبيحة قبيح.

أما المتن الذي ذكره المؤلف فهو من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، رضي الله عنهم.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) مسند الشافعي ص ٤٦٦.

ورواه أبو يعلى عن عائشة (أيضاً)[1] رضي الله عنها، ولفظه: «هو كلام فحسنه حسن، وقبيحه قبيح.

وروى الحارث بن أبي أسامة، عن رجل من هذيل، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: إن هذا الشعر جزل[2] من كلام العرب، يعطي به السائل، ويكظم به الغيظ، وبه يتبلغ القوم في ناديهم.

فصار في كل منهما مذمومٌ وممدوحٌ.

فالمذموم: التكلف بالتقيد به، وجعل المعنى تابعاً للفظ.

والممدوح: قبول الطبع له، وسهولته عليه، حتى يرمي (به)[3] من غير قصد إليه ولا تعويل عليه، رمي العارف به، والمقتدر عليه، المطبوع فيه.

وذلك إذا لم يتأتَّ المعنى الأحسن، والمنحى الأبلغ الأتقن، إلا به، فيكون حينئذ المطبوع في ذلك متمكناً من نقد الشعر والسجع، بصيراً بتمييز قبيحه من حسنه.

ومعنى «وما علمناه الشعر»[4]: وما علمناه بإنزال هذا القرآن الشعر، وما جعلناه قائلاً لشيء من أنحائه، قاصداً له. وما علمناه أن يتكلف استحضار القوافي، وبناء الكلام عليها، والقصد في صوغه إليها، بحيث تكون هي المقصودة بالذات.

فالمنفى تعليمه: هو العلم الصناعي، وهو الحاصل من التمرن على العمل وهذا لا ينفي أن يكون الوزن في طبعه.

ولو أريد نفيه لقيل: وما طبعناه عليه، أو نحو ذلك ما يؤدي معناه،

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) قال في النهاية ١/٢٧٠: كلام جزل: أي قوي شديد.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) سورة يس آية ٦٩.

بدل: «وما علمناه»، فإن الوزن ليس[1] مما يتكسب بالتعليم، بل هو غريزة يخلقها[2] الله في طبع من يريد.

وأدل دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾[3]، فنفي ما يخص الشاعر من الاستجداء بشعره، ونفي التكلف في قرضه ثم أثبت ما يخص القرآن من الصفة التي فَاقَ وفارق فيها جميع الكلام، فقال[4]: ﴿ **إن هو إلا ذكرٌ للعالمين** ﴾[5].

أي كلهم يشترك في أصل فهمه ـ مع أنه أعلى من جميع الكلام ـ الذكى منهم والغبي، والبليغ والعيى، وإن اختلفت فيه فهومهم، وتفاوتت في دقائقه علومهم.

وأما الشعر والسجع، فإنما يفهمها خواص العالمين، مع أنهما دون هذا القرآن، بما لا يجهله ذو لسان، وإن كان قاصراً في البيان.

والدليل على ما قدمته: أن النبي ﷺ كان يتمثل بالشعر فتارة يكسره، وتارة يتركه على وزنه، وتارة يأتي بالكلام من عند نفسه فيقع موزوناً وتارة ـ وهو الأغلب ـ لا يكون موزوناً، وتارة يأتي مسجوعاً، وتارة ـ وهو الأغلب أيضاً ـ لا يكون كذلك، وما ذلك إلا لإرادته الأمر على صحة المعاني التي يأمره الله (تعالى)[6] بها في الكلام البليغ، من غير تعريج على قصد نظم ولا سجع.

[روى[7] الإمام أبو محمد البغوي بسنده من طريق أبي إسحاق

---

(١) في د: فليس الوزن مما.

(٢) في د: خلقها.

(٣) سورة ص آية ٨٦.

(٤) في د: قال.

(٥) سورة ص آية ٨٧.

(٦) ساقطة من د.

(٧) ما بين المربعين ساقط من د.

الثعلبي، عن الحسن رحمه الله: أن النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت:

.... كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا[1]

فقال له أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله، إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال أبو بكر - أو عمر[2] - رضي الله عنهما: أشهد أنك رسول الله، يقول الله عز وجل: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾[3].

ورواه الدينوري في الجزء العاشر من «المجالسة» من وجه آخر، عن الحسن رحمه الله، وفيه: فجعل أبو بكر رضي الله عنه يقول: الشيب والإسلام، والنبي ﷺ (يقول)[4]: بالإسلام والشيب.

فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله حقاً، ما علمك الله الشعر وما ينبغي لك.

وروى (البغوي)[5] أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنه قيل لها: (هل)[6] كان النبي ﷺ يتمثل شيئاً من الشعر؟. قالت: (كان)[7] يتمثل من شعر عبدالله بن رواحة.

قالت: وربما قال: ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

(و)[8] قال معمر: بلغني أن عائشة رضي الله عنها سئلت: هل كان

---

(١) هذا البيت لسحيم عبد بني الحسحاس، وهو في ديوانه ص ١٦، وتمامه:

عميرة ودِّع ان تجهزت غازياً   كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

(٢) في تفسير البغوي: «وعمر» بواو العطف، وفي تفسير ابن كثير ٥٧٨/٣: أو عمر.

(٣) تفسير البغوي على هامش الخازن ١٢/٦. وهو حديث مرسل.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) ساقطة من: د.

(٧) زيادة عن تفسير البغوي.

(٨) ساقطة من: د.

النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟. قالت: كان أبغض الحديث إليه.

قالت: ولم يتمثل بشيء من الشعر، إلا ببيت أخي بني قيس طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول: ويأتيك من لم تزود بالأخبار.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا يا رسول الله، فقال: إني لست بشاعر ولا ينبغي لي[1].

وقال شيخنا حافظ عصره، أبو الفضل ابن حجر في تخريج أحاديث مسند الفردوس: أخرجه أبو يعلى عن عكرمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها.

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكذا أورد ابن الجوزي[2] التمثل[3] بهذا البيت بغير اسناد إلا أنه قال: ويأتيك من لم تزوده بالأخبار[4].

فزاد الضمير.

وللترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول: ويأتيك بالأخبار من لم تزوده. قال: وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، هذا حديث حسن صحيح، انتهى[5].

---

(١) تفسير البغوي: الموضع السابق.

(٢) هو أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن الجوزي، القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، ولد ببغداد سنة ٥٠٨ وقيل: سنة ٥١٠ هـ، كان إمام عصره في التاريخ والحديث والوعظ والجدل، له نحو ثلاثمائة مصنّف، في كافة العلوم، قال ابن قنفذ: ابتدأ التأليف وهو ابن عشر سنين. اهـ. وتوفي سنة ٥٩٩ هـ.

(٣) في د: التمثيل.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٧/٣٥.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في إنشاد الشعر ٤/٢١٨ حديث رقم ٣٠٠٦.

وروى مسدد عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استزاد خَبَراً، تمثل ببيت طرفة:

ويأتيك بالأخبار من لم تزوده

قال شيخنا الحافظ: شهاب الدين البوصيري(١): ورواه النسائي في «اليوم والليلة».

ولأبي بكر بن أبي شيبة، وعبد بن حميد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يتمثل من الأشعار:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

هذا ما وقفت عليه من طرق هذا الخبر.

وحقيقة ما كان يعبِّر به النبي ﷺ عن هذا البيت:

ويأتيك من لم تزوده بالأخبار

بزيادة ضمير في «تزود»، أو بغير زيادة مع تقديمها على «بالأخبار».

وأما من روى البيت كما هو، فذكر المتمثل به، ولم يذكر هيئة العبارة عنه، ومن قدم قوله: «بالأخبار»، وزاد ضميراً في تزود: مشى على جادَّة البيت، ظاناً أن المقصود مجرد كسره، وهو حاصل بزيادة الضمير، وخفي عليه المعنى الذي غيره النبي ﷺ لأجله، كما سيأتي بيانه.

فبهذا تترجح رواية من قدم «من لم تزود» على ما هو الأولى بالمسند إليه كما يعرف ذلك أهل النقد للأخبار، وأرباب المزاولة للآثار.

وروى الشيخان: البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجة، عن أبي

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن أبي بكر محمد بن اسماعيل بن سليم بن قيماز بن عثمان البوصيري الشافعي، نزيل القاهرة، والمتوفي بها سنة ٨٤٠، وله كتاب: أطراف المسانيد العشرة.

راجع: الرسالة المستطرفة ص ١٣٩.

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر: (كلمة لبيد)[١].

ألا كل شيء ما خلا الله باطل[٢]

ورواه اليونارتي[٣] في جزئه[٤] عنه فقال: أن رسول الله ﷺ قال على المنبر: إن أصدق كلمة تكلمت بها العرب، كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وللشيخين وغيرهما: عن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق، حتى اغبر بطنه، ويقول:

والله لولا أنت[٥] ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا (وثبت الأقدام إن لاقينا)[٦]
إن الأولى قد بغو[٧] علينا إذا أرادوا فتنة أَبَيْنَا

---

(١) زيادة عن صحيح مسلم وسنن ابن ماجة.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ٨/٢٩.
وصحيح مسلم: كتاب الشعر ١٥/١٢ - ١٣.
وصحيح الترمذي: كتاب الشعر، باب ما جاء في انشاد الشعر ٤/٢١٨.
حديث رقم ٣٠٠٧.
وسنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب الشعر ٢/١٢٣٦ حديث رقم٣٧٥٧. ومعنى «باطل» قال النووي في شرح مسلم ١٥/١٢: الفاني المضمحل. ا ه.

(٣) هو الحافظ أبو نصر الحسن بن محمد بن ابراهيم بن أحمد الأصبهاني، واليونارتي: نسبة الى يونارت احدى قرى أصبهان، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ٤/١٢٨٧: كان سريع الكتابة حسن القراءة، مليح التخريج، اهـ. ولد سنة ٤٦٦، ومات في شوال سنة ٥٢٧ هـ.

(٤) في د: حزبه.

(٥) وفي رواية للبخاري ومسلم: لولا الله.

(٦) زيادة عن البخاري.

(٧) وفي رواية لمسلم: إن الملأ قد أبوا علينا.

يرفع بها صوته: أبينا، أبينا[1].

وروى عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند»، وأبو يعلى الموصلي، عن الأعشى المازني[2] رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فأنشدته:

يا مالك الناس وديّان[3] العرب ... إني لقيت ذربة (من)[4] الذرب[5]
غدوتُ أبغيها الطعام في رجب ... فخلفتني بنزاع وهَرَبْ
أخلفت العهد ولَطَّتْ[6] بالذَّنَبِ ... وهُنَّ شَرٌّ غالِبٌ لمن غَلَبْ

قال: فجعل رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ٣/٣٢.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب ١٢/١٧١.

(٢) في الإصابة ٢/٢٦٧: اسمه عبد الله بن الأعور المازني، الأعشى الشاعر.
وفي الاستيعاب لابن عبد البر ٢/٢٥٩: وقيل: عبد الله بن الأطول الحرمازي المازني.
قال: وكانت عنده امرأة يقال لها مُعَاذة، فخرج يَمير أهله من هجر، فهربت امرأته بعده ناشزة عليه، فعاذت برجل منهم يقال له مطرِّف بن نَهْصَل، فجعلها خلف ظهره، فلما قدم الأعشى لم يجدها في بيته، وأُخْبِر أنها نشزت وأنها عاذت بمطرف بن نهصل، فأتاه فقال: يا ابن عم عندك امرأتي معاذة فادفعها إليَّ. فقال: ليست عندي ولو كانت عندي لم أدفعها إليك، وكان مطرف أعز منه فخرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فعاذ به وأنشأ يقول... الأبيات.

(٣) قال في النهاية ٢/١٤٨: هو فعّال، من: دان الناس، إذا قهرهم على الطاعة، يقال: دِنْتُهم فدانوا، أي قهرتهم فأطاعوا.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) قال في النهاية ٢/١٥٦: كنى عن فسادها وخيانتها بالذربة، وأصله من ذرب المعدة وهو فسادها. وقيل: أراد سلاطة لسانها وفساد منطقها من قولهم: ذرب لسانه إذا كان حاد اللسان لا يبالي ما قال.

(٦) قال في النهاية ٤/٢٥٠: أراد منعته بضعها، من لطت الناقة بذنبها، إذا سدت فرجها به إذا أرادها الفحل. وقيل: أراد: توارت وأخفت شخصها عنه كما تخفى الناقة فرجها بذنبها.

.... وهن شـر غـالب لمن غلب[1].

وذكر أصحاب السير، والبيهقي في دلائل النبوة: أن النبي ﷺ قسم غنائم حنين، وأكثر في المؤلفة قلوبهم، وأعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس مائة، وأعطى العباس بن مرداس رضي الله عنه دون المائة، فأنشد يقول:

كـانت نُهابا تـلافيتهـا بِكَـرِّى … عـلى المُـهْـرِ في الأَجْـرُع
وإيـقـاظـى الحـيّ أن يـرقـدوا … إذا هـجـع الـنـاس لم أهـجـع

فأصبح

وفي رواية:

أتجعـل نُهْبِي[2] ونُهْب العُـبَـيْـ … ـدِ[3] بـين عـيـينـةَ والأقـرع
فـما كـان حـصـنٌ ولا حـابسٌ … يـفـوقـان مـرداسَ في مَجْـمَـعٍ
وقـد كنتُ في الحرب ذا تُـدْرَأ[4] … فـلم أُعْطَ شـيئـاً ولم أمـنـع[5]
ومـا كـنتُ دون امـرىء منهـما … ومـن تضـع الـيـوم لا يُـرفـع

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أنت القائل: أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟.

فقال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)[6]: بأبي وأمي أنت، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر وما ينبغي لك، وما أنت براويه.

---

(١) مسند الامام أحمد ٢/٢٠١.
(٢) النهب: النصيب من الغنيمة.
(٣) العبيد ـ مصغراً ـ اسم فرس العباس.
(٤) تدرأ ـ بضم التاء ـ واسكان الدال، وفتح الراء، بعدها همز ـ: من الدَّرْءِ، وهو الدفع.
(٥) أي لم أعط شيئاً ذابال، ولم أمنع من الاعطاء، لأني أعطيت شيئاً قليلاً.
(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.

قال: فكيف؟. فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: سواءهما، ما يضرك بأيهما بدأت، بالأقرع أم عيينة؟. فقال النبي ﷺ: اقطعوا عني لسانه، فأعطى حتى رضي[1].

هذا ما اطلعت عليه مما تمثل به النبي ﷺ من الشعر.

وأما ما وقع من كلامه ﷺ موزوناً:

فروى الشيخان عن البراء رضي الله عنه في غزوة حنين أن النبي ﷺ لما هرب عنه أصحابه - رضي الله عنهم - شرع يركض بغلته نحو هوازن ويقول:

أنا النبي لا كذب[2] أنا ابن عبد المطلب[3]

وروى البخاري ومسلم أيضاً: والترمذي، والنسائي، من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان في بعض المشاهد، وقد دميت أصبعه.

وفي رواية: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر فعثر، فدميت أصبعه فقال:

هل أنت إلا أصبع دميت[4] وفي سبيل الله ما لقيت[5]

---

(١) الروض الأنف للسهيلي ٧/٢٨٥، وخزانة الأدب ١/١٠٥.

(٢) أي: أنا النبي حقاً.

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب قوله تعالى، ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ٣/٦٦.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ١٢/١٢٠.

(٤) قال النووي في شرح مسلم ١٢/١٥٥: الرواية المعروفة «دميت، ولقيت» بكسر التاء، وأن بعضهم أسكنها.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز ٨/٢٩.
وصحيح مسلم: كتاب الغزوات: باب ما لقى النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين ١٢/١٥٥.

قال الزمخشري: ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف، إلا أنه اتفق من غير قصد إلى ذلك، ولا التفات منه إليه إن جاء موزوناً، كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة، ولا يسميها أحد شعراً، ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنه شعر[1]، وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك، وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز. انتهى[2].

قلت: وأبين من ذلك في الحجة: أنه قد أخرج بعض الناس البحور الستة عشر من القرآن العظيم[3]، وما اعترض أحد من العرب عليه ﷺ ﴿ بشيء من ذلك ﴾[4]، مع أنهم كانوا لا يجدون مساعاً لشيء يعترضون به، إلا بادروا إليه.

فلولا أنه مشهور عند صغيرهم وكبيرهم: أن الشعر لا يكون إلا مع القصد لأوسعوا القول في ذلك، وألزموا به التناقض.

والذي دعا إلى الاتيان به موزوناً: إنما هو صحة المعنى، وكمال انتظامه به دون غيره، فإن «لا» النافية لكل كذب في «لا كذب»، (لا)[5] يقوم غيرها مقامها.

وشهرته ﷺ بعبد المطلب أعظم من شهرته بغيره مع أنه أقرب أجداده[6]، فنظره ﷺ مقصور على المعنى.

---

(١) في الكشاف: أنها.

(٢) تفسير الزمخشري ٣/٣٢٩.

(٣) راجع: العمدة لابن رشيق ١/١١٩.

(٤) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) قال النووي في شرح مسلم ١٢/١١٩، كانت شهرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجده أكثر، لأن أباه عبد الله توفي شاباً، وكان عبد المطلب مشهوراً شهرة ظاهرة شائعة، وكان سيد أهل مكة، وكان كثير من الناس يدعون النبي صلى الله عليه وسلم ابن =

وأما في الأصبع: فكذلك لا عبارة غير ما قال تؤدي ذلك المعنى، فإن تقديم الجار المفيد للاختصاص، في أحق مواضعه وأتمها.

ولم ينقل[1] أحد أنه ﷺ أشبع كسرة التاء حتى تولد منها ياء[2] ويكفي في صرفه عن الشعر، عدم الإشباع.

وأما الأبيات الماضية: فتقديم الأقرع على عيينة أولى، لأن عيينة ارتد في أيام الردة، بل أقر أنه لم يكن أسلم قبل ذلك[3].

وأما الأقرع فكان إسلامه حسناً، ولم يرتد بعد ذلك، ولكنه كان شريفاً، فكان التأليف لغيره بواسطته.

ولذلك اعتذر ﷺ بقوله: لا يضرك[4] بأيهما بدأت.

= عبد المطلب ينسبونه إلى جده لشهرته، ومنه حديث همام بن ثعلبة في قوله: «أيكم ابن عبد المطلب؟».

وقد كان مشتهراً عندهم: أن عبد المطلب بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه سيظهر، وسيكون شأنه عظيماً، وكان قد أخبره بذلك سيف بن ذي يزن.

وقيل: ان عبد المطلب رأى رؤيا تدل على ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك مشهوراً عندهم، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم تذكيرهم بذلك وتنبيههم بأنه صلى الله عليه وسلم لا بد من ظهوره على الأعداء، وأن العاقبة له، لتقوى نفوسهم. اهـ.

راجع: فتح الباري ٣١/٨.

(١) في د: يقل.

(٢) في د: عنها.

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف ٢٨٧/٧: فإن الأقرع حسن إسلامه، وعيينة لم يزل معدوداً في أهل الجفاء، حتى ارتد وءامَنَ بطليحة، وأُخِذَ أسيراً فجعل الصبيان يقولون له ـ وهو يساق إلى أبي بكر ـ: ويحك يا عدو الله ارتددت بعد إيمانك؟ فيقول: «والله ما كنتُ آمنتُ»، ثم أسلم في الظاهر، ولم يزل جافياً أحمق حتى مات. اهـ.

(٤) في د: ما.

وأما شعر الأعشى: فلا يتأتى المعنى على حال السداد والكمال، إلا بقوله: «وهن شر غالب لمن غلب»، فأتى به كما هو من غير تغيير.

وكذا شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: والله لولا أنت ما اهتدينا.

ولما كانت «الألى» - بضم الهمزة بمعنى الجماعة - يجوز فيها المد والقصر وكان المد لا يلتزم هنا إلا لأجل الوزن، وكان انتظام المعنى به مقصوراً، كانتظامه به ممدوداً، قصره ﷺ، لأنه لا نظر له إلى غير تصحيح المعنى بالألفاظ الكاملة.

فإن قيل: المد ربما أفهم تعظيماً لم يفده القصر؟.

قيل: وهذا موجب الاتيان به مقصوراً، لأن المقام لا يقتضي تعظيم الظالمين.

وأما قول لبيد: فلا يتأتى المعنى - مع أنه في غاية الصحة - إلا به، فلم يغيره.

وأما قول طرفة: فلما كان قد يلزمه الكذب من تقديم الجار، في قوله: «بالأخبار» نطق به ﷺ على أتم أحواله، بأن قدم «من لم تزود» الذي هو عمدة الكلام، سواء كان بضمير، أم لا[1].

وأما «كفى الشيب والإسلام»: فإنه لا يليق بذلك السياق الذي للنهى عن المساوىء والوعظ، أن يُقدَّم فيه شيء على الإسلام، الذي هو أعظم واعظ، وأقوى زاجر، وتأكيد المعنى بالجار أحسن، فأتى[2] به كذلك.

فتأمل ما يرد عليك[3] من مثل ذلك حق التأمل، وأعطه ما يليق به.

---

(١) في م: أو.
(٢) في د: وأتى.
(٣) في د: عليه.

ثم إن وراء ذلك: أن القوافي[1] المطلقة الموصولة[2] بحروف العلة، لا يُعَدُّ البيتُ شعراً إلا بوصلها، وإلا نقص الوزن، ومتى نقص، لم يعد شعراً.

ولا رواية مصرحة بأنه صلى الله عليه (وسلم)[3] وصل شيئاً من ذلك.

فالظاهر: أنه سكَّن اللام من «باطل» من شعر لبيد للوقف، كما تقدم في دميت، وكذا كل ما جاء من مثله.

وأما ما «حرف»[4] الوصل فيه من (نفس)[5] الكلمة فيأتي به لكون الكلمة لا تصح إلا به لا لكونه وصلاً.

وأما من كان يقول له ﷺ: «ليس هكذا قال الشاعر»، من الصحابة رضي الله عنهم، فكانوا يعلمون أن الشاعر إذا قدَّم شيئاً، أو أخره، لم يفعل ذلك لقصد المعنى الذي أدى إليه التقديم والتأخير، وإنما هو للاضطرار، وأن ذلك لازم في صنعة الشعر، لا يحلو إلا به، فيلزم الذي يقصد الشعر أن يأتي به ليصح النظم معه، وكذا من يقصد روايته عن قائله، لتصح له الرواية.

وأما النبي ﷺ: فلما لم يكن للوزن عنده اعتبار، لم يلتفت إليه، ورأى: أن التقديم والتأخير مُخِلٌّ بالمعنى فنطق به ﷺ على الصواب، ولم يلتفت بوجه إلى الوزن، ولا نحا أصلاً نحوه، لأنه ليس للشعر عنده حرمة من حيث كونه شعراً، فليس هو بشاعر، ولا راوية للشعر، حتى يقصد الاتيان بالبيت كما هو، لئلا ينكسر، بل قصده المعنى ليس غير، لأنه إذا أدار الأمر بين أن يأتي بمعنى معيب في لفظ مزوَّق، فهو في الظاهر حلو، وفي الحقيقة معيب كما هو حال كل شيء للشيطان فيه حظ. وأن يأتي بالمعنى خالصاً ممدّحاً في لفظ

---

(١) في د: لقول.

(٢) في د: الموصلة.

(٣) ساقطة من: م وزدناها من د.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) ساقطة من: د.

جليل سالم، وجب أن يأتي به سالماً، لأنه لاحظ للتزويق منه ﷺ في قول، ولا (في)[1] فعل، ولا حال أصلاً، ولم يكن أحد ممن كان يحاوره في ذلك يساويه في البلاغة حتى يذوق هذا الذوق من قبل أن ينبهه ﷺ. والله الهادي.

. وأعلم أن هذا القول[2]، وهو: أن النبي ﷺ عالم بأصل الغريزة بأنحاء الشعر، معرض عن استعمال ذلك، لما فيه من المعايب، غير معول على شيء منه، لما يوقع فيه من النقائص ما لا بد من اعتقاده، ولأدى الحال إلى أمر فظيع.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب «الاعجاز» ما معناه: «إن من كان ناقصاً في نوع من أنواع البلاغة في شيء من وجوه الخطاب، لم تقم عليه الحجة بالقرآن حتى يعلم عجزه الكامل في ذلك النوع، ثم قال: فأما من كان متناهياً في معرفة وجوه الخطاب، وطرق البلاغة، والفنون التي يمكن فيها إظهار الفصاحة، فهو متى سمع القرآن، عرف إعجازه.

وإن لم نقل ذلك، أدى الحال إلى أن يقال: إن النبي ﷺ لم يعرف إعجاز القرآن حين أوحى إليه، حتى سَبَرَ الحالَ، بعجز أهل اللسان عنه، وهذا خطأ من القول.

فصح من هذا الوجه: أن النبي ﷺ حين أوحى إليه القرآن عرف كونه معجزاً، (وعرف)[3] بأن قيل له: إنه دلالة وعلم على نبوتك.

إنه كذلك من قبل أن يقرأه على غيره، أو يتحدى إليه سواه.

ولذلك قلنا: إن المتناهي في الفصاحة، والعلم بالأساليب التي يقع فيها التفاصح متى سمع (القرآن)[3]، عرف أنه معجز، لأنه يعـرف من حال

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) في د: القرآن.

(٣) ما بين المربعين موجود بالأصل، وغير موجود في كتاب البلقلاني.

نفسه: أنه لا يقدر عليه، ويعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه، فيعلم أن عجز غيره كعجزه هو، وإن كان يحتاج بعد هذا إلى استدلال آخر على أنه علم على نبوة، ودلالة على رسالة، بأن يقال له: إن هذا آية النبي، وأنها ظهرت عليه، وادَّعاها معجزة له، وبرهاناً على صدقة. انتهى[1].

ولا يُظَنُّ أني لم أسبق بالقول بأن النبي ﷺ عالم بالوزن، كما أنه قادر على السجع، غير أنه لا يصوِّب إلى[2] شيء منهما همته الشريفة، لما يجرُّ إليه التقيد بذلك من التكلف والنقص اللذين برأه الله منهما، وأبعده عنهما.

فقد قال قاضي الشافعية بمصر: صدر الدين السُّلَمي المناوي الشافعي[3] في كتابه «تخريج أحاديث المصابيح»: وقد ذهب جمع من العلماء إلى أنه ﷺ لم يكن يُحْسِنُ الشعر ـ وهو الأصح ـ حتى قيل: إنه لم ينشد بيتاً تاماً قط، ألا ترى أنه حين ذكر بيت طرفة قال: ويأتيك من لم تزوده بالأخبار؟

وذهب قوم إلى أنه ﷺ كان يحسن الشعر، ولكن لا يقوله وتأولوا قوله تعالى: ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾[4] إنه رد على المشركين في قولهم: ﴿ **بل هو شاعر** ﴾[5] ومن ذكر بيتاً واحداً، لا يلزمه هذا الاسم[6]. انتهى.

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٥١.

(٢) في د: على.

(٣) هو أبو المعالي صدر الدين محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن السلمي الشافعي، كان محدّثاً، ولد سنة ٧٤٢ بمصر، وتولى الإفتاء، ثم القضاء بمصر، ومات غريقاً في الفرات سنة ٨٠٣ هـ، ومن آثاره: المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح.

راجع: الضوء اللامع ٦/٢٤٩، شذرات الذهب ٧/٣٤.

(٤) سورة يس آية ٦٩.

(٥) سورة الأنبياء: آية ٥.

(٦) في م: الأثم.

فإن كنت ممن يدور مع البرهان، فقد ذكرت (لك)[1] من ذلك ما فيه مقنع، وإن كنت مقيداً بالسلف، فهذا كلام بعضهم، وإن خالفه غيره.

وقوله: إنَّ الأول أصح، منظور فيه.

والأصح - بل الصواب -: هذا الثاني، لما ذكرت من الدلائل، وأقمت من الحجج.

هذا تحرير القول إجمالاً في نفي السجع عن القرآن، وإن[2] أردت التفصيل، فانظر كل موضع ادعى فيه كل مدع شيئاً من ذلك من كتابي: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» تجد فيه - بحمد الله - ما يفكك من تلك العهدة، ويخلص مما لزم من الورطة، وإنه ما سيق على ذلك النظم، إلا لحال[3] دعا إليه، لا يبلغ الكلام ذروة البلاغة إلا به، فهو جار على ما اقتضاه من الحال، لا على التفنن في المقال.

والله الهادي من الضلال، الموفق لمن اختاره إلى أشرف الأقوال والأعمال.

عدد آيات الفاتحة

إذا تقرر هذا، فعدد آي الفاتحة: وإن وقع الاتفاق على إجماله، فقد حصل الاختلاف في تفصيله.

عد الكوفي والمكي «بسم الله الرحمن الرحيم»، وأسقطا «أنعمت عليهم»، وعكس المدنيان، والبصري والشامي.

هكذا حكي الإجماع - على أنها سبع - المصنِّفون في العدد.

---

(١) زيادة عن: د.

(٢) في د: اذا.

(٣) في د: بحال.

وقال الإمام نجم الدين أبو حفص عمر النسفي في تفسيره «التيسير»: هي ثماني آيات في قول الحسن البصري، وست في قول الحسين الجعفي[1]، وسبع في قول الجمهور.

فالحسن عد البسملة و«أنعمت عليهم» آيتين، وتركهما الجعفي.

وحكى الأصفهاني في تفسيره: أن عمر بن عبيد[2] عدها أيضاً ثمانية، لأنه جعل ﴿ إياك نعبد ﴾ آية.

قال: وهو شاذ، وكذا القول بأنها ست.

رويها ـ أي الحرف الذي هو نهاية فواصلها ـ : حرفان، يجمعهما: من.

وفيها شبه الفاصلة: ﴿ إياك نعبد ﴾، قاله الداني.

و﴿ صراط الذين ﴾ قاله الجعبري.

وروى الداني بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه (أنه)[3] كان يقول: هي ـ أي البسملة ـ آية من كتاب الله، ثم يقول أبو هريرة: عُدُّوا إن شئتم فاتحة الكتاب، يعني: بسم الله الرحمن الرحيم[4].

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن فتح الجعفي، مولاهم، الكوفي، الزاهد قرأ علي حمزة، وأبي بكر بن عياش، وأبي عمرو بن العلاء، وقرأ عليه خلق كثير، وكان إماماً في القراءات. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أفضل من حسين الجعفي. وتوفي ـ رحمه الله ـ في ذي القعدة سنة ٢٠٣ هـ عن أربع وثمانين سنة.
راجع: طبقات القراء ١/٢٤٧.

(٢) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب، البصري، روى الحروف عن الحسن البصري وسمع منه، وأخذها عنه بشار بن أيوب الناقد. مات في ذي الحجة سنة ١٤٤ هـ.
راجع: غاية النهاية ١/٦٠٢.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) البيان للداني ورقة ١٧ أ.

قال أبو عمرو: وعدها آية في الحمد من أئمة الأمصار، أهل مكة، وأهل الكوفة، وكل من رأي قراءتها في صلاة الفرض من الصحابة رضي الله عنهم والتابعِين ومن بعدهم من الفقهاء، فهي عنده آية[1].

مقصود سورة الفاتحة

ومقصودها: مراقبة العباد لربهم.

فإن التزام اسمه تعالى وحده ـ كما دل عليه تقديم الجار ـ في كل حركة وسكون داع إلى ذلك، وعلى ذلك دلت أسماؤ ها.

وهكذا اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال بالإجمال على تفصيل ما فيه.

وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه السلام، عند العرض على الملائكة عليهم السلام ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها.

فهذه السورة اسمها ـ مع الفاتحة ـ أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني والأساس، والمثاني، والكنز، والشافية، والكافية، والواقية، والشفاء، والرُّقْيَة والحمد، والشكر، والدعاء، والصلاة[2].

فمدار هذه الأسماء ـ كما ترى ـ على أمر خفي، كاف لكل مراد، وذلك هو المراقبة، وكل شيء لا يفتتح بها، لا اعتداد به.

= وأخرجه الدار قطني في سننه: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات في ذلك ٣٠٠٦/١ وفيه: اقرأوا إن شئتم فاتحة الكتاب فإنها الآية السابعة.

(١) البيان للداني ورقة ١٧ ب.

(٢) قال السيوطي في الاتقان ٩٠/١: وقد وقفت لها على نيف وعشرين اسماً، وذلك يدل على شرفها، فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى.
وقال الزركشي في البرهان ٢٦٩/١: ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً.

وهي أم كل خير، وأساس كل معروف، ولا يعتد بها إلا إذا ثُنِّيت، فكانت دائمة التكرار، وهي كنز لكل مُنىً، شافية لكل داء، كافية لكل مُهِمٍّ، وافية بكل مرام[1] (واقية من كل سوء، شافية من كل سقام، رقية لكل مسلم، وهي إثبات الحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال، والشكر الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين الدعاء فإنه التوجه إلى المدعو، والمراقبة أعظم توجه)[2]، وأعظم مجامعها الصلاة.

وعلى قدر المقصود من كل سورة، تكون عظمتها، ويعرف ذلك مما ورد في فضائلها ويؤخذ من ذلك أسماؤها، ويدل على فضلها كثرتها.

فلا سورة في القرآن أعظم من الفاتحة، لأنه لا مقصود أعظم من مقصودها.

وهي جامعة لجميع معاني القرآن، ولا يلزم من ذلك اتحاد مقصودها مع مقصوده بالذات، وإن توافقا في المآل، فإنه فرق بين الشيء وبين ما جمع ذلك الشيء.

فمقصود القرآن، تعريف الخلق بالمَلِكِ، وبما يرضيه.

ومقصود الفاتحة: غاية ذلك، لكونها غاية له، وذلك هو المراقبة المذكورة، المستفادة من التزام ذكره تعالى في كل حركة وسكون، لاعتقاد أنه لا يكون شيء إلا به.

وعلى جلالة هذا المقصد، جاءت فضائلها[3].

---

(١) في م: لكل.

(٢) ساقط من: د.

(٣) وقال ابن القيم في مدارج السالكين ١/ ٢٤: وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، هما التوسل بالحمد، والثناء عليه وتمجيده، والتوسل اليه بعبوديته وتوحيده، ثم جاء سؤال أهم المطالب، وأنجح الرغائب، وهو الهداية ـ بعد الوسيلتين فالداعي به حقيقي بالاجابة.

فضائل القرآن

ولكونها جامعة، ناسب أن يذكر فضائل القرآن الإجمالية أولها، ويذكر اهتمام الصحابة بترتيبة وجمعه، وتهذيبه[١]، فإن ذلك من فضائله.

وليعلم أني لا أذكر (من ذلك)[٢] إن شاء الله في الفضائل، إلا ما صح أو حسن، أو جاز ذكره إن كان ضعيفاً[٣]، فلم ينزل إلى درجة الموضوع[٤]، ولم أذكر شيئاً من الحديث الموضوع على أبي وابن عباس، رضي الله عنهم، في فضائل كل السور: سورة، سورة، كما ذكره الواحدي[٥] والزمخشري، ومن تبعهما، لأن الموضوع لا يحل ذكره، إلا على سبيل القدح فيه. والله الموفق.

---

(١) لعله يقصد بتهذيبه: تخليصه مما ليس منه: فقد كان الصحابة يكتبون مع القرآن التفسير والحديث.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) الحديث الضعيف: كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن.

ولا يجوز العمل بالحديث الضعيف إلا بشروط:

الأول: أن يكون الضعف في الحديث غير شديد، وهذا متفق عليه عند المحدّثين.

الثاني: أن يكون مندمجاً تحت أصل عام في الدين، فيخرج المخترع الذي لم يكن له أصل معمول به.

الثالث: أن لا يُعتَقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط، لئلاً ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله.

راجع: دكتور محمد أديب الصالح: لمحات في أصول الحديث.

(٤) الحديث الموضوع: هو المختلق المصنوع والمنسوب افتراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، نسبة الى الواحد ابن الديل بن مهرة، كان عالماً بالتفسير واللغة والأدب، وأصله من نيسابور، بها ولد وعاش ومات، وقد لازمه المرض مدة طويلة. توفي سنة ٤٦٨ هـ. ومؤلفاته: البسيط، والوسيط، والوجيز، وأسباب النزول، وكلها في التفسير.

راجع: شذرات الذهب ٣/٣٣٠، وفيات الأعيان ٢/٤٦٤.

كيفية نزول الوحي

روى البخاري في بدء الوحي، ومسلم في فضائل النبي ﷺ والترمذي في المناقب، والنسائي في الصلاة، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن عائشة رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟، قال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس(١) وهو أشده عليّ، فينفصم عني(٢)، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وأن جبينه ليتفصَّدُ(٣) عرقاً(٤).

---

(١) الصلصلة: صوت الملك بالوحي، قال النووي في شرح مسلم ١٥/٨٨: الصلصة ـ بفتح الصادين ـ هي الصوت المتدارك، قال الخطابي: معناه: أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يقرع سمعه حتى يفهمه من بعد ذلك. اهـ.

(٢) روى: فينفصم ـ بنون قبل الفاء ـ ويفصم بدون نون، وكلاهما بمعنى واحد. والفصم ـ بالفاء والصاد ـ القطع من غير إبانة. والقصم ـ بالقاف والصاد ـ: القطع مع الإبانة والإنفصال.

والأول أنسب بالمقام، وأوجه بلاغة، ذلك لأن معنى الحديث: أن الملك يفارق النبي صلى الله عليه وسلم على أن يعود، ولا يفارق مفارقة قاطع لا يعود.

(٣) يتفصد: قال الزمخشري في الفائق ٣/١٢١: أي يتصبب.

قال الحافظ في الفتح ١/٢١: مأخوذ من الفصد، وهو قطع العرق لإسالة الدم، شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق.

ويشهد لهذا المعنى ما رواه مسلم في صحيحه ١٥/٨٨: عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان لينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقاً.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الوحي ١/٢.

وصحيح مسلم: كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك به ١٥/٨٨.

والترمذي: كتاب المناقب، باب ما جاء كيف ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥/٢٥٨ حديث رقم ٣٧١٣. =

وسيأتي في سورة القيامة حديث ابن عباس رضي الله عنهما في شدة الوحي.

والحكمة في جعل صوت الوحي كالصلصلة ـ والله أعلم ـ ما بين صاحبي الصوتين: الوحي، والحديد، من الشّبه في البأس الشديد والمنافع والثقل، والشدة والصلابة، والحدة والصفاء، والنفع والإبانة، والقطع والتأثير، دون التأثر، وغير ذلك مما يكشفه التدبر، والتأمل، والتفكر، مع ما فيه من تقريب إسماع كلام الله تعالى من غير حرف، بل ولا صوت(١).

وكذلك جاء في الحديث الآخر، الذي رواه البخاري، وأبو داود، عن أبي هريرة، ومسلم عن ابن عباس، عن رجال من الصحابة رضي الله

= وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب ما جاء في القرآن ٢/١٤٦.
وأخرجه مالك في الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن ١/٢٠٢.
وابن حبان في صحيحه: كتاب الوحي، باب ذكر وصف نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/١٨١.

(١) وقال النووي في شرح مسلم ١٥/٨٨: قال العلماء: والحكمة في ذلك: أن يتفرغ سمعه صلى الله عليه وسلم، ولا يبقى فيه ولا في قلبه مكان لغير صوت الملك. اهـ.
قال الحافظ في الفتح ١/٢٠: فإن قيل: المحمود لا يُشَبَّه بالمذموم إذ حقيقة التشبيه: إلحاق ناقص بكامل، والمشبه: الوحي، والمشبَّه به: صوت الجرس، وهو مذموم، لصحة النهي عنه، والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه، والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة، كما أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة؟.
والجواب: أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها بل ولا في أخص وصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالمقصود هنا: بيان الجنس، فذكر ما أَلِفَ السامعون سماعه تقريباً لأفهامهم.
والحاصل أن الصوت له جهتان: جهة قوة، وجهة طنين. فمن حيث القوة وقع التشبيه به. ومن حيث الطرب وقع التنفير عنه، وعُلِّلَ بكونه مزمار الشيطان. اهـ. ونقله السيوطي في شرح سنن النساء ٢/١٤٧.

عنهم، أن النبي ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء، سمع أهل السماء (للسماء صلصلة)[1] كجر السلسلة على الصفا[2].

ولما كان النبي ﷺ أكمل الخلق، ظهر له في وقع الحديد بعضُه على بعض فإنه أقوى من الوقع على الحجر.

ولما كان هذا الصوت للوحي، وكان الموحي واحداً لا شريك له، شرع توحيد وحيه أيضاً، بهذا المظهر، تشريفاً له، ولئلا يلبس نوع لَبْسٍ، ولو

---

(١) زيادة عن صحيح ابن حبان، وأبي داود.

(٢) هذه الرواية ليست في البخاري ولا في مسلم كما ذكر المؤلف، ولكنها من رواية ابن حبان عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أما حديث البخاري عن أبي هريرة (كتاب التفسير، باب سورة الحجر ٦/١٠٠ وسورة سبأ ٦/١٥٢) فلفظه: اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كالسلسلة على صفوان.

وبهذا اللفظ أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة أيضاً ١/١٧٧.

والترمذي: كتاب التفسير، باب تفسير، باب تفسير سورة سبأ ٥/٤٠ حديث رقم ٣٢٧٦ وقال: حسن صحيح.

أما حديث ابن عباس عند مسلم فلفظه: . . . ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً، سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم. . . الحديث.

والمراد بصلصلة السماء: ما يكون من ضرب الملائكة بأجنحتها، كما جاء في حديث البخاري، أو من تسبيحها كما جاء في حديث مسلم.

وتخريج الحديث:

صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الحجر ٥/٢٢١، وسورة سبأ ٦/٢٨ وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ٨/١٩٤.

وسنن أبي داود: كتاب السنة، باب في القرآن ٤/٢٣٥ حديث رقم ٤٧٣٨

وصحيح مسلم: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة ١٤/٢٢٥

والبخاري في خلق أفعال العباد ص ٨٩

والبيهقي في الأسماء والصفات ١٥٣

والخطيب في تاريخ بغداد ١١/٣٩٢.

على وجه بعيد فنهى عن الجرس، ولو كان مزمار الشيطان، لتعرضه لإلباس الوحي، وتقرب منه الملائكة غيرة على هذا المقام العالي (المرام)، والواجب الاكرام والإعظام، وجعل ما يخطفه الجنى من الوحي كقرقرة الدجاجة، التي هي من أضعف الحيوان، وهو من أضعف الأصوات وأسمجها. والله الموفق.

نزول الكتب السماوية في رمضان

وروى الامام أحمد في المسند، وأبو عبيد في الفضائل، والبيهقي في الشعب والأسماء والصفات، وأبو القاسم الأصفهاني في الترغيب، والثعلبي في التفسير عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: أنزلت صحف ابراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان (وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من شهر رمضان)[1]، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان[2].

ولفظ أبي عبيد: أنزلت صحف ابراهيم عليه السلام أول ليلة من شهر رمضان ونزلت التوراة على موسى عليه السلام في ست من شهر رمضان، ونزل الزبور على داود عليه السلام في اثنتي عشرة من شهر رمضان، ونزل الإنجيل على عيسى عليه السلام في ثماني عشرة من شهر رمضان، وأنزل الله تبارك وتعالى الفرقان على محمد ﷺ في أربع وعشرين من شهر رمضان.

وأخرجه أبو يعلى الموصلي في الجزء الثاني عشر من مسنده، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أنزل الله تعالى صحف ابراهيم عليه السلام في أول ليلة من (شهر)[3] رمضان، وأنزلت التوراة على موسى عليه السلام

---

(١) قوله: «وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من شهر رمضان»، غير موجود في متن الحديث في المسند.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/١٠٧ والأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٣٤.

(٣) زيادة عن: د.

لست خلون من رمضان وأنزل الزبور على داود عليه السلام في إحدى عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل القرآن[١] على محمد ﷺ في أربع وعشرين خلت من رمضان.

هكذا رواه موقوفاً، ومثله لا يقال بالرأي.

قال الإمام أبو شامة[٢] في كتابه «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز»[٣]: ووقع في تفسير الماوردي[٤] وغيره: أنزل الزبور لاثنتي عشرة والإنجيل لثمان عشرة.

(وكذلك هو في كتاب أبي عبيد.

وفي بعض التفاسير عكس هكذا، الإنجيل لاثنتي عشرة والزبور لثماني عشرة)[٥].

واتفقوا على أن صحف إبراهيم عليه السلام لأول ليلة، والتوراة لست مضين والقرآن لأربع وعشرين خلت.

---

(١) في د: الفرقان.

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم بن عثمان، المقدسي ثم الدمشقي، المعروف بأبي شامة، لأنه كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة قال ابن الجزري: الشيخ الإمام العلامة الحجة، والحافظ ذو الفنون. اهـ. صنف كتباً كثيرة في مختلف العلوم، وكان أوحد زمانه، توفي رحمه الله سنة ٦٦٥ في شهر رمضان، ودفن بدمشق خارج باب الفراديس.

(٣) ص ١٥.

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، نسبة إلى بيع ماء الورد من أكابر الفقهاء الشافعيين، ولد بالبصرة سنة ٣٦٤ هـ، وتعلم بها وانتقل إلى بغداد، وتولى منصب القضاء في كثير من البلاد، حتى صار قاضي القضاة، وله تصانيف كثيرة منها: أعلام النبوة، والأحكام السلطانية والعيون والنكت في تفسير القرآن، والحاوي في الفقه الشافعي. توفي في بغداد سنة ٤٥٦ هـ.

راجع: طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٦٧، تاريخ بغداد ١٢/١٠٢.

(٥) ساقطة من: د.

قال أبو عبد الله الحليمي[1]: يريد ليلة خمس وعشرين.

وفي (كتاب)[2] الأسماء والصفات للبيهقي: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سأله عطية بن الأسود فقال: قد وقع في قلبي الشك في قول الله تعالى: ﴿ **شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن** ﴾[3]. وقوله: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾[4]، وقد أنزل في شوال، وذي القعدة، وذي الحجة، يعني: وغير ذلك من الأشهر؟.

فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان، وفي ليلة القدر، وفي ليلة مباركة، جملة واحدة، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم، رسلاً[5] في الشهور والأيام.

قال البيهقي في معنى قوله: «أنزل القرآن لأربع وعشرين»: إنما أراد ـ والله أعلم ـ نزول المَلَك بالقرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا[6].

وقال في معنى قوله: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾[7]، يريد ـ والله أعلم ـ إنا أسمعناه الملك، وأفهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع، فيكون الملك متنقلاً به من علو إلى سفل[8].

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي ولد سنة ٣٣٨ هـ بجرجان، وقيل: ببخاري، قال الذهبي: العلامة البارع، رئيس أهل الحديث بما وراء النهر. . . وكان من أذكياء زمانه ومن فرسان النظر. اهـ. حدث عنه أبو عبد الله صاحب المستدرك، وتوفي في ربيع الأول سنة ٤٠٣ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣/١٠٣٠.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) سورة البقرة آية ١٨٥.

(٤) سورة الدخان آية ٣.

(٥) ضبطه في النهاية ٢/٢٢٢: بفتح الراء والسين، ومعناه: التفرق والتتابع.

(٦) الأسماء والصفات ص ٢٣٤.

(٧) سورة القدر آية ١.

(٨) الأسماء والصفات ص ٢٣٥.

نزول القرآن منجماً

ولأبي عبيد في الفضائل، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك نجوماً إلى النبي ﷺ في عشرين سنة، وقرأ: [﴿ **ولا يأتونك بمَثَل إلا جئناك بالحق وأحسنَ تفسيراً** ﴾][1] [2]، و﴿ **وقرآنا فَرَقْنَاه لتقرأه على الناس على مُكْثٍ ونزَّلناه تنزيلاً** ﴾ [3].

قال أبو شامة: أخرجه الحاكم أبو عبد الله في كتاب «المستدرك» وقال: حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجاه[4].

وأخرج أبو القاسم الأصفهاني في الترغيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن في النصف من (شهر)[5] رمضان إلى سماء الدنيا، فجعل في بيت العزة ثم أنزل على رسول الله ﷺ في عشرين سنة[6]، جواب كلام الناس.

---

(١) سورة الفرقان آية ٣٣.

(٢) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٣) سورة الاسراء آية ١٠٦.

(٤) المستدرك: كتاب التفسير، باب أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر الى السماء الدنيا ٢/٢٢٢.
وأقره الذهبي في التلخيص.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) اختلف العلماء، في مدة نزول القرآن، هل هي عشرون سنة، أو ثلاث وعشرون، أو خمس وعشرون؟
وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف في مدة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة، هل كانت عشر سنين، أو ثلاث عشرة، أو خمس عشرة؟.
وقد روى ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٢٤/١/ط بيروت) عن بعض الصحابة والتابعين هذه الأقوال الثلاثة في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة.
قال الشيخ عبد الوهاب غزلان في «البيان» ص ٦١: والذي يهدي إلى الصواب في =

وللحاكم وقال: صحيح على شرطهما، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عنه أيضاً[1]، والطبراني في الكبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ إنَّا أنزلناه في ليلة القَدْر ﴾ قال: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم، وكان ينزل على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض قال: «وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملةً واحدةً كذلك لِنُثَبِّت به فؤادك ورتَّلْناه ترتيلاً»[2].

= هذه المسألة، هو: أنه لا خلاف في أنه صلى الله عليه وسلم نبيء وهو ابن أربعين سنة، ولا خلاف ـ أيضاً ـ: في أنه أقام بالمدينة عشر سنين، فإذا ثبت: أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، تعين أن مدة إقامته بمكة بعد النبوة كانت ثلاث عشرة سنة، وهذا هو ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في باب وفاته صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر ابن سعد في كتاب الطبقات ثلاث روايات في سنه صلى الله عليه وسلم عند الوفاة، هل كانت ستين سنة، أو ثلاثاً وستين، أو خمساً وستين؟.

إلا أن كونها ثلاثاً وستين، أورده من روايات كثيرة، منها ثلاث طرق عن ابن عباس، وطريقان عن عائشة، وطريقان عن سعيد بن المسيّب، ثم قال عقب هذه الروايات الكثيرة: وهذا هو الثبت إن شاء الله.

وقد ذكر صاحب الفتح ٦/١٥١: الأقوال الثلاثة المتقدمة في سنه صلى الله عليه وسلم عند الوفاة، وعزا إلى الجمهور القول بأنها ثلاث وستون ثم قال: والحاصل: أن كل من رُوي عنه من الصحابة ما يخالف المشهور ـ وهو ثلاث وستون ـ جاء عنه المشهور، وهم: ابن عباس، وعائشة، وأنس، ولم يختلف على معاوية أنه عاش ثلاثاً وستين، وبه جزم سعيد بن المسيب والشّعْبي ومجاهد. وقال أحمد: هو الثبت عندنا.

وقد جمع السهيلي بين القول بأن مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة، وبين القول بأنها عشر فقط فقال: جاء في بعض الروايات المسندة: أن مدة الفترة سنتان ونصف سنة، ومدة الرؤيا ستة أشهر فمن قال: مكث عشر سنين، حذف مدة الرؤيا والفترة، ومن قال: ثلاث عشرة سنة أضافها.

(١) يعني: عن الحاكم.

(٢) المستدرك: كتاب التفسير، باب أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ٢/٢٢٢
والأسماء والصفات ص ٢٣٤.

وأسند البيهقي في الدلائل والشعب، والواحدي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم فرق في السنين، وتلا الآية: ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ قال: نزل متفرقاً.

قال أبو شامة: هو من قولهم: نَجَّم عليه الدية، أي قطَّعها، فلما قطع الله سبحانه وتعالى القرآن، وأنزله متفرقاً، قيل لتقاربه: نجوم، ومواقعها: مساقطها وهي أوقات نزولها.

وروى أبو العباس أحمد بن علي المَوْهبي بسند حسن إن شاء الله، عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: تَعَلَّموا القرآن خمساً خمساً، فإن جبريل نزل به خمساً خمساً.

وفي الطبراني الكبير، وفي كتاب المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه والأسماء والصفات للبيهقي عن الحاكم، عن ابن عباس ـ أيضاً ـ رضي الله عنهما قال: فُصِل القرآن من الذكر[١]، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل يُنَزِّله على النبي ﷺ يرَتِّله ترتيلاً[٢].

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة[٣] في كتاب «ثواب القرآن» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ قال:

---

(١) يعني: اللوح المحفوظ.

(٢) المستدرك: كتاب التفسير، باب أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر الى السماء الدنيا ٢/٢٢٣.
والأسماء والصفات ص ٢٣٤.

(٣) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، الكوفي، صاحب المسند والمصنّف، سمع الحديث من ابن المبارك وابن عيينة، وشريك القاضي، وطبقتهم، وروى عنه أبو زرعة، والبخاري، ومسلم وأبو داود وابن ماجه، وغيرهم من أعلام المحدثين، ومات ـ رحمه الله ـ في المحرم سنة ٢٣٥ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٤٣٢، البداية والنهاية ١٠/٣١٥.

دفع إلى جبريل في ليلة القدر جملة، فوضع في بيت العزة، ثم جعل ينزل تنزيلاً.

وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» من طريق أبي داود، عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فقال: ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجلّ[1].

فضل كلام الله على سائر الكلام

وروى الإمام أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ، فخرج علينا فقال: ما هذا الذي تكتبون؟، فقلنا: ما نسمع منك. فقال: أَكِتَاب مـع كتاب الله؟. امحضوا[2] كتاب الله وأخلصوه[3]، قال: فجمعنا ما كتبناه في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار، فقلنا: أنتحدث عنك؟ قال: نعم. تحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار، قال: قلنا: يا رسول الله، أنتحدث

---

(١) الأسماء والصفات ص ١٨٧.
وسنن أبي داود: كتاب السنة، باب في القرآن ٤/٢٣٤ حديث رقم ٤٧٣٤.
وأخرجه الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ماجاء كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ٤/٢٥٥ حديث رقم ٣٠٩٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
والدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب القرآن كلام الله ٢/٤٤٠.
والامام أحمد في المسند ٣/٣٩٠.
وابن ماجه: المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ١/٧٣ حديث رقم ٢٠١
قال المنذري في مختصر السنن ٧/١٢٣: وأخرجه النسائي.
وذكره ابن الأثير في جامع الأصول ١١/٢٩١ حديث رقم ٨٨٦٥.
(٢) هذا اللفظ يفسره ما بعده، فهو بمعنى أَخْلِصُوه.
(٣) في المسند: «أو أخلصوه» على الشك من الراوي.

عن بني إسرائيل؟، قال: نعم[1] فحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنكم لا تَحَدَّثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه[2].

وروى الشيخان والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ما من الأنبياء (نبي)[3] إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن[4] عليه البشر[5] وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ[6]، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة[7].

وروى مسلم في صفة النار، والنسائي في «فضائل القرآن»، عن عياض

---

(١) قال ابن العربي في شرح الترمذي ١٠/١٣٦: أذن في الحديث عن بني إسرائيل مما سمع عنهم مما فيه عبرة، ويورث خشية، ويأتي بموعظة، فقد أخبر الله في كتابه عنهم، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم بما أوحى إليه. اهـ.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/١٢.

(٣) زيادة عن صحيح البخاري.

(٤) في رواية للبخاري: أُومن، أو أمِنَ.

(٥) قال الحافظ في الفتح ٩/٦: والمعنى أن كل نبي أعطى آية أو أكثر، من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها، و «عليه» بمعنى اللام، أو الباء الموحدة، والنكتة في التعبير بها، تَضمُّنُها معنى الغلبة، أي يؤمن بذلك مغلوبا عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه، لكن قد يجحد فيعاند، كما قال الله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً» اهـ.

(٦) قال في الفتح ٩/٦: أي أن معجزتي التي تحدَّيتُ بها، الوحي الذي أنزل عليَّ وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات من تقدمه، بل المراد: أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره، اهـ.

(٧) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ٦/٢٢٤ وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: بعثت بجوامع الكلم ٩/٧٥.
وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ٢/١٨٦.

بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوماً في خطبته: ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا[١]، كل مال نَحَلْتُه عبداً حلالٌ[٢]، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم[٣]، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم[٤]، وحرمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وأن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وَعجمهم[٥]، إلا بقايا من أهل الكتاب[٦] وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك[٧]، وأنزلت عليك كتاباً، لا يغسله الماء[٨]، تقرأه نائماً ويقظان[٩].

---

(١) قال النووي: في الكلام حذف، أي قال الله تعالى: كل مال أعطيته عبداً فهوا حلال.

(٢) قال النووي: المراد منه: إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحام، وغير ذلك، وأنها لم تصر حراماً بتحريمهم، وكل مال ملكه الله العبد فهو حلال، حتى يتعلق به حق.

(٣) قال النووي: أي مسلمين، وقيل: طلهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين بقبول الهداية، وقيل: المراد: حين أخذ عليهم العهد في الذروقال: ألست بربكم.

(٤) قال النووي: أي استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل.

(٥) المقت: أشد البغض، والمراد بهذا المقت والنظر: ما كان قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قاله النووي.

(٦) المراد ببقايا أهل الكتاب: الباقون منهم على التمسك بدينهم الذي دلهم عليه أنبياؤهم «من غير تبديل منهم ولا تحريف.

(٧) قال النووي: معناه: لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة، وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده، والصبر في الله تعالى وغير ذلك، وأبتلي بك من أرسلتك إليهم، فمنهم من يظهر إيمانه ويخلص في طاعته، ومن يتخلف ويتأيد بالعداوة والكفر، ومن ينافق. اهـ.

(٨) قال النووي: معناه: محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليف الذَّهاب، بل يبقى على مر الأزمان.

(٩) صحيح مسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب صفة أهل النار ١٧/١٩٧.
ومسند الإمام أحمد ٤/١٦٢.

وروى الشيخان، والترمـذي، والنسائي، عن ابن عمـر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل، وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار .

وللطبراني والبيهقي في كتاب «الزهد»، عن معاذ رضي الله عنه قال: أخذ بيدي رسـول الله ﷺ فمشى ميلاً، ثم قـال: أوصيك بتقـوى الله وصدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة اليتيم وحفظ الجار، وكظم الغيظ، ولين الكلام، وبذل السلام، ولزوم الإمام، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحسـاب، وقصر الأمـل، وحسن العمل، وأنهاك أن تشتم مسلماً، أو تصدق كاذباً، أو تكذِّب صادقاً، أو تعصي إماماً عادلاً، أو أن تفسد في الأرض، يا معاذ، أذكر الله عند كل شجر وحجر، وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر، والعلانية بالعلانية.

وروي الترمذي: والدارمي، عن الحارث الأعـور قال: مـررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على عليٍّ رضي الله عنه فأخبرته فقال: أو قد فعلوها؟. قلت نعم. قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتابُ الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكـر الحكيم، وهو الصـراط

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن ٣/٣٣٢ وكتاب التمني، باب تَمني القرآن والعلم من حديث أبي هريرة ٩/٦٩.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ٦/٩٧.
وصحيح الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحسد ٣/٢٢١ حديث رقم ٢٠١.

المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به[1] الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبة وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم[2].

ورواه الإمام أحمد، والدارمي، وأبو يعلى بلفظ: أن علياً رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن أمتك مختلفة بعدك، فقلت: فأين المخرج يا جبريل؟، قال: كتاب الله، به يقصم الله كل جبار، من اعتصم به نجا، ومن تركه هلك ـ مرتين ـ قول فصل. الحديث[3].

ولفظ الدارمي: الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه[4] الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، ومن ولى هذا الأمر من جبار فحكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين. الحديث[5].

ورواه الطبراني بسند ـ قال الهيثمي: فيه عمرو بن واقد، وهو

---

(١) في د: «فيه». وما أثبتناه موافق لما في الترمذي.
(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن ٤/٢٤٥ حديث رقم ٣٧٠. وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، واسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٣١٢.
(٣) مسند الإمام أحمد ١/٩١
وتمامه: وليس بالهزل، لا تختلقه الألسن، ولا تفني أعاجيبه، فيه نبأ ما كان قبلكم، وفصل ما بينكم، وخبر ما هو كائن بعدكم.
(٤) في د: لم.
(٥) سنن الدرامي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٣١٣.

متروك[1] ـ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً الفتن فعظمها وشددها، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله. الحديث جميعه.

وروى أبو عبيد في الفضائل، والترمذي في الأمثال من جامعة وقال: حسن غريب والنسائي في التفسير، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داع يقول: أدخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يقول من فوق الصراط ـ قال الترمذي: والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ـ فإذا أحد فتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويلك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فإن الصراط: الإسلام والستور حدود الله ـ قال: الترمذي: فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر ـ والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط، القرآن والذي من فوقه: واعظ الله في قلب كل مسلم[2].

وسيأتي في سورة الأنعام عن ابن مسعود رضي الله عنه، وعن العرباض رضي الله عنه.

وروى الطبراني في الصغير ـ من وجه ضعيف ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من أصبح حزيناً على الدنيا، أصبح ساخطاً على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به، فإنما يشكو الله تعالى، ومن تضعضع لغني لينال مما في يده، أسخط الله عز وجل، ومن أعطى القرآن فدخل النار فأبعده الله[3].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٦٥.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده ٤/٢٢٢ حديث رقم ٣٠١٩ مختصراً.

(٣) المعجم الصغير ١/٢٥٧.

ولمسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها(١).

وقال ابن هشام في السيرة في أوائل الهجرة، قال ابن اسحاق: ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى، فقال: إن الحمد لله، أحمده وأستعينه نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله (تبارك وتعالى)(٢). قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا ما (أحب الله)(٣)، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تَمَلَّوا كلام الله وذكره ولا تقسُ عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي، فقد سماه الله خيرته من الأعمال، ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه حق تقاته، وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابُّوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن يُنكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله(٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ٣/١٠٠

ومعنى قوله: «كل الناس يغدو...» الخ:

قال الإمام النووي في شرح مسلم: معناه: كل إنسان يسعى بنفسه، فمنهم من يبيعها لله بطاعته، فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى، باتباعها فيوبقها، أي يهلكها. اهـ.

(٢) زيادة عن ابن هشام.

(٣) زيادة عن ابن هشام.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٠١.

وقال الحافظ زين الدين: عبد الرحمن بن رجب في كتاب «الاستغناء بالقرآن»: وخرج الطبراني في الطولات بإسناد ضعيف، أن النبي ﷺ كتب للعلاء بن الحضرمي[1] حين بعثه إلى البحرين عهداً، وذكر فيه: كتاب الله، فيه تبيان لما كان قبلكم، وما هو كائن بعدكم، ليكون حاجزاً للناس، حجز الله بعضهم عن بعض، وهو كتاب الله، مهيمن على الكتب، مصدق لما فيها من التوراة والانجيل والزبور، ويخبركم الله فيه بما كان قبلكم مما فاتكم دركه في آبائكم الأولين، الذين أتتهم رسل الله وأنبياؤه، كيف كان جوابهم لرسله، وكيف كان تصديقهم بآيات الله وكيف كان تكذيبهم بآيات الله، فأخبركم الله في كتابه هذا شأنهم وأعمالهم، وأعمال من هلك منهم بذنبه، لتجتنبوا مثل ذلك أن تعملوا به، لكي لا يحل عليكم من سخطه ونقمته، مثل الذي حل عليهم من سوء أعمالهم، وتهاونهم بأمر الله، وأخبركم في كتابه هذا بأخبار من نجا ممن كان قبلكم، لكي تعملوا مثل أعمالهم، فكتب لكم في كتابه هذا تبيان ذلك كله، رحمة منه لكم، وشفقة من ربكم عليكم، وهو هدى الله من الضلالة، وتبيان من العمى، وإقالة من العثرة، ونجاة من الفتنة، ونور من الظلمة، وشفاء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان ما بين الدنيا والآخرة، فيه كمال دينكم.

فذكره حتى قال: من عمل بما فيه نجا، ومن اتبع ما فيه اهتدى، ومن خاصم به فلح، ومن قاتل به نصر، ومن تركه ضل، حتى يراجعه، تعلموا ما فيه، وأسمعوه آذانكم، وأودعوه أجوافكم، واستخلصوه قلوبكم، فإنه نور للأبصار، وربيع للقلوب، وشفاء لما في الصدور.

وروى أحمد، والترمذي، والنسائي، عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ثلاث يحبهم الله، حتى قال: وقوم ساروا ليلتهم، حتى إذا

---

(١) قال الذهبي في التجريد ١/٣٨٨: العلاء بن الحضرمي ـ اسم الحضرمي عبد الله بن عباد، أو ابن عمار ـ معروف. مات سنة ٢١ هجرية.

كان النوم أحب إليهم مما يعدل بـه، فوضعـوا رؤوسهم، فقام أحـدهم يتملقني[١] ويتلوا آياتي[٢].

وللبيهقي عن أبي سلمة، عن عبد الرحمن بن عوف، أن رسول الله ﷺ خطب بعد ما قدم المدينة، فقال في خطبته: إن أحسن الحديث كتاب الله، أفلح من زيَّنه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله، وأحبو الله من كل قلوبكم.

وقال الإمام الغزالي[٣] في كتاب «فضل القرآن من الأحياء»: وقال إلا ما أحمد ابن حنبل: رأيت الله عز وجل في المنام، فقلت: يا رب ما أفضل ما

---

(١) الملق بالتحريك، قال في النهاية ٣٥٨/٤: الزيادة في التودد، والدعاء والتضرع.

(٢) مسند الإمام أحمد ١٥٣/٥.

وصحيح الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة ٤ / ١٠٠ حديث رقم ٢٦٩٦ وقال: هذا حديث صحيح.

وسنن النسائي: كتاب قيام الليل، باب فضل صلاة الليل في السفر ٢٠٧/٣ ونص الحديث: ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله: فرجل أتى قوماً فسألهم بالله، ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعيانهم فأعطاه سراً، لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب اليهم مما يعدل به، فوضعوا رؤوسهم قام رجل يتملقني ويتلو آياتي، ورجل كان في سَرِيَّة فلقى العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل، أو يفتح له، والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم.

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغَزَالي، المعروف بحجة الإسلام ولد سنة ٤٥٠ هـ بمدينة طوس إحدى مدن خراسان، ودرس الفقه والأصول والجدل والكلام وغيرها على أبي المعالي عبد الملك الجويني إمام الحرمين وعمل مدرساً بالمدرسة النظامية سنة ٤٨٤ هـ، وزار دمشق والقاهرة ومكة والمدينة، ثم انقطع إلى العبادة في آخـر حياته، وتوفي سنة ٥٠٥ هـ بمدينة طوس مسقط رأسه.

راجع: الأخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك.

يتقرب به المتقربون إليك؟، قال: كلامي يا أحمد، قال: قلت: يا رب بفهم، أم بغير فهم؟، قال: بفهم وبغير فهم[١].

وسيأتي في الأعراف ويس ما يتصل بهذا عن حمزة الزيات.

وللإمام أحمد ـ وهذا لفظه ـ وأبي داود، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وصححه ـ وقال الدارقطني: اسناده صالح، وعلق البخاري بعضه في صحيحه[٢] ـ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة[٣] (من نجد)[٤] فغشينا داراً من دور المشركين، فأصبنا امرأة رجل منهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً، وجاء صاحبها وكان غائباً، فذكر له مصابُها، فحلف لا يرجع[٥] حتى يهريق[٦] من أصحاب رسول الله ﷺ دماً، فلما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق نزل في شِعْب من الشِّعَاب، فقال: من رجلان يكلأننا[٧] في ليلتنا هذه من عدونا؟ فقال رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، نحن نكلؤك يا رسول الله، فخرجنا إلى فم الشعب دون العسكر، ثم قال الأنصاري للمهاجري، أتكفيني أول الليل وأكفيك آخره، أم تكفيني آخره وأكفيك أوله؟. فقال المهاجري: بل أكفني أوله وأكفيك آخره، فنام المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، وافتتح بسورة من القرآن، فبينما هو فيها يقرؤها، جاء زوج المرأة، فلما رأى الرجل

---

(١) إحياء علوم الدين ١/٤٩٧/ط الشعب.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين من القبل والدّبر ١/٢٨٠. قال الحافظ في الفتح ١/٢٨٠: هذا التعليق وصله سعيد بن منصور والدارقطني وغيرهما، اهـ.

(٣) جاء في البخاري وصحيح ابن خزيمة، وسنن أبي داود والدار قطني، وسيرة ابن هشام، ورواية عند احمد: أنها غزوة ذات الرقاع.

(٤) زيادة عن مسند أحمد.

(٥) وفي رواية لأحمد: ألا ينتهي.

(٦) في مسند أحمد: في.

(٧) في رواية لأحمد وأبي داود والحاكم وابن خزيمة: من رجل يكلؤنا.

قائماً يصلي، وعرف أنه ربيئة[١] القوم، فنزع له بسهم فوضعه فيه، قال: فينزعه فيضعه[٢] وهو قائم يقرأ السورة التي هو فيها ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، ثم عاد له زوج المرأة بسهم آخر فوضعه فيه، فانتزعه فوضعه وهو قائم يصلي في السورة التي هو فيها، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، ثم عاد له زوج المرأة الثالثة بسهم فوضعه فيه فانتزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم قال لصاحبه: اقعد فقد أُتيتُ[٣] فجلس المهاجري، فلما رآهما صاحب المرأة هرب وعرف أنه قد نذر به[٤]، قال: وإذا الأنصاري يفوج[٥] دماً من رميات صاحب المرأة، فقال له أخوه المهاجري: يغفر الله لك، ألا كنت آذنتني[٦] أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة من القرآن قد افتتحتها أصلي بها، فكرهت أن أقطعها وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها[٧].

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٢/٥٦ وجامع الأصول ٧/٢٠٤: الربيئة: الذي يحفظ القوم، ويتطلع لهم خبر العدو لئلا يهجم عليهم.

(٢) الضمير عائد على الرجل الأنصاري الذي قام يصلي.

(٣) في سنن الدار قطني ومستدرك الحاكم وسيرة ابن هشام: أُثْبِتُ ومعناها: جُرحت.

(٤) نذر به - من باب علم - إذا علم به وعُرف مكانه.

(٥) في مسند أحمد: يموج.

(٦) في رواية لأحمد والحاكم وابن خزيمة: أَهْبَبْتَني.
وعند أبي داود وفي رواية للدار قطني: أنبهتني. والكل بمعنى واحد.

(٧) مسند الإمام أحمد ٣/٣٤٥، ٣/٣٥٩.
وسنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب الوضوء من الدم ١/٥٠ حديث رقم ١٩٨.
ومستدرك الحاكم: كتاب الطهارة، باب عدم انتقاض الصلاة من سيلان الدم ١/١٥٦.
وصحيح ابن خزيمة: كتاب الوضوء، باب ذكر الخبر الدال على أن خروج الدم من غير مخرج الحدث لا يوجب الوضوء ١/٢٤ حديث رقم ٣٦.
وسنن الدار قطني: كتاب الطهارة، باب جواز الصلاة مع خروج الدم السائل من البدن ١/٢٢٣. =

وقيل: إن الرجلين: عمار بن ياسـر، وعبّاد بن بشـر، رضي الله عنهما[٢].

وروى ابن المبارك في الزهد، عن أبي ريحانة[٢]ـ وكان من أصحاب

= وأخرجه ابن المبارك في الجهاد ص ١٥١.
وابن هشام في السيرة ٣/٢٠٨.
وهو في مختصر سنن أبي داود للمنذري ١/١٤٢ حديث رقم ١٨٦.
وجامع الأصول لابن الأثير ٧/٢٠٣ حديث رقم ٥٢٢٦.
وفيه محمد بن اسحاق، احتج به مسلم في صحيحه. وصححه الحاكم في المستدرك والذهبي في التلخيص، وابن خزيمة في صحيحه.
قال الخطابي في معالم السنن ١/١٤٢: وقد يحتج بهذا الحديث من لا يرى خروج الدم وسيلانه من غير السبيلين ناقضاً للطهارة، ويقول: لو كان ناقضاً للطهارة، لكانت صلاة الأنصارى تفسد بسيلان الدم أول ما أصابته الرمية ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يركع ويسجد وهو مُحدِث، والى هذا ذهب الشافعي. اهـ.
أقول: وروى الدار قطني في سننه ١/١٥٢: أن عمر صلى وجرحه يثغب دماً. وروى البخاري عن أبي هريرة: أنه قال: لا وضوء إلا من حدث. وعن ابن عمر: أنه عصر بثرة فخرج منها الدم ولم يتوضأ، وعن ابن أبي أوفى: أنه بزق دماً فمضى في صلاته.
وروى البخاري عن الحسن أنه قال: ما زال المسلمون يصلون في جراحاتهم.

(١) قاله الواقدي في المغازي ١/٣٩٧، وابن هشام في السيرة ٣/٢٠٨ وفي هامش مختصر سنن أبي داود للمنذري: هما عمار بن ياسر وعباد ابن بشر، أو يقال: الأنصاري هو عمارة بن حزم، والمشهور الأول، والمصلي: هو عباد بن بشر، والسورة: هي سورة الكهف، حكاه أبو بكر البيهقي. اهـ.
قال الحافظ في الفتح ١/٢٨١: وأخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر وسمى الأنصاري المذكور: عباد بن بشر. والمهاجري: عمار بن ياسر، والسورة: الكهف. اهـ.

(٢) هو شمعون بن يزيد بن خنافة أبو ريحانة الأنصاري الأزدي، وقيل: كان قرظياً حليفاً للأنصار، وكان مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنته ريحانة سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مشهور بكنيته. وكان من النجباء الزاهدين في الدنيا، قدم مصر في مَنْ قدم إليها من الصحابة، وسكن بيت المقدس، وروى عنه الشاميون.
راجع: الإصابة ٢/١٥٣، الاستيعاب على هامش الإصابة ٢/١٥٨، تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/٢٥٩، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/٣٨٨.

رسول الله ﷺ ـ أنه قفل[١] من بعض عزواته، فلما انصرف أتى أهله فتعشى، ثم دعا بوضوء[٢] فتوضأ منه، ثم قام إلى مسجده، فقرأ سورة ثم أخرى، فلم يزل ذلك مكانه كلما فرغ من سورة افتتح أخرى، حتى إذا أذن المؤذن شدّ عليه ثيابه، فأتته امرأته فقالت: يا أبا ريحانة، قد عزوتَ فتعبتَ في غزوك، ثم قدمت، ألم يكن لي حظ ونصيب؟. فقال: بلى، والله ما خطرتِ لي على بال، فلو ذكرتكِ لكان عليّ حق، قالت: فما يشغلك يا أبا ريحانة؟ قال: لم يزل يهوى قلبي فيما وصف الله عز وجل في جنته من لباسها وأزواجها، ونعيمها ولذاتها، حتى سمعت المؤذن[٣].

وروى الحافظ أبو عبدالله بن منده[٤]، عن اسماعيل بن طلحة بن عبيدالله، عن أبيه رضي الله عنه قال: أردت مالي بالغابة[٥]، فأدركني الليل، فأويت إلى قبر عبدالله بن عمرو بن حزام رضي الله عنه، فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فجئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له،

---

(١) قال في النهاية ٩٢/٤: قفل يقفل: إذا عاد من سفره.

(٢) وضوء بفتح الواو، قال في اللسان ١٩٤/١: الوضوء ـ بالفتح ـ: الماء الذي يتوضأ به.

(٣) كتاب الزهد ص ٣٠٤ أثر رقم ٨٧٦.
وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٨/٢.
وابن حجر في الإصابة ١٥٣/٢.

(٤) هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد، بن يحيى، بن منده واسم منده: ابراهيم بن الوليد، الأصبهاني، ولد سنة ٣١٠ هـ، وسمع أباه وابن القطان، والكرماني، وعدة الشيوخ الذين أخذ عنهم ألف وسبعمائة شيخ. قال الحافظ الذهبي: وما بلغنا أن أحداً من هذه الأمة سمع ما سمع، ولا جمع ما جمع، وكان ختام الرحالين، وفرد المكثرين، مع الحفظ والمعرفة والصدق وكثرة التصانيف. اهـ،
وتوفي رحمه الله في ذي القعدة سنة ٣٩٥ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٣٤/٣.

(٥) قال السمهودي في وفاء الوفا ١٢٧٥/٢: الغاية في أسفل سافلة المدينة وهي مغيض أوديتها. اهـ.

فقال: ذلك عبدالله ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم، فجعلها في قناديل من زبرجد، وياقوت، وعلقها وسط الجنة، فإذا كان الليل رُدَّت إليهم أرواحهم، فلا تزال كذلك، حتى إذا طلع الفجر، رُدَّت أرواحهم إلى مكانهم التي كانت (فيه)[1].

ويأتي في العنكبوت قراءة ميت[2].

وروى من طريق الحافظ أبي بكر الخطيب قال: أنا محمد بن جعفر بن علان أنا عيسى بن محمد الطوطري قال: رأيت أبا بكر بن مجاهد المقرىء في النوم كأنه يقرأ، وكأني أقول له: يا سيدي أنت ميت وتقرأ؟، فكأنه يقول لي: كنت أدعو في دبر كل صلاة، وعند ختم القرآن، أن يجعلني ممن يقرأ في قبره.

وروى أبو بكر الخلال[3] في كتاب «السنة» عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: المؤمن يعطي مصحفاً في قبره يقرأ فيه.

وذكر أبو الحسن بن البراء في كتابه «الروضة» عن ابراهيم الحفار قال: حفرت قبراً، فبدت لَبِنَةٌ من القبر، فشممت رائحة المسك، حين انفتحت اللَّبِنَة فإذا بشيخ جالس في قبره يقرأ.

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول

---

(١) زيادة عن: د.

(٢) في د: الميت.

(٣) هو العلامة المحدث أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي مؤلف عِلْم الإمام بن حنبل ومُرتِّبه وجامعه، سمع أبا بكر المروزي وصنف كتاب «السنة» وكتاب «العلل» وكتاب «الجامع». قال الذهبي: وتصانيفه تدل على سعة علمه.
وتوفي الخلال في شهر ربيع الأول سنة ٣١١ هجرية، ودفن الى جنب أبي بكر المروزي.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٧٨٥.

الله ﷺ: نمت (في فراشي)[1]، فرأيت الجنة، فسمعت صوت قارىء يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة بن النعمان، فقال النبي ﷺ: كذاك البَرُّ، كذاك البَرُّ، وكان أبر الناس بأمه[2].

قال ابن رجب: أخرجاه.

وذكر أبوالشيخ الأصبهاني الحافظ[3]، عن صالح بن حبان، عن عبدالله بن بريدة قال: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبَّار جل جلاله، فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذي هو مجلسه، على منابر الدر والياقوت والزبرجد، والذهب، والزمرد، فلم تَقَرَّ أعينهم بشيء، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين، قريرة أعينهم، إلى مثلها من الغد.

قال: وذكر يحيى بن سلام[4] قال: أخبرني رجل من أهل الكوفة، عن داود بن أبي هند، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم في كل يوم جمعة، على كثيب من كافور، لا يرى طرفاه، وفيه نهر جار، حافتاه المسك، عليه جوار يقرأن القرآن بأحسن أصوات الأولون والآخرون.

---

(١) لا وجود لها في المسند.

(٢) مسند الإمام أحمد ٦/١٥١ - ١٦٧.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، الأنصاري، الأصبهاني ويعرف بأبي الشيخ، كان محدثاً حافظاً، مفسراً مؤرخاً، توفي في أواخر المحرم سنة ٣٩٩ هـ، له من الكتب: التفسير، كتاب عظمة الله، التاريخ كتاب الثواب، طبقات المحدثين.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣/١٤٧، شذرات الذهب ٣/٦٨.

(٤) هو يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي، البصري، كان مفسراً فقيهاً، عالماً بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم، ولد بالكوفة سنة ١٢٤هـ، وانتقل إلى البصرة، فنشأ بها وإليها ينسب، ورحل إلى مصر، ومات بها أثناء عودته من الحج، سنة ٢٠٠ هجرية.
راجع: ميزان الاعتدال ٣/٢٩٠، لسان الميزان ٦/٢٥٩ طبقات القراء ٢/٣٧٣.

وقال ابن وهب[1]: حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: قال رجل لابن شهاب[2]: هل في الجنة سماع؟، قال: أي والذي نفس ابن شهاب بيده، إن في الجنة لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوار ناهدات، يتغنين بالقرآن، يقلن: نحن الناعمات فلا نيأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً، فلا يدري أأصوات الجواري أحسن، أم أصوات الشجر.

وروى أبو عبيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ينبغي لقارىء القرآن أن يعرف إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس يفطرون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون.

قال: وأحسبه قال: وبحزنه إذ الناس يفرحون.

وروى أبو نعيم عن أبي حازم[3] قال: كنت ترى حامل القرآن في

(١) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري، المصري، فقيه مالكي، صحب الإمام مالك عشرين سنة، جمع بين الفقه والرواية والعبادة، وله تصانيف كثيرة طلبه الخليفة ليتولى قضاء مصر، فاختبأ ولزم بيته، وتوفي بمصر سنة ١٩٧ هـ ومن كتبه: الجامع في الحديث، والموطأ، في الحديث أيضاً.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/٢٧٩، لسان الميزان ٦/٦٠٤.

(٢) هو أبو بر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري المدني أول من دَوَّن الحديث، وأحد أكابر الفقهاء المحدثين، ومن أعلام التابعين، ولد بالمدينة سنة ٥٠ هجرية على خلاف في ذلك، ورأى عشرة من الصحابة، وروى عنه مالك، والسفيانان: الثوري، وابن عيينة، واستقر بالشام، وتوفي سنة ١٢٤ أو ١٢٥ هـ.
راجع: غاية النهاية ٢/٢٦٢، وفيات الأعيان ٣/٣١٧.

(٣) هو أبو حازم سلمة بن دينار المخزومي المدني مولاهم، الواعظ الزاهد كان فقيهاً ثبتا، كثير العلم، كبير القدر، سمع سهل بن سعد الساعدي وسعيد بن المسيب، والنعمان ابن أبي عياش. وتوفي سنة ١٤٠ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/١٣٣، والحلية ٣/٢٢٨.

خمسين رجلاً فتعرفه، قد خضعه[1] القرآن، فأدركت القراء الذين هم القراء، فأما اليوم فليسوا بقراء، ولكنهم خراء[2].

وروى ابن أبي الدنيا[3] في كتاب «المعروف» عن الفضيل بن عياض[4] معضلاً قال: بلغني أن نبي الله ﷺ قال: إذا عظَّمت أمتي الدينار والدرهم، نُزِع منها هيبةُ الإسلام. وإذا تركوا الأمر بالمعروف، حرموا بركة الوحي.

قال الغزالي[5]: قال الفضيل: يعني: حرموا فهم القرآن، فقد شرط الله الإنابة في الفهم، فقال: «وما يتذكروا إلا من ينيب»[6].

ولمسلم وابن ماجة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين[7].

---

(١) في الحلية: «مصعه» بالصاد والعين المهملتين، والمراد: أضعفه.

(٢) الحلية ٣/٢٤٦.

(٣) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، بن سفيان، بن أبي الدنيا، القرشي الأموي البغدادي، مولاهم، المحدث العالم الصادق، صاحب التصانيف ولد سنة ٢٠٨ وسمع علي بن الجعد، وخلف بن هشام، وخلائق عدة. وحدث عنه ابن خزيمة، وأبو بكر الشافعي، والحارث بن أبي أسامة مع تقدمه وتوفي سنة ٢٨١ هـ في جمادي الأولى.

راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٦٧٧.

(٤) هو الإمام القدوة أبو علي الفصيل بن عياض التميمي اليربوعي المروزي، شيخ الحرم، قال الحافظ الذهبي: سكن مكة وكان إماماً ربّانيّاً، صمدانياً قانتاً، ثقة كبير الشأن، اهـ.

حدث عنه ابن المبارك والشافعي ويحيى القطان، وخلق كثير، وتوفي سنة ١٨٧ هـ وقد نَيَّف على الثمانين.

راجع: تذكرة الحفاظ ١/٢٤٥.

(٥) الإحياء ١/٥١٥ /ط الشعب.

(٦) سورة غافر آية ١٣.

(٧) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ٦/٩٨ وسنن ابن ماجة: المقدمة، باب فصل من تعلم القرآن وعلمه ١/٧٩ حديث رقم ٢١٨.

فضل حامل القرآن

ولمسلم والترمذي والنسائي، وابن ماجة، عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءة - وفي رواية: للقرآن - فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سناً - وفي رواية: سِلْماً -، ولا يؤمَّن الرجلُ الرجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته[1] إلا بإذنه[2].

ولعبد بن حميد[3] عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إذا اجتمع ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم.

ولأبي عبيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم هجرة، فإن كانوا في ذلك سواء، فليؤمهم أحسنهم وجهاً.

قال أبو عبيد: لا أراها إلا أرادت حسن السمت والهدى[4].

وللبخاري، وأبي داود وهذا لفظه، والنسائي، عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: كنا بحاضر[5] يمر بنا الناس إذا أتوا إلى النبي ﷺ،

---

(١) التكرمة: الفراش ونحوه، مما يبسط لصاحب المنزل ويختص به.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب من أحق بالامامة ٥/١٧٢.
وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة ١/١٤٩ حديث رقم ٢٣٥.
وسنن النسائي: كتاب الإمامة، باب من أحق بالإمامة ٢/٧٦.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب من أحق بالإمامة ١/٣١٣ حديث رقم ٩٨٠.

(٣) هو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر، الكِسِّي نسبة إلى «كس» مدينة.

(٤) الغريب ٤/١٩٣.

(٥) قال في النهاية ١/٣٩٩: الحاضر: القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه. =

فكانوا إذا رجعوا مروا بنا، فأخبرونا أن رسول الله ﷺ قال كذا وكذا وكنت غلاماً حافظاً، فحفظتُ من ذلك قرآناً كثيراً، فانطلق أبو وافد إلى رسول الله ﷺ في نفر من قومه، فعلَّمهم الصلاة وقال: يؤمكم أقرؤكم.

وفي رواية: لما أرادوا أن ينصرفوا، قالوا: يا رسول الله من يؤمنا؟. قال: أكثركم جمعاً للقرآن ـ أو أخذا للقرآن ـ، فلم يكن أحد جمع ما جمعت، فقدَّموني وأنا غلام عليَّ شملة[1] لي.

وفي رواية: فكنت أقرأهم لما كنت أحفظ، فقدَّموني، فكنت أؤمهم وعليَّ بردة[2] لي صغيرة صفراء.

وفي رواية: موصلة فيها فتق، فكنت إذا سجدت خرجت إستي[3].

وفي رواية: فكنت إذا سجدت تكشَّفَتْ عني، فقالت امرأة من النساء: وَارُوا عنا عورة قارئكم، فاشتروا لي قميصاً عُمانِيًّا، فما فرحت بشيء ـ بعد الإسلام ـ فرحي به، فكنت أؤمهم وأنا ابن سبع سنين، أو ثماني سنين.

وفي رواية: ما شهدت مَجْمعاً من جَرْم[4] إلا كنت إمامهم، (وكنت[5] أصلي على جنائزهم إلى يومي هذا)[6].

= ويقال للمناهل: المحاضر للاجتماع والحضور عليها. اهـ، وقال الخطابي في معالم السنن ١/٣٠٥: الحاضر: فاعل بمعنى مفعول.

(١) في النهاية ٢/٥٠١ الشملة: كساء يتغطى به، ويتلفف فيه.

(٢) في النهاية ١/١١٦: البردة: الشملة المخططة، وقيل: كساء مربع فيه صغر، تلبسه الأعراب وجمعها برد.

(٣) يعني: دبره.

(٤) جاء في هامش مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ١/٣٠٥: جرم هذا ـ بفتح الجيم، وسكون الراء المهملة، وبعدها ميم ـ هو جرم ابن ربّان من قضاعة، وربان ـ بفتح الراء المهملة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعد الألف نون ـ وفي بجيلة: جرم. وفي عاملة: جرم أيضاً، وفي طيء: جرم أيضاً. اهـ.

(٥) ما بين المربعين زيادة عن سنن أبي داود.

(٦) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب وقال الليث: حدثني يونس عن ابن شهاب ٥/٩٥.

وقريب من هذا: ما وقع لزيد بن ثابت رضي الله عنه.

قال شيخنا[1] في «الإصابة في أسماء الصحابة»؛ وروى البخاري تعليقاً، والبغوي وأبو يعلى موصولاً، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد[2]، عن أبيه رضي الله عنه قال: أُتِي بي النبيُّ ﷺ مقدمه المدينة، فقيل: هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه، فأعجبه ذلك[3].

وقال: وقتل أبوه يوم بغاث[4]، قبل الهجرة بخمس سنين، وله يومئذ ست سنين[5]. وسيأتي بقية ما يتم به هذا في سورة البقرة إن شاء الله تعالى.

وفي التبيان للنووي: وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومُشَاوَرته، كُهولاً وشُبَّاناً. رواه البخاري[6].

= وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من أحق بالامامة ١/٢٢٧ حديث رقم ٥٨٥.
وسنن النسائي: كتاب الامامة، باب امامة الغلام قبل أن يحتلم ٢/٨٠.

(١) يعني: الحافظ ابن حجر العسقلاني.

(٢) هو ابن ثابت.

(٣) وأصرح من ذلك: ما ذكره ابن حجر في الاصابة أيضاً: أن راية بني النجار كانت مع عمارة بن حزم فأخذها منه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعها لزيد بن ثابت فقال عمارة: يا رسول الله، أبلغك عني شي؟. قال؛ لا، ولكن القرآن مقدم.
وأقره الذهبي في التجريد ١/١٩٧.
ولكن قال ابن عبد البر في الاستيعاب على هامش الإصابة ١/٥٣٢: وهذا عندي خبر لا يصح.

(٤) لم يقل بغاث ـ بالغين المعجمة ـ إلا الخليل بن أحمد، والأكثرون يقولون: بعاث. وهو مكان على بعد ليلتين من المدينة. ويوم بعاث: وقعة كانت بين الأوس والخزرج.
راجع: معجم ما استعجم ١/٢٥٩.

(٥) الإصابة ١/٥٤٣.

(٦) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الأعراف ٥/١٩٧، وكتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨/١٤١.

وفيه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنْزِل الناس منازلهم.

رواه أبو داود في سننه[(١)]، والبزّار في مسنده.

قال الحاكم أبو عبدالله في «علوم الحديث»: هو حديث حسن صحيح[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، عن الله تبارك وتعالى قال: من آذى وليا، فقد آذنته[(٣)] بالحرب، رواه البخاري[(٤)].

وثبت في الصحيحين[(٥)] عنه ﷺ أنه قال: من صلى الصبح، فهو في ذمة الله[(٦)]، فلا يطلبنَّكم الله بشيء من ذمته[(٧)].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم ٤/٢٦١ حديث رقم ٤٨٤٢.

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم: النوع السادس عشر ص: ٤٩ ط بيروت.

(٣) قال الحافظ في الفتح ١١/٣٤٢: أي أعلمته، والإيذان: الإعلام.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع ٨/٨٩.
قال الفاكهاني: في هذا تهديد شديد لأن من حاربه الله أهلكه، وهو من المجاز البليغ، لأن من كرِه مَنْ أحبَّ خَالَفَ الله ومن خالف الله عانده، ومن عانده أهلكه. اهـ. من الفتح.

(٥) لم أعثر عليه في صحيح البخاري، ونسبه ابن الأثير في جامع الأصول ٩/٣٩٨ والنووي في رياض الصالحين ص ٤١٧ إلى مسلم فقط.

(٦) كلاءته وحفظه.

(٧) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر ٥/١٥٨.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٣١٢، ٣١٣.
والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل صلاة العشاء والفجر في جماعة ١/١٤٢ حديث رقم ٢٢٢.
كلهم من حديث جندب بن عبد الله البَجلي القسري العلقي.
وأخرجه الإمام أحمد ٥/١٠ وابن ماجة ٢/١٣٠١ من حديث سمرة بن جندب. =

وعن الإمامين الجليلين: أبي حنيفة والشافعي، قالا: إن لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله ولي.

وقال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر[1] رحمه الله: اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك وجعلنا ممن يخشاه، ويتقيه حق تقاته ـ: أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة، وإن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة** ﴾[2] الآية. انتهى ما في التبيان[3].

ولأحمد، والترمذي وقال: حسن غريب، والطبراني في معاجمه الثلاث، عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه في الكبير: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة، لا يهولهم الفزع، ولا يفزعون حين يفزع الناس: رجل تعلم القرآن فقام به يطلب وجه الله وما عنده،

= وأخرجه الترمذي: كتاب الفتن ٣/٣١٤ حديث رقم ٢٢٥٣ من حديث أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن غريب.

وتمام الحديث ـ واللفظ لمسلم ـ: فإنه من يطلبه من ذمته بشي يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم.

معنى الحديث: قال في النهاية ٢/١٦٨: أي أن لكل أحد من الله عهداً بالحفظ والكلاءة، فإذا ألقى بيده إلى التهلكة، أو فعل ما حرم عليه، أو خالف ما أمر به، خذلته ذمة الله تعالى. اهـ.

(١) هو الإمام الحافظ محدث الشام أبو القاسم علي بن الحسن، بن هبة الله، بن عبد الله بن الحسين، بن عساكر، الدمشقي الشافعي. ولد سنة ٤٩٩ هـ.

قال الذهبي: قال السمعاني: أبو القاسم حافظ ثقة، متقن ديِّن، خيِّر حسن السمت، جمع بين معرفة المتن والإسناد، وكان كثير العلم، غزير الفضل صحيح القراءة متثبتاً، رحل وتعب، وبالغ في الطلب، وجمع ما لم يجمعه غيره وأربي على الأقران، اهـ. وتوفي سنة٥٧١ هـ الحادي عشر من رجب.

راجع: تذكرة الحفاظ ١٣٢٨/٤. والبداية والنهاية ٢٩٤/١٢.

(٢) سورة النور آية ٦٣.

(٣) التبيان ص ٣٤.

ورجل نادى في كل يوم وليلة خمس صلوات يطلب وجه الله وما عنده، ومملوك لم يمنعه رق الدنيا عن طاعة ربه"[1].

وللبخاري وأصحاب السنن الأربعة، عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد، ويقول: أيهما أكثر أخذاً للقرآن، فإذا أشير إلى أحدهما: قدمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يغسلهم، ولم يصل عليهم[2].

وقال عبد الرزاق في جامعه: أخبرنا معمر وابن عيينة، عن أيوب، عن حميد ابن هلال، أخبرني هشام بن عامر الأنصاري رضي الله عنه قال: قتل أبي يوم أحد فقال النبي ﷺ: احفروا وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر، وقدموا أكثرهم قرآناً، فكان[3] أبي ثالث ثلاثة، وكان أكثرهم قرآناً فَقدِّم[4].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٢٦.
وسنن الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة ٤/١٠٠ حديث رقم ٢٦٩٢.
والمعجم الصغير للطبراني ٢/١٢٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب من يقدم في اللحد ٢/٩٤، وكتاب المغازي: باب من قتل من المسلمين يوم أحد ٥/٣٨
وسنن الترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء في قتلى أحد ٢/١٤١ حديث رقم ١٠٢.
وسنن أبي داود: كتاب الجنائز، باب في الشهيد يغسل ٣/١٩٦ حديث رقم ٣١٣٨.
وسنن النسائي: كتاب الجنائز، باب دفن الجماعة في القبر الواحد ٤/٨٣ عن هشام بن عامر.
وسنن ابن ماجة: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم حديث رقم ١٥١٤.

(٣) في د: وكان.

(٤) المصنف: كتاب الجنائز ٢/٥٤٠ حديث رقم ٦٦٣٣، وكتاب الجهاد ٥/٢٧٢ حديث رقم ٩٥٨٠.
وأخرجه الترمذي: كتاب الجهاد، باب ما جاء في دفن الشهداء ٣/١٢٨ حديث رقم =

وأخرجه أبو عبيد عن اسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب به، ولفظه:

قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ القَرْحَ[1] يوم أحد، وقالوا: كيف تأمر بقتلانا؟. قال: احفروا وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا في القبر الاثنين والثلاثة، وقدموا أكثرهم قرآناً، فقدم أبي بين يدي اثنين.

وللشيخين وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود[2] ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة[3].

= ١٧٦٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والنسائي: كتاب الجنائز، باب من يقدم ٨٣/٤.

والبيهقي في السنن الكبرى ١١/٤ من طريق عبد الرزاق.

(١) قال في النهاية ٣٥/٤: هو بالفتح والضم: الجرح، وقيل: هو بالضم: الاسم بالفتح: المصدر. أراد ما نالهم من القتل والهزيمة يومئذٍ.

(٢) قال النووي في شرح مسلم ٦٩/١٥: روى برفع «أجود» ونصبه، والرفع أصح وأشهر. اهـ.

وقال السندي في شرح النسائي ١٢٥/٤: قال ابن الحاجب: الرفع في «أجود» هو الوجه، لأنك إن جعلت في كان ضميراً يعود إلى النبي ﷺ، لم يكن «أجود» بمجرده خبراً، لأنه مضاف إلى «ما يكون» وهو كون، ولا يستقيم الخبر بالكون عما ليس بكون، ألا ترى أنك لا تقول: زيد أجود ما يكون؟. فيجب أن يكون إما مبتدأ خبره قوله «في رمضان» والجملة خبر أو بدلاً من ضمير في كان فيكون من بدل اشتمال، كما تقول: كان زيد عمله حسناً. وان جعلته ضمير الشأن تعين رفع «أجود» على الابتداء والخبر وان لم يجعل في كان ضمير، تعين الرفع على أنه اسمها، والخبر «في رمضان». اهـ.

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي ٥/١. وكتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ في رمضان ٣٣/٣. وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٨١/٤. وكتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ١٦٥/٤. وكتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي لأ ١٠١/٦.

وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب جوده ﷺ ٦٨/١٥.

ولفظ عبد بن حميد: كان رسول الله ﷺ يَعْرِض الكتاب على جبريل عليه السلام في كل رمضان، فإذا أصبح رسول الله ﷺ من الليلة التي يَعْرِضُ فيها ما يَعْرِض، أصبح وهو أجودُ من الريح المرسلة، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، فلما كان الشهر الذي تُوُفِّيَ بَعْدَهُ، عرض عليه عرضتين.

وللشيخين عن عائشة رضي الله عنها في حديث الوفاة، وأن النبي ﷺ أَسَرَّ إلى فاطمة رضي الله عنها ما أخبرتها به بعد موته ﷺ: أنه قال لها: إن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، وأنه عارضه الآن مرتين، قال: وإني لا أرى الأجل إلا وقد اقترب، فاتقى الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك[(١)].

وللشيخين ـ وهذا لفظ مسلم ـ عن أنس رضي الله عنه، أن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله ﷺ[(٢)].

قال أبو شامة: يعني عام وفاته، أو يوم وفاته، يريد: أيام مرضه كلها، كما يقال: يوم الجمل، ويوم صفين[(٣)].

وفي جامع الأصول عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جمع الله في هذا الكتاب علم الأولين، وعلم الآخرين، وعلم ما كان، وعلم ما يكون، والعلم بالخالق جل جلاله في أمره وخلقه[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة رضي الله عنها ١٦/٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي ٦/٢٢٤. وصحيح مسلم: كتاب الأيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٢/٢٠٦، وكتاب التفسير ١٨/١٥٢.

(٣) ويدل له لفظ البخاري: عن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه: أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي، ثم توفي رسول الله ﷺ بعد.
قال الحافظ في الفتح: أي الزمان الذي وقعت فيه وفاته كان نزول الوحي فيه أكثر من غيره من الأزمنة.

(٤) جامع الأصول ٨/٤٦٤ حديث رقم ٦٢٣٣.

فضيلة السواك عند القراءة

ولمسلم وأبي داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأحمد بن منيع عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله في من عنده[1].

وروى عبد الرزاق في جامعه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه حث الناس على السواك، وقال: إن الرجل إذا قام فصلى، دنا الملك يستمع القرآن، فما يزال يدنـو، حتى أنه ليضع فاه علي فيه، فما يلفظ من آية إلا وقعت[2] في جوف الملك قال: فطيبوا[3] ما هنالِك[4].

ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي.
أي فحكمه الرفع. والله أعلم.

قال المنذري: بإسناد جيد لا بأس به، فرفعناه عن علي رضي الله عنه، أنه أمر بالسواك وقال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد إذ تسوك ثم قام يصلي، قام المَلَك خلفه، فيستمع لقراءته، فيدنو منه ـ أو بكلمة نحوها ـ حتى يضع فاه علي فيه، فما يخرج من فيه من شيء من القرآن، إلا صار في جوف الملك، فطَهِّروا أفواهكم للقرآن.

قال المنذري: وروى ابن ماجة بعضه موقوفاً، ولعله أشبه، انتهى[5].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢١/١٧.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ثواب قراء القرآن ٧١/٢. حديث رقم ١٤٥٥.

(٢) في المصنف: وقع.

(٣) في المصنف: «فطبنوا».
قال في النهاية ١١٥/٣: أصل الطبن والطبانة: الفطنة.

(٤) المصنف: كتاب الصلاة، باب حسن الصوت ٤٨٧/٢ حديث رقم ٤١٨٤.

(٥) الترغيب والترهيب: كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك ١٦٧/١.

ورواه أبو نعيم في الحلية، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أفواهكم طرق القرآن، فطيبوها بالسواك[1].

قال العراقي في تخريجه للإحياء: وكلاهما ـ أي المرفوع والموقوف ـ ضعيف[2].

وروى ابن رجب من طريق علي بن أحمد الحمامي، عن الزهري قال: قال رسول الله ﷺ: إذا تسوك أحدهم، ثم قام يقرأ، طاف به الملَك يستمع القرآن حتى جعل فاه على فيه، فلا تخرج آية من فيه إلا في الملَك، وإذا قام ولم يتسوك طاف به الملك ولم يجعل فاه على فيه.

وهذا مرسل جيد، يقوِّي المرفوع والموقوف، في أنه في حكم المرفوع، والله أعلم.

ولأبي نعيم في الحلية، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: إن لكل شيء شرفاً يتباهى به، وإن بهاء أمتي وشرفها القرآن[3].

ولأحمد في المسند، والطبراني، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وابن حبان في صحيحه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني قال: عليك بتقوى الله فإنها[4] رأس الأمر كله. قلت: يا رسول الله زدني. قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل، فإنه نور لك في الأرض وفخر لك في السماء قلت: يا رسول الله زدني. قال: عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك في أمر دينك. قلت: زدني: قال: إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه، قلت: زدني. قال: قل

---

(١) الحلية ٤/٢٩٦.

(٢) إحياء علوم الدين ١/٢٣٥/ ط الشعب.

(٣) حلية الأولياء ٢/١٧٥.

(٤) في د: فإنه.

الحق ولو كان مُرًّا، قلت: زدني. قال: لا تخف في الله لومة لائم، قلت: زدني: قال: ليحجزنَّك عن الناس ما تعلم من نفسك[1].

وللدارمي عن عبد الله بن عمـرو[2] رضي الله عنــه[3] (عن رسـول الله ﷺ)[4] أنه قال: القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض، ومَنْ فيهن[5].

وروى الحافظ ابن رجب في كتاب «الفردوس» من رواية شهر بن حوشب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقرأ الله القرآن، فكأنهم لم يسمعوه، فيحفظه المؤمنون، وينساه المنافقون.

وللبيهقي في الشُّعب عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن[6].

وقال الغزالي في كتاب فضل القرآن: وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ثلاثة يزدن في الحفظ، ويذهبن البلغم: السواك، والصـوم، وقراءة القرآن[7].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/١٥٩.
(٢) في الأصل: عمر. وهو خطأ.
(٣) في الأصل: عنها.
(٤) ما بين المربعين ساقط من: د.
(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام ٢/٣١٧ حديث رقم ٣٣٦١.
(٦) مختلف فيه، راجع الميزان ٣/٢٨٣.
(٧) إحياء علوم الدين ١/٤٩٧ / ط الشعب.

النهي عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو

وللشيخين وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، وأبي عبيد، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ نهى أن يُسَافرَ بالقرآن إلى أرض العدو(1).

قال مالك: أُرَاهُ مخافة أن يناله العدو(2).

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الجهاد، باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ١٦٨/٣.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب النهي عن أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو ١٣/١٣.
وسنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب في المصحف يسافر به إلى أرض العدو ٣٦/٣ حديث رقم ٢٦١٠.
وسنن ابن ماجه: كتاب الجهاد، باب النهي عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ٩٦١/٢ حديث رقم ٢٨٧٩، ٢٨٨٠.
وعلة النهي مذكورة في الحديث عند مسلم وابن ماجه.
فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو.
وفي رواية لهما: فإني لا آمن أن يناله العدو.
قال الإمام النووي في شرح مسلم ١٣/١٣: فيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة في الحديث، وهي: خوف أن ينالوه فينتهكوا حرمته، فإن أمنت هذه العلة بأن يدخل في جيش المسلمين الظاهرين عليهم فلا كراهة، ولا منع منه حينئذ لعدم العلة، هذا هو الصحيح، وبه قال أبو حنيفة والبخاري وآخرون اهـ.

(2) الموطأ: كتاب الجهاد، باب النهي عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ٤٤٦/٢.
وسنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب النهي عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو ٣٦/٣.
غير أن تحديد هذه العلة ليست من كلام مالك رحمه الله. فقد جاء مصرحاً به من قول الرسول ﷺ، كما جاء في حديث مسلم وابن ماجه السابق.
قال الإمام النووي: هذه العلة المذكورة في الحديث هي من كلام النبي ﷺ، وغلط بعض المالكية فزعم أنها من كلام مالك اهـ. من شرح مسلم ١٣/١٣.
وقال الخطابي في معالم السنن ٤١٥/٣: وقد رفع هذه الكلمات أيوب السختياني والليث بن سعد، والضحاك بن عثمان الحزامي، عن نافع عن ابن عمر.
وقال بعضهم: يحتمل أن مالكاً شَكَّ، هل هي من قول النبي ﷺ فجعل ـ لتحريه ـ =

ورواه عبد بن حميد، وأبو بكر الشافعي في الجزء السابع من الغِيلَانِيَّات، عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: قال رسول الله ﷺ: لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو، فإني أخاف أن ينالوا منه (شيئاً)[1].

وسيأتي في أحاديث جمع القرآن سرّ هذا الخوف.

رفع القرآن

ولابن عبد الحكم في كتاب «الفتوح»، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن والذكر[2] أو الركن[3].

= هذه الزيادة من كلامه على التفسير؟. وإلا فهي صحيحة من قول النبي ﷺ من رواية الثقات اهـ.

وقال الحافظ في الفتح ٦/١٣٤ وهذه الزيادة رفعها ابن إسحاق ـ أيضاً ـ كما تقدم، وكذلك أخرجها مسلم والنسائي وابن ماجه من طريق الليث عن نافع ومسلم من طريق أيوب بلفظ: «إني لا آمن أن يناله العدو». فصح أنه مرفوع وليس بمُدْرَج، ولعل مالكاً كان يجزم به، ثم صار يشك في رفعه، فجعله من تفسير نفسه اهـ.

وقال المرحوم الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على معالم السنن ٣/٤١٥: رواه أحمد (المسند ٦/٢، ١٠) من طريق أيوب مرفوعاً كلُّه، بلفظ: «لا تسافروا بالقرآن، فإني أخاف أن يناله العدو». وهذه اللفظة لا تحتمل التأويلات التي جاءت من شك مالك اهـ.

هذا، والمراد بالقرآن ههنا: المصحف. وليس المراد النهي عن السفر بالقرآن ذاته لمن كان حافظاً له. (الفتح ٦/١٣٣ ومعالم السنن ٣/٤١٥).

ونيل العدو له: استخفافه به، وامتهانه إياه.

قال الحافظ: واستدل به على منع بيع المصحف من الكافر، لوجود المعنى المذكور فيه، وهو التمكن من الاستهانة به، ولا خلاف في تحريم ذلك.

(١) ساقطة من: د.

(٢) المراد بالذكر: العلم، ومنه قوله تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وحديث البخاري (كتاب العلم، باب رفع العلم ١/٢٣): إن أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل.

ولأن العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه.

(٣) فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٤/ ط ليدن.

شك ابن عبد الحكم.

وهو في الفردوس بنحوه من وجهين.

وللدارمي عن عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع، قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الرجال؟. قال: يسري عليه ليلاً، فيصبحون منه فقراء، وينسون قول لا إله إلا الله، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم، وذلك حين يقع عليهم القول[1].

ورواه عنه عبد الرزاق عنه بنحوه[2].

وزاد: (ثم قرأ)[3]: **﴿ ولئن شئنا لنذهبَنَّ بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً[4] ﴾**.

ورواه الطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، غير شداد ابن معقل وهو ثقة[5] ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لَيُنْزِعنَّ هذا القرآن من بين أظهركم، قالوا: يا أبا عبد الرحمن ألسنا نقرأ القرآن، وقد ثبَّتناه في مصاحفنا؟ قال: يسري على القرآن ليلاً، فلا يبقى في قلب عبد، ولا في مصحفه منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم، ثم قرأ عبد الله: **﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً ﴾**.

وهذا وإن كان موقوفاً، فمثله لا يقال من قبل الرأي.

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ٢/٣١٥.
(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه ٣/٣٦٢ حديث رقم ٥٩٨٠.
(٣) ساقطة من: د.
(٤) سورة الإسراء: آية ٨٦.
(٥) مجمع الزوائد ٧/٥١.

ومثله ما روي الدارمي عنه أيضاً رضي الله عنه، أنه قال: ليسرين على هذا القرآن ذات ليلة، فلا تترك آية في مصحف، ولا في قلب أحد، إلا رفعت[١].

ومثله ما رواه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سيبلي القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت، يقرأونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصرًّوا قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا قالوا سيغفر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئاً[٢].

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مُطَوَّلاً، وعن ابن عمر رضي الله عنهما مختصراً وقال: حديث حسن ـ وهذا لفظ أبي هريرة ـ قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج في آخر الزمان رجال يَخْتِلُون[٣] الدنيا بالدين، يلبسون جلود الضأن من اللِّين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله عز وجل: أبي يفترون، أم عليَّ يجترؤ ون. فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم حيران[٤].

وروى مسلم والترمذي وابن ماجه، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: القرآن حجة لك أو عليك[٥].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ٢/٣١٥.
(٢) سنن الدارمي: الموضع السابق.
(٣) أي يطلبون الدنيا بالآخرة. (راجع النهاية ٢/٩).
(٤) صحيح الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في ذهاب البصر ٣/٣٠ حديث رقم ٣٠١٥.
(٥) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ٣/١٠٠.
وصحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب (٩١) ٥/١٩٦ حديث رقم ٣٥٨٣.
وسنن ابن ماجه: كتاب الطهارة، باب الوضوء شطر الأيمان ١/١٠٢ حديث رقم ٢٨٠.

وللترمذي وأحمد ـ قال المنذري: ورواته رواة الصحيح[1] ـ عن شداد بن أوس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ما من مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله، إلا وكَّل الله به مَلَكاً، فلا يقربه شيء يؤذيه، حتى يهب متى هب[2].

ولا بن ماجه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خير الدواء القرآن[3].

قال النووي في التبيان: وعن طلحة بن مصرِّف[4]: أنه كان يقال: إن المريض إذا قرىء عنده القرآن، وجد لذلك خفة، فَدَخَلْتُ على خيثمة وهو مريض فقلت: إني أراك صالحاً، فقال: إنه قرىء عندي القرآن[5].

ما ينبغي لحامل القرآن

وعند الطبراني، والحاكم وصحح سنده، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن، فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحي إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يَجِدَ مع من يجد، ولا يجهل مع من جهل، وفي جوفه كلام الله[6].

---

(١) عبارة المنذري في الترغيب ١/٤١٥: ورواة أحمد رواة الصحيح.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في من يقرأ من القرآن عند المنام ٥/١٤٢ حديث رقم ٣٤٨.
ومسند الإمام أحمد ٤/١٢٥.

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب الطب، باب الاستشفاء بالقرآن ٢/١١٥٨ حديث رقم ٣٥٠١، ٢/١١٦٩ حديث رقم ٣٥٣٣.
وفيه الحارث بن عبدالله الهمداني الأعور. وفيه كلام، وحديثه في السنن الأربعة راجع: الميزان ١/٤٣٥.

(٤) في التبيان: «مطرف» بالطاء، وهوخطأ.

(٥) التبيان ص ١٢٦.

(٦) المستدرك: كتاب فضائل القرآن ١/٥٥٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وقال الذهبي: صحيح.

ومعنى «يَجد فيمن يَجِدُ»: أي يجد في نفسه شيئاً لا يليق، أو يجد شيئاً من الدنيا، أو يحصله.

وفي بعض النسخ: «يَجِدُّ فيمن جَدّ»، مضاعفاً.

أي يعظم فيمن عظمَ، أي يتكبر، ويطلب أن يحظى، أو يكون كثير الرزق.

ورواه الطبراني من طريق فيه إسماعيل بن رافع - قال الهيثمي: وهو متروك[1] - ولفظه: من قرأ القرآن، فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحي إليه ومن قرأ القرآن، فرأى أن أحداً أُعطي أفضل ما أُعطي، فقد عظَّم ما صغَّر الله وصغَّر ما عظَّم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يَسْفَهَ فيمن يَسْفَهُ، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتدَّ فيمن يحتدُّ، ولكن يعفو ويصفح، لفضل القرآن.

(وروى أبو عبيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ينبغي لقارىء القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس يفطرون، وببكائه إذ الناس يضحكون وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

قال: وأحسبه قال: وبحزنه إذ الناس يفرحون.

وروى أبو نعيم عن أبي حازم[2] قال: كنت ترى حامل القرآن في خمسين رجلاً فتعرفه قد خضعه[3] القرآن، فأدركت القراء الذين هم القراء، وأما اليوم فليسوا بقراء، ولكنهم خراء[4].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٥٩

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٣٣.

(٣) في الحلية: «مصعه» بالصاد والعين المهملتين، والمعنى: أضعفه.

(٤) الحلية ٣/٢٤٦.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «المعروف»، عن الفضيل بن عياض مُعْضَلاً، قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: إذا عظَّمت أمتي الدينار والدرهم، نزع منها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا بركة الوحي.

قال الغزالي[١]: قال الفضيل: يعني حرموا فهم القرآن، وقد شرط الله الإنابة في الفهم فقال: «وما يتذكر إلا من ينيب»[٢].

وروى الطبراني بسند ـ قال الهيثمي: فيه حُيَيٌّ، وثقة جماعة، وفيه كلام لا يضر، وبقية رجاله رجال الصحيح ـ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: إن زوجي مسكين، لا يقدر على شيء فقال النبي ﷺ لزوجها: أتقرأ من القرآن شيئاً؟. قال: أقرأ سورة كذا، وسورة كذا، فقال النبي ﷺ: بَخٍ بَخٍ، زوجك غنى فلزمت المرأة زوجها، ثم أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا نبي الله قد بسط الله علينا وَرَزَقنا.

وللبزار عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن، يكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يَقِلُّ خيره.

قال البزار: لم يروه إلا أنس، وفيه عمر[٣] بن نبهان، وهو ضعيف[٤].

وفي الفردوس عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن، فكأنما شافهني وشافهته.

وللطبراني في مجامعه الثلاث، بإسناد لا بأس به، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر، ولا ينالهم

---

(١) الأحياء ١/٥١٥/ ط الشعب.

(٢) من أول حديث أبي عبيد عن ابن مسعود: «ينبغي لحامل القرآن... الخ» إلى هنا مكرر في د. فقط.

(٣) في د: عمرو. وهو خطأ (راجع الميزان ٢/٢٢٧).

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٧١.

الحساب[1]، هم على كثيب من مسك[2] حتى يُفْرَغَ من حساب الخلائق: رجلٌ قرأ القرآن ابتغاءَ وجه الله، وأمَّ به قوماً وهم به راضون. الحديث[3].

ولأبي عبيد عن يحيى بن (أبي)[4] كثير قال: مرّ رسول الله ﷺ على إبل لِحَيٍّ يقال لهم بنو المُلَوَّح - أو بنو المصطلق - قد عَبَسَتْ[5] أبوالُها من السِّمَنَ فَتَقَنَّع بثوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ **ولا تَمُدَّنَّ عيْنَيْك إلى ما متَّعنا به أزواجاً منهم زَهْرَةَ الحياة الدنيا**[6]. . . (إلى آخر الآية)[7].

وروى أبو يَعْلَى في مسنده عن أنس رضي الله عنه، والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: القرآن غنىً لا فَقْرَ بعده ولا غِنَى دونَه.

قال الهيثمي: وفيه يزيد بن أَبَانَ الرَّقاشي، وهو ضعيف[8]

حفظ الله للقرآن

روى الإمام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، والبَغَوى في «شرح السُّنَّة»،

(١) أي لا يصيبهم العقاب.

(٢) قال في النهاية ٤/٩: الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب. اهـ.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ٢/١٢٤. وتمامه:
«وداع يدعو إلى الصلوات الخمس ابتغاء وجه الله، وعبدٌ أحسن فيما بينه وبين مواليه».

(٤) ساقطة من: د.

(٥) قال أبو عبيد: يعني أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها، وذلك إنما يكون من كثرة الشحم. اهـ.
وقال الزمخشري في الفائق ٢/١٠٧: العَبَسُ للإبل كالوَذَح للغنم، وهو ما يَبِسَ على مآخيرها من البول والثَّلْطِ اهـ.

(٦) سورة طه آية ١٣١.

(٧) زيادة عن أبي عبيد: غريب الحديث ٣/٩، ١٠.

(٨) مجمع الزوائد ٧/١٥٨.

والدارمي والطبراني في الكبير، وأبو عبيد، عن عقبة بن عامر الجُهَني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: لو كان القرآن في إهَابٍ[1] ما مسَّتْه[2] النار[3].

وفي رواية: لو أن القرآن جُعِل في إهاب، ثم ألقى في النار، ما احترق[4].

قال أبو عبد الرحمن: تفسيره: أن من جَمَع القرآن، ثم دخل النار فهو شَرٌّ من الخنزير.

وقال أبو عبيد: وجه هذا عندنا: أن يكون أراد بالإهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن[5].

---

(١) قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٢٠١: الإهاب: الجلد الذي لم يدبغ.

(٢) في م: ما أكلته.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٥١.

وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٤٣٠.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/١٥٥.

(٥) للعلماء في بيان المراد بهذا الحديث أقوال متباينة، وتأويلات مختلفة، وقد تأوله جماعة من أكابر العلماء، منهم: ابن قتيبة، وابن القاسم الأنباري والشريف المرتضى العلوي.

فذكر ابن قتيبة في تأويله ثلاثة وجوه:

الأول: أن من تعلم القرآن من المسلمين، لم تحرقه النار يوم القيامة، إن ألقي فيها الذنوب.

واحتج ابن قتيبة لهذا الوجه بما رواه سليمان بن محمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: اقرؤوا القرآن، ولا تغرنكم هذه المصاحف، فإن الله لايعذب قلباً وعي القرآن، بأن جعل الجسم ظرفاً للقرآن كالإهاب.

الثاني: أن معنى الحديث محمول على عصر النبي ﷺ، فقد كان هذا عَلَماً للنبوة، ودليلاً على أن القرآن كلام الله تعالى، ومن عنده نزل، أَبَانَهُ الله تعالى بهذه الآية في وقت من تلك الأوقات، عند طعن المشركين فيه، ثم زال ذلك بعد عصر النبي ﷺ كما تكون الآيات في عصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دليلاً على نبوتهم، من ميت

= يحيا، وذئب يتكلم، وبعير يَشْكُو، ثم ينقطع ذلك بذهابهم، ويُعْدَمُ بفوات أزمانهم.
الثالث: أن يكون الإحراق إنما نفي عن القرآن، لا عن الاهاب، ويكن معنى الحديث: لو كتب القرآن في جلد، ثم ألقي في النار، لاحترق الجلد والمداد، ولم يحترق القرآن لأن الله تعالى يرفعه منه، ويصونه عن النار منعاً له من الإحراق.

ورد ابن الأنباري هذه الوجوه، ولم يَرَها شيئاً فقال: اعتبرت ما قاله ابن قتيبة من ذلك كلّه فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً. وتبعه الشريف المرتضى.
وبَيّنَ ابن الأنباري فساد ما ذهب إليه ابن قتيبة على النحو التالي:
أما الوجه الأول فقال: كيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه أن النار لا تحرق من قرأ القرآن، ولا خلاف بين المسلمين في أن الخوارج وغيرهم ممن يلحدون في دين الله سيحرقون بالنار، وهم من قراء القرآن وحُفَّاظه.
وأما احتجاجه بخبر أبي أمامة «إن الله لا يعذب قلباً وعي القرآن» فمعناه: من قرأ القرآن وعمل به، فأما من حفظ ألفاظه، وضيَّع حدوده، فإنه غير واعٍ له.
وزاد الشريف المرتضى فقال: لوكان الأمرعلى ما ذكره ابن قتيبة، لكان النبي ﷺ قد أغرانا بالذنوب، لأنه إذا أمِنَ حافظ القرآن من النار والعذاب فيها، ركن المكلّفون إلى تعلم القرآن والإقدام على القبائح غير خائفين، وهذا لا يجوز عليه ﷺ، والمعنى في قول أبي أمامة: «إن الله لا يعذب قلباً وعي القرآن» على نحو ما ذكره ابن الأنباري.
وأما فساد الوجه الثاني فقال ابن الأنباري: فأما قوله إنه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده، فما روى هذا الحديث أحد على أنه كان من دلائله عليه السلام، ولو أراد ذلك دليلاً لكان ﷺ يجعل القرآن في إهاب ثم يلقيه في النار، فلا يحترق.
وبسط الشريف المرتضى العبارة فقال: فمن أين لابن قتيبة أن ذلك مختص بزمانه ﷺ، وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه وأقوى ما يبطله: أنه لو كان لما ذكر لما جاز أن يخفى علي جماعة المسلمين الذين رَوَوْا جميع معجزاته عليه السلام وضبطوها؟.

وأما بيان ما في الوجه الثالث فقد قال ابن الأنباري: وقولُ ابن قتيبة الثالث: لاحترق الجلد والمداد، ولم يحترق القرآن «غير صحيح، لأن الذي يصحح هذا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب، وهذا محال، لأن المكتوب في المصحف هو القرآن، بدليل قوله تعالى: ﴿ إنه لقرآنٌ كريمٌ، في كتاب مكنونٍ، لا يَمَسُّهُ إلا المُطَهَّرون ﴾.
ثم ذهب ابن الأنباري إلى أن معنى الحديث: أنه لو أُحرق الجلد الذي كُتب فيه القرآن، لما كان للإحراق أثرٌ على إبقاء القرآن موجوداً، إذ لا يؤدي ذلك إلى محوه، وإعفاء أثره، لكونه محفوظاً في القلوب، وموجوداً في الصدور. =

= فقد قال رحمه الله: والقول عندنا في تأويل هذا الحديث: أنه أراد لو كان القرآن في جلد، ثم ألقي في النار، ما أبطلته، لأنها ـ وإن أحرقته ـ فلن تَدْرُسَه، إذ كان الله قد ضَمَّنَه قلوبَ الأخيار من عباده، والدليل على هذا قول الله تعالى للنبي ﷺ فيما روى عنه: إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان، فلم يرد تعالى: أن القرآن كتب في شيء، ثم غسل بالماء، لم ينغسل، وإنما أراد: أن الماء لا يبطله ولا يدرسه، إذا كانت القلوب تعيه وتحفظه.

ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى، وفي لغة العرب، قال الله تعالى: ﴿ يومئذ يَوَدُّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تُسَوَّى بهم الأرضُ ولا يكتمون الله حديثاً ﴾.

فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا: «والله ربِّنا ما كنا مشركين»، وإنما أراد: ولا يكتمون الله حديثاً في حقيقة الأمر، لأنهم وإن كتموه في الظاهر، فالذي كتموه غير مستتر عنه.

* * *

لكن هذا التأويل الذي ذهب إليه ابن الأنباري، لم يعجب الشريف المرتضي، فرد عليه بقوله: فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل أيضاً فيه، لأنه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشِعْرٍ في العالم، لأنا نعلم أن الشِّعْر والكلام المحفوظ في صدور الرجال، إذا كُتب في جلد ثم أحرق، أو غسل، لم يذهب ما في الصدور منه، بل يكون ثابتاً بحاله، فأي مزية للقرآن في هذا على غيره؟. وأي فضيلة؟.

فإن قال: وجه المزية: أن غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل بإحراق النار، والقرآن إذا كان الله تعالى هو المتولى لإيداعه الصدورَ لا يتم ذلك فيه.

قلنا: الكل سواء، لأن غير القرآن، إنما يبطل باحتراق الإهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مُودَعاً للصدور، ومتى كان بهذه الصفة لم يبطل باحتراق الجلد، وهكذا القرآن، لو لم يحفظ في الصدور، لبطل الاحتراق، ولكنه لا يبطل بهذا الشرط، فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته، كالشرط في بطلان القرآن وثباته، فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خُصَّ به من أن النار لا تمسه.

* * *

ويرى الشريف المرتضى أن الجواب السديد في بيان معنى هذا الحديث هو أن هذا من كلام النبي ﷺ على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن، والإخبار عن جلالة قدره وعظم خطره. =

وفي سند الطبراني ابن لهيعة، وفيه خلاف، قاله الهيثمي[1].

وللطبراني عن عصمة هو ابن مالك الأنصاري الخُلَيْمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، لو جمع القرآنُ في إهاب ما أحرقته النار.

قال الهيثمي: وفيه الفضل بن المختار، وهو ضعيف[2]

وله فيه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار.

= والمعنى: أنه لو كتب في إهاب، وألقى في النار، وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلوِّ شأنه، وجلالة قدره، لم تحرقه النار.

ولهذا نظائر في القرآن، وكلام العرب وأمثالهم، كثيرة ظاهرة على من له أدنى أُنْسٍ بمذاهبهم، وتصرُّف كلامهم.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتَهُ خاشِعاً متصَدِّعاً من خشية الله وتلك الأمثالُ نضربُها للناس لعلهم يتفكرون ﴾.

ومعنى الكلام، أننا لو أنزلنا القرآن على جبل، وكان الجبل مما يتصدع اشفاقاً من شيء، أو خشية لأمر، لتصدع مع صلابته وقوته، فكيف بكم يا معشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم، وأنتم أوْلَى الخشية والإشفاق.

وقد صرح الله تعالى بأن الكلام خرج مخرج المَثَل بقوله: وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون.

ومثله قوله تعالى: ﴿ تكاد السموات يَتَفطَّرْنَ منه وتَنْشَقُّ الأرض وتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا ﴾.

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة، يقولون: هذا كلام يفلق الصخر، ويَهـدُّ الجبال، ويصرع الطير، وليس ذلك بكذب منهم، بل المعنى: أنه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور، لو تأتَّتْ، ولو كانت مما يسهل ويتيسر لشيء من الأشياء لتسهلت به من أجله.

راجع: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٢٠٠ ـ ٢٠٢ / ط مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٦٦.

وأمالي المرتضى ١/٤٢٦ ـ ٤٣٣ / ط عيسى الحلبي سنة ١٩٥٤ م.

(١) كلام الهيثمي في الزوائد ٧/١٥٨ هكذا: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وفيه ابن لُهَيْعة وفيه خلاف.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٥٨.

قال الهيثمي: فيه عبد الوهاب بن الضحاك، وهو متروك[1].

فضل القرآن وقارئه

وفي الفردوس عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن، وعرف تأويله ومعانيه، ولم يعمل به، تَبَوَّأ مضجعه من النار.

وللطبراني في الصغير، عن أنس رضي الله عته، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن[2][يقوم به أناء الليل والنهار، يُحلُّ حلاله، ويُحرِّم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار، وجعله رفيق السفرة ِالكرام البررة، حتى إذا كان يوم القيامة، كان القرآن حجة له[3].

وللبيهقي في الشُّعَب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن، فقام به أناء الليل والنهار، يُحلُّ حلاله، ويُحرِّم حرامه، خلطه الله بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفرة الكرامِ البررة، وإذا كان يوم القيامة، كان القرآن حجة له.

ورواه أبو عبيد في كتاب «الفضائل»، عن كعب الأحبار، عن التوراة، ولفظه: أن الفتى إذا تعلم القرآن وهو حديث السن، وحَرَص عليه، وعمل به وتابعه، خلطه الله بلحمه ودمه، وكتبه عنده من السفرة الكرام البررة، فإذا تعلم الرجل القرآن وقد دخل في السن، فحرص عليه وهو في ذلك يتابعه ويتفلَّت منه، كُتب له أجره مرتين.

ولأبي عبيد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: القرآن شافع مُشَفَّع، ومَاحِلٌ[4] مصدِّق، من شفع له القرآن يوم القيامة نجا،

(١) مجمع الزوائد: الموضع السابق.

(٢) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ٢/١٢٥.

(٤) قال ابن الأثير ٤/٣٠٣: أي خصم مجادل مصدَّق. وقيل: ساعٍ مصدق، من قولهم: =

ومن مَحَلَ به القرآن يوم القيامة كبَّه الله (في النار)[1] على وجهه[2].

ورواه الطبراني.

قال الهيثمي: وفيه الربيع بن بدر، وهو متروك[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: القرآن شافع مُشَفَّع، وَما حِلٌ مصدِّق، من جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه، ساقه إلى النار[4].

وقال الشيخ محيي الدين في التبيان[5]: وروى الدارمي بإسناده، عن

= محل بفلان إذا سعى إلى السلطان. يعني: أن من اتبعه وعمل بما فيه، فإنه شافع له مقبول الشفاعة، ومصدِّق عليه فيما يرفع من مُسَاءَتِهِ إذا ترك العمل به. اهـ.

وراجع: الفائق للزمخشري ٣/٣٤٩.

(١) ساقطة من: د.

(٢) غريب القرآن لأبي عبيد ٤/١٧٤.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٤.

وقال الذهبي في الميزان ٢/٣٩: وقال ابن عدي: عامة روايته لا يتابع عليها. اهـ.

وقال ابن حجر في التقريب ١/٢٤٣: متروك.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب العلم، باب البيان بأن القرآن من جعله إمامه قاده إلى الجنة ١/٢٨٥ من حديث جابر.

ونسبه السيوطي في الجامع الصغير ٤/٥٣٥ حديث رقم ٦١٨٢ إلى الطبراني والبيهقي في الشُعب.

والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٦٤، ونسبه إلى البزاز والطبراني، وقال: وحديث جابر المرفوع رجاله ثقات.

والحافظ المنذري في الترغيب ٧/٢٠٧.

وأخرجه عبد الرزاق في المصنَّف: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٢ حديث رقم ٦٠١٠ موقوفاً على ابن مسعود.

(٥) التبيان ص ٣١.

ابن مسعود رضي الله عنه (عن النبي ﷺ)[١]: اقرأوا القرآن فإن الله لا يُعذِّب قلبا وعى القرآن، وإن هذا القرآن مَأْدُبَةُ الله[٢]، فمن دخل فيه فهو آمِنٌ ومن أحب القرآن فليبشر[٣].

وللبيهقي في الشعب، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: قراءة القرآن في الصلاة، أفضل من قراءته[٤] في غير الصلاة.

وللطبراني ـ قال الهيثمي: وفيه (أبو)[٥] سعيد بن عوذ[٦]، وثقه ابن معين في رواية، وضعفه في أخرى[٧] ـ والبيهقي في الدعوات، عن أوس

---

(١) زيادة عن التبيان.

(٢) قال القرطبي في التذكار ص ٣٠: شبه القرآن بصنيع صنعه الله عز وجل للناس، لهم فيه خير ومنافع، ثم دعاهم إليه.
يقال: مأدُبة، ومأدَبة، فمن قال مأدبة ـ يعني بالضم ـ أراد الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس.
ومن قال: مأدَبة ـ يعني بالفتح ـ فإنه يذهب به إلى الأدب، بجعله مفعلة اهـ.

(٣) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٤٣٢ موقوفاً على أبي أمامة.

(٤) في الأصل: «قراءتها»، وهو لا يستقيم، إلا إذا كان المراد القراءة، لا القرآن.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) في د: عوف، وفي البرهان للزركشي ١/٥٣٠: عون، وكلاهما خطأ. واسمه: رجاء ابن الحارث بن عَوْذِ المُكتِب، ضعيف الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ، كما في الميزان ٤/٥٣٠ ترجمة رقم ١٠٢٤٣.
والحق: أن الحديث موضوع، لأن المصحف لم يكن موجوداً في حياة النبي ﷺ، ولو أن هذا الحديث ثابت مااختلف العلماء هل الأفضل القراءة في المصحف أم عن ظهر قلب، بل إن العز بن عبد السلام اختار القراءة عن ظهر قلب لأن المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى: ﴿ ليتدبروا آياته ﴾ والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود، فهل غاب هذا الحديث عن ابن عبد السلام لو كان ثابتاً؟.
ومعلوم أن قول ابن عبد السلام مبني على أن المرء حافظ للقرآن ويريد التلاوة.

(٧) مجمع الزوائد ٧/١٦٥.

الثقفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: قراءة الرجل في غير المصحف بألف درجة وقراءته في المصحف تضعف على ذلك إلى ألفي درجة.

تجريد القرآن مما ليس منه

وروى عبد الرزاق عن الثوري، عن سَلَمَة بن كَهْل، عن أبي الزعراء قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه، جَرِّدُوا القرآن، (يقول)[1] لا يلبسوا فيه ما ليس منه[2].

ورواه الطبراني من طريقه، ولفظه: جَرِّدوا القرآن، لا تلبسوا به ما ليس منه.

قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، غير أبي الزعراء وقد وثقه ابن حبان وقال البخاري وغيره: لا يتابع في حديثه[3].

ورواه أبو عبيد من طريقه بلفظ: جردوا القرآن، ولا تخلطوه بشيء.

وروى عن مسروق، عن عبد الله، أنه كان يَحُكُّ التعشير من المصحف[4].

وله عن يحيى بن أبي كثير قال: ما كانوا يعرفون شيئاً مما أحدث في هذه المصاحف.

---

(١) ساقطة من د، وهي موجودة عند عبد الرزاق.
(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصيام، باب ما يكره أن يصنع في المصاحف ٣٢٢/٤ حديث رقم ٧٩٤٤.
(٣) مجمع الزوائد ١٥٨/٧.
(٤) وأخرجه عبد الرزاق: كتاب الصيام، باب ما يكره أن يصنع في المصاحف ٣٢٢/٤ حديث رقم ٧٩٤٢.

وله عن يحيى بن أبي كثير: إلا هذه النقط الثلاث، عند رؤوس الآيات.

كراهة تصغير حجم المصحف

وروى عبد الرزاق عن الثوري، عن الأعمش، عن ابراهيم، أن علياً رضي الله عنه كان يكره أن تتخذ المصاحف صغاراً[١].

وروى أبو عبيد عن أبي حكيمة العبدي قال: كنت أكتب المصاحف، فبينا أنا أكتب مصحفاً إذ مر بي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقام ينظر إلى كتابي فقال: أجلل (من)[٢] قلمك، فقضمت من قلمي قصمة، ثم جعلت أكتب. فقال: نعم هكذا، نوّره كما نوره الله.

وله عن علي رضي الله عنه ـ أيضاً ـ: أنه كان يكره (أن يكتب)[٣] القرآن في الشيء الصغير.

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه وجد مع رجل مصحفاً قد كتب بقلم دقيق، فقال: ما هذا؟. فقال: القرآن كله، فكره ذلك وضربه، وقال: عظموا كتاب الله.

قال: (وقد)[٤] كان عمر رضي الله عنه، إذا رأى مصحفاً عظيماً سرَّه.

كتابة القرآن في الشيء الطاهر

وله عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لاتكتبوا القرآن إلا في شيء طاهر.

---

(١) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصيام، باب ما يركه أن يصنع في المصاحف ٣٢٣/٤ حديث رقم ٧٩٤٦.
(٢) زيادة عن: د.
(٣) ساقطة من: د.
(٤) ساقطة من: د.

وقال أبو (عبيد: حدثنا)[1] يزيد، حدثنا محمد بن اسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر قال: كتب رسول الله ﷺ لجدي: أن لا يمس القرآن إلا طاهر.

تحريم قراءة القرآن منكوساً

وروى عبد الرزاق عن الثورى، (والدارمي عن محمد بن يوسف، عن سفيان ـ وهو الثورى ـ)[2]، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يا أيها الناس تعلموا القرآن، فإن أحدكم لا يدري متى يُخْتَلُ إليه، قال فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، أرأيت رجلاً يقرأ القرآن منكوساً؟. قال: ذلك منكوس القلب، قال: وأتى بمصحف قد زُيِّن وذُهِّب، فقال عبد الله، أحسن ما زيِّن به المصحف تلاوته بالحق[3].

تفسير نكس القرآن[4]

ورواه أبو عبيد في الغريب، وقال: يختل، أي يحتاج، من الخلة والحاجة[5].

ونكس القرآن، قال: يتأوله كثير من الناس، أنه يبدأ الرجل من آخر السورة فيقرؤها إلى أولها، وهذا شيء ما أحسب (أن)[6] أحداً يطيقه، ولا كان هذا في زمان عبد الله، ولكن وجهه عندي: أن يبدأ من آخر القرآن من المعوذتين ثم يرتفع إلى البقرة، كنحو ما يتعلم الصبيان في الكُتَّاب، لأن السنة

(١) ساقطة من: د.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصيام، باب ما يكره أن يصنع في المصاحف ٣٢٣/٤ حديث رقم ٧٩٤٧.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) غريب الحديث ١٠٣/٤.

(٦) ساقطة من: د.

بخلاف هذا وإنما جاءت الرخصةُ في تَعْلِيم الصبي والعَجَمِي من المُفَصَّل، لصعوبة السور الطوال عليهما، (فهذا عذر، فأما من قرأ القرآن وحفظه، ثم تعمد أن يقرأه من آخره إلى أوَّلِه، فهذا النكس المنهي عنه)[1]. وإذا كرهنا هذا النكس، فنحن[2] للنكس من آخر السورة إلى أولها أشد كراهية، إن كان ذلك يكون[3].

وقال النووي في التبيان: ولو خالف الموالاة، فقرأ سورة لا تلي الأولى، أو خالف الترتيب فقرأ سورة، ثم قرأ سورة قبلها جاز، فقد جاء بذلك آثار كثيرة، وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الركعة الأولى من الصبح الكهف، وفي الثانية بيوسف.

وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف، روى ابن أبي داود عن الحسن أنه كان[4] يكره أن يقرأ القرآن إلا على تأليفه في المصحف.

وبإسناده الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له: إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً، فقال: ذاك منكوس القلب.

وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فممنوع منعاً متأكداً، فإنه يذهب بعض ضروب الإعجاز[5]، ويزيل حكمة ترتيب الآيات. انتهى[6].

ثواب قراءة القرآن

وللحافظ أبي محمد الخلال[7] في «كرامات الأولياء»: عن أبي حمزة نصر

(١) زيادة عن غريب الحديث لأبي عبيد.

(٢) في د: نحن. والتصويب عن م. والغريب.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ١٠٣/٤.

(٤) في د: قال.

(٥) بل يذهب بكل ضروب الإعجاز، وأي أنواع الإعجاز تبقى للقرآن إذا اختل نظمه، وانفرط عقده؟.

(٦) التبيان ص ٧٤.

(٧) هو أبو محمد أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي، المعروف بالخلال. =

ابن الفرج الأسلمي قال: كان أبو معاوية الأسود يقرأ في المصحف، فذهب بصره، وكان إذا جاء وقت قراءته وفتح المصحف، رجع إليه بصره فيقرأ، فإذا أطبق المصحف ذهب بصره.

وروى عبد الرزاق عن الثورى، عن عاصم بن بَهْدَلَة، عن زِرِّ بنِ حَوْشَبْ قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أديموا النظر في المصحف، فإذا اختلفتم في ياء وتاء، فاجعلوها يا[1]، واذكروا القرآن[2].

وروى الطبراني مثله[3].

ولعبد الرزاق عن معمر، عن لَيْث، عن عبد الرحمن بن سابط قال: قال رسول الله ﷺ: البيت الذي يقرأ فيه القرآن، يكثر خيره، ويوسع على أهله ويحضره الملائكة، ويهجره الشياطين، وإن البيت الذي لا يقرأ فيه، يضيق على أهله، ويقل خيره ويهجره الملائكة، ويحضره الشياطين، وإن البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويثوّر[4] فيه، يضيء لأهل السماء، كما يضيء النجم لأهل الأرض[5].

= قال صاحب الرسالة: مؤلف علم أحمد بن حنبل وجامعه ومرتبه، توفي سنة ٣١١ هـ. أ هـ.

وكتابه يقع في ثلاث مجلدات، وله كتاب في العلل في عدة مجلدات.

راجع: الرسالة المستطرفة ص ٣٣.

(١) في المصنف: فاجعلوها ذكروني في القرآن.

(٢) المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه ٣٦٢/٣ حديث رقم ٥٩٧٩.

(٣) قال الهيثمي ١٦٥/٧: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد ابن أبي مريم وهو ضعيف.

(٤) أي يذكر فيه معانيه.

(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣٦٩/٣ حديث رقم ٥٩٩٩.

قال معمر: وسمعت رجلاً من أهل المدينة يقول: إن أهل السماء ليتراءون البيت الذي يقرأ فيه القرآن، ويصلي فيه، كما يتراءى أهل الدنيا الكوكب الدري في السماء.

وفي أمالي (أبي)[1] الحسين بن شمعون، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الأنبياء سادة أهل الجنة، والشهداء قادة أهل الجنة، وحملة القرآن عُرفاء أهل الجنة.

وروى الطبراني عن الحسين بن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة.

قال الهيثمي: وفيه إسحاق بن ابراهيم بن سعيد المدني، وهو ضعيف[2].

ولأبي عبيد في الفضائل، والدارمي، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح ـ كما قاله المنذري[3] ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: إن لله تبارك وتعالى أهْلِين من الناس، قيل من هم يا رسو لالله؟. قال: أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته[4].

ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) مجمع الزوائد ١٦١/٧.

(٣) في د: الهيثمي.

(٤) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٣١١/٢.
وسنن ابن ماجه: المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ٧٨/١ حديث رقم ٢١٥.
والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ٥٥٦/١.

ولأبي عبيد عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله جواد يحب الجواد، ويحب معالي الأخلاق ويُبغِضُ ـ أو قال: يكره ـ سفسافها، وإن من تعظيم جلال الله، إكرام ثلاثة: الإمام المقسط، وذي الشيبية المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه.

وسيأتي في تخريج أبي داود لآخره[١].

وروى أبو عبيد عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرأ ظاهراً، كفضل الفريضة على النافلة.

(وله)[٢] عن عمر رضي الله عنه، أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ.

وله عن ابن مسعود رضي الله عنه، إنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه، نشروا المصحف فقرأوا، وفسر لهم.

ولمسلم وابن ماجه، والدارمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خَلِفَات[٣] عظام سمان؟. (قلنا[٤]: نعم. قال: فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته، خير له من ثلاث خلفات عظام سمان)[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود ـ مختصراً ـ: كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم ٢/٢٦١ حديث رقم ٤٨٤٣ عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) الخلفات ـ بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام ـ: الحوامل من الإبل، وتسمى خلفات إلى أن ينتهي نصف مدة الحمل.
أفاده النووي في شرح مسلم ٦/٨٨.

(٤) ما بين المربعين ساقط من الأصل، وزدناه عن صحيح مسلم.

(٥) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة ٦/٨٩. =

ولمسلم ـ أيضاً ـ وأبي داود، وأبي عبيد في كتاب الفضائل، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ونحن في الصُّفَّة، فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان[١] ـ أو قال: إلى العقيق[٢] ـ فيأتي منه بناقتين كَوْمَاوَيْنِ[٣] زهراوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟. قالوا: كلنا يا رسول الله قال: فلأن يغدو أحدكم كلَّ يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، وأعدادهن من الإبل[٤].

وروى البزار بسند ـ قال الهيثمي: فيه إسحاق بن إبراهيم الثقفي وهو ضعيف

والطبراني في الأوسط بسند فيه حفص بن سليمان الغاضري وهو متروك[٥]، ووثقه أحمد في رواية، وضعفه في غيرها[٦] ـ عن كليب بن شهاب قال: كان علي رضي الله عنه في المسجد ـ أحسبه قال: مسجد الكوفة ـ فسمع ضجة شديدة، فقال: ما هذا؟. قال: قوم يقرأون القرآن، أو يتعلمون القرآن، فقال: طوبي لهؤلاء.

= وسنن ابن ماجه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن ٢/١٣٤٣ حديث رقم ٣٧٨٢.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٣١٠.

(١) بطحان: اسم واد يتوسط بيوت المدينة.

(٢) العقيق: واد على مسافة ميلين من المدينة، وسمى عقيقاً لحمرة موضعه.
راجع: وفاء الوفا للسمهودي ٣/١٠٣٩، ٣/١٠٧١.

(٣) الكومان: تثنية كوماء بفتح الكاف: وهي من الإبل: العظيمة السنام.
راجع: شرح مسلم ٦/٨٩.

(٤) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة ٦/٨٩.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ثواب قراءة القرآن ٢/٧١ حديث رقم ١٤٥٦.

(٥) قال الذهبي في الميزان ١/٥٥٨: كان ثبتاً في القراءة، واهياً في الحديث لأنه كان لا يتقن الحديث ويتقن القرآن ويجوده. أ. هـ.

(٦) مجمع الزوائد ٧/١٦٦.

وعزاه النووي لابن أبي داود عن علي رضي الله عنه ساكتاً عليه، (وزاد)[1]: أما إنهم كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.

ولأحمد بسند ـ قال الهيثمي: فيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح[2] ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذُكر رجل عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أولم[3] تـروه يتعلم القرآن[4].

ولمسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)[5] قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب، احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومسَّاكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، (ويقرن بين أصبعيه: السبابة والوسطى ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير)[6] الهَدْيِ: هَدْيُ محمد ﷺ، وشَرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعة ضلالة[7].

ولأبي عبيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قيل له: إنك لتُقِلُّ الصوم؟. قال: إنه ليضعفني عن قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحب إليّ.

وللترمذي عن ابن مسعود ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ حرفاً من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) مجمع الزوائد ١٦٢/٧.

(٣) في د: أوما.

(٤) مسند الإمام أحمد ٦٦/٦.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب خطبته ﷺ في الجمعة ١٥٣/٦.

أمثالها، لا أقول: «ألم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف[1].

معنى الحرف المقابل بالحسنة

قال أبو عمرو الداني في كتاب «العدد»: إن هذا على حال صور الكَلِم في الرسم، دون استقرارهن في اللفظ، ألا ترى أن صورة «الم» في الكتابة ثلاثة أحرف، وهي في التلاوة تسعة أحرف، فلو كانت الكلمة إنما تعد حروفها على حال استقرارها في اللفظ دون الرسم، لوجب أن يكون لقارىء «الم» تسعون حسنة.

فلما قال: إنها ثلاثة أحرف، وإن لقارئها ثلاثين حسنة، لكل حرف منها عشر حسنات، ثبت أن حروف الكلمة إنما تُعدُّ على حال صورهن في الكتابة دون التلاوة، وأن الثواب جارٍ على ذلك[2].

قال: والكلمة هي الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات، والحرف هو الشبهة[3].

قال: وأطول الكلم في كتاب الله، ما بلغ عشرة أحرف، نحو قوله: «ليستخلفنهم»[4] و «أنلزمكموها»[5].

فأما قوله: «فأسقيناكموه»[6] عشرة في الرسم، وأحد عشر في اللفظ، وحروف الهجاء في الفواتح كلمات، لا حروف، لأن الحروف لا يسكت

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب في من قرأ حرفاً من القرآن ٣٤٨/٤ حديث رقم ٣٠٧٥. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
(٢) البيان للداني: ورقة ٢٨.
(٣) البيان للداني: ورقة ٣٩.
(٤) سورة النور: آية ٥٥.
(٥) سورة هود: آية ٢٨.
(٦) سورة الحج: آية ٢٢.

عليه[1]،ولا ينفرد وحده في السورة،وهذه الحروف مسكوت عليها،منفردة.انتهى

وهو مشكل، فإن العامل إنما يثاب على عمله، لا على عمل غيره، فالقارىء إنما يثاب على تحريك أعضائه بالحرف[2]، سواء كتب، أو لا، وكان مما يكتب إذا كتب أو مما يسقط في الرسم.

والذي قاله، يلزم منه أن تعطل بعض الحروف التي ينطق بها، ويعملها بلسانه، أو حلقه أو شفتيه، وهذا لا يرضاه أحد، فإن ثوابه على بعض عمله دون بعض تَحكُّم.

والذي يُكشف به معنى الحديث: حمل الحرف على الكلمة، فلما كانت «الم» مرسومة على صورة كلمة واحدة، بيَّن الحديث أنها ثلاث كلمات، فإن المنطوق به: إنما هو أسماء الحروف، في مسمياتها، وكل اسم منها كلمة، لا شك في ذلك.

وهذا الذي ظهر لي، نقله شيخنا علامة الإقراء شمس الدين الجزري في آخر كتابه النشر[3]، عن شيخه الحافظ عماد الدين ابن كثير[4]، وارتضاه ونصره، وذكر أن ابن مفلح[5] ذكره في فروعه[6]، عن شيخه أبي العباس ابن

(١) ربما يعني: أنه لا يوقف عليه.

(٢) في م بالحروف.

(٣) النشر ٣/٤٣٢/ط مكتبة القاهرة.

(٤) هو أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير، بن ضوء بن كثير، الدمشقي الشافعي مفسر، محدث، فقيه مؤرخ، ولد بجندل من أعمال بُصْرَى، ثم انتقل إلى دمشق ونشأ وعاش بها إلى أن توفي سنة ٧٧٤ هـ ودفن قريباً من شيخه أبي العباس ابن تيمية، ومن مصنفاته: البداية والنهاية في التاريخ، وتفسير القرآن، وجامع المسانيد.
راجع: البدر الطالع ١/١٥٣، الدرر الكامنة ١/٣٧٣، شذرات الذهب ٦/٢٣١.

(٥) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرِّج المقدسي الصالحي، الحنبلي، كان فقيهاً أصولياً، محدثاً، نشأ ببيت المقدس، وسمع المِزِّي والذهبي والسبكي، وتوفي في الثاني من رجب سنة ٧٦٣ هجرية ودفن بالروضة قريباً من قبر الشيخ موفق الدين.
راجع: شذرات الذهب ٦/١٩٩، الدرر الكامنة ٤/٢٦١.

(٦) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/٣٣٩.

تيمية[1]. [وعزاه إلى المحققين.

ويؤيد ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة][2] والبزار، في مسنديهما، عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ حرفاً من كتاب الله، كتبت له حسنة، لا أقول: «الم» حرف، ولكن الحروف مقطعة، الألف حرف واللام حرف، والميم حرف[3].

قال شيخنا البوصيري رحمه الله، ومدار الإسناد على موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف[4].

ورواه الطبراني في الأوسط والكبير من طريقه ولفظه: من قرأ حرفاً من القرآن كتبت له حسنة، ولا أقول: «الم ذلك الكتاب» حرف، ولكن الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف، والذال حرف، والكاف حرف.

إعراب القرآن بمعنى توضيحه

وله عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعربوا القرآن[5]، فإنه من قرأ القرآن فأعربه، فله بكل حرف عشر حسنات وكفارة عشر سيئات، ورفع عشر درجات[6].

(١) هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر ابن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحرَّاني الدمشقي الحنبلي محدث حافظ. مفسر فقيه مجتهد، ولد بحران في ربيع الأول، ثم قدم إلى دمشق مع والده صغيراً، وقد امتحن وأوذي وحبس كثيراً، وتوفي بقلعة دمشق في عشرين ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤، البداية والنهاية ١٣٢/١٤، الدرر الكامنة ١٤٤/١.

(٢) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٣) قال ابن الجزري في النشر ٤٥٤/٢: حديث ضعيف.

(٤) راجع ترجمته في الميزان ٢١٣/٤ ترجمة رقم ٨٨٩٥: وفيه أنه مات سنة ١٥٣ هـ.

(٥) قال في المصباح ٦١١/٢: أعربت الشيء وأعربت عنه وعربته ـ بالتثقيل ـ وعربت عنه، كلها بمعنى التبيين والإيضاح.
راجع: النهاية ٢٠٠/٣.

(٦) قال الهيثمي ١٦٣/٧: رواه الطبراني في الأوسط وفيه نهشل وهو متروك.

وروى أحمد بسند ـ قال المنذري: فيه زبَّان بن فايد، وهو ضعيف[1] ـ عن معاذ بن أنس رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: من قرأ القرآن في سبيل الله، كتب مع الصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً .

وروى أبو عبيد في الفضائل، والطبراني من طريق رجال بعضها رجال الصحيح، إلا ليث بن أبي سليم، ففيه ضعف ـ قاله الهيثمي[3] ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: أعربوا القرآن، فإنه عربي، وسيأتي قوم يثقفونه[4]، وليسوا بخياركم.

ومثله لا يقال بالرأي، فله حكم المرفوع.

وروى الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن عبيد، بن آدم، بن أبي إياس ـ قال الهيثمي: وقد ذكره الذهبي في الميزان، ولم أجد لغيره فيه كلاماً وبقية رجاله ثقات[5] ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: القرآن ألف ألف حرف، وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابراً محتسباً، كان له بكل حرف زوجة من الحور العين[6] .

---

(١) الحديث في الترغيب والترهيب للمنذري عن الحاكم ٢/٢٦٧ ولم يصرح فيه بضعف زبان، وربما ذكره في كتاب آخر.
وفي الميزان للذهبي ٢/٦٥: أنه مختلف فيه. قال أحمد: أحاديثه مناكير وقال أبو حاتم: صالح، وقال ابن يونس: كان على مظالم مصر، وكان من أعدل ولا تهم. مات سنة خمس وخمسين ومائة.

(٢) المسند ٣/٤٣٧ ولفظه:
«من قرأ ألف آية في سبيل الله تبارك وتعالى... الحديث».

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٤.

(٤) يثقفونه: يفهمونه.
قال الزمخشري في الفائق ٣/٣٢٥: الثَّقِفُ: الفطن.

(٥) مجمع الزوائد ٧/١٦٣، والميزان للذهبي ٣/٦٣٩ ترجمة رقم ٧٩١٨.

(٦) قال الذهبي في الميزان ٣/٦٣٩: خبر باطل.
قلت: وهو خبر ظاهر البطلان.

ولعل هذا العدد كان قبل أن ينسخ شيء من القرآن، وقبل أن يقتصر على حرف واحد من السبعة، فإن حروفه الآن لا تبلغ هذا العدد، ولا تقاربه[١].

وقد روى أبو عبيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا يقولَنَّ أحدكم: قد أخذت القرآن كله، وما تدريه ما كله، قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: أخذت ما ظهر منه.

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من قرأ القرآن فله بكل آية عشر حسنات، ولا نقول: «الم» عشر، ولكن ألف ولام وميم ثلاثون حسنة[٢].

وروى أبو يعلى بسند ـ قال الهيثمي: فيه عبد الله بن سعيد، بن أبي سعيد المقبري، وهو متروك[٣] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه.

ولأبي عبيد وعبد الرزاق، والطبراني ـ قال الهيثمي: وفيه إبراهيم بن

(١) ذكر الزركشي في البرهان ١/٢٤٩: عن الإمام أبي بكر بن مهران المقرىء: أن الحسن وأبا العالية، ونصر بن عاصم، وعاصماً الجحدري ومالك ابن دينار، أجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً. وعن مجاهد: ثلاثمائة ألف واحد وعشرون ألف حرف.
وذكر أن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكُتَّاب وسألهم عن حروف القرآن فأجمعوا على أنها ثلاثمائة وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً.

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٦٧ حديث رقم ٥٩٩٣.
وأخرجه الترمذي مرفوعاً: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في من قرأ من القرآن ماله من الأجر ٤/٢٤٨ حديث رقم ٣٠٧٥ وقال: حديث حسن صحيح غريب.
قال الترمذي: ورفعه بعضهم، ووقفه بعضهم عن ابن مسعود.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٣.

مسلم الهَجَري وهو متروك ـ[1] كذا قال شيخنا: فيه لين الحديث، رفع موقافات، وعزاه ابن رجب إلى الحاكم في المستدرك[2]، عن عبد الله ـ أيضاً ـ رضي الله عنه أنه قال: إن هذا القرآن مأدُبة الله[3]، فتعلموا (من) مأدبته ما استطعتم، إنَّ هذا القرآن هو حبل الله الذي أمر به، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن اعتصم به، ونجاة لمن تمسك به[4].

وقال أبو عبيد: عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يَعْوَجُّ فيُقَوَّم ولا يَزيغ فَيُستَعْتَب[5]، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن رد[6].

وقال أبو عبيد: على كثرة الرد، أتلوه فإن الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات لم أقل ـ وفي رواية: لا أقول لكم ـ: «الم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف[7].

(فلفظ)[8] أبي عبيد: ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر.

مجمع الزوائد ٧/١٦٤، واسمه في مجمع الزوائد هكذا: مسلم بن ابراهيم الهجري. والصواب: ما ذكره المؤلف: ابراهيم بن مسلم الهَجَرِي. كما ذكره ابن حبان في كتاب المجروحين من المحدثين ١/٨٦، والذهبي في الميزان ١/٦٥. والهَجَرِي ـ بفتح الهاء والجيم ـ نسبة إلى هَجَر.

(٢) المستدرك: كتاب فضائل القرآن، باب القرآن مأدبة الله ١/٥٥٥ وقال: صحيح الإسناد.

قال الذهبي في التلخيص: لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف.

(٣) قال في النهاية ١/٣٠: يعني مدعاته، شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع.

(٤) المصنف لعبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٥ حديث رقم ٦٠١٧.

(٥) الاستعتاب: الاسترضاء.

(٦) وكذا هو عند عبد الرزاق.

(٧) كذا عند عبد الرزاق.

(٨) ساقطة من: د.

نقط المصحف وشكله

وروى ابن أبي داود في كتاب «المصاحف» عن شعبة، عن محمد بن سيف قال: سألت الحسن عن الخط ينقط بالعربية؟. قال: (لا بأس به)[1]؛ أما[2] بلغك كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن تَفَقَّهوا في الدين، وأحسنوا عبارة الرؤيا وتعلموا العربية[3].

ورواه عبد الرزاق في مصنفه: عن عبدالله بن كثير، (عن شعبة)[4]، أخبرني محمد بن سيف أبو رجاء[5]، قال: سألت الحسن عن المصحف يُنْقَطُ بالعربية؟. قال: لا بأس به، أما بلغك كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فذكره، ثم قال: وسألت ابن سيرين فقال: أخشى أن يُزاد في الحروف.

وفي «أخبار النحويين» لأبي طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم المقرىء[6]، عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: لأن أقرأ وأنقط، أحب إليّ من أقرأ وألحن.

قال: وقال عمر رضي الله عنه: من قرأ القرآن فأعربه، فمات، كان له عند الله يوم القيامة كأجر شهيد.

---

(١) زيادة عن: د.

(٢) في م: أو.

(٣) كتاب المصاحف لابن أبي داود ١٤٢/٤.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) قال ابن الجزري في الطبقات ١٥٢/٢: محمد بن سيف بن علي، روى قراءة الحسن عن المبارك بن الحسن الثقفي عن الحسن،! وهو وشيخه مجهولان.

(٦) قال ابن الجزري في طبقات القراء ٤٧٥/١: الأستاذ الكبير، الامام النحوي العلم الثقة، اهـ. أخذ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، وأبي عثمان الضرير، وغيرهما، ومات في شوال سنة ٣٤٩ هـ.

وروى أبو عبيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعربوا القرآن .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: أعربوا القرآن فإنه عربي[٢].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: لأن أعرب آية من القرآن، أحب إليّ من أحفظ آية.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: تعلموا إعراب القرآن، كما تَعَلَّمُون حفظه.

وعن أبيّ رضي الله عنه مثل ذلك.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تعلموا اللحن[٣] والفرائض والسُّنن، كما تَعَلَّمون القرآن[٤].

وعن الوليد بن محمد بن بن زيد قال: سمعت أبا جعفر يقول: قال رسول الله ﷺ: أعربوا الكلام كما تعربون القرآن[٥].

وعن أبي رجاء محمد بن سيف[٦] قال: قلت للحسن: ما تقول فيمن تعلم العربية، أيخاف أن يكون ذلك يزيد في الهجاء؟ فقال: لا بأس به، قال

---

(١) قال في الزوائد ١٦٣/٧: رواه أبو يعلى وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك.

(٢) قال في الزوائد ١٦٤/٧: رواه الطبراني من طرق وفيها ليث بن أبي سليم وفيه ضعف، وبقية رجال أحد الطرق رجال الصحيح.

(٣) قال في النهاية ٢٤١/٤: يريد تعلموا لغة العرب بإعرابها.
وقال: اللحن: اللغة والنحو، واللحن أيضاً: الخطأ في الإعراب، فهو من الأضداد.

(٤) قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ١٣٨/٢: رواه أبو بكر بن أبي شيبة وهو منقطع.

(٥) لعل هذا الحديث من المقلوب متنه، وأصله: أعربوا القرآن كما تعربون الكلام.

(٦) تقدمت ترجمته قريباً.

عمر ابن الخطاب: عليكم بالتفقه في الدين، والتفهم في العربية، وحسن العبادة.

وعن يحيى بن عتيق قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته؟. فقال: حسن يا ابن أخي فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية بوجهها فيهلك.

وعن خليل البصري[1] قال: لما ورد علينا سلمان رضي الله عنه أتيناه نستقرئه القرآن، فقال: إن القرآن عربي، فاستقرئه رجلاً عربياً، قال: فكان زيد بن صوجان يقرئنا، ويأخذ عليه سلمان رضي الله عنه، فإذا أخطأ ميَّز عليه وإذا أصاب قال: أيم الله.

أخرج هذا كله أبو عبيد في الفضائل.

وروى الكلاباذي[2] في أواخر شرحه لمعاني الأخبار، بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: من قرأ القرآن، فأعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأ بغير إعراب، كان له بكل حرف عشر حسنات.

وأسند ـ أيضاً ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله مَلَكا، فإذا قرأ العبد القرآن، فلم يقرأ مُقَوَّما، قَوَّمه المَلَكُ فرفعه مُقَوَّماً.

---

(١) هو الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي، مؤسس قواعد علم العروض والقافية روى القراءات عن عاصم بن أبي النجود، وعبد الله بن كثير، توفي سنة ١٧٠ هـ.
راجع: طبقات القراء ١/٢٧٥.

(٢) هو أبو بكر محمد بن ابراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، كان محدثاً، ومن مصنفاته: بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار. والأمالي في الحديث. توفي سنة ٣٨٤ هـ.
راجع: هدية العارفين ٢/٥٤.

وحمل ذلك على الأعجمي الذي يكون عاجزاً عن إخراج الحروف من مواضعها، والألثغ ونحوهما.

أو أن القارىء يسكِّن رؤوس الآي، ولا يُبَيِّنُ إعرابها.

وروى الطبراني عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن ظاهراً، أو نظراً حتى يختمه، أعطى شجرة في الجنة، لو أن غراباً أفرخ تحت ورقة منها، ثم أدرك ذلك الفرخ فنهض، لأدركه الهَرَمُ قبل أن يقطع تلك الورقة من تلك الشجرة[1].

ورواه البزار وقال: لو أن غراباً أفرخ في غصن من أغصانها ثم طار، لأدركه الهَرَم قبل أن يقطع ورقها.

قال الهيثمي: وفيه محمد بن محمد الهجيمي ولم أعرفه، وسعيد بن سالم القداح مختلف فيه، وبقية رجال الطبراني ثقات، وإسناد البزار ضعيف[2].

ثواب من علم ولده القرآن

وللطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه[3] ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من علَّم ابنه القرآن نظراً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن علمه إياه ظاهراً، بعثه الله يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر، ويقال لابنه، اقرأ، فكلما قرأ آية، رفع الله عز وجل بها الأب درجة، حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن.

وللترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) ذكره الذهبي في الميزان ٢/١٣٩ في ترجمة سعيد بن سالم القداح، رقم ٣١٨٦ وقال: هذا خبر منكر، ونسبه إلى معجم الطبراني الكبير.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٦٥.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٦.

يقول: ما أَذِنَ الله لشيء[1]، ما أَذِنَ لعبد يقرأ القرآن في جوف الليل، وإن البِرَّ لَيُذَرُّ على رأس العبد ما دام في مصلاه، وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه.

قال أبو النضر: يعني القرآن، منه بدأ، وإليه يرجع الحكم فيه[2].

وللطبراني في الأوسط بسند فيه جابر بن سليم ـ قال الهيثمي: ضعفه الأزدي[3] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، يبلغ به النبي ﷺ قال: ما من رجل يعلم وَلَدَهُ القرآن في الدنيا (إلا تُوِّج أبوه يوم القيامة بتاج في الجنة يعرفه به أهلُ الجنة بِتَعَلُّم ولدِه القرآن في الدنيا)[4].

من أفضل الأعمال تلاوة القرآن

وللترمذي ـ أيضاً ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله «أي الأعمال أفضل؟. قال: الحالّ المُرتحِل، قال: وما الحالُّ المرتحل؟ قال: صاحب القرآن يضرُب القرآن إلى آخره، كلما حلَّ ارتحل[5].

ورواه الدارمي عن زرارة بن أبي أوفى رضي الله عنه ولفظه: يضرب

---

(١) قال في النهاية ٣٣/١: أي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن ٢٤٩/٤ حديث رقم ٣٠٧٨ ولفظه: «ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما... الحديث.

(٣) مجمع الزوائد ١٦٦/٧.
وراجع: الميزان ٣٧٧/١ ترجمة رقم ١٤١٣.

(٤) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب القراءات، باب ٢٦٧/٤ حديث رقم ٤٠١٨ ولفظه:
«قال رجل يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله؟. قال: الحال المرتحل» وليس فيه الباقي.
وأما ما ذكره المؤلف فهو من رواية الحاكم في المستدرك بطريقين ٥٦٨/١، ٥٦٩ وفي الأولى صالح المري وهو متروك. وفي الثانية مقدام بن داود بن تليد الرعيني ضعيف.

من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله، وكلما حلَّ ارتحل(١).

وللترمذي أيضاً وقال: حسن غريب، والدارمي، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن ذكرى ومسئلتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه(٢).

وهو عند ابن شاهين(٣)، بلفظ: يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي، أعطيته ثواب الشاكرين

وروى أبو عبيد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلى، فإذا فإذا مر بآية فيها ذكر النار، قال: أعوذ بالله من النار(٤).

ولأبي بكر الشافعي(٥) في الجزء الثامن من «الغيلانيات»، عن أبي سلمة

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب ختم القرآن ٢/٤٦٩.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن ٤/٢٥٥ حديث رقم ٣٠٩٤.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام ٢/٤٤١.

(٣) هو الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ، المعروف بابن شاهين، كان من كبار الحفاظ. بلغت تصانيفه ٣٣٠ مصنفاً، وكلها ذات قيمة علمية كبيرة. توفي سنة ٣٨٥ هـ.
راجع: الرسالة ص ٣٤، تذكرة الحفاظ ٣/٩٨٧.

(٤) له أصل في الصحيح من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٥) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم البغدادي الشافعي، الإمام الحجة المفيد، وكتابه أحد عشر جزءاً، وسمي بالغيلانيات لأن ذلك هو القدر المسموع لأبي طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان المتوفي سنة ٤٤٠ هـ. وهي من أعلى الحديث وأجوده، توفي رحمه الله سنة ٣٥٤ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣/٨٨٠، والرسالة المستطرفة ص ٧٨.

بن عبد الرحمن قال: قال رسول الله ﷺ: أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن، وأن أفضل العبادة الدعاء.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا قام أحدكم من الليل(١)، فاستعجم(٢) القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول فليضجع(٣).

ولأبي داود، وأحمد، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وأبي يَعْلَى والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجُهَني، عن أبيه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ القرآن فأكمله وعمل به - وفي رواية: بما فيه(٤) - أُلبس والداه(٥) تاجاً يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا(٦).

قال الهيثمي: في إسناد (أحمد)(٧) زبّان بن فايد وهو ضعيف(٨).

---

(١) في د: من القرآن.

(٢) قال النووي في شرح مسلم ٦/٧٤: أي استغلق عليه، ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس.
وقال ابن الأثير في النهاية ٢/١٨٧ وجامع الأصول ٢/٤٦٩: أي ارتج عليه، فلم يقدر أن يقرأه، كأنه صار به عجمة.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته بأن يرقد حتى يذهب عنه ذلك ٦/٧٤.

(٤) هي رواية أحمد والحاكم.

(٥) عند أحمد: «والديه» على المفعولية، وبناء الفعل للفاعل.

(٦) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، أبواب الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن ٢/٧٠ حديث رقم ١٤٥٣.
ومسند الإمام أحمد ٣/٤٤٠.
ومستدرك الحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ١/٥٦٧.

(٧) ساقطة من: د.

(٨) مجمع الزوائد ٧/١٦٢.
قلت: زبَّان بن فايد في إسناد أبي داود والحاكم أيضاً، فمدار الحديث عليه عندهم.

وللترمذي وقال: غريب وليس له إسناد صحيح، وابن ماجه، وأحمد بن حنبل وأحمد بن منيع، وأبي يعلى، عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن فاستظهره، فأحل حلاله، وحرّم حرامه، أدخله الله (به)(١) الجنة، وشفعه في عشرة(٢) من أهل بيته، كلهم قد وجبت له النار(٣).

وللترمذي وحسنه ـ وقال ابن رجب: إنه صححه ـ وابن ماجه، والحاكم وصحح إسناده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب حلِّه، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حُلَّة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقول: قد رضيت عنه، فيقال له: اقرأ وارق، ويعطي بكل آية حسنة(٤).

وقد ظهر مما مضى، أن المراد هنا بالآية: الكلمة.

---

(١) زيادة عن الترمذي.
(٢) في د: عشرين.
(٣) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن ٤/٢٤٥ حديث رقم ٣٠٦٩.
وسنن ابن ماجه: المقدمة، باب فضل من تعلم االقرآن وعلمه ١/٨٧ حديث رقم ٢١٦.
ومسند الامام أحمد ١/١٤٨، ١٤٩.
وهو حديث ضعيف كما قال الترمذي في جامعه، فإن فيه كثير بن زاذان له مناكير.
وعمرو بن عثمان الرِّقي يحدث من حفظه بمناكير أيضاً.
راجع: الميزان ٣/٢٨٠، ٤٠٣.
(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في من يقرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر ٤/٢٤٨ حديث رقم ٣٠٧٦.
ومستدرك الحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب أخبار فضائل القرآن جملة ١/٥٥٢ قال الذهبي في التلخيص: صحيح.

ثم رواه الترمذي من طريق أخرى موقوفاً على أبي هريرة، وقال: هذا أصح عندنا(١).

قال ابن رجب: ورواه زائدة عن عاصم موقوفاً.

ولأحمد، وأبي داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي، وأبي عبيد وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: يقال لصاحب القرآن، اقرأ وارق، ورتل كما ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤ ها(٢).

وقال ابن رجب: ورواه ابن أبي شيبة، عن عبدالله بن عمرو موقوفاً.

قال الخطيب: وكذلك رواه أبو جعفر الرازي(٣)، عن عاصم عن زر، عن عبدالله غير منسوب، فهو منسوب في غير هذا الحديث.

ولأبي عبيد، وابن أبي شيبة، والدارمي، عن بريدة رضي الله عنه بإسناد ـ قال شيخنا البوصيري: حسن ـ أن النبي ﷺ قال: إن القرآن يَلْقَى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر، كالرجل الشاحب(٤)، فيقول: هل

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر ٤/٢٤٩.

(٢) مسند أحمد ٢/٧١٩٢

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٣.

حديث رقم ١٤٦٤.

وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ١٨ ـ ٤/٢٥٠ حديث رقم ٣٠٨١.

وسنن ابن ماجه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن ٢/١٢٤٢ حديث رقم ٣٧٨٠.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي، بن عبد العزيز الرازي. فقيه أصولي، أقام بالموصل، وتوفي بها سنة ٦١٥ هـ.

راجع: هدية العارفين ٢/١٠٩.

(٤) قال السندي في شرح سنن ابن ماجة ٢/٤١٦ ـ نقلاً عن السيوطي ـ وكأنه يجيء على هذه الهيئة ليكون أشبه بصاحبه في الدنيا، أو للتنبيه له على أنه كما تغير لونه في الدنيا لأجل القيام بالقرآن، كذلك القرآن لأجله في السعي يوم القيامة، حتى ينال صاحبه الغاية القصوى في الآخرة ا. هـ.

تعرفني؟فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صحبك القرآن، الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرتُ ليلك، إن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك ـ وفي نسخة: وإني ـ اليوم من وراء كل تجارة، قال: فيعطي المُلْكَ بيمينه، والخُلْد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسي والداه حُلَّتين، لا تقوَّم لهما الدنيا وما فيها.

وفي رواية: لا يُقَوَّم بهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟. فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها. قال: فهو في صعود ما دام يقرأ، هذًّا كان، أو ترتيلا[1].

قال الهيثمي: وروى ابن ماجه طرفاً منه[2].

ولأحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ: يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ فاصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى آخر شيء معه[3].

وهو عند الحاكم وصححه على شرط مسلم بلفظ: من قرأ القرآن وتعلمه، وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسي والداه حلتين لا تُقَوَّم بهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن[4].

قال شيخنا البوصيري: ورواه ابن ماجة في سننه، من أوله إلى قوله: أسهرت ليلك[5] (وأظمأت نهارك)[6].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة وآل عمران ٢/٤٥١.
(٢) مجمع الزوائد ٧/١٥٩.
(٣) مسند الامام أحمد ٣/٤٠.
(٤) المستدرك: كتاب فضائل القرآن ١/٥٦٧.
(٥) زيادة عن سنن ابن ماجة.
(٦) سنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن ٢/١٢٤٢ حديث رقم ٣٧٨١.
قال السندي في شرح سنن ابن ماجه ٢/٤١٦: وفي الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

ورواه الطبراني في الأوسط، في ترجمة محمد بن عبدالله الحضرمي[١]، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الهيثمي: وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف[٢].

وروى الترمذي بعضه.

ولأبي عبيد في الفضائل، وأبي عمرو الداني في «البيان في تعداد آي القرآن» عن أم الدرداء قالت: سألت عائشة رضي الله عنها، عمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن ما فضله على من لم يجمعه، فقالت: إن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن، فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن، فليس فوقه أحد.

وروى الحارث في مسنده عن سعيد بن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن شارة، وأحسن هيئة، فيقول: يا رب قد أعطيت أجر كل ما عامل عمله، فأين أجر عملي؟. قال: فيكسي صاحب القرآن حلة الكرامة، ويتوج تاج الملك، فيقول: يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أعظم من هذا، فيعطي الخلد بيمينه، والنعيم بشماله، ففيقول له: أرضيت؟ فيقول: نعم أي رب.

وقال الحارث: وحدثنا أبو عبد الرحمن المقرىء، ثنا داود أبو بحر، عن صهر له يقال له مسلم بن مسلم، عن مورق العجلي، عن عبيد بن عمير الليثي قال: قال عبادة الصامت رضي الله عنه: إذا أقام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته، فإنه يطرد بجهر قراءته الشيطان وفُسَّاق الجن، وإن الملائكة في الهواء وسكان الدار يسمعون لقراءته ويصلون بصلاته، فإذا مضت هذه الليلة، أو مضت الليلة المستأنفة فيقول: نبهيه لساعته، وكوني عليه خفيفة، فإذا حضرته الوفاة، جاءه القرآن موقوفاً عند رأسه وهم يغسلونه، فإذا فُرغ منه، دخل حتى صار بين صدره وكفنه، فإذا وضع في حفرته وجاءه منكر

---

(١) قال الذهبي في الميزان ٣/٦٠٧: وثقه الناس، توفي سنة ٢٩٧ هـ.

(٢) مجمع الزوائد ٧/ ١٦٠.

ونكير، خرج القرآن، حتى صار بينه وبينهما، فيقولان له: إليك فإنا نريد أن نسأله، فيقول: والله ما أنا بمفارقه.

قال أبو عبد الرحمن: وكان في كتاب معاوية بن حماد: «حتى أدخله الجنة»، هذا الحرف: فإن كنتما أمرتما فيه بشيء فشأنكما، ثم ينظر إليه فيقول: هل تعرفني؟ . فيقول: لا، فيقول: أنا القرآن الذي كنت أُسْهِرُ ليلَك، وأُظمىء نهارك، وأمنعك شهوتك، وسمعك وبصرك، فتجدني من الأخلاَّء خليلَ صدق، ومن الإخوان أخَ صدق، فابشر، فما عليك بعد مسألة منكر ونكير (من)[1] همٌّ ولا حزن، ثم يخرجان عنه، فيصعد القرآن إلى ربه، فيسأل له فراشاً ودثاراً.

قال: فيؤمر له بفراش ودثار، وقنديل من الجنة، وياسمين من ياسمين الجنة فيحمله إليه ملك من مقربي السماء الدنيا.

قال: فيسبقهم إليه القران فيقول: هل استوحشت بعدي، فإني لم أزل بربي الذي خرجت منه، حتى أمر لك بفراش ودِثَار، ونور من نور الجنة، فيدخل عليه الملائكة فيحملونه، ويفرشونه ذلك الفراش، ويضعون الدّثار تحت قلبه، والياسمين عند صدره، ثم يحملونه حتى يضعوه على شقه الأيمن، ثم يصعدون عنه، فيستلقي عليه، فلا يزال ينظر إلى الملائكة حتى يلحقوا بالسماء، ثم يرفع القرآن في ناحية القبر، فيوسع عليه ما شاء الله أن يوسَّع من ذلك.

قال أبو عبد الرحمن: وكان في كتاب معاوية بن حماد: فيوسَّع مسيرة أربعمائة عام، ثم يحمل الياسمين من عند صدره، فيجعله عند أنفه، فيشمه غضاً، إلى يوم يُنفخ في الصور، ثم يأتي أهله في كل يوم مرة، أو مرتين، فيأتيه بخبرهم، فيدعو لهم بالخير والإقبال، فإن تعلم أحد من ولده القرآن،

---

(١) ساقطة من: د.

بشره بذلك، وإن كان عقبه عقب سوء، أتى الدار غدوة وعشية، فبكى عليه إلى يوم ينفخ في الصور، أو كما قال.

هذا أثر شريف، لا يقال مثله من قبل الرأي. فله حكم الرفع.

ورواه البزار عن معاذ رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

وقال المنذري: إن ابن أبي الدنيا وغيره رووه عن عبادة موقوفاً، قال: ولعله أشبه. وقال: إنه منكر[1].

والله أعلم.

وروى الطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه جعفر بن الحارث، وهو ضعيف[2] ـ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لقارىء القرآن إذا أَحَلَّ حلاله، وحرَّم حرامه، أن يشفع في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت له النار[3].

وروى محمد بن أبي عمر العدني[4]، وأبو يعلى الموصلي، في مسنديهما، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ ثلث القرآن، أُعطي ثلث النبوة، ومن قرأ نصف القرآن، أُعطي نصف النبوة، ومن قرأ ثلثيه أُعطي ثلثي النبوة، ومن قرأ كله، أُعطي النبوة كلها، ويقال له يوم القيامة اقرأ وارق بكل آية درجة، حتى يُنْجِزَ ما معه من القرآن، ويقال له:

---

(١) عبارة المنذري في الترغيب ١/٤٣٤: في إسناده من لا يعرف حاله، وفي متنه غرابة كثيرة، بل نكارة ظاهرة، وقد تكلم فيه العقيلي وغيره، ورواه ابن أبي الدنيا وغيره عن عبادة بن الصامت موقوفاً عليه، ولعله أشبه.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٦٢.

(٣) تقدم هذا الحديث من رواية الترمذي وابن ماجه.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني المكي، كان محدثاً حافظاً، مُسنداً، تولى مشيخة الحرم، وروى عن الفضيل بن عياض وخلق كثير، وتوفي بمكة في ذي الحجة سنة ٢٤٣ هجرية، ومن آثاره: المسند، وكتاب الإيمان.

راجع: سير أعلام النبلاء ٨/١٦٨، شذرات الذهب ٢/١٠٤.

اقبض فيقبض، فيقال له (هل)[١] تدري ما في يدك؟. في يدك اليمنى الخلد، وفي الأخرى النعيم.

وفي الباب عن ابن مسعود وأنس، رضي الله عنهما.

وروى[٢] إسحاق بن راهويه بسند فيه سعيد بن عبد العزيز.

قال شيخنا البوصيري: وهو ضعيف.

كذا قال، وليس ذلك مطلقاً، بل هو إمام كبير، كان بعضهم يقدمه على الأوزاعي، ولكنه اختلط في آخره عمره[٣].

وللطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك، وأثنى عليه هشيم خيراً، وبقية رجاله ثقات[٤] ـ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: من قرأ القرآن وعمل بما فيه، ومات في الجماعة، بُعث يوم القيامة مع السَّفَرة والحكام ـ وقال إسحاق: والبررة ـ ومن قرأ القرآن وهو يَتَفَلَّت منه آتاه الله أجره مرتين، ومن كان حريصاً عليه ولا يستطيعه ولا يدعه، بعثه الله مع أشراف خلقه[٥]، وفضلوا على سائر الخلائق، كما فضلت النسور على سائر الطيور، وكما فضلت عين في مرجة[٦]

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) كذا بالأصل، ولعل الصواب: ورواه اسحاق... الخ.

(٣) في الميزان ٢/١٤٩: قد قرأ القرآن على ابن عامر، وسمع من مكحول وطائفة، وعنه عبد الرحمن بن مهدي وأبو مسهر، وأبو نصر التمار، وخلق وكان يحفظ، فإنه قال: ما كتبت حديثاً قط، وقال أحمد: ليس بالشام أصح حديثاً منه. وقال الوليد بن مزيد، كان الأوزاعي إذا سئل عن مسألة وسعيد بن عبد العزيز حاضر، قال: سلوا أبا محمد.

توفي سنة ١٦٧ هـ. أ.هـ. بتصرف.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٦٠.

(٥) في مجمع الزوائد: أهله.

(٦) قال في النهاية ٤/٣١٥: المرج: الأرض الواسعة ذات نبات كثير، تمرح فيها الدواب، أي تخلي تسرح مختلطة كيف شاءت.

على ما حولها، ثم ينادي مناد: أين الذين كانوا لا تلهيهم (رعاية)[1] الأنعام[2] عن تلاوة كتابي، فيقومون، فيلبس أحدهم تاج الكرامة، ويعطي الفوز - وفي رواية: النعيم بيمينه، والخلد بشماله. وفي رواية: بيساره - ثم يكسى أبواه[3] إن كانا مُسْلِمِيْنَ حُلَّة[4] خيراً من الدنيا وما فيها، فيقولان: أنّى لنا هذا وما بلغته أعمالنا؟. فِيقال: إن ولدكما يقرأ القرآن.

وفي رواية: بما كان ولدكما يقرأ.

ورواه الدارمي موقوفاً على وهب الزماري وقال: مع السفرة والحكام[5].

(قال سعيد: السفرة: الملائكة. والحكام)[6]: الأنبياء.

وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل (الشاحب)[7] يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أُسْهِر ليلَك، وأظْمِىءُ نهارَك، هذا أجرك، وأنَّ كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تجارة، فيُعطي الملك بيمينه، والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسي والداه حلتين لا تقوم بهما الدنيا وما فيها فيقولان: أنى لنا هذا؟. فيقال لهما: بتعليم ولدكما القرآن.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي: عند الترمذي بعضه[8].

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو يعلي، في مسنديهما، بإسناد حسن

---

(١) ساقطة من: د.
(٢) في د: الأغنام.
(٣) في د: والداه.
(٤) في د: حلتين.
(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من يقرأ القرآن وهو يشتد عليه ٢/٤٤٤.
(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.
(٧) ساقطة من: د.
(٨) مجمع الزوائد ٧/١٦٠.

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يتمثل القرآن يوم القيامة، فيؤتي بالرجل قد كان حمله فيتمثل خصماً دونه فيقول: يا رب حملته آياتي فشر حامل، تعدى حدودي، وضيع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي، فما يزال يقذف عليه الحجج حتى يقال له: فشأنك به، فيأخذ بيمينه - وفي رواية: بيده - ما يرسله حتى يكبه على منخره[1] في النار.

قال: ويؤتي بالعبد الصالح قد كان حمله، فحفظ أمره، فيتمثل خصماً دونه فيقول: يا رب حمَّلته آياتي، فخير حامل، حفظ حدودي، وعمل بفرائضي واجتنب معصيتي، وعمل بطاعتي وما يزال يقذف له بالحجج، حتى يقال له: شأنك به، فيأخذ بيمينه، فما يرسله حتى يكسوه حلة الاستبرق، ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر[2].

قال الهيثمي: وفي سنده ابن اسحاق، وهو ثقة، ولكنه مدلس، وبقية رجاله ثقات[3].

وللطبراني بسند - قال الهيثمي: رجاله ثقات[4] - عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من تعلم آية من كتاب الله، استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه.

وللشيخين وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: الماهر بالقرآن، مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران[5].

---

(١) في د: شجرة.

(٢) في مجمع الزوائد: الملك.

(٣) مجمع الزوائد ١٦١/٧.

(٤) المرجع السابق.

(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة عبس ٨٠/٦.

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن ٨٤/٦.

ولأحمد بن منيع والترمذي وابن ماجه، وأبي يعلى، عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن واستظهره[1] وحفظه، أدخله الله الجنة[2].

= وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن ٢/٧٠ حديث رقم ١٤٥٤.

وسنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل قارىء القرآن ٤/٣٤٤ حديث رقم ٣٠٦٨.

وابن ماجه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن ٢/١٢٤٢ حديث رقم ٣٧٧٩.

مفردات الحديث:

السفرة: قال النووي في شرح مسلم ٦/٨٤: السفرة: جمع سافر ككاتب وكتبة، والسافر: الرسول. والسفرة: الرسل، لأنهم يسفرون إلى الناس برسلات الله.

وقيل: السفرة: الكتبة. وهم الملائكة الحفظة، قاله ابن الأثير في الجامع ٨/٥٠٣.

والبررة: المطيعون، من البر، وهو الطاعة.

والماهر: ـ قال النووي ما حاصله ـ: الحاذق الكامل الحفظ، الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه واتقانه. ومعنى كونه مع الملائكة: أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة لا تصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى.

ومعنى «يتتعتع عليه» أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه. قال القرطبي في التذكار ص ٥٢: التتعتع في القرآن: هو التردد فيه عَيّاً وصعوبةً وإنما كان لـه أجران: أجر بتلاوته، وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته.

قال النووي: وليس معناه: أن الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر به أفضل وأكثر أجراً، لأنه مع السفرة، وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره.

وقال القرطبي في مقدمة التفسير ١/٦: ودرجات الماهر فوق ذلك كله، لأنه قد كان متتعتعاً عليه، ثم ترقى عن ذلك إلى شُبِّه بالملائكة.

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٨/٥٠١: استظهر القرآن: أي حفظه، يقول قرأت القرآن عن ظهر قلبي أي قرأته من حفظي.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، حديث رقم ٢٩٠٧.

ومسند الامام أحمد ١/١٤٨: ١٤٩.

وللطبراني وأبي نعيم في الحلية، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول ﷺ قال: من قرأ القرآن فأعربه، كانت له عند الله دعوة مستجابة، إن شاء عجَّلها[١] في الدنيا، وإن شاء أخرها إلى يوم القيامة[٢].

ورواه[٣] الطبراني في الأوسط، عن جابر رضي الله عنه: ولفظه: من قرأ القرآن ـ أو قال: جمع القرآن ـ كانت له دعوة مستجابة، إن شاء عجلها في الدنيا وإن شاء ادخرها له في الآخرة.

قال الهيثمي: وفيه مقاتل بن دُوَال[٤] دُوز، فإن كان هو مقاتل بن حَيَّان كما قيل، فهو من رجال الصحيح، وإن كان ابن سليمان، فهو ضعيف[٥]، وبقية رجاله ثقات[٦].

ولأبي عبيد عن بكير بن الأخنس قال: كان يقال: إذا قرأ الأعجمي والذي لا يقيم القرآن، كتبه المَلَكُ كما أنزل.

وللستة والدارمي، وعبد بن حميد، عن أبي موسى رضي الله عنه وأبي داود عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجه، ريحها طيِّب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الثمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق ـ وفي

---

(١) في م: أعد له.
(٢) الحلية لأبي نعيم ٦/٣٤٩.
(٣) في د: ورواية.
(٤) في مجمع الزوائد: «دواك»، بكاف في آخره، وهو خطأ.
(٥) قال الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/٢٧٢: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي، نزيل مرو، ويقال له: ابن دوال دوز، كذبوه وهجروه، ورمى بالتجسيم.
مات سنة خمس ومائة.
وقال الذهبي في ميزان ٤/١٧٢: هذا في عداد من يجهل حاله.
(٦) مجمع الزوائد ٧/١٦٣

رواية، الفاجر ـ الذي يقرأ القرآن، كمثل الرَّيْحَانة، ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل الفاجر ـ وفي رواية: المنافق ـ الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحَنْظَلَة، طعمها مر، ولا ريح لها[1].

زاد أبو داود: ومثل الجليس الصالح، كمثل صاحب المسك، إن لم يصبك منه شيء، أصابك من ريحه. ومثل جليس السوء، كمثل صاحب الكير، إن لم يصبك من سواده، أصابك من دخانه.

وقال ابن رجب في كتاب «الاستغناء بالقرآن»: وروينا بإسناد فيه نظر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا من اشتاق إلى

---

(١) صحيح البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام ٦/٢٣٤، وباب من راءى بقراءة القرآن ٦/٢٤٤، وكتاب التوحيد باب قراءة الفاجر والمنافق ٩/١٢٩.
وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب فضيلة حافظ القرآن ٦/٨٣.
وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ٤/٢٥٩ حديث رقم ٤٨٢٩.
وصحيح الترمذي: كتاب الأمثال، باب ما جاء مثل المؤمن القارىء للقرآن وغير القارىء ٤/٢٢٧ حديث رقم ٣٠٢٥.
وسنن النسائي: كتاب الإيمان، باب مثل الذي يقرأ القرآن من مؤمن ومنافق ٨/١٢٤.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ٢/٣١٨.
وأحمد في المسند ٤/٣٩٧، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٨.
وابن حبان: كتاب العلم، باب وصف من أعطى القرآن والإيمان ١/٢٨٤.
قال السندي في شرح النسائي ٨/١٢٥: الأترجة ـ بضم الهمزة وتشديد الجيم ـ هي من أفضل الثمار، لكبر جرمها، وحسن منظرها، وطيب طعمها، ولين ملمسها، ولونها يسر الناظرين. وفيه تشبيه الإيمان بالطعم الطيب لكونه خيراً باطنياً لا يظهر لكل أحد، وتشبيه القرآن بالريح الطيب ينتفع بسماعه كل أحد، ويظهر سمحاً لكل سامع. أ هـ. بتصرف.

الجنة، فليستمع كلام الله، فإن مثل القرآن كمثل جراب مسك، أي وقت فتحته فاح ريحه[1].

فضل من تعلم القرآن وعلمه

وللترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: تعلَّموا القرآن، فاقْرَءُوه (وأَقْرِءُوه)[2] وارقدوا، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، وقام به، كمثل جراب مملوء مسكاً، يفوح ريحه من كل مكان، ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه، كمثل جراب أوكي[3] على مسك[4].

وقد روى عن عطاء مرسلاً، وقيل: إنه أصح.

وللستة وغيرهم عن عثمان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: خيركم - وفي رواية عبد الرزاق: أفضلكم - من تعلم القرآن وعلمه[5].

---

(١) ذكره علاء الدين الهندي في كنز العمال ١/٥٥١ حديث رقم ٢٤٧٢ ونسبه إلى الديلمي، ولفظه: ألا من اشتاق إلى الله... إلخ.

(٢) زيادة عن الترمذي.

(٣) الإيكَاءُ: الرَّبْط والشَّدُّ على الوعاء ليظل محتفظاً بما فيه.

(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب سورة البقرة وآية الكرسي ٤/٢٣٣ حديث رقم ٣٠٤١، وقال: هذا حديث حسن.
وأخرجه عبد الرزاق ٤/٣٧٦ حديث رقم ٦٠١٨.

(٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٦/٢٣٦.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن ٢/٧٠ حديث رقم ١٤٥٢.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن ٤/٢٤٦ حديث رقم ٣٠٧١.
وسنن ابن ماجه: المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلَّمه ١/٧٦ حديث رقم ٢١١. =

ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» عن عثمان رضي الله عنه، وزاد: وفضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله عز وجل على خلقه، وذاك أنه منه[1].

وللطبراني في الصغير ـ بسند فيه محمد بن سنان القزاز، وثقه الدارقطني وضعفه جماعة[2] ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خياركم من تعلم القرآن وعلمه[3].

وعن عبد الله رضي الله عنه رفعه: خِياركم من قرأ القرآن وأَقْرَأَهُ.

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وإسناده فيه شريك وعاصم وكلاهما ثقة، وفيهما ضعف[4].

وللدارمي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه[5].

وله عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خياركم من تعلم القرآن وعلم القرآن[6].

= ومصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٦٧ حديث رقم ٥٩٩٥.

(١) الأسماء والصفات ص ٢٣٧.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/١٦٧: محمد بن سنان بن يزيد القزار وأبو بكر البصري، نزيل بغداد: ضعيف. مات سنة سبعين ومائتين. انتهى. بتصرف.
وقال الذهبي في الميزان ٣/٥٧٥: رماه أبو داود بالكذب، وابن خراش يقول: ليس بثقة، وأما الدارقطني فمشاه، وقال: لا بأس به.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ١/١٣٦.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٦٦.

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب خياركم من تعلم القرآن وعلَّمه ٢/٤٣٧.

(٦) سنن الدارمي: الكتاب والباب السابقين.

وذكر المنذري عن ابن أبي الدنيا والبيهقي، بصيغة «روى» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أشراف أمتي حَمَلَةُ القرآن، وأصحابُ الليل[1].

ورواه الطبراني.

(قال)[2] الهيثمي: وفيه سعد بن سعيد الجُرجاني، وهو ضعيف[3].

وروى أبو داود عن أبي إسحاق رضي الله عنه قال: إن من إجلال الله إكرام ذي الشبيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، واكرام ذي السلطان المقسط[4].

وبه تقدم[5] تخريج أبي عبيد له بزيادة.

قال النووي في التبيان: وهو حديث حسن[6].

وسيأتي تفسير الغالي بأنه: المُفَرِّط المتناهي. والجافي بأنه: المُفْرِط المُتَداني.

وللترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم وصحح إسناده، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب[7].

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري: كتاب النوافل، باب الترغيب في قيام الليل ١/٤٣١ حديث رقم ٢٧ من الباب.
(٢) ساقطة من: د.
(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦١.
(٤) سنن أبي داود: كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم ٤/٢٦١ حديث رقم ٤٨٤٣.
(٥) في د: تقديم.
(٦) التبيان ص ٣٣.
(٧) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ١٨ ـ ٤/٢٥٠ حديث رقم ٣٠٨٠. =

ولابن ماجة بإسناد ـ قال المنذري: حسن[1] ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر لأن تغدُوَ فتتعلَّم (آية من كتاب الله، خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغـدُوَ فتتعلّم)[2] بابا من العلم، عُمِلَ به أو لم يُعْمَلْ به، خير من أن تصلِّي ألف ركعة[3].

[ولأبي[4] داود الطيالسي في مسنده، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني امرؤ مقبوض، فتعلموا القرآن وعلّموه الناس، فإني مقبوض، فإنه سيقبض العلم، وتظهر الفِتَن، حتى يختلف الإثنان في الفريضة، فلا يجد أن من يفصل بينهما][5].

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، والحارث في مسنديهما، وابن حبان في صحيحه والدارمي، وأبو عبيد، والنسائي في الفضائل عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: كنا في المسجد نتعلم القرآن، فدخل علينا رسول الله ﷺ، فسلَّم علينا، فرددْنَا عليه السلام، فقال: تعلَّموا القرآن وأَعْرِبوه واعتنوا به ـ وفي رواية: تَغَنَّوا به واقتنوه ـ والذي نفسي بيده، لهو أشد تفلُّتا من المخاض في العُقُلِ[6].

= والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب من ليس في جوفه من القرآن شيء كالبيت الخرب ١/٥٥٤.

(١) الترغيب والترهيب: كتاب العلم، باب فضل طلب العلم ١/٩٧ حديث رقم ١٧.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) سنن ابن ماجة: المقدمة باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ١/٧٩ حـديث رقم ٢١٩.

(٤) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٥) منحة المعبود: كتاب العلم، باب الحث على تعلم المعلم وتعليمه وآدابه والتيسير على المتعلم ١/٣٥ حديث رقم ٧٦ من حديث جابر بن عبد الله.

(٦) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن باب في تعاهد القرآن ٢/٤٣٩.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٤٦، ١٥٠، ١٥٣.

وجوب الاعتصام بالقرآن والسنة

ولأبي بكر بن أبي شيبة، وعبدِ بن حُميد في مسنديهما، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم ما إن تسمكتم به لن تضلوا، الخليفتَيْنْ: كتاب الله، وعتْرَتِي، وأنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظر كيف تَخْلُفُوني فيهما.

وروى من أوجه كثيرة عن عِدَّة من الصحابة، رضي الله عنهم في خطبة حَجَّة الوداع، أنه ﷺ قال: وقد تركت فيكم أيها الناس ما إن اعتصمتم به، لن تضلوا، كتابَ الله وسُنَّةَ نبيه[1].

وروى البزار بإسناد ضعيف، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: إني خَلَّفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبداً ما أخذتم بهما: كتاب الله وسُنَّتي، لن يفترقا حتى يَرِدَا عليَّ الحَوْضَ.

ولأبي نعيم بإسناد ضعيف، عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي تُوفِّيَ فيه، ونحن في صلاة الغداة فقال: إني تركت فيكم كتابَ الله وسُنَّتي، فاستَنْطِقُوا القرآنَ بسنتي، فإنه لن تعمى أبصارُكم، ولن تَزِلَّ أقدامكم ما أخذتم بهما[2].

واستدل أبو نعيم بذلك على أنه أراد بقوله: وعِتْرتي، سنَّتَهُ وبَيَانَهُ للقرآن.

وعترته من أعلم الناس بأحواله وأفعاله، وأحكامه وسننه، فلذا حضَّ على الاقتداء بهم، والأخذ عنهم[3].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ ٢/١٨٢ حديث رقم ١٦٠٥ عن جابر.

وسنن ابن ماجة: كتاب المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ ٢/١٠٢٢ حديث رقم ٣٠٧٤ عن جابر أيضاً.

(٢) غير موجود بالحلية. فربما نقله المؤلف عن كتاب آخر لأبي نعيم.

(٣) هذا على أن المراد بعترته: أهل بيته ﷺ، لا على أن المراد سنته.

ذكر ذلك ابن رجب، والدارمي، ومسلم، والنسائي، وعبد بن حميد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فيناً خطيباً بماء يدعى خُمًّا[١]، بين مكةَ والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتِيَني رسولُ ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْن[٢]، أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به. فحثَّ على كتاب الله ورَغَّب فيه. وفي رواية: قال: هو حَبْلُ الله، من استمسك به وأخذ به، كان على الهُدَى، ومَنْ أخطأه ضَلَّ[٣].

وفي رواية: من اتَّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة.

ثم قال: وأهل بيتي، أذكِّرُكُمُ الله في أهل بيتي، أذكِّرُكُمُ الله في أهل بيتي.

قال الدارمي: ثلاث مرات[٤].

ولأبي بكر الشافعي في الجزء السادس من «الفوائد الغِيلَانِيَّات» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، خلَّفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتابَ الله، و؟سنَّتي، ولن يفترقا على يَرِدَا عليَّ الحوضَ.

ولمالكٍ في المُوطَّأ ـ مُعْضَلاً ـ قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: تركت

---

(١) قال النووي في شرح مسلم ١٧٩/١٥: هو: بضم الخاء وتشديد الميم: اسم لغَيْضَةٍ فيقال: غدير خُمٌّ. أ. هـ.

والحسنة: جبل قرب يَنْبُع، قاله ياقوت في معجم البلدان ٢/ ٢٥٩.

(٢) قال النووي ١٥/ ١٨٠: سميا ثَقَلَيْن لعِظَمِهما وكبير شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٦٧ و٣/ ٥٩ عن أبي سعيد الخدري.

وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/ ٤٣١.

وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ١٥/ ١٧٩

(٤) وكذا عند مسلم وأحمد.

فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتابَ الله، وسنَّةَ رسوله[1].

وللطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من تَعَلَّم كتاب الله، ثم اتبع ما فيه، هداه الله به من الضلالة في الدنيا، وَوَقَاهُ الله يوم القيامة سوءَ الحساب.

ولرَزِين وعبد الرزاق في جامعه عنه ـ أيضاً ـ رضي الله عنه، أنه قال: من اقتدى بكتاب الله، لا يضل (في الدنيا)[2]، ولا يشقى[3] (في الآخرة، ثم تلا هذه الآية[4]: ﴿ فمن اتَّبع هُدَايَ فلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى ﴾[5].

ولأبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي سُرَيْح الخُزَاعي رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أبشروا، أبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟. قالوا: نعم. قال: فإن هذا القرآن سبب، طَرَفُه بيد الله، وطَرَفُه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً[6].

ورواه عبد بن حميد، وابن حبان في صحيحه، كلاهما من طريقه.

ورواه أحمد بن منيع، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

---

(١) الموطأ: كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر ٢/٨٩٩ حديث رقم ٣ من الباب.
(٢)،(٣) ساقطة من: د.
(٤) سورة طه: آية ١٢٣.
(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٨٢ حديث رقم ٦٠٣٣. ولفظه عنده هكذا.
ومن قرأ القرآن فاتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة في الدنيا، ووقاه يوم القيامة الحساب، وذلك أن الله تعالى يقول: من اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى.
(٦) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة: كتاب فضائل القرآن، باب في التمسك بالقرآن ١٠/٤٨١ حديث رقم ١٠٠٥٥.

الحث على تعاهد القرآن لكي لا ينسى

وللشيخين والترمذي، والنسائي، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: استذكروا القرآن. فإنه أشد تفصياً[(١)] من صدور الرجال من النعم[(٢)]

وللشيخين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تعاهدوا القرآن، فوالذي نَفْسُ محمد بيده، لهو أشد تَفَلُّتاً من الإبل في عُقُلِها[(٣)].

ولمالكٍ والشيخين، والنسائي، وأبي عبيد، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إنما مثل صاحب القرآن ـ وقال أبو عبيد: مثل القرآن ـ كمثل صاحب الإبل المعقَّلة، إن عاهد عليها ـ وقال أبو عبيد: إذا عاهد صاحبها على عَقْلِها ـ أمسكها، وإذا أطلقها ـ (وقال أبو عبيد: وإذا أغفلها)[(٤)] ـ ذهبت[(٥)].

---

(١) قال النووي في شرح مسلم ٧٧/٦: قال أهل اللغة: التفصي: الانفصال وهو بمعنى الرواية الأخرى: «أشدُّ تَفَلُّتا». والنَّعِم أصلها: الإبل والبقر والغنم. والمراد هنا: الإبل خاصة، لأنها التي تعقل أ. هـ.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهُدِهِ ٢٣٨/٦.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعاهد القرآن ٧٦/٦.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ١٥٥/٢.

(٣) الصحيحين: الكتابين والبابين السابقين.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) موطأ مالك: كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن ٢٢/١.
وصحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن ١٣٧/٦.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن والأمر بتعهده ٧٥/٦.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب ما جاء في القرآن ١٥٤/٢.
قال الحافظ في الفتح ٧٩/٩: المُعَقَّلَة ـ بضم الميم. وفتح العين المهملة، وتشديد القاف ـ أي المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير، شَبَّه درس =

وللطبراني في الكبير، والإمام أحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[1] ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تَعَلَّمُوا كتاب الله وتعاهدوه، وتَغَنَّوا به، فوالذي نفسي بيده، لهو أشد تَفَلُّتاً من النَّعِم في العُقُل[2].

وقال الطبراني، لهو أشد تفلتا من النعم في العقل.

وللطبراني ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات، إلا شيخه أحمد، فإن كان ابن الخليل، فيهو ضعيف، وإلا فلم أعرفه[3] ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّياً[4] من صدور الرجال، من الإبل المُعَقَّلة إلى[5] إعْطَائِها.

وللطبراني في الثلاثة ـ قال الهيثمي: ورجال الصغير والأوسط ثقات[6] ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: تعاهدوا القرآن، تعاهدوا القرآن[7].

قال في الكبير: فإنه وحشي.

= القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يُخشى منه الشِّراد، فما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ. وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسى نفوراً وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة. أ.هـ.

(١) مجمع الزوائد ١٦٩/٧.

(٢) مسند أحمد ١٤٦/٤، ١٥٠، ١٥٣.

وأخرجه الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن ٤٣٩/٢.

(٣) مجمع الزوائد ١٦٩/٧.

(٤) التفصي: التفلت.

(٥) العطن: مبرك الإبل ومكان بياتها، كما جاء في المعجم الصغير: أوطانها.

(٦) مجمع الزوائد ١٦٩/٧.

(٧) المعجم الصغير للطبراني ١١٠/١ من حديث عبد الله بن مسعود.

وقال في غيره: فهو أشد تفصياً من صدور الرجال [من نـوازع[1] الطير.

وهو عند البخاري والدارمي، وأبي عبيد في الغريب، مرفوعاً، ومسلم موقوفاً[2] بلفظ: بئس ما لأحدهم أن يقول: نَسِيتُ[3] آية كَيْتَ وكَيْتَ[4]، بل هو نُسِّيَ[5] واستذكروا القرآن، فلهو أشد تَفَصِّياً من صدور الرجال][6] من النَّعِم في عُقْلِها[7].

---

(١) النوازع: جمع نازع: والنازع من الطير: التي تَحِنُّ وتشتاق إلى وطنها فيحملها الشوق إلى شدة الفَرَار إليها.

راجع: اللسان ٨/٣٥٠.

(٢) ومرفوعاً أيضاً.

(٣) قال الحافظ في الفتح ٩/٨٠: بفتح النون وتخفيف السين اتفاقاً.

(٤) قال الحافظ في الفتح ٩/٨٠: قال القرطبي: كيت وكيت يعبر بهما عن الجمل الكثيرة، والحديث الطويل، ومثلها زيت وزيت، وقال ثعلب: كيت للأفعال وزيت للأسماء، وحكى ابن التين عن الداودي: أن هذه الكلمة ـ يعني كيت ـ مثل كذا، إلا أنها خاصة بالمؤنث.

(٥) قال النووي في شرح مسلم ٦/٧٦: ضبطناه بتشديد السين أ هـ.

ووجه الذم: قال أبو عبيد في الغريب ٣/١٤٩: إن وجه هذا الحديث، إنما هو على التارك لتلاوة القرآن، الجافي عنه، ومما يبين ذلك قوله: «استذكروا القرآن»، وفي حديث آخر: «تَعَهَّدُوا القرآن»، فليس يقال هذا إلا للتارك وكذلك حديث الضحاك بن مزاحم: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه، إلا بذنب يُحْدِثُه، لأن الله تبارك وتعالى يقول: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» وأن نسيان القرآن من أعظم المصائب.

قال: إنما هذا على الترك، فأما الذي هو دائب في تلاوته، حريص على حفظه، إلا أن النسيان يغلبه، فليس من ذلك في شيء.

ومما يحقق ذلك: أن رسول الله ﷺ قد كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره، ومن ذلك حديث عائشة: أن النبي ﷺ سمع قراءة رجل في المسجد فقال: ماله ـ رحمه الله ـ لقد أذكرني آيات كنت نسيتها من سورة كذا وكذا. أ هـ.

(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.

(٧) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعَاهُدِه ٦/١٠٩.

ولفظ أبي عبيد: ليس هو نَسِيَ، لكن نُسِّيَ.

وفي رواية في الصحيحين عنه قال: قال النبي ﷺ: لا يقل أحدكم: نَسِيتُ آية كذا وكذا، بل هو نُسِّي[1].

المنع من أخذ أجرة على قراءة القرآن

ولأبي داود عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والأعجمي، فقال: اقرأوا، فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح[2]، يتعجلونه، ولا يتأجلونه[3].

= وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن والأمر بتعهده ٦/٧٦ مرفوعاً، ورواه موقوفاً من طريق يحيى بن يحيى.
وغريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٤٨/ط الهند.

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن ٦/٢٣٩.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعاهد القرآن ٦/٧٦.
قال ابن الأثير في النهاية ٤/١٥٠: كره نسبة النسيان إلى النفس لمعنيين:
أحدهما: أن الله تعالى هو الذي أنساه إياه، لأنه المقدّر للأشياء كلها. والثاني: أن أصل النسيان: الترك، فكره له أن يقول: تركت القرآن، أو قصدت إلى نسيانه، ولأن ذلك لم يكن باختياره. يقال: نسّاه، وأنساه. ولو روى: نسى ـ بالتخفيف ـ لكان معناه: ترك من الخير وحرم ـ اهـ.
قلت، ومنه قوله تعلى: «وكذلك اليوم تنسى»، أي تترك.

(٢) القدح ـ بكسر القاف وسكون الدال ـ: السهم. وجاء في حديث سهل ابن سعد الساعدي عند أبي داود أيضاً: يُقيمونه كما يقوّم السهم.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يجزىء الأمي والأعجمي من القراءة ١/٢٢٠ حديث رقم ٨٣٠.
ومعنى «يتعجلونه» قال المناوي في فيض القدير ٢/٦٦: أي يطلبون بقراءته: العاجلة، من عرض الدنيا، والرفعة فيها.
«ولا يتأجلونه»: أي لا يريدون به الآجلة، وهو جماء الآخرة. اهـ.

ورواه أحمد بن منيع في مسنده ولفظه: أن النبي ﷺ رأى قوماً يقرأون القرآن، فقال: اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه.

قال شيخنا البوصيري: وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند أحمد بن حنبل في مسنده قال: بينا نحن نقرأ، فينا العربي، والعجمي والأسود - وفي رواية: والأحمر والأبيض - إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أنتم في خير، تقرأون كتاب الله، وفيكم رسول الله ﷺ وسيأتي على الناس زمان يَثْقِفُونه كما يَثْقِفُ القِدْحُ[1]، يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها[2].

وفي التبيان للنووي: وروى ابن أبي داود: أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يدرس القرآن مع نفر يقرؤون جميعاً، فِعْلَ الدارسة مجتمعين، عن جماعات من أفاضل السلف والخلف، وقضاة المتقدمين[3].

وفي الفردوس عن بريدة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن يتأكل به الناس، جاء يوم القيامة، ووجهه عظم، ليس عليه لحم.

ورواه أبو عبيد عن زاذان بلفظه.

ومعلوم أنه لا يقال بالرأي، فله حكم الرفع، فهو مرسل، يعضد المرفوع.

وفيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: من قرأ عند أمير جائر كتاب الله لعنه (الله)[4] بكل حرف قرأ عنده لعنة.

---

(١) تفسره الرواية السابقة عند أبي داود: «يقيمونه كما يقام القدح».

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/١٤٦، ١٥٥.

وفي بعض ألفاظه: يتثقفونه كما يثقف القدح.

(٣) التبيان ص ٧٦.

(٤) ساقطة من: د.

ولأبي عبيد عن الحسن رحمه الله قال: قرأ القرآن ثلاثة أصناف:

صنف[1] اتخذوه بضاعة (يأكلون به)[2].

وصنف أقاموا حروفه، وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم واسْتَدَرُّوا به الولاة، كثُر هذا الضرب من حملة القرآن، لا كَثَّرَهم الله.

وصنف عمدوا إلى دواء القرآن، فوضعوه على داء قلوبهم، فركدوا به في محاريبهم، وخَفُّوا به في بَرانِسهم، واستشعروا الخوف وارْتَدَوُا الحزن، فأولئك الذين يُسقى بهم الغيثُ، ويُنْصَرهم على الأعداء، والله لَهَذَا الضَّرْبُ في حملة القرآن، أعز من الكبريت الأحمر[3].

ولأبي داود، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي عبيد، عن سهل ابن سعد الأنصاري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقترىء القرآن: يقرىء بعضنا بعضاً، فقال: الحمد لله، كتاب الله واحد وفيكم الأحمر، وفيكم الأبيض، وفيكم الأسود، اقرأوه قبل أن يقرأه، قوم يقيمونه كما يقوَّم السهم، يتعجلونه ولا يتأجلونه[4].

ولفظ ابن أبي شيبة: يقيمون حروف القرآن، كما يُقام السهم، لا يجاوز تَراقِيَهم، يتعجلون ثوابه، ولا يتأجلونه.

ولفظ عبد: فقال: الحمد لله، كتاب الله واحـد، وفيكم الأخيار، وفيكم الأحمر والأسود، ثم قال: اقرأوا، اقرأوا، اقرأوا، قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه كما يقام السهم، لا يجاوز تَـرَاقِيَهم، يتعجلون أجره، ولا يتأجلونه.

---

(١) في د: نصف. وهو تحريف.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) وعزاه أبو شامة في المرشد ص ٢٠٩ إلى السخاوي في جمال القراء.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يجزىء الدمى والأعجمي من القراءة ١/ ٢٢٠ حديث رقم ٨٣١.

ولأبي عبيد: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ نحوه.

النهي عن تلحين القرآن

وروى أبو عبيد، عن عِبْسٍ ـ وفي رواية: عابس[١] ـ الغفاري رضي الله عنه، أنه رأى الناس يخرجون في الطاعون. فقال: مَالِ هؤلاء؟. فقالوا: يفرون من الطاعون. فقال: يا طاعون خذني، فقالوا: تتمنى الموت، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يتمنين أحدكم الموت؟. قال: إني أُبادِر خصالاً سمعت رسول الله ﷺ يتَخَوَّفُهُنَّ على أمته: بَيعُ الحكم والاستخفافُ بالدم، وقطيعةُ الرَّحِم، وقوماً يتخذون القرآن مَزَامِيرَ، يُقدِّمون أحدهم ليس بِأَفْقِهِهِم ولا أَفْضَلِهم، إلا ليغنِّيَهُم به غِنَاءً، وذكر خلتين أخريين[٢].

ورواه أبو عبيد ـ أيضاً ـ في كتاب الغريب بلفظ: أن النبي ﷺ ذكر أشراط الساعة فقال: بَيْعُ الحكم، وقطيعةُ الرحم، والاستخفاف بالدم وكثرة الشُّرَط[٣]، وأن يتخذ القرآن مزامير، يقدمـون أحدهم ليس بـأقرئهم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناء[٤].

---

(١) قال الذهبي في التجريد ١/٢٨١: عابس بن عبس الغفاري. وقال ابن حجر في الإصابة ٢/٢٣٤: عابس بن عابس الغفاري، ويقال له: عبس بن عابس، قال البخاري: له صحبة.

(٢) وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٩٤.
وقال في الإصابة ٢/٢٣٤: رواه الطبراني وابن شاهين. من طريق موسى الجُهنى عن زاذان.
قال الذهبي في الميزان ٤/٢٠٩: موسى بن عبدالله الجُهنمي، من ثقات الكوفيين وعُبَّادِهم، حدث عنه شعبة، والقطات، ووثقة أحمد وابن معين.
وقال في الميزان ٢/٦٣: زاذان أبو عمر الكندي مولاهم الكوفي، وثقة ابن معين، اهـ. مختصراً.

(٣) قال في النهاية ٢/٤٦٠: شرط السلطان: نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده.

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١٤١.

وذلك بعد أن حمل الأمر بتزيينه بالصوت على التحزين، على ما فسرته الأحاديث الواردة فيه[1].

وروى النيسابوري في «مناقب مالك» ـ قال ابن رجب: بإسناده ـ عن عبد الله بن مطرِّف بن يوسف الضبي، ومطرف بن عبد الله، قالا: سمعنا مالكاً يقول: من قرأ بالتمطيط والتمديد والألحان، ضُرب ضرباً وجيعاً، وحبس حتى يتوب من ذلك.

وإنما هؤلاء قوم رفعوا أنفسهم عن الغناء، فجعلوا كتاب الله يتغنَّوْن به، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإنهم لهذا أشد كراهية من الغناء ولا (أدري)[2] أي شيطان ألقي في أفواه الناس هذا[3].

---

(١) ونص عبارته: وقوله: «يتغنى بالقرآن»، إنما مذهبه عندنا: تحزين القراءة. ولكنه قال في ص ١٦٩ في حديث: وليس منا من لم يتغن بالقرآن»: كان سفيان بن عيينة يقول: معناه: من لم يَسْتَغْنِ به ولا يذهب به إلى الصوت. وليس له عندي وجه غير هذا.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) قال الرافعي في إعجاز القرآن ص ٥٩: أول من قرأ بالتلحين عبيد الله ابن بكرة، وكانت قراءته حزناً ليست على شيء من ألحان الغناء والحداء فورث ذلك عنه حفيده عبد الله بن عمر بن عبيد الله ـ فهو الذي يقال له قراءة ابن عمر ـ وأخذها عنه الأباضي، ثم أخذ سعيد بن العلّاف وأخوه عن الأباضي، وصار سعيد رأس هذه القراءة في زمنه وعُرفت به، لأنه اتصل بالرشيد فأعجب بقراءته وكان يحظيه ويعطيه، حتى عرف بين الناس بقارىء أمير المؤمنين.

وكان القراء بعده ـ كالهيثم وأبان، وابن أعين، وغيرهم ممن يقرءون في المجالس أو المساجد ـ يُدخلون في القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية، فمنهم من كان يدس الشيء من ذلك دسّاً خفياً، ومنهم من يجهر به حتى يسلخه، فمن هذا قراءة الهيثم: «أما السفينة فكانت لمسكين». فإنه كان يختلس المد اختلاساً فيقرؤها «لمسكين». وإنما سلخه من صوت الغناء كهيئة اللحن في قول الشاعر:

أما القطاة فإني سوف أنعتها   نعتاً يوافق عندي بعض «مَفِيهَا»

أي ما فيها.

وكان ابن أعين يدخل الشيء من ذلك ويخفيه، حتى كان الترمذي محمد ابن سعيد في=

وروى الإمام أحمد عن ابن سيرين[١]، أنه سئل عن هذه الأصوات التي يقرأ بها، فقال: هو مُحْدَثٌ.

ونص الإمام أحمد على كراهة قراءة الألحان، وقال: يُحسِّنه بصوته من غير تكلُّف.

وروى أبو عبيد ـ أيضاً ـ في الفضائل، وعبد الرحمن بن الحكم في «فتوح مصر» عن مالك بن عبادة الغافقي أبو موسى[٢]، خادم رسول الله ﷺ، أنه سمع عطية بن عامر[٣] رضي الله عنه (يَقُصُّ)[٤] يقول: قال رسول الله ﷺ، فقال مالك: إن صاحبكم (هذا)[٥] لغافل[٦]، أو هالك، إن رسول الله ﷺ عهد إلينا في حجة الوداع فقال: عليكم بالقرآن، فإنكم سترجعون إلى قوم يشتهون الحديث عني، فمن عقل[٧] شيئاً فليحدث به،

= المائة الثالثة، وكان الخلفاء والأمراء يومئذٍ قد أولعو ا بالغناء وافتنّوا فيه، فقرأ محمد هذا على الأغاني المولدة المحدثة سلخها في القراءة بأعيانها.

وقال صاحب جمال القراء: إن أول ما غُنّي به القرآن قراءة الهيثم «أما السفينة» كما تقدم. فلعل هذا أول ما ظهر منه.

ولم يكن يُعرف من مثل هذا شي لعهد النبي لا ولا لعهد أصحابه وتابعيهم. اهـ.

وممن أشار إليه من القدماء ابن قتيبة في كتابه «المعارف» ص ٥٣٣ ط/دار الكتب سنة ١٩٦٠ م. فراجعه إن شئت.

(١) هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، تابعي، كان إمام وقته في علوم الإسلام، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، سمع أبا هريرة، وعبد الله بن عمر، وعمران بن حصين، وطائفة من الصحابة. توفي في شوال يوم جمعة سنة عشر ومائة.

راجع: الحلية ٢/٢٦٣، وفيات الأعيان ٣/٣٢١، طبقات ابن سعد ٧/١٤٠.

(٢) قال ابن حجر في الإصابة ٤/١٨٧: ويقال مالك بن عبد الله.

(٣) قال الذهبي في التجريد ١/٢٨٢: روى عنه شريح بن عبيد، وانما هو عقبة ابن عامر، فصحف.

(٤، ٥) زيادة عن ابن عبد الحكم.

(٦) في الأصل: لعاقل، والتصريب عن ابن عبد الحكم والإصابة وعند أحمد في المسند: لحافظ أو هالك.

(٧) وعي وحفظ.

ومن قال عليّ ما لم أقل ـ وقال ابن عبد الحكم: من افترى عليّ ـ فليتبوأ بيتاً، أو قال: مقعداً من جهنم.

قال[1]: لا أدري أيهما قال[2].

ولأبي عبيد أيضاً، عن المُهَاجِر بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: ي أهل القرآن، لا تَوَسَّدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته، أناء الليل والنهار وتغنَّوْه واتقنوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون.

ذم نسيان القرآن

ولأبي داود، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي عبيد في الفضائل والغريب، والدارمي، عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه، إلا لقي الله يوم القيامة وهو أجذم[3].

وقال أبو عبيد: الأجذم: المقْطوع اليد[4].

---

(١) القائل مالك بن عبادة.

(٢) فتوح مصر ص ٣٠٧.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٣٣٤.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التشديد في من حفظ القرآن نسيه ٢/٤٣٧.
وغريب الحدي ث لأبي عبيد ٣/٤٨.
وأخرجه عبد الرزاق في المصنّف: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه ٣/٣٦٥ حديث رقم ٥٩٨٩.
ومدار الحديث على يزيد بن أبي زياد الكوفي وهو ضعيف. كما أن فيه انقطاعاً، لأن عيسى بن فايد لم يسمع سعد بن عبادة.
راجع: الميزان ٤/٤٢٣،٣/٣١٩، ومختصر سنن أبي داود للمنذري ٢/١٣٩.

(٤) غريب الحديث ٣/٤٨.
وقال الخطابي في معالم السنن ٢/١٣٩: وقال ابن الأعرابي: معناه: أنه يلقي الله خالي اليدين عن الخير، كنى باليد عما تحويه اليد. وقال آخر: معناه: لقى الله لا حجة له. اهـ.

زاد رزين: واقرأوا (إن شئتم)[1]: ﴿ **قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾[2].

ولأحمد بن حنبل - قال الهيثمي: ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف[3] - عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من أمير عشيرة، إلا جيء يوم القيامة مغلولةً يدُه إلى عنقه، حتى يطلقه الحق أو يوبقه[4]، ومن تعلم القرآن ثم نسيه، لقي الله تبارك وتعالى وهو أجذم[5].

ولأبي داود، والترمذي، وابن ماجة، وأبي عبيد، وابن خزيمة في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: عُرضت عليَّ أُجُور أمتي، حتى القذاةُ يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليَّ ذنوب أمتي، فلم أر فيها ذنباً أعظم - وقال أبو عبيد: أكبر - من سورة من القرآن، أو آية، أوتيها رجل، ثم نسيها[6].

وروى أبو عبيد عن سلمان رضي الله عنه نحوه.

وروى أبو عبيد - أيضاً - في الغريب عن الضحاك بن مزاحم قال: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه، إلا بذنب يحدثه، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وما

---

(١) زيادة عن جامع الأصول لابن الأثير ٨/٥٠٩ حديث رقم ٦٣٠١.
(٢) سورة طه آية ١٢٥، ١٢٦.
(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٧.
(٤) أي يهلكه، بمعنى أنه يكون سبباً في هلاكه، كما أنه سبب في إطلاقه.
(٥) مسند الإمام أحمد ٥/٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢٣، ٣٢٨.
(٦) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في كنس المساجد ١/١٢٦ حديث رقم ٤٦١.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ١٩ - ٤/٢٥٠ حديث رقم ٣٠٨٣.
وغريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٤٩.
وصحيح ابن خزيمة: أبواب فضائل المساجد وبنائها وتعظيمها، باب فضل إخراج القذي من المسجد ٢/٢٧١ حديث رقم ١٢٩٧.

أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ﴾[١]. وأن نسيان القرآن من أعظم المصائب[٢].

نهي صاحب القرآن عن أن يسأل به الناس

وللترمذي عن عمران بن حُصين رضي الله عنه، أنه مر على قارىء يقرأ القرآن ثم يسأل الناس به،فاسترجع[٣] وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ القرآن، فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرأون القرآن ويسألون به الناس[٤].

حب المؤمن للقرآن دليل حبه لله

وروى أبو عبيد، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا يُسْألُ عَبْدٌ عن نفسه إلا بالقرآن، فإن كان يحب القرآن، فإنه يحب الله ورسوله.

ورواه الطبراني ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات[٥] ـ عن عبد الله رضي الله عنه ولفظه: من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر، فإن كان يحب القرآن [فهو يحب الله ورسوله.

وفي رواسة: فإن كان يحب القرآن][٦] ويعجبه، فهو بخير.

---

(١) سورة الشوري آية ٣٠.
(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٤٩.
(٣) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.
(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ٢٠ ـ ٤/٢٥٠ حديث رقم ٣٨٤. وقال: حديث حسن.
(٥) مجمع الزوائد ٧/١٦٥.
(٦) ما بين المربعين ساقط من: د.

وللترمذي عن صهيب رضي الله عنه، وعبد بن حميد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما آمن بالقرآن من استحل محارمه[1].

وللبخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال: يا معشر القراء، استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، وإن أخذتم يميناً وشمالاً، لقد ضللتم ضلالاً بعيداً[2].

استحباب تحسين الصوت بالقرآن

ولأحمد وأبي داود والنسائي، وابن ماجة، والدارمي، وابن حبان، والحاكم وصححه، عن البراء رضي الله عنه موصولاً، وللبخاري عنه معلقاً مجزوماً، وللبزار عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهعنه قالا: إن رسول الله ﷺ قال: زينوا القرآن بأصواتكم[3].

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ٢٠ - ٤/٢٥٢ حديث رقم ٣٠٨٥.
قال الترمذي: هذا حديث ليس بذاك.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨/١٤٠.
قال الحافظ في الفتح ١٣/٢٥٧: القُرَّاءُ - بضم القاف، وتشديد الراء مهموز - جمع قارىء، والمراد بهم العلماء بالقرآن والسنة، العُبَّاد. اهـ.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/٢٩٦.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٤ - حديث رقم ١٤٦٨.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت ٢/١٧٩.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن ١/٤٢٦ حديث رقم ١٣٤٢.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ٢/٤٧٤.
وصحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الماهر بالقرآن مع الكرام البررة ٨/٢١٤.

وزاد الدارمي قال: الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً[١].

ورواه عبد الرزاق في جامعه، عن البراء رضي الله عنه من طريقين: قال في إحداهما:

زيِّنوا القرآن بأصواتكم[٢].

كرواية الجماعة.

وفي الأخرى: أن رسول الله ﷺ قال: زينوا أصواتكم بالقرآن[٢].

وكلا المعنيين صحيح، فإن من حسّن صوته بالقراءة[٣]، زاد صوتُه القرآنَ حُسْناً وزاد القرآنُ صوتَه حُسْناً.

وللطبراني في الكبير باسنادين ـ قال الهيثمي: في أحدهما عبدالله بن خراش وثقة ابن حبان، وقال: ربما أخطأ، وضعفه البخاري[٤] وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: زَيِّنوا ـ وفي رواية: حسِّنوا ـ أصواتكم بالقرآن.

وللطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي، وفيه اسماعيل بن عمرو البجَلى، وهو ضعيف[٥] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبزار ـ قال الهيثمي: وفيه عبدالله ابن محرز[٦]، وهو متروك ـ عن أنس رضي الله عنه، قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء حليةٌ وحليةُ القرآن حسن الصوت.

قال أنس: وحلية القرآن الصوت الحسن.

وروى البزار بسند ـ قال الهيثمي: فيه سعيد بن زَرْبِي[٧]، وهو

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ٢/٤٧٤.

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب حسن الصوت ٢/٤٨٤ حديث رقم ٤١٧٥، ٤١٧٦.

(٣) في د: بالقرآن.

(٤) لفظ الهيثمي في الزوائد ٧/١٧٠: ووثقة البخاري وغيره.

(٥) (٦) مجمع الزوائد: سعيد بن رزق.

(٧) قال ابن حجر في التقريب ١/١٩٥: سعيد بن زربي ـ بفتح الزاي وسكون الراء، =

ضعيف(1) عن عبدالله ـ يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن حسن الصوت تزيين للقرآن.

قال ابن رجب: وروى عنه موقوفاً عليه، وهو أشبه.

وروى ابن أبي الدنيا عن الهيثم القارىء قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: أنت الهيثم القارىء، الذي تزين القرآن بصوتك؟. قلت: نعم. قال: جزاك الله خيراً.

وقال بحر بن نصر(2): ما رأيت ولا سمعت في عصر الشافعي، كان أحسن صوتاً منه (بالقرآن)(3).

وللشيخين، وأبي داود، والنسائي، والدارمي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به(4).

= بعدها موحدة مكسورة ـ الخزاعي البصري العَبَادَانِي أبو عبيدة، أو أبو معاوية، منكر الحديث. اهـ.

(1) مجمع الزوائد ٧/١٧١.

(2) هو أبو عبد الله بحر بن نصر بن سابق الخولاني المصري، ثقة، مات سنة سبع وستين، وله سبع وثمانون سنة.
راجع: تقريب التهذيب ١/٩٣.

(3) ساقطة من: د.

(4) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن ٦/٢٣٥ وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٦/٦٨.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٥ حديث رقم ١٤٧٣.
وسنن النسائي: كتاب الافتاح، باب تزيين القرآن بالصوت ٢/٧٨.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ١/٣٤٩.
ومعنى «أذن» قال النووي ٦/٧٨: لا يجوز أن تحمل هنا على الاستماع بمعنى الإصغاء، فإنه يستحيل على الله تعالى، بل هو مجاز، ومعناه الكناية عن تقريبه القارىء، واجزال ثوابه، لأن سماع الله تعالى لا يختلف، فوجب تأويله. اهـ.

وللطبراني في الأوسط، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: لم يأذن الله كَأَذَنِه لمترنِّم بالقرآن.

قال الهيثمي: وفيه سليمان بن داود الشاذَكُوني، وهو كذاب[1].

وللشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ليس منا من لم يتغن بالقرآن[2].

ورواه أبو يعلى الموصلي والبزار، عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: من لم يتغن بالقرآن، فليس منا.

ورواه البزار ـ قال الهيثمي: وفيه محمد بن ماهان، قال الدارقطني: ليس بالقوي. وبقية رجاله ثقات[3] ـ عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما.
ورواه الدارمي وأبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[4].

والبزار (والطبراني، ورجال البزار) رجالُ الصحيح ـ قال الهيثمي[5] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والبزار بسند فيه أبو أمية بن يعلى ـ قال الهيثمي: وهو ضعيف[6] ـ عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: ليس منا من لم يتغن بالقرآن.
بلفظ أبي هريرة، إلا قوله: القرآن.
قال النووي في التبيان، وفي إسناد سعد اختلاف لا يضر[7].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.
(٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ ٩/١٢٣.
(٣) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.
(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٤ حديث رقم ١٤٦٩.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ٢/٣٤٩.
(٥، ٦) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.
(٧) التبيان ص ٨١.

ورواه أبو عبيد في الفضائل والغريب، عن عبدالله بن أبي نهيك قال: دخلت على سعد[1] رضي الله عنه، فرأيته رث المتاع، رث المثال[2]، فقال: قال رسول الله ﷺ: ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن[3].

ورجح أبو عبيد أن المراد بالتغني، ضد الفقر[4].

قال: ومنه الحديث الآخر: «من قرأ القرآن، فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى، فقد عظَّم صغيراً، وصغَّر عظيماً. انتهى[5].

ولا شك أنه محمل حسن، ولكنه لا ينفي المعنى الآخر، الذي نقله النووي عن جمهور العلماء، للأحاديث الصريحة في تحسين الصوت، فيكون المراد بالتغني الأمران معاً: الغناء: والغنى.

ورواه أبو داود، والطبراني ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات[1] ـ عن ابن

---

(١) هو سعد بن مالك، كما صرح به عبد الرزاق في المصنف، والحاكم في المستدرك في رواية.

(٢) أي بالي الثوب، خلق الرداء.

(٣) وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب الصلاة، باب النائم والسكران والقراءة على الغناء ٢/٤٨٣ حديث رقم ٤١٧١.

وغريب الحديث لأبي عبيد ٢/١٧٠.

وأخرجه أحمد في المسند ١/١٧٢، ١٧٥، ١٧٩ وفيه: أن سعدا هذا هو سعد بن أبي وقاص.

والحاكم في المستدرك عن سعد بن أبي وقاص، ورواية عن سعد بن مالك من طريق الليث ١/٥٦٩.

(٤) قال: فذكره رثاثة المتاع والمثال عند هذا الحديث ينبيك أنه إنما أراد الاستغناء بالمثال القليل، وليس الصوتُ من هذا في شيء، ويبين ذلك حديث عبد الله: من قرأ سورة آل عمران فهو غَنِيّ.

(٥) غريب الحديث ٢/١٧١: وعلّق عليه بقوله:

ومعنى الحديث: لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحداً من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها. اهـ.

(٦) مجمع الزوائد ٧/١٧١.

أبي مليكة[1] قال: قال عبيدالله بن أبي يزيد: مر بنا أبو لُبابة، فاتبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجل رثُّ البيت، رث الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن. قال: فقلت لابن أبي مليكة، يا أبا محمد، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟. قال: يحسنه ما استطاع[2].

وروى ابن ماجة عن أبي موسى رضي الله عنه، والحاكم عن البراء رضي الله عنه وعبد الرزاق عن عائشة وبريدة رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ استمع قراءة أبي موسى رضي الله عنه فقال: لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود[3].

وروى أبو يعلى الموصلي ـ قال الهيثمي: وفيه خالد بن نافع الأشعري وهو ضعيف[4] ـ عن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ وعائشة رضي الله عنها مرّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته، ثم إنهما مضيا، فلما أصبح، لقي أبا موسى رضي الله عنه، فقال: يا أبا موسى، مررتُ بك البارحة ومعي عائشة وأنت تقرأ في بيتك، فقمنا واستمعنا، فقال أبو موسى: أما إني يا رسول الله لو علمت، لحبَّرتُه[5] لك تحبيراً.

---

(١) في الأصل: عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: وقال الراوي: قال رسول الله ﷺ. . . الخ. وهو تركيب خطأ، ونقلنا الحديث بسنده ومتنه عن سنن أبي داود.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٤. حديث رقم ١٤٧١.

(٣) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن ١/٤٢٥ حديث رقم ١٣٤١.
ومصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب حسن الصوت ٢/٤٨٥ حديث رقم ٤١٧٧.
والمستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب أبي موسى الأشعري ٣/٤٦٦.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٧١.

(٥) قال في النهاية ١/٣٢٧: يقال: حبّرت الشيء تحبيراً، إذا حسنته.

وروى أحمد بن منيع في مسنده عن أنس رضي الله عنه، أن أبا موسى رضي الله عنه، كان يقرأ ذاتَ ليلة، ونساءُ النبي ﷺ يستمعن، فقيل له. فقال: لو علمتُ لحبَّرت تحبيراً، ولشوقت تشويقاً.

ولأبي عبيدة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فسمع قراءة رجل، فقال: من هذا؟، فقيل: عبدالله بن قيس فقال: لقد أوتي هذا من مزامير آل داود عليه السلام[(١)].

وله عن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى رضي الله عنه قال: ذكِّرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده[(٢)].

وقال النووي في التبيان[(٣)]: وروى الدارمي[(٤)] وغيره بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ذكِّرنا ربنا، فيقرأ عنده (القرآن)[(٥)].

وروى الطبراني بسند فيه سعيد بن زَرْبِي[(٦)] وهو ضعيف[(٧)]، عن

---

(١) وأخرجه ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن ١/٤٢٥ حديث رقم ١٣٤١.

(٢) وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ٢/٤٨٦ حديث رقم ٤١٧٩، ٤١٨٠، ٤١٨١.

(٣) التبيان ص ٨٣.

(٤) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن ٢/٤٧٢، ٤٧٣.
ومصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب حسن الصوت ٢/٤٨٦ حديث رقم ٤١٧٩.

(٥) زيادة عن التبيان.

(٦) في د: رزين. وفي مجمع الزوائد: رزق. والصواب: ما أثبتناه.
وهو سعيد بن زَرْبي أبو عبيدة البصري. ذكره الذهبي في الميزان ٢/١٣٦ ترجمة رقم ٣١٧٧، وعَدَّ هذا الحديث من مناكيره.

(٧) راجع: مجمع الزوائد ٧/١٧١.

علقمة قال: كنت رجلاً (قد)[1] أعطاني الله حسن الصوت، فكان ابن مسعود رضي الله عنه يرسل إليّ فأقرأ عليه القرآن، فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا، فداك أبي وأمي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: حسن الصوت زينة القرآن.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ القرآن، فقال: رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية قد كنت أسقطها[2] من سورة كذا وكذا[3].

وفيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا (بالنهار)[4]، ومنهم حكيم[5] إذا لقي الخيل ـ أو قال: العدو ـ قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم[6].

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) المراد بالإسقاط: النسيان، كما في رواية أخرى عند البخاري أيضاً بلفظ: كنت أنسيتها.

قال الحافظ في الفتح ٩/٨٦: فكأنه قال: أسقطتها نسياناً لا عمداً.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب من لم يرَ بأساً أن يقول سورة كذا وكذا ٦/٢٤٠.

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن والأمر بتعهده ٦٥/٧٥.

(٤) زيادة عن صحيح مسلم.

(٥) قال في الفتح ٧/٤٨٧ هو صفة لرجل منهم. وقال أبو علي الجياني: هو اسم علم على رجل منهم.

(٦) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٥/٨٠.

وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل الأشعريين ١٦/٦١.

وقوله: ﴿تنظروهم﴾ قال في الفتح ٧/٤٨٧: أي تنتظروهم من الانتظار ومعناه: أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو، بل يواجههم، ويقول لهم إذا أرادوا الانصراف مثلاً: انتظروا الفرسان حتى يأتوكم ليثبتهم على القتال.

تحريم التلحين في قراءة القرآن

وللطبراني في الأوسط، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ المدّ، ليس فيه ترجيع.

قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه[1].

ولأبي عبيد في الفضائل، والطبراني في الأوسط، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اقرأوا القرآن بلحون العرب[2] وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين[3]، وأهل الفسق، فإنه سيجيء بعدي قوم يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم[4] مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبه شأنهم.

قال الهيثمي: وفيه بقية[5]، وراوٍ لم يسمَّ[6].

وللدارمي عن الأعمش قال: قرأ رجل عند أنس رضي الله عنه بلحن من هذه الألحان، فكره ذلك أنس رضي الله عنه[7].

ما جاء في الإسرار والجهر بالقراءة في الصلاة وغيرها

ولأبي داود ـ قال النووي في شرح المهذب: بإسناد صحيح[8] ـ

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٢) أي بلغتهم.

(٣) قال في النهاية ٤/٢٤٢: اللحون والألحان: جمع لحن وهو الصوت، ويشبه أن يكون أراد هذا الذي يفعله قراء هذا الزمان من اللحون التي يقرأون بها النظائر في المحافل فإن اليهود والنصارى يقرأون كتبهم نحواً من ذلك. اهـ. بتصرف.

(٤) سيأتي تفسيره قريباً في حديث مسلم ص ٢٢١.

(٥) هو بقية بن الوليد بن صائد الحميري الكلاعي. ولد سنة ١١٠هـ. وتوفي سنة ١٩٧ هـ. قال ابن المبارك: صدوق، لكن يكتب عمن أقبل وأدبر. وقال أبو مسهر: أحاديث بقية ليست نقية، فكن منها على تقية.

راجع: الميزان ١/٣٣١ ترجمة رقم ١٢٥٠.

(٦) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٧) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب كراهية الألحان في القرآن ٢/٤٧٤.

(٨) المجموع للنووي ٣/٣٩٢ /ط منير.

والنسائي وعبد بن حميد، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، وهو في قبة له، فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم يناجي ربه فلا يؤذِينَّ بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة، أو قال في الصلاة[1].

ورواه أحمد بنحوه، عن ابن عمر رضي الله عنهما[2].

ورواه أحمد من طريق مالك[3].

وفي التبيان للنووي[4]، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً قال له: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال عبدالله رضي الله عنه: هذًّا كهذّ الشعر[5]؟.. إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم[6]، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع.

رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم[7].

ورواه أبو عبيد، من طريق مالك أيضاً، عن أبي حازم التمار، عن البياضي قال: خرج رسول الله ﷺ على الناس وهم يصلون، وقد علت

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ٢/٣٨ حديث رقم ١٣٣٢.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢/٣٦، ٦٧، ١٢٩.

(٣) المسند ٤/٣٤٤.

(٤) التبيان ص ٧٤.

(٥) الهذُّ بتشديد الذال: شدة الاسراع، والإفراط في العَجَلةِ، وفي الحديث النهي عن الهذ، والحث على الترتيل والتدبر، وبه قال جمهور العلماء.

(٦) قال النووي في شرح مسلم ٦/١٠٥: معناه أن قوماً ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقُّله وتدبُّره بوقوعه في القلب اهـ.

(٧) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ ٦/١٠٤.
وصحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة ٦/٢٤٠.

أصواتهم، فقال: إن المصلي يناجي ربه، فلينظر بما يناجيه[1]، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن.

ولأبي عبيد عن علي رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يرفع الرجل صوته بالقراءة في الصلاة، قبل العشاء الآخرة، وبعد، يُغَلِّطُ أصحابه.

وله عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سمع رسول الله ﷺ عبدالله بن حذافة رضي الله عنه، يقرأ في المسجد، يجهر بقراءته في صلاة النهار، فقال: يا ابن حذافة سمِّع الله، ولا تُسَمِّعنا[2].

وله عن يحيى بن أبي بكر قال: قيل للنبي ﷺ: إن ههنا قوماً يجهرون بالقراءة في صلاة النهار؟. فقال: ارموهم بالبعر[3].

وعن عمر بن عبد العزيز مثل ذلك.

وله عن لقمان بن عامر[4] قال: صلى رجل إلى جنب أبي مسلم الخولاني[5]، فجهر بالقراءة، فلما فرغ أبو مسلم من صلاته، قال: يا ابن أخي أفسدت عليَّ وعلى نفسك.

وللترمذي وحسَّنه، وأبي داود، والنسائي، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الجاهر بالقرآن، كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن، كالمسر بالصدقة[6].

---

(١) في د: بم.
(٢) وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب الصلاة، باب قراءة النهار ٢/٤٩٤. حديث رقم ٤٢٠٧ عن الزهري.
(٣) فيه تحقير لهم، ورد لفعلهم.
(٤) هو أبو عامر لقمان بن عامر الوصابي - بتخفيف الصاد المهملة - الحمصي. قال الحافظ في التقريب ٢/١٣٨: صدوق.
(٥) هو عبدالله بن ثُوَب، أو أثْوَب على وزن أحمر. وقيل: اسمه يعقوب بن عوف شامي ثقة عابد، رحل إلى النبي ﷺ فلم يدركه، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٤٧٣، تذكرة الحفاظ ١/٤٩.
(٦) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل الجاهر بالقرآن=

قال الترمذي: معناه: أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل، ثم قال: لكي يأمن الرجل[1] من العجب[2].

وعند البيهقي في الشعب عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: يَفْضُلُ عملُ السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً.

وللنسائي، وأبي عبيد، عن أم هانىء رضي الله عنها قـالت: كنت أسمع قراءة رسول الله ﷺ، وأنا على عريشي[3].

وقال أبو عبيد: عرشي. وقال: تعني بالليل.

وروى ابن رجب: عن حذيفة رضي الله عنـه قال: أتيت رسـول الله ﷺ لأصلي بصلاته، فافتتح الطُّول، فقرأ قراءة ليس بـالخفيضة، ولا بالرفيعة قراءة حسنة. يرتل فيها، يسمعنا.

ولأبي داود الطيالسي[4]، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت

= ٤/٢٥٢ حديث رقم ٣٠٨٦. وقال: هذا حديث حسن غريب.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ٢/٣٨ حديث رقم ١٣٣٣.

وسنن النسائي: كتاب الزكاة، باب المسر بالصدقة ٥/٨٠.

(١) في الأصل: الإنسان. والتصويب عن الترمذي.

(٢) وقال ابن العربي في شرح سنن الترمذي ١١/٤١: ولا شك في أن العلانية أفضل، إلا أنها أخطر لما يدخلها من العجب والرياء، وتخليصها يصعب، فإذا خلصت فهي أفضل، وقد كشف الله القناع عن ذلك على لسان رسوله: فقال: قال الله: من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه، اهـ.

وسيذكر المؤلف مزيد بيان لهذه المسألة ص ١٦٦.

(٣) سنن النسائي: كتاب بالافتتاح، باب رفع الصوت بالقرآن ٢/١٧٨.

والعريش: قال السندي في شرح سنن النسائي ٢/١٧٩: كل ما يستظل به، ويطلق على بيوت مكة لأنها كانت عيداناً تنصب ويظلل عليها اهـ.

(٤) هو أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، الحافظ الكبير فارسي الأصل، مولى آل الزبير، سمع شعبة وهشام الدستوائي، وروى عنه أحمد وخلائق. مات سنة ٢٠٤ هجرية.

راجع: تذكرة الحفاظ ١/٣٥١. وتقريب التهذيب ١/٣٢٣.

أسمع قراءة رسول الله ﷺ من البيت وأنا في الحجرة[1].

وللترمذي وقال: حسن صحيح غريب[2]، ولأبي عبيد في كتاب «الفضائل»، وأبي داود والنسائي، عن عبدالله بن (أبي)[3] قيس قال: سألت عائشة رضي الله عنها: كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ، أكان يُسِرُّ بالقراءة، أم يجهر؟. فقالت: كل ذلك قد كان يفعل، ربما أسر بالقراءة، وربما جهر. فقلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة[4].

وروى محمد بن أبي عمر[5] في مسنده عن يحيى بن يعمر قال: سألنا عائشة رضي الله عنها، فذكر نحوه.

---

(١) لم أهتد إليه في مسند أبي داود الطيالسي.

(٢) عبارة الترمذي: حسن غريب. وليس فيها لفظ «صحيح».

(٣) ساقطة من: د.

(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ ٤/٢٥٤، حديث رقم ٣٠٩٢.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في وقت الوتر ٢/٦٦ حديث رقم ١٤٣٧.
وسنن النسائي: كتاب الغسل والتيمم، باب الاغتسال قبل النوم ١/١٩٩ مختصراً.
وأخرجه أحمد في المسند ٦/٧٣.
وأخرجه أبو داود عن غضيف بن الحارث: كتاب الطهارة، باب في الجنب يؤخر الغسل ١/٥٨ حديث رقم ٢٢٦.
وأحمد في المسند ٦/٤٧.
وابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل ١/٤٣٠ حديث رقم ١٣٥٤.
وأخرجه أحمد ٦/١٦٧ ولم يسمِّ الرجل الذي سأل عائشة. من طريق عبد الرزاق.

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن يحيى بن أبي عمر، العدني الدراوردي، ويقال له: ابن أبي عمر. كان عالماً بالحديث ورجاله، جاور مكة، وتولى قضاءعدن، وحدَّث عن فضيل بن عياض وطبقته، وسمع منه مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، والترمذي، وحج ٧٧ حجة ماشياً، وله مسند. توفي سنة ٢٤٣ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٧٦. وشذرات الذهب ٢/١٠٤، والعبر ١/٤٤١.

ولأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل يرفع طوراً، ويخفض طوراً[١].

قال في التبيان: قال الغزالي: وطريق الجمع بين الأخبار في هذا: أن الإسرار أبعد من الرياء، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك، فإن لم يخف الرياء، فالجهر ورفع الصوت أفضل، لأن العمل فيه أكبر، ولأن فائدته تتعدى إلى غيره. والنفع المتعدي أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارىء، ويجمع همه إلى الفكر فيه، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط، ويوقظ غيره من نائم أو غافل وينشّطه.

قالوا فمهما حضره شيء من هذه النيات، فالجهر أفضل، فإن اجتمعت هذه النيات، تضاعف الأجر. انتهى[٢].

وقال في موضع آخر: وهذا كله فيمن لايخاف رياء ولا إعجاباً، ولا نحوهما من القبائح، ولا يؤذي جماعة يُلْبِسُ (عليهم)[٣] صلاتهم، ويخلطها عليهم. انتهى[٤].

وأخرج أبو بكر الشافعي في الجزء الرابع من الغيلانيات، عن أنس رضي الله عنه قال: ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت، وكان رسول الله ﷺ حسن الصوت، غير أنه لا يُرَجِّعُ.

المراد بحسن الصوت

ولابن ماجة عن سعد[٥] بن أبي وقاص، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ

(١) سنن أبو داود: كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ٢/٣٧ حديث رقم ١٣٢٨.
(٢) التبيان ص ٧٨.
(٣) زيادة عن التبيان.
(٤) التبيان ص ٧٩.
(٥) في د: سعيد. وهو خطأ.

قال: إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتَبَاكَوْا وتغنّوا به، فمن لم يتغنَّ بالقرآن فليس منا[1].

وللطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه اسماعيل بن سيف، وهو ضعيف[2] ـ وأبي يعلى عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن بالحزن، فإنه نزل بالحزن».

ولابن ماجة عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن، الذي إذا سمعته يقرأ، رأيت أنه يخشى الله[3].

وهو عند الطبراني في الكبير، وفيه ابن لَهِيْعة ـ قال الهيثمي: وهو حسن الحديث وفيه ضعف[4] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: إن أحسن الناس قراءة، من إذا قرأ القرآن يتحزن به.

وهو عند أبي عبيد عن طاووس مرسلاً، ولفظه: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن؟ فقال: الذي إذا سمعتَه، رأيته يخشى الله.

ورواه عبد بن حميد في مسنده موصولاً عن طاووس، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قيل له: أي الناس أحسن قراءة؟. قال: الذي إذا سمعتَ قراءته، رأيتَ أنه يخشى الله عز وجل.

---

(١) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب حسن الصوت بالقرآن ١/٤٢٤ حديث رقم ١٣٣٧.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.

(٣) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن ١/٤٢٥ حديث رقم ١٣٣٩.

اقال السندي في شرح سنن ابن ماجة ١/٤٠٣: أي المطلوب من تحسين الصوت بالقرآن: أن تنتج قراءته خشية الله، فمن رأيتم فيه الخشية فقد حسَّن الصوت بالقرآن المطلوب شرعاً، فيُعَدُّ من أحسن الناس صوتاً اهـ.

وفي إسناده ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع وهو ضعيف.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.

وكذا رواه الطبراني في الأوسط، والبزار، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه، ولفظه: سئل رسول الله ﷺ: من أحسن الناس صوتاً بالقرآن؟. قال: من إذا سمعتَ قراءته، رأيتَ أنه يخشى الله عز وجل.

قال الهيثمي: وفيه حميد بن حماد بن خوار، وثقة ابن حبان، وقال: ربما أخطأ، وبقية رجال البزار رجال الصحيح[١].

وقال المزني[٢] - في الشهادات عن الشافعي -: يحسن صوته بأي وجه كان وأحب ما يقرأ إليّ حدراً[٣] وتحزينا[٤].

قال النووي في التبيان: قال أهل اللغة: يقال: حدرت بالقراءة، أدرجتها ولم تمططها[٥].

ثواب من يستمع القرآن

وفي الفردوس عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن في صلاة قائماً، كان له بكل حرف مائة حسنة،، ومن استمع إلى كتاب الله، كان له بكل حرف حسنة.

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٧٠.

(٢) هو أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو، بن مسلم، المزني - نسبة إلى مزينة باليمن - المصري الشافعي، صحب الشافعي وحدَّث عنه، وتوفي بمصر سنة ٢٦٤ في الرابع والعشرين من شهر رمضان، له مصنفات في الفقه والحديث.
راجع: سير أعلام النبلاء ٨/٢٥٩، شذرات الذهب ٢/١٤٨، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/٢٨٥.

(٣) الحدر - مصدر حدر بالفتح، يحدر بالضم، إذا أسرع - عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها.
راجع النشر ١/٢٠٧.

(٤) الأم للشافعي ٨/٣١١ / ط بيروت.

(٥) التبيان ص ٨٢.

وروى أحمد - بسند فيه عبّاد بن ميسرة، ضعفه أحمد وغيره، ووثقه ابن معين في رواية، وضعفه في أخرى، ووثقه ابن حبان[١] - عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى، كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة[٢].

قال النووي في التبيان: وروى الدارمي باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من استمع إلى آية من كتاب الله، كانت له نوراً[٣].

تحزيب القرآن

ولأبي داود، وابن ماجة[٤]، عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال: (قدمنا على) رسول الله ﷺ في وفد ثقيف: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له في المسجد - أو قال: بين المسجد وبين أهله.

قال مسدد: وكان - يعني: أوساً - في الوفد الذي قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف، فكان كل ليلة يأتينا بعد العشاء فيحدثنا قائماً - وقال أبو عبيد: وهو قائم - حتى إنه ليراوح بين رجليه من طول القيام، وكان أكثر ما يحدثنا به ما لقي من قومه قريش - قال أبو عبيد: وكان أكثر ما يحدثنا شكايته قريشاً - ثم يقول: ولا سواء[٥]، كنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد:

---

(١) قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٢/٧.
(٢) مسند الإمام أحمد ٣٤١/٢.
(٣) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من استمع إلى القرآن ٤٤٤/٢.
(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٥٥/٢ حديث رقم ١٣٩٣..
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٤٢٧/١ حديث رقم ١٣٤٥.
(٥) في تفسير ابن كثير ٢٢٠/٤: «لا أساء»، وفي مختصر السنن للمنذري: «لا أنسى»، وكلاهما غير محفوظ. والمنقول: «لا سواء» كما في سنن أبي داود، ومسند الإمام أحمد ٩/٤، ٣٤٣، وسنن ابن ماجة ٤٢٧/١ حديث رقم ١٣٤٥. =

بمكة ـ فلما خرجنا إلى المدينة، كانت سجال[1] الحرب بينناوبينهم، نُدَال عليهم، ويدالون علينا.

وقال أبو عبيد: فلما قَدِمْنا المدينة، انتصفنا من القوم، وكانت سجال الحرب بيننا، علينا ولنا. [فلما كانت ذات ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه. فقلنا[2]: يا رسول الله لقد أبطأت علينا الليلة][3]. قال: إنه طرأ عليَّ حزبي[4] من القرآن فكرهت أن أجيء[5] حتى أتمه ـ وقال أبو عبيد: أن أخرج من المسجد حتى أمضيَه ـ قال أوس: وسألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف ـ (وقال أبو عبيد: فقلنا لأصحاب رسول الله ﷺ: إنه قد حدثنا أنه طرأ عليه حزبه من القرآن فكيف)[6] تحزبون القرآن؟ قالوا ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشر وثلاث عشر، وحزب المفصل (وَحْدَهُ)[7].

وقال أبو عبيد: ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وحزب المفصل ما بين ق فأسفل[8].

= وجامع الأصول لابن الأثير ٢/٤٧٤ حديث رقم ٩٣٥.
ومعنى «لا سواء»: أن حالنا الآن غير ما كانت عليه قبل الهجرة.

(١) أي مرة لنا ومرة عليهم.

(٢) في د: فقلت.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٤) في سنن أبي داود، ومختصر السنن للمنذري ٢/١١٤، وجامع الأصول لابن الأثير ٢/٤٧٤ حديث رقم ٩٣٥: جزئي.
وأما لفظ «حزب» ففي مسند أحمد ٤/٩، ٣٤٣ وفيه: «قال: طرأ عليّ حزب من القرآن». وسنن ابن ماجة ١/٤٢٧ حديث رقم ١٣٤٥ وفيه: «إنه طرأ عليّ حزبي من القرآن».

(٥) في د: أخرج.

(٦) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٧) زيادة عن سنن أبي داود.

(٨) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ١٣/٤٠٨: ورواه الطبراني في معجمه: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول ﷺ يحزب القرآن؟. فقالوا: كان رسول الله ﷺ يجزئه ثلاثاً، وخمساً، . . . فذكره.

فهذا الذي من هذه الأعداد الوترية ـ من ثلاث، إلى ثلاثَ عشرة ـ ثمانٍ وأربعون، وهي من أول البقرة، إلى آخر الحجرات. فإذا أضفت إلى ذلك الفاتحة مع ثمان أخرى، ليكون سبعاً وخمسين سورة ـ وهو النصف من عدد السورة القرآنية ـ كان ذلك إلى آخر سورة الحديد. وهو أربع وخمسون حزباً(١)، وهي تسعة أعشار القرآن.

ومن أول الواقعة إلى آخره عشر، وهو ستة أحزاب. وذلك سبع وخمسون سورة، نصف عدد السور(٢).

فينتظم من ذلك لغز، وهو: شيء يكون عشره مثل تسعة أعشاره سواء من غير زيادة.

---

(١) لعله يقصد بالحزب الحزب الذي يقدر بأربعة أرباع. وهو الذي يكون نصف جزء، فإن نهاية سورة الحديد ختام الحزب الرابع والخمسين فعلاً «وليس مراداً به التحزيب المأثور الوارد في الحديث السابق». وهو تكوين الحزب من عدة سور.

(٢) أوضح المرحوم الشيخ شاكر بيان تلك الأحزاب الواردة في الحديث على هذا النمط:

رقم الحزب	عدد سوره	أول كل سورة
١	٣	البقرة
٢	٥	المائدة
٣	٧	يونس
٤	٩	الإسراء
٥	١١	الشعراء
٦	١٣	الصافات
٧	٦٥	ق

ثم قال: فهذه ١٣ سورة عدا الفاتحة، ولعل عدم عدِّ الفاتحة منه بأنها يُستفتح بها القراءة في كل مرة. أما التجزئة الحديثة المشهورة الآن بين الناس، فإنها غير مرادة يقيناً، لأنه ليس لكل جزء منها يشتمل على سور بل إن بعض السور الطوال تشتمل على أجزاء، بل إن الأجزاء التي فيها ثلاث سور كاملة فأكثر، هي الأجزاء العشرة الأخيرة، أي الثلث الثالث من القرآن. انتهى من تعليقه على صحيح ابن حبان ١/١١٠.

وللبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تُوفِّيَ رسول الله ﷺ، وقد قرأت المفصل(١).

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ٤٠٩/١٣: وهذا الحديث يوافق معنى حديث عبدالله بن عمرو، في أن المسنون كان عندهم قراءته في سبع ولهذا جعلوه سبعة أحزاب، ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة. وفيه: أنهم حزَّبوه بالسور، وهذا معلوم بالتواتر، فإنه قد علم أن أول ما جزىء القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين، وهذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة، وأثناءالقصة، ونحو ذلك، كان في زمن الحجاج، وما بعده. وروى أن الحجاج أمر بذلك، ومن العراق فشا ذلك، ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك.

قال: وهذا الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن، لوجوه:

أحدها: أن هذه التحزيبات المحدَثة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف عليه، دون المعطوف، فيحصل القارىء في اليوم الثاني مبتدئاً بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ﴾، وقوله: ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله ﴾. وأمثال ذلك. ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض - حتى كلام المتخاطبين - حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: ﴿ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾.

ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما بأجنبي، ولهذا لو ألحق بالكلام عطف أو استثناء، أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبي، لم يسغ باتفاق العلماء ولو تأخر القبول عن الإيجاب بمثل ذلك بين المتخاطبين ولم يسغ ذلك بلا نزاع اهـ.

وراجع: سورة ق فهناك إضافات لما ههنا.

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن.

قال الحافظ في الفتح ٨٤/٩: المراد بالمفصل: السور التي كثرت فصولها. وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣٠٧/٢: وفي تسميته بالمفصل للعلماء أربعة أقوال:

أحدها: لفصل بعضها عن بعض.

الثاني: لكثرة الفصل بينها - أي السور - ببسم الله الرحمن الرحيم.

الثالث: لإحكامه.

الرابع: لقلة المنسوخ فيه.

وفي رواية أنه قال: جمعت المحكم في عهد رسول الله ﷺ.
قال سعيد بن جبير: فقلت له: وما المحكم؟. قال: المفصل(١).

ولأبي عبيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: إني لأقرأ حزبي - أو قالت: سبعي - وأنا جالسة على فراشي، أو قالت: على سريري.

وفي الموطأ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، أنه قيل له: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟. فقال زيد : حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر، أو عشر أحب إليّ لكي أتدبره وأقف عليه(٢).

وللشيخين، وعبد الرزاق في جامعه، وأبي داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ألم أُخْبَرْ أنك تصوم الدهر، وتقرأ القرآن كل ليلة؟. قلت: بلى يا نبي الله(٣)، ولم أُرِدْ بذلك إلا الخير. قال: فصم صوم داود عليه السلام وكان أعبد الناس، واقرأ القرآن في كل شهر. قلت: يا نبي الله إني أُطيق أفضل من ذلك؟. قال: فاقرأه في عشر. قلت: يا نبي الله إني أُطيق أفضل من ذلك. قال: فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك.

وفي رواية: فإن لزوجك عليك حقاً. (ولِزُوَّارك عليك حقاً)(٤). ولجسدك عليك حقاً. قال: فشدَّدت، فَشدِّد عليَّ، وقال: إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر. قال: فصرت إلى الذي قال النبي ﷺ، فلما كبرتُ وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ.

---

(١) قال الحافظ في الفتح ٨٤/٩: فيه تفسير المفصل بالمحكم. والمراد بالمحكم: الذي ليس فيه منسوخ، ويطلق المحكم على ضد المتشابه، وهو اصطلاح أهل الأصول اهـ. بتصرف.
(٢) الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في تحزيب القرآن ٢٠١/١.
(٣) في د: يا رسول الله.
(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.

وفي رواية: أنه سأل رسول الله ﷺ في كم يقرأ القرآن؟ قال: في أربعين. ثم قال: في شهر. ثم قال: في عشرين. ثم قال: في خمسة عشر يوماً. ثم قال: في عشر. ثم قال: في سبعة. ولم ينزل من سبعة.

وفي رواية: قلت: أجد بي قوة «فناقصني وناقصته» إلى أن قال: اقرأه في سبع لا تزد على ذلك، قلت: إني أجد بي قوة، قال: فإنه لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث[1].

ولأبي عمرو الداني بسنده في كتاب «العدد» عن قيس بن أبي صعصعة رضي الله عنه، أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟. فقال: في كل خمسة عشر، فقال: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: ففي كل جمعة.

ولأبي عبيد: في كتاب الفضائل، عن حبان بن واسع[2]، عن أبيه، عن سعد ابن المنذر الأنصاري رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ فقال: نعم إن استطعت، قال: فكان يقرؤه كذلك حتى تُوُفِّي.

ورواه أحمد، وفي سنده ابن لُهَيْعة، عن حبان بن واسع به[3].

وحديث ابن لهيعة حسن، وفيه ضعف.

ولأبي عبيدة عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن في أقل من ثلاث.

هذا الأولى، لكونه أرفق من الختم في أقل، وهو ﷺ مشرِّع ما أحب إليه ما خفَّ على أمته.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم ٢/٣٦ ـ وكتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن ٦/٢٤٢.
وصحيح مسلم: كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر ٨/٤٢.
(٢) جاء في الإصابة ٢/٣٦ في ترجمة سعد بن المنذر: واسع بن حبان.
(٣) وأخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٤٥٢ حديث رقم ١٢٧٤.

وقد روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن في ركعة، وكذا تميم الداري رضي الله عنه.

ورواه عنهما أبو عبيد، وكذا عن تميم.

وروى عن سليمان بن عتر التجيبي[1] أنه كان يختم القرآن في الليلة ثلاث مرات، ويجامع ثلاث مرات، فلما مات، قالت امرأته: رحمك الله، إنْ[2] كنت لتُرضي ربك وتُرضي أهلك، قالوا: وكيف ذلك؟ قالت: كان يقوم من الليل فيختم القرآن ثم يُلِمُّ بأهله، ثم يغتسل، فيعود[3] ويقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله ثم يغتسل فيعود ويقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله ثم يغتسل، فيخرج لصلاة الصبح[4].

وفي تبيان النووي عن مسلم بن يسار قال: قال أبو أسيد رضي الله عنه: نمت البارحة عن وردي حتى أصبحت، فلما أصبحت استرجعت، وكان وردي سورة البقرة فرأيت في المنام كأن بقرة تنطحني.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن ص ٩٤: كان سليمان بن عتر تابعياً، جليلاً ثقة، نبيلاً، وكان قاضياً أيام معاوية. قال أبو حاتم: روى عن أبي الدرداء، وابن زحر، وكان من خير التابعين. وذكره ابن يونس في تاريخ مصر. اهـ بتصرف واختصار.

(٢) في د: إنك.

(٣) في د: ويعود.

(٤) رحم الله المؤلف، ما كان ينبغي له ـ وهو الناقد الحصيف، والمميز البصير ـ أن يذكر في كتابه مثل هذه المبالغات التي لا يصدقها عقل. ولا يقرها شرع وأين هذا من سلوك سيد المرسلين ﷺ. وقد مر حديث عبدالله بن عمرو وفيه: أن النبي ﷺ لم يرخص له في قراءة القرآن في أقل من ثلاث.

وفي جامع الترمذي: أنه ﷺ قال: لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث.

وهل نزل القرآن إلا لنتدبر آياته، ونفقه أحكامه، ونقف على أسراره؟.

وهل يمكن الوصول إلى تلك المنافع بتلك السرعة الهائلة في القراءة؟.

وقد ذكر ابن كثير هذا الأثر في كتاب فضائل القرآن ص ٩٤ وقال: من أغرب ما ههنا.

رواه ابن أبي داود.

وروى ابن أبي الدنيا عن بعض حفاظ القرآن، أنه نام ليلة عن حزبه فأري في المنام كأن قائلاً يقول:

عجبتُ من جسم ومن صحة ومن فتى نام إلى الفجر
والموت لا تؤمن خطفاته في ظلم الليل إذا يسري

منع الجنب من قراءة القرآن

ولأبي عبيد عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن على كل حال، إلا الجنابة[1].

ولأبي عبيد - أيضاً - والبيهقي بإسناد - قال النووي: ضعيف[2] - عن ثعلبة ابن أبي الكنود، عن مالك بن أبي جنادة الغافقي - وفي رواية: عبدالله بن مالك الغافقي - رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعمر رضي الله عنه: إذا توضأت وأنا جنب، أكلت وشربتُ، ولا أصلي، ولا أقرأ، حتى اغتسل[3].

وروى أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم والدارقطني، والبزار، والبيهقي، من طريق شعبة عن عمرو بن مرة، عن عبدالله ابن سَلِمة[4]، عن علي رضي الله عنه قال: لم يكن يحجب - وفي رواية: يحجز - النبي ﷺ عن القرآن شيء سوى الجنابة[5].

---

(١) وأخرجه الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء في الرجل يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً ١/ ٩٨ حديث رقم ١٤٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) المجموع للنووي ٢/ ١٥٩.
(٣) سنن البيهقي ١/ ٨٨.
(٤) قال النووي في المجموع ٢/ ١٥٨: بكسر اللام.
(٥) مسند الإمام أحمد ١/ ٨٤، ١٠٧، ١٢٤.
وسنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب في الجنب يقرأ القرآن ١/ ٥٩. حديث رقم = ٢٢٩.

وصحح الحديث الترمذي :وابنُ السَّكَن[١]، وعبد الحق[٢]، والبغوي في شرح السنة[٣].

وروى الدارقطني عن علي رضي الله عنه موقوفاً: اقرأوا القرآن، ما لم يصب أحدكم جنابة، فإن أصابته فلا، ولا حرفاً[٤].

وروى الترمذي، وابن ماجة، والبيهقي، وغيرهم، عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن[٥].

= وسنن النسائي: كتاب الطهارة، باب حجب الجنب من قراءة القرآن ١/١٤٤.
وسنن ابن ماجة: كتاب الطهارة، باب ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة ١/١٩٥ حديث رقم ٥٩٤.
وصحيح ابن خزيمة: كتاب الطهارة،باب الرخصة في قراءة القرآن وهو أفضل الذكر على غير وضوء ١/١٠٤ حديث رقم ٢٠٨.
وسنن الدارقطني: كتاب الطهارة، باب في النهي للجنب والحائض عن قراءة القرآن ١/١١٩.
وسنن البيهقي ١/٨٨.
والمستدرك للحاكم ٤/١٠٧.

(١) هو الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان، بن سعيد، بن السكن، البغدادي نزيل مصر، والمتوفي بها سنة ٣٥٣ من الهجرة، وكتابه يسمى: «الصحيح المنتقي»، أو السنن الصحاح المأثورة عن النبي ﷺ . وهو كتاب محذوف الأسانيد، جعله أبواباً في جميع ما يحتاج إليه من الأحكام.
راجع: الرسالة المستطرفة ص ٢٢٣.

(٢) هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن، بن عبدالله، بن حسين، الأزدي الأشبيلي، ولد سنة ٥١٠ هجرية، وكا فقيهاً حافظاً، عالماً بالحديث وعلله ورجاله، موصوفاً بالخير والصلاح، وهو صاحب كتاب «الجمع بين الصحيحين» توفي سنة ٥٨٢ هـ.
راجع: تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٩٣، والرسالة المستطرفة ص ١١٢.

(٣) شرح السنة ١/٥٣٣.

(٤) سنن الدارقطني: كتاب الطهارة، باب في النهي للجنب والحائض عن قراءة القرآن ١/١١٨. وقال هو صحيح.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب الطهارة ، باب ما جاء في الجنب والحائض أنهما لا =

والحديث ضعيف[1]، لكن اجتماع هـذه الشواهـد أوصله إلى حيز الحجية.

فضيلة إحياء الليل بتلاوة القرآن

وللترمذي والطبراني، وأبي نعيم، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ ثلاثين آية في ليلة، لم يضره تلك الليلة سبع صـارٍ، ولا لص طارق، وعوفي في نفسه وأهله وماله، حتى يصبح[2].

وفي الباب عن عوف بن مالك، وابن عمر.

وروى الدارمي عن الحسن مرسلا، وصاحب الفردوس عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ في ليلة مائة آية، لم يحاجه القرآن تلك الليلة، ومن قرأ في ليلة مائتي آية، كتب له قنوت ليلة، ومن قرأ في ليلة خمسمائة آية إلى الألف، أصبح وله قنطار من الأجر، قالوا: وما القنطار؟ قال: اثنا عشر ألفاً[3].

وأخرجه أحمد وأبو يعلى، والنسائي في اليوم والليلة، والطبراني، وأبو الشيخ عن تميم رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ في ليلة مائة آية، كتب له قنوت ليلة[4].

= يقرءان القرآن ١/٨٧ حديث رقم ١٣١.
وسنن ابن ماجة: كتاب الطهارة، باب ما جاء في قراءة القرآن عـلى غير طهـارة ١/١٩٦ حديث رقم ٥٩٦.

(١) لأن مداره على اسماعيل بن عياش. قال البخاري: يروى عن أهل الحجاز وأهل العراق أحاديث مناكير، قاله الترمذي في صحيحه ١/٧٨.
ونقله الذهبي في ترجمة اسماعيل بن عياش في الميزان ١/٢٤٢ عن عبد الله بن الإمام أحمد أنه سأل أباه عن هذا الحديث فقال: هذا باطل.

(٢) لم اهتد إلى هذا الحديث عند الترمذي ولا عند الطبري وأبي نعيم.

(٣) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب من قرأ من مائة آية إلى الألف ٢/٣٣٤ حديث رقم ٣٤٦٢.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/١٠٣.

وللدارمي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: من قرأ ألف آية كتب له قنطار من الأجر، والقيراط من ذلك القنطار، لا تفي به دنياكم[1].

وللطبراني في الكبير والأوسط، باسناد ـ قال المنذري: حسن[2] ـ عن فضالة (بن)[3] عبيد، وتميم الداري، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: من قرأ عشر آيات في الليلة، كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها فإذا كان يوم القيامة يقول ربك: اقرأ وارق، لكل[4] آية درجة، حتى ينتهي إلى آخر آية معه[5]، فيقول الله عز وجل للعبد: اقبض. فيقول العبد بيده: يا رب أنت أعلم، يقول: لهذه الخلد، ولهذه النعيم.

ولأبي داود، وابن خزيمة، وابن حِبَّان في صحيحه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية، كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين[6].

قال المنذري: من سورة المُلْك إلى آخر القرآن، ألف آية[7]، والله أعلم.

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب من قرأ ألف آية ٢/٣٣٥. حديث رقم ٣٤٦٤.

(٢) الترغيب والترهيب ١/٤٣٩، وفيه اسماعيل بن عياش مختلف فيه.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) في د: بكل.

(٥) في د: منه.

(٦) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٢/٥٧ حديث رقم ١٣٩٨.
وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب فضل قراءة ألف آية في ليلة إن صح الخبر ٢/١٨١ حديث رقم ١١٤٤.

(٧) الحديث في الترغيب والترهيب ١/٤٣٩، وليس فيه هذه العبارة، وكذا هو في مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ٢/١١٥ حديث رقم ١٣٥٢ وليس فيه قول المنذري هذا.

ولمالك والستة ـ إلا البخاري ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من نام عن حزبه من الليل، أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل[1].

النهي عن الغلو في القرآن

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، والإمام أحمد، وأبو يعلى، في مسانيدهم، والبزار وأبو عبيد في الفضائل، عن عبد الرحمن بن شبل الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرأوا القرآن، ولاتغلوا فيه، ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به[2].

وفي نسخة، ولا تستأثروا به.

وشك أبو عبيد (فقال)[3]: أو تستكثروا به.

قال الهيثمي: ورجال أحمد ثقات[4].

الغُلُوُّ: المبالغة المؤدية للملل، وهي ضد الجفوة.

والمراد: التوسط والرفق، والاقتصاد.

---

(١) موطأ مالك: كتاب القرآن: باب ما جاء في تحزيب القرآن ١/٢٠٠.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال ٦/٢٩.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من نام عن حزبه ٢/٣٤ حديث رقم ١٣١٣
وسنن النسائي: كتاب قيام الليل، باب متى يقضي من نام عن حزبه من الليل ٣/٢٥٩.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن نام عن حزبه من الليل ١/٤٢٦ حديث رقم ١٣٤٣.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٤٢٨ ـ ٤٤٤.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٦٨.

يُبَيِّنُهُ ما رواه أبو عبيد في الغريب، عن علي رضي الله عنه قال: خير هذه الأمة: النمط الأوسط، يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي[١].

النمط: الطريق. والغالي: المتعمق حتى يخرجه ذلك إلى إكفار الناس كنحو من مذاهب الخوارج، وأهل البدع.

والجافي عنه: التارك له[٢]، وللعمل به.

ولكن القصد بين ذلك.

وروى أبو عبيد في الغريب - أيضاً - عن حذيفة رضي الله عنه، أن من أقرأ الناس للقرآن منافقاً لا يدع واواً ولا ألفاً، يَلْفِتُه بلسانه، كما تلفت البقرة الخَلَى[٣] بلسانها[٤].

اللَّفْت: اللَّيّ[٥].

وفي حديث آخر: «إن الله (عز وجل)[٦] يبغض البليغ من الرجال، الذي يلفت الكلام كما تلفت البقرة الخلاء بلسانها.

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٤٨٢. وهو في الفائق ٣/١٣١.
والنمط: الطريقة، وأيضاً: النوع من الأنواع.
والمعنى: خير الطرق الطريق الأوسط، البعيد عن الغلو والتقصير.

(٢) في د: عنه.

(٣) الخلي - مقصوراً -: الرَّطْبُ من النبات، فإذا يبس فهو حشيش.
راجع: النهاية ٢/٧٥.

(٤) وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه ٣/٣٦٤ حديث رقم ٥٩٨٧ من قول أبي الدرداء.

(٥) قال الزمخشري في الفائق ٣/٣٢٤: ومن ذلك قولهم: فلان يلفت الكلام لفتاً، أي يرسله على عواهنه، لا يبالي كيف جاء.
والمعنى: يقرؤه من غير روية ولا تبصر بمخارج الحروف، وتعمد للمأمور به من الترتيل والترسل في التلاوة غير مبال بمتلوه كيف جاء، كما تفعل البقرة بالحشيش إذا أكلته. وأصل اللفت: ليّ الشيء عن الطريقة المستقيمة. اهـ.

(٦) ساقطة من: د.

وروى أبو يعلى عن حذيفة أيضاً، عن النبي ﷺ قال: إن في أمتي قوماً يقرأون القرآن، ينثرونه نثر الدقل[١]، يتأولونه على غير تأويله.

وروى أبو يعلى بسند ـ قال الهيثمي[٢]: فيه أبو معشر نجيح، وهو ضعيف يُعتَبر بحديثه[٣] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لهذا القرآن شرة[٤]، وللناس عنه فترة، فمن كانت فترته إلى القصد[٥] فنعما هي، ومن كانت فترته إلى الإعراض، فأولئك هم (قوم)[٦] بور.

وروى الشيخان، وأبو داود، والنسائي ـ وهذا لفظ مسلم في أواخر باب الزكاة من روايات جمعتُ بينها ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن عليا رضي الله عنه بعث إلى النبي ﷺ وهو باليمن بذُهَيْبَةٍ في تربتها، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر: الأقْرَعُ بن حابِس الحَنْظَلِيُّ، وعُيَيْنَةُ ابنُ بَدْرٍ الفَزَارِيُّ، وعَلْقَمَةُ بنُ عُلاَثَةَ العامِرِيُّ، ثم أحد بن كِلَاب، وزَيْدُ الخَيْر الطائي ثم أحد بني نبهان. فغضبت قريش فقالوا: يعطي صناديد[٧] نجدِ ويدعنا؟. فقال رسول الله ﷺ: إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم. فجاء رجل

---

(١) قال في النهاية ٢/١٢٧: هو رديء التمر ويابسه، فتراه ـ ليبسه ورداءته ـ لا يجتمع ويكون منثوراً. اهـ بتصرف.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٣) قال الحافظ في التقريب ٢/٢٩٨: ضعيف أَسَنَّ واختلَطَ.

(٤) قال في اللسان ٤/٤٠١: الشرة: النشاط والرغبة، ومنه الحديث الآخر: لكل عابد شرة. اهـ.

وانظر: النهاية لابن الأثير ٢/٤٥٨.

(٥) القصد التوسط بين الطرفين.

(٦) ساقطة من: د.

(٧) قال في النهاية ٣/٥٥: هم أشرافهم وعظماؤهم ورؤساؤهم، الواحد صنديد، وكل عظيم غالب صنديد.

كث اللحية، مشرف الوجنتين[١]، غائر العينين، ناتىء الجبين[٢]، محلوق الرأس، مَشَمَّرُ الإزار.

وفي رواية: فأتاه ذو الخويصرة. وهو رجل من بني تميم فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: فمن يطيع الله إن عصيته، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟. ثم أدبر الرجل، فاستأذن خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ في قتله.

وفي رواية: إن الذي استأذن في قتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقال رسول الله ﷺ: دَعْهُ، فإن له أصحاباً يَحْقِر أحدُكم صلاته مع صلاتهم.

وفي رواية: إنَّ مِنْ ضِئْضِيء[٣] هذا قوماً أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ[٤]، سُفَهَاءُ الأحلام[٥]، (يقولون: مِنْ خَيْر قَولِ البَرِيَّة)[٦]، يقرأون القرآن ـ وفي رواية: يتلون كتاب الله رطبا[٧]، لاِ يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان.

وفي رواية: يمرُقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السهم من الرَّمِيَّة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد[٨].

(١) أصل الشرف: ما علا من الشيء، والمراد: بارز الوجنتين.
(٢) قال في اللسان ١٦٤/١: نتأ الشيء ينتأ نتأ ونتوءاً: انتبر وانتفخ، وكل ما ارتفع من نبت وغيره فقد نتأ، وهو ناتىء.
(٣) قال في النهاية ٦٩/٣: الضئضيء: الأصل، يريد أنه يخرج من نسله وعقبه، اهـ. مختصراً.
(٤) قال في النهاية ٣٥١/١: حداثة السن: كناية عن الشباب وأول العمر.
(٥) قال في جامع الأصول ٨٢/١٠: الأحلام: العقول. والسفه: الخفة في العقل والجهل.
(٦) ساقطة من: د.
(٧) قال النووي: سهلا لكثرة حِفْظِهِمْ.
(٨) وفي رواية: ثمود.
قال النووي ١٦٢/٧: أي قتلا عاماً مستأصلاً، كما قال تعالى: ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾.

وفي رواية عن أبي سعيد: يخرج في هذه الأمة ـ ولم يقل: منها ـ قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم.

وفي رواية: يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم.

وفي رواية: ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون القرآن (يحسبون أنه لهم وهو عليهم. وفي رواية: يقرأون القرآن)[١] لا يجاوز حلوقهم ـ أو حناجرهم ـ يمرُقون من الدين مروق السهم من الرميَّة، فينظر الرامي إلى سهمه، إلى نصله، إلى رصافه[٢]، فيتمادى في الفوقة[٣]، هل علق بها شيء من الدم، آيتهم[٤] رجل أسود، إحدى عضديه (مثل ثدي المرأة، أول مثل البَضْعة تَدَرْدَرُ[٥]، يخرجون) [٦] على حين فُرْقَةٍ من الناس، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق[٧].

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمس

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٢) قال النووي في شرح مسلم ١٦٥/٧: أما الرِّصاف فبكسر الراء وبالصاد المهملة وهو: مدخل النصل من السهم، والنصل هو حديدة السهم.

(٣) قال النووي في شرح مسلم ١٦٥/٧: الفُوق والفُوقة ـ بضم الفاء ـ هو الحز الذي يجعل فيه الوتر.

(٤) علامتهم وأمارتهم.

(٥) قال النووي ١٦٦/٧: البضعة ـ بفتح الباء لا غير ـ وهي القطعة من اللحم وتدردر: معناه: تضطرب وتذهب وتجيء.

(٦) ما بين القوسين زيادة عن صحيح مسلم.

(٧) وفي رواية: يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق.
وفي أخرى: أولى الطائفتين إلى الحق.
وفي أخرى: يلي قتلهم أولاهم بالحق.
راجع: صحيح مسلم ١٦٨/٧.

فوجد، فأُتي به، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت[1].

وروى الطبراني عن جندب رضي الله عنه قال: لما فارقت الخوارج عليا رضي الله عنه، فخرج في طلبهم، وخرجنا معه، فانتهينا إلى عسكر القوم، وإذا لهم دوي كدوي النحل، من قراءة القرآن، وإذا فيهم أصحاب الثَّفِنات، أو أصحاب البرانس.

أي لأنهم صارت لهم في وجوههم - من كثرة السجود - ثفنات البعير. وهو - بالمثلثة والفاء محركة - ركبته وما مس من الأرض من كركرته، فصار غليظا.

وكان رئيسهم يقال له: ذو الثفنات. والله الموفق.

وروى ابن رجب عن عمر ضي الله عنه قال: إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة: منافقٌ يقرأ القرآن، لا يخطىء منه واواً ولا ألفاً، يجادل الناس أنه أعلم منهم ليضلهم عن الهدى.
وذلةُ عالمٍ.
وأئمة مضلون.

(١) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم. وباب التحريض على قتل الخوارج ٧/١٥٩ - ١٧٥.
قال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن: ومضمون هذه الأحاديث: التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القُرَب، كما جاء في الحديث: «واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه» يعني: القرآن.
والمذكورون في حديث علي وأبي سعيد هم الخوارج، وهم الذين لا يجاوز ايمانهم حناجرهم، وقد قال في الرواية الأخرى: «يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم، وصلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم» ومع هذا أمر بقتلهم لأنهم مراءون في أعمالهم في نفس الأمر، وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك، إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقادٍ غير صالح، فكانوا في ذلك كالمذمومين في قوله: «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين» اهـ ص ٩٧.

وفي رواية: إنما أخاف عليكم رجلين: رجل يتأول القرآن على غير تأويله ورجل ينافس الملك على أخيه.

وروى عن معاذ نحوه موقوفاً عليه. ومرفوعاً من وجوه، غير وجه.

وعن أبي الدرداء، وسلمان، رضي الله عنهما.

وروى عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

وفي بعض رواياتهم: وأباحوا النفاق بالقرآن. فإن للقرآن مناراً كمنار الطريق.

ولأحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هلاك أمتي في الكتاب واللِّين[1]. (قالوا: يا رسول الله، ما الكتاب واللين؟، قال: يتعلمون القرآن[2]) فيتأولونه على غير ما أنزل الله (عز وجل)[3] ويحبون اللين، فيدعون الجماعات والجمع[4].

حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن

ولأبي عبيد في الفضائل، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: تعلموا القرآن، واسألوا الله به، قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به[5]. ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه لله تعالى[6].

---

(١) في المسند: اللبن.

(٢) ما بين القوسين زيادة عن المسند.

(٣) زيادة عن المسند.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/١١٥.

(٥) أو يرائي به الناس، ويفتخر به عليهم.

(٦) وله شاهد عند عبد الرزاق في المصنف ٢/٣٧٠ حديث رقم ٦٠٠٠ من طريق عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير مرفوعاً:

«أن النبي ﷺ قال: سيقرأ القرآن ثلاثة: رجل يقرؤه ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه=

وله عن عبادة بن الصامت قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم عليه مهاجر، دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إليَّ رجلاً، فكنت أقرئه القرآن، فأهدي إليَّ قوساً، فأخبرت بذلك النبي ﷺ فقال: جمرة بين كتفيك تقلَّدتها[1].

وله عن أم الدرداء[2]، عن أبي الدرداء[3]، أن أُبَيَّ بن كعب - رضي

= من الله، فذلك ثوابه على الله، ورجل يقرؤه رياء وسمعة ليأكل به في الدنيا، فذلك عليه ولا له، ورجل يقرؤه فلا تجاوز قراءته ترقوته». وعمر بن راشد مختلف فيه. فهو ضعيف.

راجعه: في الميزان ١٩٣/٣ ترجمة رقم ٦١٠١.

(١) وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الإجارة، باب في كسب المعلم ٢٦٥/٣ حديث رقم ٣٤١٧.

وفيه بقية بن الوليد، وهو متكلم فيه.

وأخرجه أبو داود من وجه آخر (حديث رقم ٣٤١٦) وفي إسناده المغيرة بن زياد أبو هاشم الموصلي، وهو متكلم فيه أيضاً.

قال الإمام أحمد: ضعيف الحديث، حدث بأحاديث مناكير، وكل حديث رفعه فهو منكر.

راجع: مختصر سنن أبي داود للمنذري ٧٠/٥.

(٢) اسمها: هُجيمة. وقيل: جهيمة - الأوصابية الدمشقية. قاله في التقريب.

وفي الإصابة ٢٨٨/٤، والتجريد ٣١٩/٢: أن اسمها خيرة بنت أبي حدرد أم الدرداء الكبرى. توفيت قبل أبي الدرداء في خلافة عثمان سنة ٨١ هـ. وأما هجيمة - أو جُهيمة - فهي أم الدرداء الصغرى، وسماها ابن عبد البر: بجيمة، بنت حيى الوصابية.

وقال في الاستيعاب ٤٣٠/٤ على هامش الإصابة: هي أيضاً زوج أبي الدرداء. ولا أعلم لها خبراً يدل على صحبة أو رواية، ومن خبرها: أن معاوية خطبها بعد أبي الدرداء فأبت أن تتزوجه، اهـ.

راجع: الإصابة ٢٨٨/٤، تجريد أسماء الصحابة للذهبي ٣١٩/٢ تقريب التهذيب ٦٢/٢، الاستيعاب لابن عبد البر ٤٣٠/٤ على هامش الإصابة.

(٣) مشهور بكنيته، واختلف في اسمه، فقيل: عويمر. وقيل: عامر. واختلف في اسم أبيه =

الله عنهم ـ أقرأ رجلاً من أهل اليمن سورة، فرأى عنده قوساً، فقال: بعنيها. فقال: بل هي لك. فسأل رسول الله ﷺ عن ذلك. فقال: إن كنت تريد أن تقلّد قوساً من نار فخذها[1].

وفي رواية: لو تقوستها، لتقوست قوساً من نار.

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال لأبي رضي الله عنه: ألم أنهك عن فلان، فاردد القوس عليه، قال: فرددتها عليه[2].

وزاد في هذه الرواية عن أبي رضي الله عنه، أنه قال: كنت أختلف إلى رجل مكفوف أقرئه القرآن، فكنت إذا أقرأته، دعا لي بطعام فأكلت منه، فحاك في نفسي منه شيء، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقلت: يا رسول الله، إني أتاني فلان ابن فلان، فأقرئه القرآن، فيدعو لي بطعام، لا آكل مثله بالمدينة[3]، فقال رسول الله ﷺ: إن كان ذلك الطعام طعامه وطعام أهله الذين يأكلون (فكل)[4]، وإن كان طعاماً يتحفك به[5]، فلا تأكل. قال: فأتيته نحواً مما كنت آتيه، فلما فرغ قال: يا جارية هلمي طعام أخي فقلت له: أهذا طعامك وطعام أهلك الذي تأكل ويأكلون، فقال: لا، ولكني أتحفك به.

= أيضاً، فقيل: عامر. أو مالك. أو ثعلبة. أو عبدالله. أو زيد. وأبوه ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب ابن الخزرج، الأنصاري، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً، وفيها أبلى بلاء حسناً، مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان.

راجع: الإصابة ٣/٤٦، التجريد ٢/١٦٣، التقريب ٢/٩١.

(١) قال القرطبي في التذكار ص ١٠٦: روى عن أبي بن كعب من حديث موسى ابن علي، عن أبيه، عن أبي. وهو منقطع.

(٢) وذكره العلامة علاء الدين الهندي في كنز العمال ٢/٣٤٢ حديث رقم ٤١٩٣ ونسبه إلى النسائي والروياني والمعجم الصغير للطبراني.

(٣) في د: في المدينة.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) يعني: يخصك به ويتكلفه لك. =

قال: قلت: إن رسول الله ﷺ قد نهاني عنه(١).

(١) قال القرطُبي في التذكار ص ١٠٦: ذكره الحليمي في كتاب «منهاج الدين» له. اهـ.
وقد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن.
فذهب جماعة من العلماء إلى ظاهر تلك الآثار، ورأوا أن أخذ الأجرة والعوض على تعليم القرآن غير مباح، ومنهم الزهري وأبو حنيفة وأصحابه واسحاق بن راهويه، وقالوا: لا يجوز أخذ الأجرة على ذلك لأن تعليمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها إلى نية التقرب والاخلاص، فلا يؤخذ عليها أجرة كالصلاة والصيام، واحتجوا بحديث عُبَادة، وحديث أُبَيٍّ وبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: معلموا صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة باليتيم، وأغلظهم على المسكين، وبما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما تقول في المعلمين؟. قال: درهمهم حرام، وثوابهم سحت، وكلامهم رياء.
وذهب جماعة إلى الجواز، أي جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن، منهم مالك والشافعي، وأحمد، وأبو ثور، وكثير من العلماء.
واحتجوا بحديث ابن عباس عند البخاري: أن النبي ﷺ قال: إن أحق ما أخذتم عليه أجراء كتاب الله. وحديث سهيل بن سعد عند أبي داود: أن رجلاً زوجه النبي ﷺ امرأة ولم يجد لها مهراً، فقال له النبي ﷺ: زوجتكها بما معك من القرآن.
فهذا نص يرفع الخلاف ينبغي أن يُعَوَّل عليه. وأما ما احتج به المانعون من القياس على الصلاة والصيام ففاسد لأنه قياس في مواجهة النص، وهذا غير جائز، ثم إن بينهما فرقاً وهو أن الصلاة والصيام عبادة مختصة بالعامل لا يتعدى أثرها إلى غيره، وأما تعليم القرآن فعبادة متعدية لغير المعلم، فتجوز الأجرة على محاولة النقل كتعليم الكتابة، والحياكة وغير ذلك من الأمور.
وأما الأحاديث: فليس منها حديث يصح عند أهل العلم بالحديث.
أما حديث ابن عباس فرواه سعيد بن طريف عن عكرمة، وسعيد متروك.
وأما حديث أبي هريرة فرواه علي بن عاصم عن حماد بن سلمة، وهو حديث لا أصل له.
وأما حديث عُبادة فمداره على المغيرة بن زياد الموصلي، قال ابن عبد البر: معروف بحمل العلم، ولكن له مناكير هذا منها.
قال القرطبي: وليس في الباب حديث يجب العمل به من جهة النقل. اهـ.
وقال الحافظ في الفتح ٤٥٢/٤: إن الأحاديث المذكورة ليس فيها ما تقوم به الحجة، فلا تعارض الأحاديث الصحيحة.
هذا والله تعالى أعلم.

النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود

وللبخاري والنسائي، عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينصرف، حتى يعلم ما يقرؤه[1].

ولمسلم عن علي رضي الله عنه قال: نهاني رسول الله ﷺ أن أقرأ راكعاً، أو ساجداً[2].

ورواه البيهقي في الدعوات، من طريق الشافعي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: إني نهيت أن أقرأ راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فيه في الدعاء فقمن[3] أن يستجاب لكم.

(ورواه[4] أبو عبيد في الغريب، ولفظه: إني قد نهيت عن القراءة في الركوع والسجود، فأما الركوع فعظموا الله فيه، وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم)[5].

ورواه الدارمي في الصلاة من مسنده - عن ابن عباس أيضاً - ولفظه قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم ١/٦٠.
وسنن النسائي: كتاب الغسل والتيمم، باب الأمر بالوضوء من النوم ١/١١٦.
وكتاب الطهارة: باب النعاس ١/٩٩ عن عائشة.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب النهي عن قراء القرآن في الركوع والسجود ٤/١٩٨.

(٣) قال الزمخشري في الفائق ٣/٢٢٥: القَمَنُ والقَمِنُ والقَمين: الجدير.
وقال في النهاية ٤/١١١: أي خليق وجدير.
قال النووي في شرح مسلم ٤/١٩٨: وفيه الحث على الالدعاء في السجود فيستجيب أن يجمع في سجوده بين الدعاء والتسبيح.

(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٩٧.

عنه فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له، ألا إني نهيت أن أقرأ راكعاً، أو ساجداً[١].

فذكره.

البكاء عند قراءة القرآن

وفي جامع الأصول، عن أسماء رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا قرأالقرآن كثير البكاء، في صلاة وغيرها[٢].

ولأبي عبيد في الفضائل والغريب، عن ابن مهدي[٣]، عن حماد بن سلمة[٤] عن ثابت البناني[٥]، عن مطرف بن عبدالله بن الشخير[٦]، عن أبيه رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيـز المِرْجل، من البكاء[٧].

وأخرج الحديث أبو داود (في الصلاة)[٨]، والترمذي في الشمائل، من هذه الطريق، والنسائي في الصلاة والرقائق من غيرها، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما[٩].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب النهي عن القراءة في الركوع والسجود ١/٣٠٤.

(٢) جامع الأصول لابن الأثير ٢/٤٦٦ رقم ٩٢٣.

(٣) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري.

قال الحافظ في التقريب ١/٤٩٩: ثقة ثبت، حافظ، عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. مات سنة ثمان وتسعين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

(٤) ترجمته في الحلية ٦/٢٤٩. وتذكرة الحفاظ ١/٢٠٩، الخلاصة ص ٧٨.

(٥) له ترجمة في الحلية ٢/٣١٨. وتذكرة الحفاظ ١/١٢٥، الخلاصة ص ٤٧.

(٦) له ترجمة في الحلية ٢/١٩٨. وتذكرة الحفاظ ١/٦٤، وشذرات الذهب ١/١٠١.

(٧) غريب الحديث لأبي عبيد ١/٢٢١.

(٨) ساقطة من: د.

(٩) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة ١/٢٣٨ حديث رقم ٩٠٤. =

وفي رواية أبي داود، كأزيز الرحا.

والأزيز يُعْنَى به، غليان جوفه بالبكاء، وأصل الأزيز: الالتهاب والبكاء[1].

وللطبراني عن جرير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إني قارىء عليكم سُورةً، فمن قدر أن يبكي، وإلا فلْيَتَبَاكَ.

ورواه أبو عبيد في الفضائل، عن عبيد بن عمير مرسلا، أنه ﷺ أعادها عليهم ثلاث مرات، فلم يبكِ أحد، فقال في الثالثة: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكَوْا.

ولأبي عبيد، عن سليمان بن سحيم قال: أخبرني من رأى عمر رضي الله عنه يصلي، وهو يترجح، ويتمايل،ويتأوه، حتى لو رآه (غيره)[2] ممن يجهله لقال: أصيب الرجل، وذلك لذكر النار، إذا مر بقوله تعالى: ﴿ **وإذا ألقوا منها مكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِك ثُبُوراً، لا تدعو اليوم ثبوراً واحداً** ﴾[3] وشِبْه ذلك[4].

ما يفعله مدعو الأيمان عند سماع القرآن

وله عن أبي حازم قال: مَرَّ ابنُ عمر رضي الله عنهما برجل من أهل العراق ساقط والناس حوله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: إذا قرىء عليه القرآن،

= وسنن النسائي: كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة ١٣/٣.

وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب الدليل على أن البكاء في الصلاة لا يقطع الصلاة ٥٢/٢ حديث رقم ٩٠٠.

ورواه الإمام أحمد في المسند ٢٥/٤، ٢٦.

(١) قال في نهاية ٤٥/١: مأخوذ من أزيز المرجل وهو الغليان.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) سورة الفرقان: آية ١٣ ـ ١٤.

(٤) من الآيات التي تذكِّر بالنار وتحذر من الوقوع فيها.

أو سمع الله يذكر، خَرَّ من خشية الله، فقال ابن عمر: والله إنا لنخشى الله، وما نسقط.

وله عن عكرمة قال: سألت أسماء ـ يعني: بنت أبي بكر رضي الله عنهما ـ: هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف؟ فقالت: لا، ولكنهم كانوا يبكون.

وله عن أنس رضي الله عنه، أنه سئل عن القوم يُقرأ عليهم القرآن فيصعقون؟ فقال: ذاك فعل الخوارج.

وله عن محمد بن سيرين وسئل عن رجل يقرأ عنده القرآن فيصعق، قال: ميعاد ما بيننا وبينهم: أن يجلس على حائط، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن وقع، فهو كما قال.

وقال ابن الجوزي في تفسير (سورة)[١] الزمر من «زاد المسير»: وهو عند ابن رجب عن أبي نعيم[٢].

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير[٣]: جئت أبي فقال: أين كنت؟، فقلت: وجدت قوماً ما رأيت خيراً منهم قط، يذكرون الله عز وجل، فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عز وجل، فقعدت بينهم، فقال: لا تقعد معهم بعدها.

قال: فرآني كأنه لم يأخذ ذلك فيَّ، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يتلوان القرآن فلا يصيبهم هذا من خشية الله، أفتراهم أخشى لله من أبي بكر وعمر؟.

قال: فرأيت أن ذلك كذلك، فتركتهم.

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) لم أجده في زاد المسير في الموضع المشار إليه، ط / المكتب الإسلامي.

(٣) له ترجمة في الحلية ٣/١٦٦.

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلت لجدّتي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرىء عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله تعالى: تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم. فقلت: إن ناساً اليوم إذا قرىء عليهم القرآن، خرّ أحدهم مغشياً عليه؟. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وكان خوات[1] يرعد عند الذكر. فقال له إبراهيم: إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتدّ بك، وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك.

وفي التبيان للنووي عن ابن أبي صالح قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجعلوا يقرأون القرآن ويبكون. فقال أبو بكر رضي الله عنه: هكذا كنا.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه صلى بالجماعة الصبح، فقرأ سورة يوسف عليه السلام، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته.

وفي رواية: فبكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف. انتهى[2].

وقال ابن رجب: إن ابن عمر رضي الله عنهما قيل له: إن قوماً إذا قرىء عليهم القرآن يرقد أحدهم من خشية الله؟. قال: كذبت. قال المخبر له: بلى والله، قال: ويحك إن كنت صادقاً، فإن الشيطان ليدخل جوف أحدهم والله ما هكذا أصحاب محمد ﷺ.

قال: وكذلك أنكر ذلك من التابعين خلق، منهم: ابن سيرين، وقتادة

---

(١) هو خوات بن جُبَيْر الأنصاري، صحابي. مات سنة أربعين هجرية.
راجع: تقريب التهذيب ٢٢٩/١، والتجريد ١٦٢/١ ترجمة رقم ١٦٩٠. وفي زاد المسير ١٧٧/٧: جوّاب. وهو خطأ.

(٢) التبيان ص ٦٨.

وتلى قوله تعالى: ﴿ تقشعر[1] منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾[2].

ثم قال: هذا نعت أولياء الله: تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم، إنما هذا من أجل البدع، وهذا من الشيطان.

ثم قال ما حاصله: إن ذلك قد يحصل للصالح، لكن حال الصحابة رضي الله عنهم: أنهم يحملون ما يَرِدُ عليهم لقوة علمهم وإيمانهم، فلم يظهر

---

(١) سورة الرمز آية ٢٣.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٥٠: أي هذه صفات الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمونه منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف وثَمَّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفُجّار من وجوه:
أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات.
الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا، بأدب وخشية ورجاء، ومحبة وفَهْمٍ وعِلْم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وَجِلتْ قلوبُهم، وإذا تُليتْ عليهم آياتُه زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجاتٌ عند ربهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريم ﴾. وقال تعالى: ﴿ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُمًّا وعُمْياناً ﴾.
أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين ولا هين عنها، بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها، فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم.
الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله، لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون بما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون، والأدب والخشية، ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة.

ما يظهر على من ضعف حاله، فإن كان مغلوباً لا تَسَبُّبَ له في ذلك، فهو معذور[1].

كراهة الجمع بين سورتين فأكثر في الركعة الواحدة

ولأبي عبيد عن ابن سيرين، أنه حدَّث أبا العالية، أن ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ عشر سور في ركعة، فقال: قد كنت أفعله، حتى حدثني مع سمع النبي ﷺ يقول: لكل سورة حَظُّها من الركوع والسجود.

وله عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رجلاً أتاه فقال: قرأت القرآن في ليلة ـ أو قال: في ركعة ـ فقال ابن عمر: أفعلتموها؟، لو شاء الله لأنزله جملة واحدة، وإنما فصله لِتُعْطَى كلُّ سورة حظَّها من الركوع والسجود.

وله عن غياث[2] بن رزين، عن شيخ من المعافر، ذكر منه صلاحاً وفضلاً حدثه أن رجلاً يُقال له: عَبَّاد، كان يلزم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وكان امرءاً صالحاً، فكان يقرأ القرآن، ويَقْرِن بين السور في الركعة الواحدة، فبلغ ذلك عبد الله بن عمرو، فأتاه عباد يوماً، فقال عبد الله بن عمرو: يا خائن أمانته ثلاث مرات، فاشتد ذلك على عباد، فقال: غفر الله لك، أي أمانة (بلغك)[3] أني خنتها؟.

فقال أُخبرت أنك تجمع بين السورتين في الركعة الواحدة، فقال: إني

---

(١) قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٢/٣٣١: ولعمري إن الصادق منهم عظيم القدر، لأنه لولا حضور قلب حي، وعلم معنى المسموع وقدره واستشعار معنى مطلوب يتلمح منه، لم يحصل ذلك. لكن الحال الأول أكمل، فإنه يحصل لصاحبه ما يحصل لهؤلاء وأعظم، مع ثباته وقوة جنانه، رضي الله عن الجميع، لكن كثير من المتأخرين لا يُصَدَّق في هذا الحال، فسبحان علام الغيوب، ونعوذ بالله من كل رياء وسمعة. اهـ.

(٢) في فتوح مصر: قباث.

(٣) ساقطة من: د.

لا أفعل ذلك، فقال: فكيف يوم تأخذك كل سورة بركعتها وسجدتها، أما إني لم أقل لك إلا ما قال لي رسول الله ﷺ.

ورواه ابن عبد الحكم ـ أيضاً ـ في فتوح مصر بنحوه[1].

وقد صح أن النبي ﷺ جمع بين سور في ركعة، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في سورة النساء.

فيجمع: بأن هذا أولى[2].

وذلك[3] لبيان الجواز، أو لعلة اقتضت ذلك[4].

---

(١) فتوح مصر ص ٢٥٧.

(٢) أي أن إفراد كل ركعة بسورة أولى من الجمع بين السورتين فأكثر في الركعة الواحدة.

(٣) يعني ما ورد من الجمع بين سورتين في ركعة.

(٤) قال النووي في التبيان ص ٩٢: لا بأس بالجمع بين سورتين في ركعة واحدة، فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين في الركعة، وقد قدمنا عن جماعة من السلف قراءة الختمة في ركعة واحدة.

وقال في المجموع ٢/٣٨٥: ويجوز أن يجمع بين سورتين فأكثر في ركعة للحديث السابق. اهـ.

وفرق ابن قدامة ـ من فقهاء الحنابلة ـ بين صلاة الفرض وصلاة النافلة فقال في المغني ١/٤٩٤: ولا بأس بالجمع بين السور في صلاة النافلة فإن النبي ﷺ قرأ في ركعة سورة البقرة وآل عمران والنساء وقال ابن مسعود: لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل، سورتين في ركعة متفق عليه، وكان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن في ركعة. وروى ذلك عن جماعة من التابعين.

وأما الفريضة: فالمستحب أن يقتصر على سورة مع الفاتحة من غير زيادة عليها، لأن النبي ﷺ هكذا كان يصلي أكثر صلاته، وأمر معاذاً أن يقرأ في صلاته كذلك. وإن جمع بين سورتين في ركعة ففيه روايتان:

أحداهما: يكره لذلك.

والثانية: لا يكره، لأن حديث عبدالله بن مسعود مطلق في الصلاة فيتحمل أنه أراد الفرض. وقد روى الخلال باسناده عن ابن عمر: أنه كان يقرأ في المكتوبة بالسورتين في ركعة. اهـ.

(والله أعلم)[1]

ما جاء في الصعق عند قراءة القرآن

وفي جامع الأصول عن أسماء رضي الله عنها قالت: القرآن أكرم من أن يزيل عقول الرجال، ما كان أحد من السلف يغشى عليه، ولا يصعق عند قراءة القرآن وإنما كانوا يبكون ويقشعرون، ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله[2].

ولأبي عبيد عن عائشة رضي الله عنها نحوه، ولفظه: أنه قيل لعائشة رضي الله عنها أن قوماً إذا سمعوا القرآن صعقوا، فقالت: القرآن أكرم من أن تنزف[3] عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **تَقْشَعِرُّ منه جلوُد الذين يَخْشَوْن ربهم ثم تَلِينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكر الله** ﴾.

ذم الرياء بقراءة القرآن

ولمسلم والترمذي، والنسائي وابن خزيمة، وابن حبان، في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ أنه إذا كان يوم القيامة، وكلُّ أمةٍ جاثيةٍ[4]، فأول[5] من يدعو به الله تعالى للقضاء: رجلٌ

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) جامع الأصول ٤٦٦/٢، ٤٦٧ حديث رقم ٩٢٤ من كلام عائشة وحديث رقم ٩٢٥ من كلام أسماء.

(٣) أي لا تغيب وتذهب عنه عقولهم بسببه.
راجع: التهذيب ٢٢١/١٣.

(٤) المراد بالأمة: أهل كل ملة. والجاثي: المستوفز الذي لا يصيب الأرض منه إلا ركبتاه وأطراف أنامله.
وذلك يكون من الناس عند الحساب، قال القرطبي ١٣٢/١١: لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم، فيجثون على ركبهم جثّوا. اهـ.

(٥) في د: فكل.

جمع القرآن، ورجلٌ قُتل في سبيل الله، ورجلٌ كثيرُ المال، فيقول الله عزّ وجل للقارىء: ألم أعلِّمْك ما أنزلت على رسولي فما عملت فيها علمتَ؟. قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله عز وجل له: كذبتَ، وتقول الملائكة له: كذبتَ. ويقول الله تعالى: بل أردتَ أن يقال: فلان قارىء، وقد قيل ذلك.

وذكر الباقي إلى أن قال: ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي وقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة[1].

وروى الطبراني في الجزء الذي انتقاه عليه أبو بكر بن مردويه، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: الزبانية أسرع إلى فَسَقَة قراء القرآن، منهم إلى عبدة الأوثان. فيقولون[2]: يُبْدَأُ بنا قبل عبدة الأوثان؟. فيقال لهم: ليس مَنْ عَلِمَ كمَنْ لا يعلم.

وروى الطبراني في الأوسط - وفيه بكير بن شهاب الدامغاني، قال الهيثمي: وهو ضعيف[3] - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وهو يقول: عوذوا بالله من جُبِّ الحزن، قالوا: يا رسول الله وما جب الحزن؟. قال: جب في واد في قعر جهنم، تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة، أعد للقراء المرائين بأعمالهم، وأن أبغض الخلق إلى الله، قارىء يُزَوِّرُ العمل.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة ١٣/ ٥٠.
وصحيح الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة ٤/ ١٩ حديث رقم ٢٤٨٩.

(٢) في د: فيقول.

(٣) مجمع الزوائد ٧/ ١٦٨.

لا يتكلم القارىء بكلام آخر وهو يقرأ

قال النووي في التبيان: وليعتد[١] بما رواه ابن أبي داود عن (ابن)[٢] عمر رضي الله عنهما، أنه كان إذا قرأ القرآن، لا يتكلم حتى يفرغ مما أراد أن يقرأه[٣].

ورواه البخاري في صحيحه وقال: لم يتكلم حتى يفرغ منه.

ذكره في كتاب التفسير[٤] في قول الله تعالى: ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾[٥].

ولأبي داود ـ قال الإمام صدر الدين المناوي[٦] في «تخريج أحاديث المصابيح»: وسنده جيد، وله شواهد في صحيح مسلم وغيره ـ عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين، إن بعضهم ليستتر ببعض من العرى، وقارىء يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله ﷺ، فقام

---

(١) في د: فليعتد.

(٢) ساقطة من د وزيدت عن م. والبخاري وابن أبي داود.

(٣) لم أعثر عليه في التبيان.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ نساؤكم حرث لك ﴾ ٦/٧٣٥

(٥) سورة البقرة آية ١٢٣.

قال الإمام أبو عبدالله القرطبي في التذكار: يستحب إذا أخذ في سورة لم يُشْغَلْ عنها حتى يفرغ منها، إلا من ضرورة، وكذلك إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة، ولا يخللها بكلام الآدميين من غير ضرورة، فإن فيه استخفافاً بالقرآن، كما لو قطع مكالمة أحد فيحدث غيره ممن هو دونه فإن فيه استخفافاً بذلك، ولأن في اتباع القرآن بعضه بعضاً بالقراءة من البهجة ما يظهر عند الاتباع، ويخفي عند التقطيع، وفي سلب زينة القرآن فلذلك كان مكروهاً اهـ. ص ١٠٩.

(٦) هو قاضي القضاة صدر الدين أبو المعالي محمد بن ابراهيم بن اسحاق ابن ابراهيم بن عبد الرحمن المناوي، توفي غريقاً في الفرات سنة ٨٠٣ هـ.

راجع: الرسالة المستطرفة ص ١٥٢.

علينـا، فلما قام[1] رسـول الله ﷺ سكت القـارىء، ثم قـال: مـا كنتم تصنعون؟ قلنا: كنا نستمع إلى كتاب الله، فقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أُمرت أن أصبر نفسي معهم، قال: فجلس وسطنا، ليعدل بنفسه فينا، ثم قال بيده: هكذا فتحلقوا، وبرزت وجوههم، فقال: أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك خمسمائة سنة[2].

الوقت الذي يستحب فيه ختم القرآن

وروى الدارمي عن جماعة ـ منهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ـ قالوا: إذا قرأ الرجل القرآن نهاراً، صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وإن قرأه[3] ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح.

قال سليمان ـ يعني الأعمش ـ: فرأيت أصحابنا يعجبهم أن يختموه أول النهار وأول الليل[4].

ولفظ سعد رضي الله عنه: إذا وافق ختم القرآن أول الليل، صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن وافق ختمه آخر الليل، صلت عليه الملائكة حتى يمسي فربما بقي على أحدنا الشيء فيؤخره حتى يمسي، أو يصبح[5].

قال أبو محمد: هذا حسن عن سعد، انتهى[5].

---

(١) في د: قدم. والتصويب عن م وسنن أبي داود.

(٢) سنن أبي داود: كتاب العلم، باب في القصص ٣/٣٢٣ حديث رقم ٣٦٦٦.

(٣) في د: وإذا.

(٤) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن ٢/٣٣٧ حديث رقم ٣٤٨٠.

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن ٢/٣٣٧ حديث رقم ٣٤٨٦.

ومن المعلوم: أن مثل هذا، لا يقال من قبل الرأي، فهو مرفوع حكماً، والله الموفق.

ورواه أبو عبيد في الفضائل، فقال: حدثنا هشيم، أنبأنا العوام، عن ابراهيم التيمي قال: كان يقال: الرجل يختم القرآن في أول النهار صلت عليه الملائكة بقية يومه، وإذا ختمه أول الليل، صلت عليه الملائكة بقية ليلته قال: فكانوا يستحبون أن يختموا في أول النهار، أو في أول الليل.

وله في الفضائل - أيضاً - عن أبي قلابة[1] مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: من شهد خاتمة القرآن، كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن، كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله.

فضيلة الدعاء عند ختم القرآن

وله عن ابن[2] مسعود رضي الله عنه قال: من ختم القرآن، فله دعوة مستجابة فكان عبد الله إذا ختم القرآن جمع أهله، ثم دعا وأمنوا على دعائه.

وله عن قتادة قال: كان بالمدينة رجل يقرأ القرآن من أوله إلى آخره، على أصحاب له، فكان ابن عباس رضي الله عنهما يضع عليه الرقباء، فإذا كان عند الختم، جاء ابن عباس رضي الله عنهما فشهد (ذلك)[3].

وفي التبيان للنووي: أنه رواه الدارمي[4]، وابن أبي داود[5].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ٤١٧/١: هو عبدالله بن زيد ابن عمرو - أو عامر - الجرمي، أبو قلابة البصري، ثقة فاضل، كثير الإرسال مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة.

وقال الذهبي في الميزان ٤٢٦/٢: ثقة في نفسه، إلا أنه يدلس عمن لحقهم، وعمن لم يلحقهم.

(٢) في د: أبي.

(٣) زيادة عن التبيان.

(٤) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن ٣٣٦/٢ حديث رقم ٣٤٧٥.

(٥) لم أعثر عليه في كتاب المصاحف لابن أبي داود.

وقال: وروى ابن أبي داود عن عمرو[1] بن مرة التابعي قال: كانوا يحبون أن يختم القرآن[2] من أول الليل، أو من أول النهار.

وعن طلحة بن مصرِّف التابعي الجليل قال: من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار، صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح.

وعن مجاهد نحوه[3].

وقال: وروى ابن أبي داود بأسانيده الصحيحة عن الحكم بن عتيبة[4] التابعي الجليل قال: أرسل إليَّ مجاهد وعنده ابن أبي لبابه[5]، فقالا: إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن، والدعاء يستجاب عند ختم القرآن.

وفي بعض الروايات الصحيحة، أنه كان يقال: إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن. انتهى[6].

وللطبراني عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ صلَّى صلاةً فرضيةً فله دعوةٌ مستجابةٌ، ومن خَتَم القرآن فله دعوة مستجابة.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف[7]. ؟

وله عن ثابت، أن أنس بن مالك رضي الله عنه، كان إذا ختم القرآن، جمع أهله وولده، فدعا لهم.

---

(١) في د: عمر.

(٢) في د: الختم. والتصويب عن م والتبيان للنووي.

(٣) في التبيان: مثله.

(٤) في التبيان: عيينة.

(٥) في التبيان: أرسل إلى مجاهد وعتبة بن لبابة.

(٦) التبيان ص ١١١.

(٧) مجمع الزوائد ١٧٢/٧.

وراجع: ترجمة عبد الحميد في الميزان ٥٤١/٢ ترجمة رقم ٤٧٧٧.

قال الهيثمي: رجاله ثقات[1].

ورواه ابن أبي داود - كما قال النووي في التبيان[2] - بإسنادين صحيحين عن قتادة قال: كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن، جمع أهله ودعا.

قال: وروى الدارمي بإسناده عن حميد الأعرج قال: من قرأ القرآن ثم دعا أمَّن على دعائه أربعة آلاف ملك. انتهى[3].

إنزال القرآن من سبعة أبواب

ولأحمد والطبراني، وابن أبي داود في كتاب المصاحف، عن فلفلة الجعفي قال: فزعت فيمن فزع إلى عبد الله[4] في المصاحف، فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكن جئنا (حين)[5] راعنا هذا الخبر؟. فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو قال: حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، معناهما واحد[6].

قال الهيثمي: وفيه عثمان بن حسان العامري، ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه، ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات. انتهى[7].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٧٢.
(٢) التبيان للنووي ص ١١١.
(٣) التبيان ص ١١٢.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن ٢/٣٣٧.
حديث رقم ٣٤٧٤.
(٤) هو عبد الله بن مسعود، كما في المصاحف لابن أبي داود ص ١٨.
(٥) ساقطة من: د.
(٦) مسند الإمام أحمد ١/٤٤٥.
وكتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٨.
(٧) مجمع الزوائد ٧/١٥٢.

وحديث الأبواب هذا روى من أوجه كثيرة.

رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده.

وكذا أبو يعلى الموصلي في مسنده، ومن طريقه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في كتاب المدخل.

ومثله لا يقال بالرأي، فهو مرفوع حكماً.

وفي بعض الطرق التصريح برفعه إلى النبي ﷺ، وفيه تفسير السبعة الأحرف: بزاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال[1].

ورواه الإمام أحمد عن ابن مسعود مختصراً[2].

---

(١) نقل الطحاوي عن أحمد بن أبي عمران أنه قال: من قال في تأويل السبعة الأحرف هذا القول فتأويله فاسد، لأنه محال أن يكون الحرف منها حراماً لا ما سواه، أو يكون حلالاً لا ما سواه، لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كله، أو حرام كله، أو أمثال كله.

قال أبو شامة: وعندي لهذا الأثر ـ أيضاً ـ تأويلان آخران:

أحدهما: ذكره أبو علي الأهوازي في كتاب «الإيضاح»، والحافظ أبو العلاء في كتاب «المقاطع»: أن قوله ﴿زاجر وآمر ـ إلى آخره ـ استئناف كلام آخر، أي هو كذلك، ولم يرد به تفسير الأحرف السبعة وانما توهم ذلك من توهمه، لاتفاقهما في العدد، وهو السبعة. وروى: زاجراً، وآمراً، بالنصب، أي نزل على هذه الصفة من سبعة أبواب على سبعة أحرف، ويكون المراد بالأحرف غير ذلك.

التأويل الثاني: أن يكون ذلك تفسيراً للأبواب، لا للأحرف، أي هذا سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه وأنواعه، أي أنزله الله تعالى كائناً من هذه الأصناف، لم يقتصر به على صنف واحد، بخلاف ما يحكى أن الإنجيل كله مواعظ وأمثال.

راجع: المرشد ص ١٠٨.

(٢) المسند ١/٤٤٥ ولفظه:

فقال ـ يعني ابن مسعود ـ: إن هذا القرآن نزل على نبيكم ﷺ من سبعة أبواب، على سبعة أحرف ـ أو قال: حروف ـ وان الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد، على حرف واحد.

وعزاه شيخنا العلامة مقرىء زمانه شمس الدين محمد، بن محمد، بن محمد ابن علي، بن الجزري، الدمشقي الشافعي، في أوائل كتابه[١] «النشر في القراءات العشر» إلى الطبراني، من حديث عمر بن أبي سلمة المخزومي رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لابن مسعود: إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد، وإن القرآن أنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وضرب أمثال، وأمر وزجر، فأحل حلاله، وحرم حرامه، واعمل بمحكمه، وقف عند متشابهه، واعتبر أمثاله، فإن كُلًّا من عند الله وما يذكَّر إلا ألوا الألباب[٢].

وكذا أخرجه الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني، عن عمر بن أبي سلمة به، وقال: وفيه عمار بن مطر، وهو ضعيف جداً[٣]، وقد وثقه بعضهم. انتهى[٤].

---

(١) في د: كتاب.

(٢) قال أبو شامة في المرشد الوجيز ص ١٠٧ ـ نقلاً عن ابن عبد البر ـ: هذا حديث عند أهل العلم لم يثبت، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود. وابنه سلمة ليس ممن يحتج به، وهذا الحديث مجتمع على ضعفه من جهة إسناده، وقد رده قوم من أهل النظر، منهم أحمد بن أبي عمران، فيما سمعه الطحاوي منه. اهـ.
وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٩/٩: وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم، وفي تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود. وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري، عن أبي سلمة مرسلاً، وقال: هذا مرسل جيد اهـ.

(٣) قال الذهبي في الميزان ١٦٩/٣: هالك، وثقة بعضهم، ومنهم من وصفه بالحفظ.
قال: وقال العقيلي: يحدث عن الثقات بمناكير.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣٩٤/٦: سمع منه أبي وسألته عنه فقال: كتبت عنه وكان يكذب. اهـ.
ونقل الذهبي عن ابن عدى قوله: أحاديثه بواطيل.

(٤) مجمع الزوائد ١٥٣/٧.

وَقَد عَدَّ الحروف سبعاً، فلما سَبَّب عنها قوله: «فأحل حلاله» إلى آخره، جعلها خمساً، فأسقط الأمر والنهي، لدخولها في الحلال والحرام.

وذلك موافق لما رواه البيهقي في فضل القرآن من «الشُّعب» عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: نزل القرآن على خمسة أوجه: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال.

والمراد - والله أعلم - بالباب: الحسي. وبالحرف الواحد من الكتاب الأول: اللغة التي هي الروايات في الألفاظ.

فتصير خاصة القرآن في هذا الحديث: نزوله من سبعة أبواب من أبواب السماء. والمراد بالحروف التي فُصِّل إليها القرآن في هذا الحديث: الوجوه المذكورة[1].

والمراد بها في الأحاديث الآتية: اللغات التي خص القرآن من بيت الكتب السالفة بجواز القراءة بها، على أنها (قراءة)[2]، لا ترجمة وتفسير، تبنيها على عموم الدعوة، وشرف اللغة التي نزل بها واتساعها، والتخفيف على أهلها.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير في مقدمة التفسير: كل كتاب تقدم نزوله كتابنا فإنما نزل بلسان واحد، متى حُوِّل إلى غيره، كان ترجمة له وتفسيراً لا تلاوة، وكتابنا أنزل بألسن سبعة، بأي واحد منها تلاه التالي، كان تالياً له على ما أنزل الله، ولا يصير مترجماً له (ولا)[3] مفسراً، حتى يتحول عن جميع تلك الألسن السبعة إلى غيرها.

فهذا معنى قوله ﷺ: كان الكتاب الأول ينزل على حرف واحد، ونزل القرآن على سبعة أحرف[4].

(١) تقدم قريباً الاعتراض على هذا التفسير للأحرف السبعة.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) تفسير ابن حرير ١/٣١.

لكل آية ظهر وبطن وحد ومطلع

وروى البغوي في «شرح السنـة»، عن علي بن زيـد، عن الحسن البصري مرسلاً أن النبي ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية ظهر وبطن، ولكلٍّ حد ومطلع[١].

ورواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى ورجاله ثقات، والبزار[٢].

قال ابن رجب: وابن حبان في صحيحه، وابن جرير[٣].

وفي رواية للطبراني: أن عبد الله[٤] رضي الله عنه قال: إن هذا القرآن ليس منه حرف، إلا له حد، ولكلٍّ حدٌّ مطلع.

وسياق ابن رجب: قال رسول الله ﷺ: لو كنت متخـذاً من أهل الأرض خليلاً، لا اتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله، وإن القرآن نزل على سبعة أحرف، لكل آية ظهر وبطن، ولكلٍّ حدٌّ ومطلع.

وقال: غريب جداً.

ولعل آخر الحديث مُدْرَجٌ من قول ابن مسعود[٥] رضي الله عنه، فإنه قد روى من قوله من وجه آخر، أخرجه أبو نعيم بإسناد غريب.

وذكر الظهر والبطن روى من أوجه كثيرة.

---

(١) شرح السنة ١/٢٥٠ حديث رقم ١٢٠.
وما ذكره المؤلف فهو من رواية عبد الله بن مسعود، كما في شرح السنة وأما رواية الحسن فسيوردها بعد قليل عن أبي حاتم الرازي وأبي عبيد.

(٢) قال في مجمع الزوائد ٧/١٥٢: ورجال البزار أيضاً ثقات.

(٣) تفسير ابن جرير ١/٧٢.

(٤) هو عبد الله بن مسعود.

(٥) وهذا أوجه ما يقال فيه، لأن لصدر الحديث أصلاً في الصحيح، وأما عجزه فلا علاقة له بصدره.

منها: عند ابن حميد ـ ونحوه ـ في كتاب «الأدب»، عن عبد الرحمن بن عوف القرشي[1]، وليس أحد العشرة، بل غيره.

قال أبو حاتم الرازي[2] وغيره: ورواه أبو عبيد في الفضائل والغريب عن الحسن رحمه الله، ولفظه: ما أنزل الله آية، إلا لها ظهر وبطن، ولكل حرف حدٌّ، ولكلِّ حد مطلع[3].

تفسير الظهر والبطن والحد والمطلع

وقال الحسن: الظهر هو الظاهر، والبطن هو السر، من قول الجاهلية: ضربت أمري ظَهْراً لِبَطْنٍ.

والحد: هو الحرف الذي فيه علم الخير والشر.

---

(١) كذا بالأصل: «القُرشي»، ولعله عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي قاضي حمص، مذكور في عداد الصحابة. ونقل ابن حجر في الإصابة ٩٨/٣ والذهبي في التجريد ٣٥٣/١: أنه من تابعي أهل حمص وهو من الثقات. وأما عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري، صحابي مشهور.

(٢) هو أبو حاتم محمد بن ادريس بن المنذر، الرازي الحنظلي، قال في الرسالة المستطرفة: الحافظ المشهور، من أقران البخاري ومسلم، المتوفي سنة خمس ـ أو سبع ـ وسبعين ومائتين. اهـ.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ١٢/٢.
وذكره البغوي في شرح السنة ٢٥٠/١.
قال ابن جرير في مقدمة التفسير ٧٢/١: وقوله: ﴿وان لكل حد من ذلك مطلعاً﴾ فإنه يعني أن لكل حد من حدود الله التي حدها من حلال وحرام، وسائر شرائعه، مقداراً من ثواب الله وعقابه، ويعاينه في الآخرة ويطلع عليه، ويلاقيه في القيامة، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء، لافتديت به من هول المطلع﴾، يعني بذلك: ما يطلع عليه، ويهجم عليه من أمر الله بعد وفاته.

والمطلع: الأمر والنهي.

وفي رواية أنه قيل: إنها المطلع. قال: يطلع قوم يعملون به[1].

وقال أبو عبيد في الغريب: أحسبه ـ يعني: الحسن ـ ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما من حرف ـ أو قال: آية ـ إلا قد عمل[2] بها قوم، أو: لها قوم سيعملون[3] بها.

فإن كان هذا إلى هذا، فهو وجه.

وإلا، فإن المطلع في كلام العرب، هو المأتي الذي يؤتي منه، حتى يعلم علم القرآن من ذلك المأتي.

والمصعد: يصعد إليه في معرفة علمه.

وقال في كتاب الغريب أيضاً في تفسير «هول المطلع»: قال الأصمعي: المطلع: موضع الاطلاع من إشراف[4] إلى نجد[5].

قال أبو عبيد: فشبه ما أشرف عليه من أمر الآخرة بذلك.

وقد يكون المطلع: المصعد من أسفل إلى المكان المشرف، وهذا من الأضداد.

وقال أبو عمرو: مطلع: مأتى، يؤتي منه.

---

(١) في د: يعلمون.
(٢) في د: علم.
(٣) في د: سيعلمون.
(٤) الشرف: كل نَشَزٍ من الأرض قد أشرف على ما حوله.
والنجد: الارتفاع، وهو خاص بما ارتفع من الأرض وكان صلباً.
راجع: تهذيب اللغة ١٠/٦٦٢، ١١/٣٤٤.
(٥) غريب الحديث ٢/١٢.

وهو شبيه المعنى بالقول الأول. يقال: مطلع هذا الجبل من مكان كذا أي مصعده ومأتاه.

والظهر والبطن: قال الحسن: العرب تقول: قلَّبت أمري ظَهْراً لِبَطْن.

وقال غيره: الظهر: لفظ القرآن، والبطن: تأويله[1].

وفيه قول ثالث ـ وهو عندي أشبه الأقاويل بالصواب ـ وذلك: أن الله تعالى قد قص أنباء القرون الظالمة، فأخبر بذنوبهم، وما عاقبهم به، فهذا هو الظهر.

إنما هو حديث حدثك به عن قوم، فهو في الظاهر خبر.

وأما الباطن منه: فإنه صيَّر ذلك الخبر عظة لك، وتحذيراً وتنبيهاً أن تفعل فعلهم، فيحل بك ما حل بهم من عقوبة، انتهى[2].

فصار الذي تحصل من هذا أن الظهر: ما كان فهمه ظاهراً من الكلام.

والبطن: ما اختص بفهمه الفَطِنُ من المعاني التي لا يوصل إليها إلا بالتأمل.

والحد: غاية ما ينتهي إليه من الظاهر والباطن.

فإن الحد: طرف الشيء. والمطلع: الطريق الموصل إلى ذلك الحد.

(فالمراد منه: أن الله سبحانه لم يخاطبنا بشيء إلا وفهمُه ممكنٌ، إما للكافة أو للخاصة، أو لخاصة الخاصة الذين يطلعهم الله تعالى على ذلك الطريق الموصل إلى الحد)[3] والله أعلم.

---

(١) راجعه في شرح السنة للبغوي ١/٢٥١.
(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١٣.
راجع: شرح السنة للبغوي ١/٢٥١.
(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

وقال الإمام شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي[١] في الباب الثاني من كتاب «عوارف المعارف» بعد رواية أثر عبد الله بن مسعود هذا: وهذا الكلام محرض لكل صاحب همة، أن يصغي إلى موارد الكلام، ويفهم دقائق معانيه، وغامض أسراره من قلبه.

فللصوفي ـ بكمال الزهد في الدنيا، وتجريد القلب عما سوى الله تعالى ـ مطلع من كل آية، وله بكل مرة في التلاوة مطلع جديد، وفهم عتيد، وله بكل فهم عمل جديد.

فَفَهْمُهُمْ يدعو إلى العمل، وعملهم يجلب صفاء الفهم، ودقيق النظر في معاني الخطاب. فمن الفهم علم، ومن العلم عمل، والعلم والعمل يتناوبان فيه، وهذا العمل آنفاً، إنما هو عمل القلوب، غير عمل القالب، وأعمال القلوب ـ للطفها وصقالتها ـ مشاكلة للعلوم، لأنها نيات وطويات، وتعلقات روحية وتأدبات قلبية، ومسامرات سرية، وكلما أتوا بعمل من هذه الأعمال رفع لهم علم من العلم، وأطلعوا على مطلع من فهم الآية جديد.

ويخالج سرى أن يكون المطلع ليس بالوقوف بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر في الآية، ولكن المطلع: أن يطلع عند كل آية على شهود المتكلم بها لأنها مستودع وصف من أوصافه، ونعت من نعوته، فتتحدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها، ويصير له مراء[٢] منبئة عن عظيم الجلال.

---

(١) هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله، بن محمد، بن عبد الله، القرشي التيمي، البكري، الشافعي، صوفي، فقيه، ولد بسهرورد بفارس، وقدم إلى بغداد، وعمي في آخر حياته. ومن تصانيفه: رغبة البيان في تفسير القرآن، عوارف المعارف، بهجة الأبرار. وتوفي في أول المحرم سنة ٦٣٢ هجرية.
راجع: البداية والنهاية ١٣/١٣٨، شذرات الذهب ٥/١٥٣، وفيات الأعيان ١/٤٨٠.

(٢) جمع مرأي.

ولقد نقل عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال: لقد تجلى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون.

فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه.

فالحد: حد الكلام.

والمطلع: الترقي عن الكلام إلى شهود المتكلم.

وقد نقل عن جعفر الصادق ـ أيضاً ـ : أنه خرَّ مغشياً عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال: ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها.

فالصوفي لما لاح له نور ناصية التوحيد، وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى، صار بين يدي الله حاضراً شهيداً، يرى لسانه ـ أو لسان غيره ـ في التلاوة كشجرة موسى عليه السلام، حيث أسمعه الله منها خطابه إياه بأني «أنا الله»، فإذا كان سماعه من الله تعالى، واستماعه إلى الله، صار سمعُه بصرَه، وبصرُه سمعَه، وعلمُه عمله، وعمله علمه، وعاد آخره أوله، وأوله آخره.

ومعنى ذلك: أن الله تعالى خاطب الذر بقوله: ﴿ **ألست بربكم** ﴾[1] فسمعت النداء على غاية الصفاء، ثم لم تزل الذرات تتقلب في الأصلاب، وتنتقل إلى الأرحام، قال الله تعالى: ﴿ **الذي يراك حين تقوم، وتقلبك في الساجدين** ﴾[2]. يعني: تقلب ذرتك في أصلاب أهل السجود من آبائك الأنبياء، فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت إلى أجسادها، فاحتجبت بالحكمة عن القدرة، وبعالم الشهادة عن عالم الغيب، وتراكم ظلماتها بالتقلب في الأطوار.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٢.

(٢) سورة الشعراء آية ٢١٨ ـ ٢١٩.

فإذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بأن يصيره صوفياً صافياً، لا يزال يرقيه في رتب التزكية والتحلية، حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة إلى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجف[1] الحكمة، فيصير سماعه بـ ﴿ ألست بربكم ﴾ كشفاً وعياناً، وتوحيده وعرفانه تبياناً وبرهاناً، وتندرج له ظلم الأطوار في لوامع الأنوار. انتهى[2].

وقال الإمام ولي الدين محمد بن أحمد الملّوى[3] في كتاب «تبيين معادن المعاني»: قال بعض الصديقين: فالحد والمطلع يدق أمرهما ويغمض، ويختص بدركهما الأكابر العارفون، وقد يضيق عن كثير منه نطاق النطق.

والظهر: سهل لكل وارد، وفيه يتكلم علماء الرسوم.

وأما البطن: فيكاد يختص به أرباب القلوب، وعلماء الحقائق، قد علم كل أناس مشربهم. ثم (قال)[4]: إن مطلع كل حرف هو المأتى الذي يؤتي منه. انتهى.

اشتمال القرآن على جميع العلوم

وروى أبو عبيد أيضاً عن عبد الله ـ هو ابن مسعود رضي الله عنه ـ قال: إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين.

---

(١) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ١٣٦/٣: السَّجْف والسِّجف: ستر الحجلة. اهـ.

وفي النهاية ٣٤٣/٢: السجف: الستر. اهـ.

(٢) عوارف ١٦٤/١ ـ ١٦٦ /ط/ دار الكتب الحديثة.

(٣) هو أبو عبد الله ولي الدين محمد بن أحمد بن عثمان العثماني، الملوي.

نسبته إلى ملوى بقرى صعيد مصر. فقيه أصولي ـ مفسر نحوي. سافر إلى دمشق والروم، ثم عاد إلى مصر. وتوفي بها سنة ٧٧٤ هجرية.

راجع: معجم المؤلفين ٢٨٩/٨.

(٤) ساقطة من: د.

ورواه الطبراني ـ قال الهيثمي بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح[1] ـ ولفظه: من أراد العلم فليثور القرآن[2]، فإن فيه علم الأولين والآخرين.

وعزا ابن رجب في كتاب «الاستغناء بالقرآن» هذا اللفظ إلى يعقوب بن أبي شيبة في مسنده.

(وروى يعقوب بن أبي شيبة عنه ـ أيضاً ـ رضي الله عنه أنه قال: إن الله عز وجل أنزل في هذا القرآن تبيان كل شيء، وأن علمنا يقصر عنه.

وروى أبو خيثمة زهير بن حرب[3] في كتاب «العلم» عن مسروق قال: ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء، إلا وعلمه في القرآن، إلا أن علمنا يقصر عنه.

وروى عبد بن حميد[4] في تفسيره عن علي رضي الله عنه قال: ما من شيء إلا علمه في القرآن، ولكن رأى الرجال يعجز عنه.

وروى البزار في مسنده من طريق شهر، عن عبد الرحمن بن غنم، أن الحارث ابن عميرة بكى عند معاذ رضي الله عنه حين احتضر معاذ، وقال له: إنما أبكي لما يفوتني منك من العلم، فقال معاذ: إن الذي تبغي من

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٦٥.

(٢) قال في النهاية ١/٢٢٩: أي لينقّر عنه، ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته.

(٣) هو زهير بن حرب بن شداد، أبو خيثمة النسائي، نزيل بغداد، كان من الحفاظ الثقات. قال الحافظ ابن حجر في التقريب ١/٢٦٤: ثقة ثبت روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث.
وقال ابن الجزري في الطبقات ١/٢٩٥: حدث عنه البخاري.
توفي سنة ٢٣٤ هـ عن أربع وسبعين سنة.

(٤) هو عبد ـ بدون إضافة ـ بن حميد بن نصر الكِسِّي ـ بكسر الكاف وتشديد السين المهملة ـ نسبة الى كِسّ، مدينة قرب سمرقند، ثقة حافظ، له مسندان: أحدهما كبير، وثانيهما صغير ويسمى: المنتخب. توفي سنة ٢٤٩ هـ.
راجع: الرسالة المستطرفة ص ٥٦.

العلم بين لوحي المصحف، فإن أعياك تفسيره، فأطلبه من ثلاثة: عويمر أبي الدرداء أو سلمان الفارسي، أو ابن أم عبد[١]. وإياك وذلة العالم، وجدال منافق بالقرآن.

وللبخاري عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟. قال: لا والذي فلق الحب، وبرأ النسمة[٢] ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟. قال: العقل[٣]. وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر[٤].

قال الحافظ زين الدين بن رجب: سبب هذا السؤال: أن غلاة الشيعة زعمت أن القرآن جزء يسير من الوحي، وأن جميعه عند علي، وأنه اختص بعلم تلك الأجزاء كلها هو وذريته، فلذا كان إذا سئل ـ هو أو أحد من ذريته ـ اشتد نكيره.

وللشيخين عن طلحة بن مُصرِّف قال: سألت ابن أبي أوفى[٥]: أأوصى النبي ﷺ؟. قال: لا. قلت: كيف كتب على الناس الوصية ولم يوص؟. قال: أوصى[٦] (بكتاب الله عز وجل)[٧].

---

(١) هو عبد الله بن أم مسعود رضي الله عنه.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ٤٩/٥: أي خلق ذات الروح، وكثيراً ما كان يقولها إذا اجتهد في يمينه.

(٣) قال في النهاية ١٢٧٨/٣: العقل: الديّة، وأصله: أن القاتل إذا قتل قتيلاً جمع الدية من الإبل فعقلها بفناء أولياء المقتول: أي شدها في عقلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه. فسميت الدية عقلاً بالمصدر. اهـ.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم ٢٨/١.

(٥) هوعبد الله بن أبي أوفي علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، بايع تحت الشجرة، وهو آخر الصحابة بالكوفة.

راجع: التجريد للذهبي ٢٩٩/١ ترجمة رقم ٢١٥٩.

(٦) زيادة عن الصحيحين.

(٧) صحيح البخاري: كتاب الوصايا، باب قول النبي ﷺ: وصية الرجل مكتوبة عنده ١٨٥/٣.

=

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قعدوا يتحدثون في الفقه، كانوا يأمرون أن يقرأ رجل سورة[1])

ولأبي عبيد عن مسروق قال: ما يسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا يقصر عنه.

وله عن الحسن ـ رحمه الله ـ قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم فيما أنزلت، وما أراد بها.

وله عن عمرو بن مرة قال: إني لأمرُّ بالمثل من كتاب الله لا أعرفه فأغتم به لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[2].

وله عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لو أَعْيَتْني آية من كتاب الله، فلم أجد أحداً يفتحها عليَّ إلا رجلاً بِبَرْكِ الغِمَاد لرحلت إليه.

قال: وهو أقصى حِجْر باليمن.

هذا، ولما لم يجمع كتاب من الكتب السالفة هذه الحروف التي فصل إليها هذا الحديث الذي رواه ابن مسعود، وكانت جامعة لصلاح الدارين، أفرد كتابنا بالذكر، ففصل ما فيه، ولم يذكر أحوال الكتب الماضية في ذلك، لأنه لم يجمع كتاب منها جميع هذه الأحرف السبعة.

= وصحيح مسلم: كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس لـه شيء يوصي بـه ١١/٨٧.

قوله: ﴿أوصى بكتاب الله﴾ قال النووي: أي بالعمل بما فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾.

قال الحافظ في الفتح ٣٦١/٥: ولعله أشار ـ يعني ابن أبي أوفي ـ لقوله ﷺ: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا: كتاب الله. اهـ.

(١) ما بين القوسين زيادة عن: د.

(٢) سورة العنكبوت: آية ٤٣.

وإن ادعي أن الأنجيل جمعها، وسلم ذلك، لم يقدر أحد أن يقول: إنه فصلها تفصيلاً يكفي أهل ذلك الدين جميعَ ما ينوبهم من غير احتياج إلى شيء آخر بخلاف القرآن، فإنه كاف، والله الهادي.

ولأجل أن الكتب الأُوَل لم تكن كافية لمن أنزلت عليهم في كل أمر ينوبهم كانت تبعث فيهم الأنبياء لتسوسهم وتُعرِّفَهُم كل ما يجب عليهم.

وإنما نحن فكتابنا كافٍ، ونزول عيسى عليه السلام إلينا في آخر الزمان، إنما هو لفتنة الدجال ويأجوج ومأجوج، ومثل ذلك مما لاتحتمله القوى.

وقد طعن الحافظ أبو عمر بن عبد البَرِّ[1] في هذا الحديث[2]، وعلى تقدير صحته يزول عنه ـ بما قَرَّرتُه ـ الإشكال، بأن في التوراة الحلال والحرام، وفي الإنجيل الأمر والنهى، وفي كل منهما المحكم والمتشابه. وفي الإنجيل والزبور الأمثال، فهي مفرقة في الكتب السالفة غير مجموعة في واحد منها. والله أعلم.

إنزاله على سبعة أحرف

وروى الإمام أحمد والطبراني في الكبير، وأبو بكر بن أبي شيبة في

---

(١) هو الإمام المحدّث الفقيه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، من كبار حفاظ الحديث، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هجرية وروى الحديث عن كبار علمائها، ثم تجول في بلاد الأندلس. وتولى قضاء لِشبونة، وسكن دانية وبلنسية، وتوفي بشاطبة سنة٤٦٤ هـ. قال أبو الوليد الباجي: أبو عمر أحفظ أهل المغرب.
ومن كتبه: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستذكار والاستيعاب وغيرها.
راجع: وفيات الأعيان ٦/٦٤، الصلة ٢/٦٧٧، شذرات الذهب ٣/٣١٤.

(٢) تقدم كلام ابن عبد البر على هذا الحديث في هامش ص ١٨٦.

(٣) في د: مما.

مسنديهما[١] عن سَمُرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف[٢].

وفي رواية: على سبعة أحرف[٣].

ورواه البزار في مسنده ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن نقرأ القرآن كما أُقْرِأْنَاهُ، وقال: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف، فلا تختلفوا فيه ولا تجافوا عنه.

وفي رواية: ولا تحاجوا فيه، فإنه مبارك كله، اقرأوه كما أُقرِئْتُموه.

ورواه الطبراني وقال: ولا تحاجوا فيه. بدل: تجافوا عنه.

قال الهيثمي: ورجال أحمد وأحد إسنادي الطبراني والبزار رجال الصحيح[٤].

ولا يخالف هذا ما يأتي من إنزاله على سبعة أحرف، لأن في تلك الأحاديث: أن السبعة ما كانت إلا بعد مراجعة، فربما حمل سمرة رضي الله عنه هذا الحديث عند الثالثة[٥]، فاستمر يرويه ثم استمرت المراجعة إلى تمام السبعة، ولم يسمع تمام المراجعة. أو سمعها ـ كما في إحدى رواياته ـ ورأى أن الثلاثة لا تنافي[٦] ما فوقها فإنه ليس فيها نفي له.

وروى الطبراني عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ[٧].

---

(١) الضمير عائد على الإمام أحمد وأبي بكر بن أبي شيبة، لأنهما من أصحاب المسانيد.
(٢) المسند ٥/٢٢. وأخرجه الحاكم: كتاب التفسير ٢/٢٢٣ وقال: صحيح وليس له علة.
(٣) المسند ٥/١٦.
(٤) مجمع الزوائد ٧/١٥٢.
(٥) في د: الثلاثة.
(٦) في د: تنفي.
(٧) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٥٣: فيه ميمون أبو حمزة وهو متروك.

ورواه الطبراني ـ أيضاً ـ عن معاذ بن جبل موقوفاً عليه. ومثله لا يقال بالرأي. قال الهيثمي: ورجاله ثقات[1].

ولمسلم وغيره عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن النبي[2] ﷺ كان عند أضاة[3] بني غفار، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإني أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة ـفقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيُّما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[4].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٥٤.

(٢) في د: رسول الله.

(٣) الأضاة: قال النووي في شرح مسلم ٦/١٠٤: هي بفتح الهمزة وبضاد معجمة مقصورة وهي الماء المستنقع كالغدير، وجمعها: أضا. كحصاة وحصا. وإضاء ـ بكسر الهمزة والمد ـ كأكمة وأكام. اهـ.
وقال ابن الأثير في النهاية ١/٥٣: الأضاة ـ بوزن الحصاة ـ الغدير. وجمعها: أضى وإضاء، كأكم واكام.
وقال الزمخشري في الفائق ١/٤٦: أضاة: الغدير. اهـ.
قال الحافظ في الفتح ٩/٢٨: وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بني غفار، لأنهم نزلوا عنده. اهـ.

(٤) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٦/١٠٣.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب ما جاء في القرآن ٢/١٥٢.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢/٧٦ حديث رقم ١٤٧٨.

وفي رواية لابن جرير: فمن قرأ منها حرفاً، فهو كما قرأ[١].

وفي رواية لأبي داود: قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبي إني أقرئت القرآن، فقيل لي: على حرف أو حرفين؟. فقال الملك الذي معي: قل على حرفين، فقلت: على حرفين. فقيل لي: على حرفين أو ثلاث؟. فقال الملك الذي معي: قل على ثلاث، فقلت: على ثلاث، حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت: سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب[٢].

وفي رواية الترمذي وقال: حسن صحيح: أن أُبَيّاً رضي الله عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل، فقالوا: يا جبريل بعثت إلى أمة أميين، فيهم العجوز والشيخ الكبير، والغلام،و والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، فقال لي: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف[٣].

ورواه أبو داود الطيالسي عن أبي رضي الله عنه، أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ عند أحجار المِرَا. فقال: يا جبريل.
فذكر نحوه[٤].

ورواه ابن جرير عن أبي رضي الله عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام عند أحجار المرا. فقال: إني بعثت إلى أمة أميين، منهم الغلام والخادم، والشيخ العاسي[٥]، والعجوز، فقال جبريل عليه السلام:

---

(١) تفسير ابن جرير ١/١٧.
(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢/٧٦ حديث رقم ١٤٧٧.
(٣) صحيح الترمذي: كتاب القراءات، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٥/١٩٤ حديث رقم ٢٩٤٤.
(٤) مسند أبي داود الطيالسي: كتاب القرآن، باب أول ما نزل من القرآن وسبب قول النبي ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢/٨ حديث رقم ١٩١٢.
(٥) عند ابن جرير: الفاني.

فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف[1].

وروى الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: لقيت جبريل عليه السلام عند أحجار المرا.

فذكره[2].

وفي بعض طرقه: إن أمتك يقرأون القرآن على سبعة أحرف.

وفي رواية: إن من أمتك الضعيف، فمن قرأ منهم على حرف، فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه.

وفي رواية: فلا يتحول منه إلى غيره رغبة عنه.

ورواه البزار ـ قال الهيثمي: وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح[3] ـ ولفظه: أن رسول الله ﷺ لقي جبريل عليه السلام عند أحجار المرا فقال: إني أرسلت إلى أمة أمية وإلى من لم يقرأ كتاباً قط، فقال جبريل إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف، فقال: ميكائيل عليه السلام: استزده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف.

ورواه أبو عبيد في الفضائل، وأحمد، عن حذيفة رضي الله عنه، ولفظه: لقيت جبريل عليه السلام عند أحجار المرا، فقلت: يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية (فيهم)[4] الرجل، والمرأة والغلام، والجارية، والشيخ الفاني ـ وقال أحمد: العاسي[5] ـ الذي لم يقرأ كتاباً قط، فقال: إن القرآن أنزل على سبعةأحرف.

---

(١) تفسير ابن جرير: ١/١٦.

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/٣٨٥، ٤٠٠، ٤٠٥.

قال الهيثمي ٧/١٥١: فيه راو لم يسم.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٥٠.

(٤) زيادة عن: د.

(٥) أي الضعيف الذي تقدمت به السن.

ورواه الطبراني والبزار بنحوه.

والمرا: قال عبد الغافر الفارسي[1] في «مجمع الغرائب» وابن الأثير في النهاية[2]: بكسر الميم: هي قباء، انتهى[3].

وقال في القاموس: وأحجار المرا: قباء خارج المدينة، وأحجار الزيت: موضع داخل المدينة.

وهذا بناء منه على أن المدينة: الموضع الذي فيه قبر النبي ﷺ خاصة، وليس كذلك، بل هي اسم لجميع المحال التي كانت قبائل الأنصار مفرقة بها، فيما بين أُحُد وعَيْر[4]، وبني النضير وقريظة.

فيكون المكان داخل المدينة.

ويوجد في كثير من الكتب «أحجار المرى» بياء بعد الراء ممدوداً، كما هو الظاهر جمع مروة، مثل فروة وفرا. فنوع من الحجارة صلب براق، فكتابته بالياء وهم.

وإن كان مقصوراً، جارت كتابته بالياء. والله أعلم.

(١) هو أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي كان إماماً في الحديث واللغة والأدب والتاريخ. فارسي الأصل من أهل نيسابور، أخذ الفقه عن إمام الحرمين، ورحل إلى كثير من البلاد. ومات بنيسابور سنة ٥٢٩ هـ. وله من الكتب: المفهم لشرح غريب مسلم. مجمع الغرائب. السياق في تاريخ نيسابور. وغير ذلك.

(٢) هو أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، الشافعي، مجد الدين ابن الأثير، محدث، لغوي، أصولي قال ابن خلكان: كان ورعاً عاقلاً مهيباً ذا برّ وإحسان. اهـ.
له جامع الأصول في أحاديث الرسول، والنهاية في غريب الحديث. توفي سنة ٦٠٦ هـ عليه رحمة الله.

(٣) النهاية ٤/٣٢٣.

(٤) قال السمهودي في وفاء الوفا ٣/١٢٦٩: بالفتح وسكون المثناة تحت آخره راء: حمار الوحش، اسم للجبل الذي في قبلة المدينة شرقي العقيق.

وسيأتي إن شاء الله بيان المراد بقوله: سميعاً علياً، عزيزاً حكيماً، في سورة النحل.

بيان المراد بالأحرف السبعة

واختلفوا في المراد بسبعة أحرف[1].

فقال المعظم: هي لغات.

واختلفوا في معنى سبعة، هل هو الحصر، أو المبالغة؟.

واختلف من قال بالحصر في التعيين:

فعن أبي عبيد القاسم بن سلام: إنها لغة قريش، وهذيل ، وثقيف، وهوازن وكنانة، وتيمم واليمن.

وعند بعضهم: خزاعة.

وعند آخرين: الأزد، وربيعة.

وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم: أنه أنزل بلغة كل حي من أحياء العرب. وهذا يدل على أنها فَهِمَا أن المراد بالسبعة: المبالغة، لا الحصر. قال أبو شامة في كتابه «المرشد الوجيز»: وهذا هو الحق[2]، لأنه إنما

---

(١) قال القرطبي في التذكار ص ٢٤: اختلف العلماء في المراد بالسبعة الأحرف على أقوال عديدة، جماعها خمسة وثلاثون قولاً. اهـ.
والسبب في اختلافهم إلى هذا الحد ما قاله أبو بكر بن العربي ونقله عنه أبو شامة في المرشد الوجيز ص ٩٧ أنه: لم تتعين هذه السبعة بنص من النبي ﷺ، ولا بإجماع من الصحابة.

(٢) يعني أن العدد المذكور في الأحاديث لا يفيد الحصر، وإنما يفيد المبالغة، وقد ذكر الواسطي في كتابه الذي وضعه في القراءات العشر: أن في القرآن من أربعين لغة عربية وهي: قريش وهذيل، وكنانة، وخثعم، والخزرج، وأشعر، ونمير، وقيس عيلان، وجرهم، واليمن، وأزد شنوءة، وكندة، وتميم، وحمير، ومدين، ولخم وسعد العشيرة، وحضرموت، وسدوس، والعمالقة، وأنمار، وغسان ومذحج، وخزاعة، وغطفان، =

أبيح أن يقرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب، فلا ينبغي أن يوسع على قوم دون قوم، انتهى[1].

وهذا في غاية الموافقة للأحاديث الذاكرة أن السبب في المراجعة: التخفيف على الأمة، والله الهادي[2].

= وسبأ، وعمان، وبنو حنيفة، وثعلب وطيِّء، وعامر بن صعصعة، وأوس، ومزينة، وثقيف، وجذام، وبَلِيّ وعذرة، والنمر، واليمامة.
وقد ذكر ذلك الزرقاني في المناهل ١/١٧٤.
وهذا العدد الكثير من لغات تلك القبائل المختلفة لا يعارضه ما ورد من أن القرآن أنزل بلغة قريش، كما ورد في الصحيح عن عثمان رضي الله عنه.
قال أبو شامة في المرشد ص ٩٢: يعني أول نزوله قبل الرخصة في قراءته على سبعة أحرف.

(١) المرشد الوجيز ص ٩٧.

(٢) ظاهر صنيع المؤلف ـ رحمه الله ـ: أنه يرى ـ تبعاً لأبي عبيد ـ أن المراد بالأحرف السبعة: لغات لعدة قبائل من قبائل العرب نزل بها القرآن سواء كان هذا العدد يفيد الحصر، أم يفيد المبالغة.
لكن بالتأمل في الأحاديث الواردة يتضح أن ذلك غير المراد، وأن سياق الألفاظ المذكورة في تلك النصوص والتي تدل على مراجعة النبي ﷺ لجبريل في طلب المزيد من التخفيف يأبى هذا التأويل، وكذلك ما حدث بين عمر بن الخطاب وبين هشام بن حكيم وهما قرشيان من قبيلة واحدة. ولهجتهما واحدة، يدل على أن السبعة أحرف الواردة لا تنطبق تماماً على القول بأنها سبع لغات لسبع قبائل من قبائل العرب، اشتهرت بفصاحة القول وسلامة التعبير.
قال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر في التمهيد ٤/٦٣: وأنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى حديث النبي ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف» سبع لغات. وقالوا: هذا لا معنى له، لأنه لو كان كذلك، لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر، لأنه من كانت لغته شيئاً قد جبل وطبع عليه، وفطر به لم ينكر عليه، وأيضاً فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم، كلاهما قرشي مكي، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته، كما محال أن يقرىء رسول الله ﷺواحداً منهما بغير ما يعرفه من لغته والأحاديث الصحاح المرفوعة كلها تدل على نحو ما يدل عليه حديث عمر هذا. اهـ.

وذهب جماعة إلى أن المراد بالأحرف السبعة، وجوه التغاير السبعة، التي قع فيها الاختلاف. وهي:

١ ـ اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث. مثل قوله تعالى: ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ بجمع أمانات. وقرىء بإفراده فيقال: أمانتهم.

٢ ـ الاختلاف في وجوه الإعراب.

مثل قوله تعالى: ﴿ ما هذا بشرا ﴾، قرىء بنصب «بشرا» على أن ما عاملة عمل ليس في لغة أهل الحجاز. وقرأ ابن مسعود: «ما هذا بشر» على إهمال ما. وهي لغة بني تميم.

٣ ـ الاختلاف في التصريف.

مثل قوله تعالى: ﴿ فقالوا ربَّنا باعد بين أسفارنا ﴾. قرىء بنصب «ربنا» على أنه منادى مضاف، و«باعد» بصيغة الأمر.

وقرىء: «ربُّنا» بالرفع، و«بَاعَد» على أنه فعل ماض.

وقرىء: «بعَّد» مع رفع «ربنا» أيضاً.

٤ ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير.

إما في الحرف مثل قوله تعالى: «أفلم ييأس». وقرىء: أفلم يأيس.

وإما في الكلمة مثل قوله تعالى: «فيُقتلون ويَقتلون». ببناء الفعل للمعلوم في الأول. وللمجهول في الثاني. وقرىء بالعكس في الفعلين.

٥ ـ الاختلاف بالإبدال:

إما إبدال حرف بحرف مثل قوله تعالى: «طَلْح مَنْضُود» قرىء: «طلع منضود.

وإما إبدال لفظ بلفظ. مثل قوله تعالى: «كالعِهْن المَنْفُوش» قرىء: كالصوف المنفوش.

٦ ـ الاختلاف بالزيادة والنقص:

الزيادة مثل قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ﴾ قرىء: تجري من تحتها الأنهار.

والنقصان مثل قوله تعالى: ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ قرىء: والذكر والأنثى. بدون خلق.

٧ ـ اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل، والإشمام. ونحو ذلك.

فالإمالة وعدمها في مثل قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾. قرىء بإمالة «أتى وموسى» وفتحها.

= والترقيق في قوله تعالى ـ مثلاً ـ : فاسأل به خبيراً. قرىء بترقيق الراء، وتسهيل الهمزة في نحو قوله تعالى: قد أفلح المؤمنون.

وقد شاع هذا المذهب. فقال به جماعة من العلماء. منهم ابن قتيبة في كتابه: «تأويل مشكل القرآن»، والإمام ابن الجزري في كتابه: «النشر في القراءات العشر. والإمام المشهور مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه: «الإبانة عن معاني القراءات». والإمام أبو الفضل الرازي في اللوائح. وذكره المرحوم الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني في كتابه: «مناهل العرفان» وارتضاه واحتج لتأييده، ورأى أنه الصواب، ولا صواب فيما ذهب إليه الآخرون.

وعندي ـ والله أعلم ـ أن المراد بالأحرف السبعة: أنها سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد. أي أنها سبعة أوجه من الألفاظ المختلفة تدل في جملتها على معنى واحد، وإن اختلفت أجراسها والنطق بها لاختلاف ألفاظها، نحو: هلمّ، وأقبل، وتعال، وعجّل، وأسرع وقصدي، ونحوي.

فهذه ألفاظ سبعة معناها واحد، هو طلب الإقبال.

قال الشيخ الزرقاني في المناهل ١٦٧/١: وهذا القول منسوب لجمهور أهل الفقه والحديث، منهم سفيان ـ يعني سفيان بن عيينة ـ وابن وهب وابن جرير الطبري، والطحاوي اهـ.

وقال الإمام أبو عبدالله القرطبي في التذكار ص ٢٤: الذي عليه أكثر أهل العلم ـ كسفيان بن عيينة، وعبدالله بن وهب، والطبري، والطحاوي، وغيرهم ـ أن المراد: سبعة أوجه من المعاني المتقاربة، بألفاظ مختلفة نحو: أقبل، وتعال. وهلم. اهـ.

وقال أبو عمـر بن عبد البر في التمهيد ٦٣/٤: إنما معنى السبعة الأحرف: سبعة أوجه من المعاني المتفقة، المتقاربة بألفاظ مختلفة. نحو: أقبل، وتعال. وهلم. وعلى هذا أكثر أهل العلم. اهـ.

واستند أصحاب هذا المذهب في اختيارهم إلى ما ورد صريحاً في حديث أبي بكرة في مسند الإمام أحمد ٥١/٥ بإسناد جيد، ورواه أبو عبيد وابن أبي شيبة وابن جرير والطبراني: أن جبريل عليه السلام قال: يا محمداقرأالقرآن على حرف، قال ميكائيل عليه السلام: استزده. فاستزاده. قال: اقرأه على حرفين. قال ميكائيل: استزده. فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف. قال: كلٌّ شاف كاف، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب، نحو قولك: تعال، وأقبل وهلم. واذهب وأسرع وأَعْجِلْ.

قال الحافظ ابن عبد البر: إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها، وأنها معان متفق مفهومها، مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا =

وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب اهـ.

وروى الإمام أبو جعفر الطبري في مقدمة تفسيره ٢٢/١ عن محمد بن سيرين - مرسلاً - أنه قال: نبئت أن جبريل وميكائيل أتيا النبي ﷺفقال له جبريل: اقرأ القرآن على حرفين. فقال له ميكائيل: استزده. قال: حتى بلغ سبعة أحرف، لا تختلف في حلام ولا حرام، ولا أمر ولا نهي وهو كقولك: تعال. وهلم. وأقبل.

وجاء عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يقرأ: ﴿كُلَّمَا أضاء لهم مَشَوْا فيه﴾: كلما أضاء لهم مروا فيه. كلما أضاء لهم سعوا فيه.

وكان يقرأ قوله تعالى: ﴿ويوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أنظرونا...﴾ للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا أخِّرُونا، للذين آمنوا أرجئونا.

ذكره القرطبي في تفسيره ٤٢/١ والحافظ ابن كثير في فضائل القرآن ص ٣٧.

وروى عن الأعمش أنه قال: قرأ أنس هذه الآية: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا﴾. فقال: إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا. فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة: إنما هي: وأقوم. فقال: أقوم وأصوب وأهيأ واحد.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٦/٧: رواه أبو يعلى والبزار. ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورجال البزار ثقات.

وذكر ابن عبد البر في التمهيد أن عبدالله بن وهب ذكر في كتاب الترغيب من جامعه أنه قيل لمالك: «أترى أن يقرأ بمثل ما قرأ به عمر بن الخطاب: ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾؟ قال: ذلك جائز، قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه» مثل تعلمون ويعلمون، فهذا وأمثاله من الآثار الواردة عن الصحابة والتي هي من قبيل المرفوع، بمثابة التفسير الصريح والأمين في تحديد المراد بالأحرف السبعة، وأن الأخذ بها أولى من اجتهادات العلماء وحصرها في أوجه الاختلاف السبعة التي قال بها ابن قتيبة وابن أبي طالب وأبو الفضل الرازي ومن لفَّ لفهم. ونحا نحوهم. لأن ما ذكروه هو في الواقع تعيين لوجه واحد من الحروف السبعة، وهو الحرف ابذي كتب عليه مصحف عثمان.

قال الإمام شهاب الدين أبو شامة في المرشد الوجيز ص ١٢٦: معنى الحديث: أنهم رخص لهم في إبدال ألفاظه بما يؤدي معناها، أو يقاربه من حرف واحد إلى سبعة أحرف، ولم يلزموا المحافظة على حرف واحد لأنه نزل على أمة أمية لم يعتادوا الدرس والتكرار، وحفظ الشيء على لفظة مع كبر أسنانهم، واشتغالهم بالجهاد والمعاش، فرخص لهم في ذلك ومنهم من نشأ على لغة يصعب عليه الانتقال عنها إلى غيرها،

= فاختلفت القراءات بسبب ذلك كله، ودلنا ما ثبت في الحديث من تفسير ذلك بنحو: هلم. وتعال. على جواز إبداله باللفظ المرادف، ودلنا ما ثبت من جواز «غفوراً رحيماً». «موضع عزيزاً حكيماً» على الإبدال بما يدل على أصل المعنى دون المحافظة على اللفظ، فإن جميع ذلك ثناء على الله سبحانه، هذا كله فيما يمكن القارىء عادة التلفظ به، وأما ما لا يمكنه لأنه ليس من لغته فأمره ظاهر، ولا يخرج إن شاء الله شيء من القراءات عن هذا الأصل. وهو إبدال اللفظ بمرادف له أو مقارب في أصل المعنى، ثم لما رسمت المصاحف هجر من تلك القراءات ما نافي المرسوم، وبقي ما يحتمله. ثم بعض ما يحتمله خط المصحف اشتهر، وبعضه شذت روايته. وهذا أولى من حمل جميع الأحرف السبعة على اللغات، إذ قد اختلف قراءة عمر بن الخطاب وهشام ابن حكيم رضي الله عنهما، وكلاهما قرشي مكي، لغتهما واحدة. اهـ.

ويدلنا هذا الكلام على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرأون القرآن بلغات مختلفة الألفاظ، متفقة المعاني، وظلوا على هذا الحال حتى كان ما كان من شدة الخلاف الذي بلغ أوجه في عهد عثمان رضي الله عنه، ورأى أن يجمع الناس على حرف، يتفق الناس كلهم على القراءة به منعاً للمراء والجدال في القرآن، فأثبت في المصحف القرآن المتّفق على إنزاله والمقطوع بأنه كتب بين يدي النبي ﷺ، والمنع عما عداه.

قال أبو شامة في المرشد ص ١٣٨: وأما ما لم يرسم فهو مما كان جوز به القراءة، وأُذِن فيه، ولما أنزل ما لم يكن ذلك اللفظ، خير بين تلك الألفاظ، توسعة على الناس وتسهيلاً عليهم، فلما أفضى ذلك إلى ما نقل من الاختلاف والتكثير، اختار الصحابة رضي الله عنهم الاقتصار على اللفظ المنزل المأذون في كتابته، وترك الباقي للخوف من غائلته، فالمهجور هو ما لم يثبت إنزاله، بل هوالضرب المأذون فيه بحسب ما خف وجرى على ألسنتهم اهـ.

والذي حمل الصحابة على ترك الأحرف الأخرى ـ مع ما تقدم من داعي تجنب الخلاف ـ: أن تلك الأحرف نسخت بالعرضة الأخيرة، ولم يتبق من الأحرف السبعة إلا ذلك الحرف الذي كتب عليه المصحف.

قال ابن سيرين: نبئت أن القرآن كان يعرض على النبي ﷺ كل عام مرة في شهر رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه، عرض عليه مرتين. قال: فيرون ـ أو يرجون ـ أن تكون قراءتنا هذه أحدث القراءات عهداً بالعرضة الأخيرة.

وعنه عن عبيدة السلماني قال: القراءة التي عرضت على رسول الله ﷺ في العام الذي قبض فيه، هي التي يقرؤها الناس اليوم. =

= راجع: المرشد الوجيز ص ١٧٠.

وقال البغوي في شرح السنة ٥١١/٤: المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله ﷺ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع الناس عليه، وأذهب ما سوى ذلك قطعاً لمادة الخلاف فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع، كسائر ما نسخ ورفع.

ونقل أبو شامة وابن حجر في الفتح ٣٠/٩ عن أبي العباس بن عمار أنه قال في شرح الهداية: أصح ما عليه الحذاق أن الذي يقرأ الآن بعض الحروف السبعة المأذون في قراءتها، لا كلها، وضابطه: ما وافق المصحف فأما ما خالفه مثل «أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج». ومثل: «إذا جاء فتح الله والنصر» فهو من تلك القراءات التي تركت اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: والحق أن الذي جمع في المصحف هو المتَّفق على إنزاله، المقطوع به، المكتوب بأمر النبي ﷺ وفيه بعض ما اختلف فيه من الأحرف السبعة، لا جميعها، كما وقع في المصحف المكي «تجري من تحتها الأنهار» في آخر براءة، وفي غيره بحذف من، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من عدة واوات ثابتة في بعضها دون بعض وعدة ها آت، وعدة لا مات، ونحو ذلك. وهو محمول على أنه نزل بالأمرين معاً، وأمر النبي ﷺبكتابته لشخصين، أو أعلم بذلك شخصاً واحداً، وأمره باثباتها على الوجهين، وما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كانت القراءة جوزت به توسعة على الناس وتسهيلا. فلما آل الحال إلى ما وقع من الاختلاف في زمن عثمان، وكفر بعضهم بعضاً اختاروا الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته، وتركوا الباقي، اهـ.

وقال مكي بن أبي طالب القيسي في كتاب الإبانة ص ٢٢: إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان، الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه واطرح ما سواه، مما يخالف خطه، فقرىء بذلك لموافقة الخط، لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه، وبعث بها إلى الأمصار، وجمع المسلمين عليها، ومنع من القراءة بما خالف خطها، اهـ.

وإزاء هذه النقول من أقوال نوابغ العلماء وثقاتهم، لا يمكن التسليم للقول بأن الحروف السبعة هي تلك الوجوه السبعة المبثوثة في القرآن، ولا يجوز القول بأنها تلك اللغات القبلية التي احتى القرآن بعضاً منها، وأنها لقبائل مخصوصة أو غير مخصوصة، ولا يمكن =

وروى ابن جرير في مقدمة التفسير، وأبو عبيد في الغريب والفضائل، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم، وإياكم والاختلاف والتنطع، فإنما هـو كقول أحدكم: هلم وتعال، وإنه من قرأ منكم على حرف، فلا يتحولن عنه إلى غيره[1].

وقال ابن جرير: فمعلوم أن عبدالله رضي الله عنه لم يعن بقوله هذا من قرأ ما في القرآن من الأمر والنهي، فلا يتحول[2] إلى قراءة ما فيه من الوعد (والوعيد)[3] ونحو ذلك.

وإنما عني: أن من قرأ بحرف، فلا يتحول[4] منه إلى غيره رغبة عنه، وحرفه: قراءته.

= أن تكون الأوجه التي ذكرت في حديث عبدالله بن مسعود. وهي: حلال وحرام. ومحكم ومشتابه. ونحو ذلك. ولم يبق إلا القول بأنها ألفاظ مترادفة. تختلف في اللفظ وتتفق في المعنى. وبسببها نشأ الخلاف واحتدم الجدال بين المسلمين في الأمصار المختلفة تبعاً لهذا الاختلاف الفظي، وكان ذلك من أدْعى الدواعي لحمل عثمان رضي الله عنه على جمع المصحف على حرف واحد يتضمن وجوهاً من القراءات هي بعض الأحرف السبعة التي كانت رخصة وتيسيراً في بادىء الأمر، والتي رفع أكثرها بالعرضة الأخيرة، كما تقدم، وإذا لم يكن الأمر كذلك فليس ثمة من داع لجمع القرآن في عهد عثمان، وقد جمعه أبو بكر رضي الله عنه. ولم يترك منه صغيرة ولا كبيرة إلا وضعت في موضعها بعد التثبت الدقيق من قرآنيتها بشهادة الشهود الموثوق بهم، كما ورد في أحاديث الجمع.

وأما الأقوال الأخر الواردة في بيان المراد بالسبعة أحرف. فهي أقوال متهافتة، وقد أشبعها تفنيداً فضيلة المرحوم الشيخ الزرقاني في المناهل.

والله سبحانه وتعالى أجل وأعلم، وهو بكل شيء محيط ومنه الهدى والتوفيق.

(١) تفسير ابن جرير ١/٢٢.

(٢) في م: يتحولن.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) في م: يتحولن، والتصويت عن تفسير ابن جرير.

تقول العرب لقراءة الرجل: حرف فلان، ولواحد من حروف الهجاء المقطعة: حرف، كما تقول للقصيدة: كلمة.

فمن قرأ بحرف أبي، أو بحرف زيد، أو غيرهما من القراء، من أصحاب الله ﷺ، فلا يتحول[1] منه إلى غيره رغبة عنه، فإن الكفر ببعضه كفر بجميعه، والكفر بحرف من ذلك، كفر بجميعه[2].

وروى البزار، وأبو يعلى، وابن جرير واللفظ له، عن أنس رضي الله عنه أنه قرأ: «إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا» فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة إنما هي: «وأقوم قيلا». فقال: أقوم، وأصوب، وأهدى واحد[3].

وفي رواية غيره، سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: «وأقوم قيلا» قال: وأصدق قيلا. فقيل له: إنما تقرأ: وأقوم. فقال: أقوم وأصدق واحد.

قال الهيثمي: ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورجال البزار ثقات[4].

وللشيخين، وأبي عبيد، وابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: أقرأني جبريل على حرف ـ قال ابن جرير: فاستزدته فزادني، وقال الشيخان ـ فراجعته فزادني، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[5].

---

(١) في م: يتحولن. والتصويب عن تفسير ابن جرير.
(٢) تفسير ابن جرير ١/٢٢.
(٣) تفسير ابن جرير: الموضع السابق.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٥٦: رواه أبو يعلى والبزار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورجال البزار ثقات.
(٤) مجمع الزوائد ٧/١٥٦.
(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب إنزال القرآن على سبعة أحرف ٦/٢٢٧ =

قال ابن شهاب[1]: بلغني أن تلك الأحرف إنما هي في الأمر يكون واحداً لا يختلف في حلال، ولا حرام.

وللطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه جعفر لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات[2] ـ عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: أتى محمداً ﷺ المَلَكانِ، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف، فقال الآخر: زده، فما زال يستزيده حتى قال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف.

ولأبي عبيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، والإمام أحمد، والطبراني، وابن جرير عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه، أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: اقرأ القرآن على حرف، فقال له ميكائيل: عليه السلام: استزده. فاستزاده، فقال: على حرفين، فقال ميكائيل عليه السلام: استزده، فقال له: زدني، قال: خذه على ثلاث أحرف، حتى بلغ سبعة أحرف فسكت ميكائيل، فقال جبريل: على سبعة أحرف، كلها كاف شاف، كقولك، هلم وتعال، وأقبل، واذهب[3].

وفي رواية: أدبر وأسرع وأعجل،ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة.

= وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ١٠١/٦.
وتفسير ابن جرير ١٤/١.

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث ابن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، وكنيته: أبو بكر. قال الحافظ في التقريب ٢٠٧/٢: متفق على جلالته واتقانه. اهـ. وكان رحمه الله من أعلام التابعين، فقد رأى عشرة من الصحابة، وتوفي سنة ١٢٤ هجرية.

(٢) مجمع الزوائد ١٥٢/٧.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤١/٥، ٥١، ١١٤، ١١٢.
وتفسير ابن جرير ١٨/١.

قال الهيثمي: وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ثقة سيء الحفظ، وقد توبع، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح[1].

ورواه مُسَدِّد[2] في تفسيره ولفظه: قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل عليه السلام ومعه ميكائل عليه السلام، فقال جبريل: خذ القرآن على حرف. فأومأ إليه ميكائيل: أن استزده، فقال: زدني، قال: خذه على حرفين فقال: استزده، فقال زدني، قال: خذه على ثلاثة أحرف، فكل مرة يومىء إليه: أن استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، قال: فسكت ميكائيل، فقال جبريل: خذه على سبعة أحرف، كلها كاف شاف، كقول الرجل: هلم وأقبل، واذهب وأدبر ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو عذاب[3] برحمة.

وأخرجه الإمام أحمد بإسنادين ـ قال الهيثمي: رجال أحدهما رجال الصحيح[4] ـ والبزار، وأبو جعفر بن جرير الطبري في أول تفسيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، عليم حكيم غفور رحيم[5].

وفي رواية: أنزل القرآن على سبعة أحرف، فالمراء في القرآن كفر ـ ثلاث مرات ـ فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه[6].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٥١.
(٢) وهو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد الأسدي البصري، كان من الحفاظ الثقات. يقال: إنه أول من صنَّف المسند بالبصرة. ويقال: إن اسمه عبد الملك بن عبد العزيز، ومسدد لقب له. مات سنة ٢٢٨ هجرية.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٢٤٢، الرسالة المستطرفة ص ٥٣.
(٣) في م: ولا.
(٤) مجمع الزوائد ٧/١٥١.
(٥) مسند الإمام أحمد ٢/٣٣٢، ٤٤٠، وتفسير ابن جرير ١/١٢.
(٦) مسند الإمام أحمد ٢/١٨١، ١٨٥، ٣٠٠.

وفي رواية: فاقرأوا ولا حرج، ولكن لا تجمعوا ذكر رحمة بعذاب،ولا ذكر عذاب برحمة .

ورواه عنه ـ أيضاً ـ أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده، وابن حبان في صحيحه ولفظه: أنزل القرآن على سبعة أحرف: عليماً حكيماً، غفوراً رحيماً.

وروى الإمام أحمد، والحميدي، وأبو يعلى، في مسانيدهم، وابن جرير والطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات(٢) ـ عن أم أيوب الأنصارية رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: نزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت، أصبت(٣).

وروى الإمام أحمد، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر، في مسنديهما عن عمرو ابن العاص، رضي الله عنه، أن رجلاً قرأ آية من القرآن، فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، لغير ما قرأها الرجل، قال الرجل: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ حتى أتياه، فقال: يارسول الله، آية كذا،وكذا، فقرأها عليه فقال: صدقت، فقال الآخر: أليس أقرأتنِيها ـ على نحو ما قرأها على صاحبه ـ فرد صاحبه عليه، فقال رسول الله ﷺ: بلى، أنزل القرآن على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأت، فقد أصبت(٤).

وفي رواية: فأي حرف قرأتم، فقد أصبتم، ولا تتماروا فيه، فإن المراء فيه كفر.

ورواه الإمام أحمد، وأبو عبيد في الفضائل، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص قال: سمع عمرو بن العاص رجلاً يقرأ آية من القرآن، فقال:

---

(١) تفسير ابن جرير ١٩/١ .
(٢) مجمع الزوائد ١٥٤/٧ .
(٣) مسند الإمام أحمد ٤٦٣/٦ .
ومسند الحميدي ١٦٣/١ .
(٤) مسند الإمام أحمد ٢٠٤/٤ .

من أقرأكها؟. قال رسول الله ﷺ، قال: فقد أقرأنيها رسول الله ﷺ على غيرهذا. فذهب إلى رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله آية كذا وكذا، ثم قرأها، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت وقال الآخر: يا رسول الله، فقرأ على رسول الله ﷺ وقال: أليس هكذا يا رسول الله؟. فقال: هكذا أنزلت، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم، ولا تماروا فيه، فإن المراء فيه كفر، أو آية الكفر به[1].

قال الحافظ الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، إلا أنه مرسل[2].

وللبخاري والنسائي، وأبي عبيد، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه سمع رجلاً يقرأ آية سمع رسول الله ﷺ يقرؤها على خلاف ذلك. قال: فأخذت بيده فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: اقرأ فكلاكما محسن،ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا[3].

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو يعلى، في مسنديهما، عن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف.

زاد أبو يعلى: ولكل آية منها ظهر وبطن.

ورواه الطبراني عنه، ولفظه: قال رسول ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن صاحبكم خليل الله، ونزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن[4].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢٠٥/٤.

(٢) مجمع الزوائد ١٥٠/٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ٢٤٥/٦.

وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جاء مع ما جاء في القرآن ١٥٣/٢.

(٤) سبق أن ذكره المؤلف، ونقل عن ابن رجب أنه ضعفه. وقال ـ أي المؤلف ـ: يبدو أن آخره مدرج (راجع: ص ١٨٧.

ورواه ابن جرير الطبري في مقدمة التفسير عنه أيضاً ولفظه: قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد. (ولكل حد)[١] مطلع[٢].

ورواه ابن جرير ـ أيضاً ـ عن عبدالله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ[٣].

النهي عن المراء والجدال في القرآن

ولابن جرير عنه ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: اختلف رجلان في سورة، فقال هذا: أقرأني النبي ﷺ. وقال هذا: أقرأني النبي ﷺ فأتى النبي ﷺ، فأخبره بذل، قال: فتغير وجهه وعنده رجل فقال: اقرأوا كما علمتم ـ فلا أدري: أشيء أمر به، أم شيء ابتدعه من قِبَل نفسه ـ فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم. قال: فقام كل رجل منا وهو يقرأ على قراءة صاحبه[٤]. نحو هذا، أو معناه.

ورواه أبو عبيد عنه رضي الله عنه وقال: فأتيت رسول الله ﷺ وعنده رجل أنتم له كذا وكذا ـ يعني: عليا رضي الله عنه ـ فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال علي ـ فلا أدري أشيء أسرَّه إليه رسول الله ﷺ لم أسمعه، أم علم الذي في نفسه فتكلم به ـ: قال: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل أحد كما عُلّم.

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) تفسير ابن جرير ١/١٢.

(٣) تفسير ابن جرير ١/١٩.

(٤) تفسير ابن جرير الموضع السابق.
وهذا الحديث ضعيف، بل مكذوب، وسيوجه له نقد في آخر رواية منه، بعد قليل، فتنبه.

وروى عن عبدالله أيضاً رضي الله عنه قال: تمارينا في سـورة من القرآن، فقلنا: خمس وثلاثون، أو ست وثلاثون (آية)[1] قال: فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ، فوجدنا عليا رضي الله عنه يناجيه، قال: فقلنا: إنا اختلفنا في القراءة؟. قال: فاحمر وجه رسول الله ﷺ وقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، قال[2]: ثم أسرَّ إلى علي رضي الله عنه أشياء، فقال لنا علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا القرآن كما عُلِّمتم.

وروى الطبراني في الكبير، والطبري في مقدمة التفسير، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرأني عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه سورة أقرأنيها زيد رضي الله عنه وأقرأنيها أبي بن كعب رضي الله عنه، فاختلفت قراءاتهم، بقراءة أيهم آخذ؟. قال: فسكت رسول الله ﷺ، قال: وعلي رضي الله عنه إلى جنبه، فقال علي: ليقرأ كل إنسان بما عُلِّم، كل حسن جميل[3].

ولأحمد، وابن جرير وهذا لفظه وسياقه، عن علقمة قال: لما خرج

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) في د: ثم قال.

(٣) تفسير ابن جرير ١/١٢.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٥٤: فيه عيسى بن قرطاس وهو متروك. اهـ.

وقال المرحوم الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري: هذا حديث لا أصل له، رواه رجل كذاب، هو عيسى بن قرطاس، قال فيه ابن معين: ليس بشيء لا يحل لأحد أن يروى عنه. وقال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقات لا يحل الاحتجاج به. وقد اخترع هذا الكذاب شَيْخاً له وسماه «زيد القصار»، لم نجد لهذا الشيخ ترجمة ولا ذكراً في شيء من المراجع، اهـ.

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة عيسى بن قرطاس ٣/٣٢٢: قال النسائي: متروك الحديث.

وقال العقيلي: كان من الغلاة في الرفض، اهـ مختصراً.

عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه من الكوفة، اجتمع إليه أصحابه، فودعهم ثم قال: لا تنازعوا في القرآن، فإنه لا يختلف، ولا يتلاشى، ولا يتغير لكثرة الرد، وأن شريعة الإسلام واحدة، وحدوده وفرائضه فيه واحدة، لو كان شيء من الحرفين ينهي عن شيء مما أمر به الآر، لكان ذلك الاختلاف، ولكنه جامع ذلك كله، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض، ولا شيء من شرائع الإسلام، ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله ﷺ، فيأمرنا فنقرأ عليه، فيخبرنا أنا كلنا محسن. ولو أعلم أحداً أعلم بما أنزل على رسول الله ﷺ مني لطلبته حتى أزداد علْمَهُ (إلى)[1] علمي، ولقد قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة، وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان، حتى كان عام قبض، فعرض عليه مرتين، فكان إذا فرغ أقرأ عليه، فيخبرني أني محسن، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعها رغبة عنها، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف، فلا يدعنَّهُ رغبة عنه، فإنه من جحد بآية ـ وفي رواية: بحرف منه ـ جحد به كله[2].

ورواه الطبراني عن عبد الرحمن بن عابس، حدثنا رجل من همذان، من أصحاب عبدالله ـ وما سماه لنا ـ قال: لما أراد عبدالله أن يأتي المدينة، جمع أصحابه فقال:[3] والله إني لأرجو أن يكون قد أصبح فيكم من الفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقه، والعلم بالقرآن. إن هذا القرآن لا يختلف، ولا يستشنأ[4] ولا ينفذ لكثرة الرد، فمن قرأ على حرف، فلا يدعه رغبة عنه، فإنه من يجحد بآية منه، يجحد به كله، فإنما هو كقول أحدكم لصاحبه: أعجل وحيهلا[5].

(١) ساقطة من: د.

(٢) تفسيران جرير ١/١٤.

(٣) في د: وقال.

(٤) في مجمع الزوائد: «يستشنى» وهو من الشنأ بمعنى البغض، ومنه قوله تعالى: «إن شانئك هو الأبتر».

(٥) قال الهيثمي ١٥٣/٧: وفيه راوٍ لم يسمَّ وبقية رجاله رجال الصحيح.

وروى أبو عبيد في غريب الحديث، عن عمر بن الخطاب، وأبي رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها كاف شاف[1].

قال: وبعضهم يرويه: فاقرأوا كما علمتم.

وروى هذا الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، من طريق البخاري مثل رواية أبي يعلى.

ورواه الإمام أحمد مختصراً[2].

وروى الإمام أحمد ـ أيضاً ـ وهذا لفظه، والحارث في مسنديهما، وابن جرير في مقدمة التفسير، وأبو عبيد في الغريب والفضائل، عن أبي الجهم ـ ويقال: أبو الجهيم ـ الأنصاري رضي الله عنه: أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، قال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ، وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله ﷺ، فسألا النبي ﷺ فقال: القرآن يقرأ على سبعة أحرف[3].

وفي رواية للحارث: أن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ تماريا في آية من القرآن، كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ، وكلاهما ذكر لرسول الله ﷺ أنه سمعها منه.

ذكر أن رسول الله ﷺ قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلا تماروا في القرآن، فإن مراء فيه كفر،

قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح[4].

وروى الحارث بن أسامة، وأبو يعلى في مسنديهما بسند منقطع، أن عثمان رضي الله عنه قال على المنبر: أُذَكِّرُ الله رجلاً سمع النبي ﷺ يقول:

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٥٩.

(٢) مسند الإمام أحمد ١/٤٤٥.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٦٩.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٥١.

إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، كلهن كاف شاف، لما قام، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك، ثم قال عثمان: وأنا أشهد معكم لأنا سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك(١).

وسيأتي في سورتي النحل والفرقان أحاديث كثيرة من هذا.

ويأتي هناك عن أبي عبيد: أنها متواترة المعنى.

وللشيخين، وأبي عبيد، والدارمي، عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: اقرأوا القرآن ما اتفقت - وفي رواية: مائتلفت - عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه(٢).

---

(١) قال الهيثمي ١٥٢/٧: رواه أبو يعلى في الكبير وفيه راو لم يسم.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ٢٤٤/٦.

وصحيح مسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه ٢١٨/١٦.

وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب إذا اختلفتم في القرآن فقوموا ٣١٨/٢ حديث رقم ٣٣٦٢، ٣٣٦٣، ٣٣٦٤.

قال النووي في شرح مسلم: وفي هذا الحديث التحذير من مخالطة أهل الزيغ وأهل البدع، ومن يتبع المشكلات للفتنة، فأما من سأل عما أشكل عليه منها للاسترشاد، وتلَطَّف في ذلك، فلا بأس عليه، وجوابه واجب وأما الأول فلا يجاب، بل يزجر ويُعزَّر، كما عزر عمر بن الخطاب رضي الله عنه صبيح بن عسل حين كان يتبع المتشابه.

وقال: والأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمول عند العلماء على اختلاف لا يجوز، أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز، كاختلاف في نفس القرآن، أوفي معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو اختلاف يوقع في شك أو شبهة أو فتنة وخصومة، أو شجار، ونحو ذلك.

وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه، ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة، أو إظهار الحق، واختلافهم في ذلك، فليس منهياً عنه بل هو مأمور به، وفضيلة ظاهرة. وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن، والله أعلم.

ولأبي عبيد عن نافع بن سهيل قال: قال رسول الله ﷺ: اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم يَنْهَكَ فَلَسْتَ تقرأ[١].

أو قال: فلا تقرأه.

وقال ابن رجب: وروى يعقوب بن أبي شيبة، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه.

وروى عن الحسن ومكحول، من قولهما.

وروى مرفوعاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بإسناد لا يصح.

وروى مسلم في القدر[٢]، والنسائي في فضائل القرآن والمواعظ، وأبو داود الطيالسي، ومُسَدِّد، وأبو بكر بن أبي شيبة، والحارث بن أبي أسامة، في مسانيدهم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: هجَّرت[٣] إلى رسول الله ﷺ يوماً، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه الغضبُ، فقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم على أنبيائهم[٤].

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١٩٨/١ حديث رقم ١٣٣٣ من حديث عبدالله بن عمرو، ونسبه إلى الديلمي في مسند الفردوس، ولم يرمز إليه بشيء.

(٢) هذا سهو من الشيخ رحمه الله، فإن الحديث في كتاب العلم من صحيح مسلم، لا في كتاب القدر.

(٣) قال النووي في شرح مسلم ٢١٨/١٦: أي بكرت. اهـ.

وقال ابن الأثير في النهاية ٢٤٦/٥: التهجير: التبكير إلى كل شي والمبادرة إليه. يقال: هجَّر يهجر تهجيراً، فهو مهجِّر، وهي لغة حجازية. اهـ.

(٤) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب النهي عن متشابه القرآن والتحذير من متبعيه ٢١٨/١٦.

ومسند أبي داود الطيالسي: كتاب القرآن، باب ما جاء في القراءات والنهي عن الجدال في القرآن ٦/٢ حديث رقم ١٩٠٢.

قال النووي: والمراد بهلاك من قبلنا هنا: هلاكهم في الدين بكفرهم وابتداعهم، فحذر رسول الله لا من مثل فعلهم. اهـ.

وفي رواية: تنازعنا ـ أي القرآن ـ على عهد رسول الله ﷺ فقال قائل: ألم يقل الله كذا وكذا؟. فأجابه الآخر: ألم يقل الله كذا وكذا؟.

وفي رواية (أبي بكر) بن أبي شيبة: جئت يوماً، فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس[1] بفناء رسول الله ﷺ، وكنت من ورائهم، وكنت من أصغر القوم، فقال رجل: يا فلان فيم أنزلت آية كذا وكذا؟. فاختلفوا وعلت أصواتهم.

وفي رواية (له)[2] كنا جلوساً عند باب النبي ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟. وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟.

وفي رواية الحارث: جلست من رسول الله ﷺ مجلساً، ما جلست قبله ولا بعده، أغبط عندي منه. قال: قعد من وراء حجرته قوم يتجادلون بالقرآن فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فخرج مُغْضَباً كأنما فقيء في وجهه حب الرمان.

وفي رواية الحارث: فخرج محمرةً وجْنتَاه كأنما يقطران دماً، فقال: يا قوم أبهذا أمرتم، أبهذا بعثتم. إن تضربوا[3] كتاب الله بعضه ببعض، ولا تجادلوا بالقرآن، إنما ضل من كان قبلكم بجدالهم.

وفي رواية: دعوا المراء في القرآن، إنما هلك الأمم قبلكم بهذا.

وفي رواية: قال: الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا في القرآن، إن القرآن لم ينزل ليكذِّب بعضُه بعضاً، ولكن نزل ليصدِّق بعضُه بعضاً، فانظروا ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فاجتنبوه.

وفي رواية: فما كان من محكم[4] فاعملوا به، وما كان من متشابهه

---

(١) في م: جلوساً.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) كذا بالاصل. ولعل الصواب: «لا تضربوا» فحرف.

(٤) في د: حكمه.

فآمنوا به ولستم مما ههنا في شيء، فإن المراء ـ وفي رواية: فكل مراء ـ في القرآن كفر.

وفي رواية: لا تجادلوا في القرآن، فإن جدالاً فيه كفر[1].

وفي رواية أبي عبيد في الفضائل من طرق كثيرة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: صلينا ـ وفي رواية: صليت ـ مع رسول الله ﷺ الغداة، فتنحى ناس من أصحابه في بعض حجر أزواجه يقرأون القرآن، فتنازعوا في شيء منه، وأنا منتبذ[2] عنهم ـ وفي رواية: فجلست ناحية ـ فخرج عليهم رسول الله ﷺ مُغْضَباً فقال: إن القرآن يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، ما علمتم منه فاقبلوه، وما لم تعلموا فَكِلُوه إلى عالمه.

قال: قال عبدالله بن عمرو: فما اغتبطت بشيء اغتباطي بانتباذي عنهم إذ لم تصبني عينا رسول الله ﷺ.

قال شيخنا البوصيري بعد سوق هذه الروايات مفصلة: ورواه ابن ماجة في سننه مختصراً، بإسناد صحيح، من طريق أبي[3] معاوية عن داود ـ يعني: ابن أبي هند ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه[4].

---

(١) أخرجها أبو داود الطيالسي ٢/٧ حديث رقم ١٩٠٧.

(٢) أي منفرد بعيداً عنهم.

(٣) في د: ابن معاوية.

(٤) رواية ابن ماجه هكذا:

حدثنا علي بن محمد، ثنا أبو معاوية، ثنا داود بن أبي هند، عن عمرو ابن شعيب، عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: أبهذا أمرتم ـ أولهذا خلقتم ـ. تضربون القرآن بعضه ببعض؟. بهذا هلكت الأمم قبلكم. قال: فقال عبد الله ابن عمرو: ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلّفي عنه.

سنن ابن ماجة: المقدمة، باب القدر ١/٣٣ حديث رقم ٨٥.

قال الهيثمي: هذا إسناد صحيح. رجاله ثقات.

وساقه ابن رجب من هذه الطريق، وقال فيه: لا تجادلوا، فإنما هلكت الأمم من قبلكم بهذا، جادلوا القرآن بعضه ببعض، فما كان فيه من حلال فاعملوا به، وما كان فيه من حرام فدعوه وانتهوا عنه، وما كان فيه من متشابه فآمنوا به.

وروى مسدد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم.

وروى أبو داود: وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني وغيره عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: المراء في القرآن كفر[1].

قال أبو عبيد في غريب الحديث: ليس المراد بهذا المراء في التأويل بل في اللفظ، (على)[2] أن يقرأ الرجل القرآن على حرف، فيقول له الآخر: ليس هو كذا، ولكنه هكذا، على خلافه، وقد أنزلهما الله (تعالى)[3] جميعاً. انتهى[4].

وهو في المراء، الذي يلزم منه ـ لا محالة ـ الكفر، لأن مطلق الجدال منهى عنه كما دل عليه حديث عبد الله بن عمرو الماضي وغيره، سواء كان في اللفظ أو المعنى لأنه لا يأتي إلا من ارتكاب الهوى.

ومتى ترك حظ النفس، حصل الاتفاق على ما يظهر من النصوص، لأنه لا اشتباه فيه أصلاً.

---

(١) سنن أبي داود: كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن ٤/١٩٩ حديث رقم ٤٦٠٣.
وصحيح ابن حبان: كتاب العلم، باب الزجر عن تتبع المتشابه من القرآن ١/٢٣٢.

(٢) زيادة عن غريب الحديث لأبي عبيد.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١١.

وإن تعارض الظاهران، صرف أحدهما إلى أقرب ما يحتمله من ظاهر آخر وأن أشكل الحال، وجب أن نكف، ويقال: آمنا به، كل من عند ربنا.

وروى أبو بكر بن أبي عاصم[1]، عن النواس بن سمعان، عن النبي ﷺ قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، ولا تكذّبوا بعضه ببعض، فوالله إن المؤمن ليجادل بالقرآن فيُغْلَبُ، وإن المنافق ـ أو قال: الفاجر ـ ليجادل بالقرآن فَيَغْلِب.

وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس بن عبيد قال: كتبت إليَّ ميمونُ بن مهران، فأتاني كتابه، فذكر فيه أشياء ومنها:

ولا تمارينَّ عالماً ولا جاهلاً، فإنك إذا ما ريت الجاهل خشن[2] بصدرك، (أولم يطعك)[3]، وإذا ما ريت العالم خزن عنك علمه، ثم لم يبال[4] ما صنعت.

ورواه الدارمي في أوائل مسنده قال: أخبرنا سعيد بن عامر عن اسماعيل ابن ابراهيم فذكره بمعناه[5].

خطأ من يقول في القرآن برأيه

وروى أبو داود في العلم، واالترمذي في التفسير وقال: غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في سهل بن أبي حزم. والنسائي في فضائل القرآن،

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبيل أبي عاصم الصحاك بن مخلد الشيباني البصري. قاضي أصبهان. المتوفي سنة ٢٨٧ هجرية.
راجع: الرسالة ص ٣٤.

(٢) قال في اللسان ١٤١/١٣: اخشوشن عليه صدره. وخشن عليه صدره، إذا وجد عليه.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٤) في د: لا.

(٥) مسند الدارمي: كتاب العلم، باب من قال: العلم الخشية وتقوي الله ١/٩٠.

وابن جرير في مقدمة التفسير، عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ[1].

والمعنى: أخطأ في إقدامه على الكلام بالرأي.

وروى هؤلاء الأربعة أيضاً في الأبواب المذكورة، وقال الترمذي: حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار[2].

وقد كفت في بيان المعنى الرواية التي فيها «بغير علم» فبينت أن المنهى عنه: الكلام بمحض الرأي، من غير استناد إلى شيء من قوانين العلم.

وأما من تدبر كما أمره الله، وتكلم بما أدى إليه اجتهاده، فيما يعلم من لسان العرب، وسنة النبي ﷺ، وأقوال السلف، فأظهر المعنى، لم يُسبق إليه، جارياً على تلك القوانين، غير مخالف لها، فلقد أجاد كل الإجادة وأفاد أعظم الإفادة[3].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم ٣/٣٢٠ حديث رقم ٣٦٥٢.
وجامع الترمذي: كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ٤/٢٦٨ حديث رقم ٤٠٢٤.
وتفسير ابن جرير ١/٣٥.

(٢) سنن أبي داود: كتاب العلم، باب في التشديد في الكذب على رسول الله ﷺ ٣/٣١٩ حديث رقم ٣٦٥١.
وجامع الترمذي: كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ٤/٢٦٨ حديث رقم ٤٠٢٣.

(٣) وقال الإمام أبو عيسى الترمذي في جامعه ٤/٢٦٩: وهكذا روى عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يُفسِّر القرآن بغير علم. وأما الذي روى عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم: أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن - أو فسروه - بغير علم، أو من قِبَل أنفسهم، وقد روى عنهم ما يدل على ما قلنا: إنهم لم يقولوا من قِبَل أنفسهم بغير علم. اهـ.

وروى ابن جرير، وأبو يعلي، والبزار، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ما كان النبي ﷺ يفسر شيئاً من القرآن برأيه، إلا آياً تعد، علمهن إياه جبريل عليه السلام[1].

وهذا الحديث ضعيف.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه راو لم يحرر اسمه عند واحد منهما، أما البزار فقال: عن حفص - أظنه ابن عبد الله - عن هشام بن عروة وقال أبو يعلي: عن فلان بن محمد، بن خالد، عن هشام. انتهى[2].

وأما ابن جرير فسماه: جعفر بن محمد الزبيري، وقال: إنه ممن لا يعرف في أهل الآثار، فلا يجوز الاحتجاج بخبره. انتهى[3].

فقد كفانا ضعفُه مؤنتَه.

وعلى تقدير صحته، فالمراد: آي من المغيبات. ونحو ذلك، مما لا سبيل للبشر إلى الإطلاع عليه، إلا بالوحي.

وإلا، كان ذلك - كما قال ابن جرير[4] - مخالفاً لقول الله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم﴾[5].

فلو اقتصر على آيٍ معدودة، لم يكن مبيناً لهم ما نزل إليهم، بل بعضه ولكان مخالفاً للمرواه ابن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) تفسير ابن جرير ١/٣٧.
(٢) مجمع الزوائد ٦/٣٠٣.
(٣) تفسير ابن جرير ١/٣٧.
(٤) تفقير ابن جرير ١/٢٧.
(٥) سورة النحل آية ٤٤.

قال: كان الرجل إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن، حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

وغير ذلك مما شابهه عنه، وعن غيره من الصحابة، وكلام ابن عباس البحر في التفسير، وتوسعه فيه معروف، والله الموفق.

ولأبي عبيد ـ أيضاً ـ عن ابراهيم التيمي قال: خلا عمر رضي الله عنه ذات يوم فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، (فأرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فسأل: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد)[1] وقبلتها واحدة؟. فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أُنزل علينا القرآنُ فقرأناه، وعلمنا فيم نزل وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن، ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأى، فإذا كان لهم فيه رأى اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا.

قال: فزبره[2] عمر رضي الله عنه وانتهره، فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه فقال: أعد علي ما قلت، فأعاده عليه، فعرف عمر قوله.

وروى أحمد، وابن عبد الحكم في الفتوح، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هلاك أمتي في الكتاب واللين، قالوا: يا رسول الله: وما الكتاب واللين؟، قال: يتعلمون الكتاب فيتأولونه على غير ما أنزله الله، ويحبون اللين، فيدعون الجماعات والجُمَع[3].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.
(٢) أي نهره وأغلظ له القول.
(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٥٥
وفتوح مصر ص ٢٩٣.
وفيه عبد الله بن لهيعة. وحديثه حسن.

جمع الصحابة رضي الله عنهم للقرآن

١ ـ جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه[١].

وروى البخاري، والترمذي، وأبو عبيد في الفضائل، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه قتل أهل اليمامة[٢]، وعنده عمر رضي الله عنه، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر[٣] يوم اليمامة بالناس ـ وفي رواية: بقراء القرآن ـ وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، إلا أن تجمعوه، وإني لأرى: أن يجمع القرآن.

قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟. فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه، حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر.

قال زيد بن ثابت: وعمر جالس عنده لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل عاقل شاب، ولا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال، ما كان أَثْقَلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟. فقال أبو بكر: هو ـ والله ـ خير. فلم أزل أرجعه، حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر.

وفي رواية: فلم يزل يراجعني في ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، حتى شرح الله صدري، للذي شرح له صدرهما.

---

(١) غير موجود بالأصل هذا العنوان.

(٢) كانت في السنة الثانية عشرة من الهجرة بقيادة خالد بن الوليد لمقاتلة المرتدين وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب، وفيها قتل سبعون من القراء.

(٣) أي كثر وعظم، وهو استفعال من الحر، لأن المكروه غالباً يضاف إلى الحر.

فقمت فتتبعت القرآن، أجمعه من الرِّقاع، والأكتاف والعُسُب، واللِّخَاف - يعني الخزف - ، وقال أبو بكر بن أبي داود: اللخف واللخاف: الحجارة الرقاق - وقال: ومن الأضلاع، يعني: الأكتاف. وصدور الرجال، حتى وجدتِ من سورة التوبة آيتين مع (خزيمة بن ثابت، أو)[1] أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مكتوبتين مع أحد غيره: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم**﴾[2] فكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر رضي الله عنه حتى توفاه الله (ثم عند عمر رضي الله عنه حتى توفاه الله)[3]، ثم عند حفصة بنت عمر، رضي الله عنهم[4].

ولأبي بكر بن أبي شيبة، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ، فرق[5] أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد ابن ثابت رضي الله عنهما: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه.

أي بشاهدين يشهدان أن الذي أتى به كتب بين يدي رسول الله ﷺ.

وروى اسحاق بن راهوية[6]، وأحمد بن منيع، عن ابن عباس، عن

---

(١) ساقط من: د.

(٢) الأيتان: ١٢٨ - ١٢٩.

(٣) في د: وكانت.

(٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب جمع القرآن ٦/٢٢٥.
وسنن الترمذي: كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة ٥/٢٨٣ حديث رقم ٣١٠٣.

(٥) أي خاف وفزع.

(٦) هو أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم بن مطر، المعروف بابن راهوية، التميمي الحنظلي المروزي، توفي سنة ٢٣٨ هـ، وسئل: لم قيل له ابن راهوية، فقال: إن أبي ولد في الطريق، فقالت المراوزة: راهوية، يعني ولد في الطريق.
وكان رحمه الله من كبار الحفاظ، ويدل على ذلك أنه أملى المسند في التفسير من حفظه، وكان يحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلب.
راجع: الرسالة ص ٥٥.

أبي بن كعب رضي الله عنهم قال: آخر ما نزل من القرآن ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ الآية.

ورواه عبد الله بن أحمد بلفظ: آخر آية نزلت: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾الآية.

وتقدم في أوائل هذه الفضائل في آخر ما نزل غير هذا.

وروى عبد الله بن الإمام أحمد(١)، وعبد الله بن أبي داود، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أنهم جمعوا القرآن في مصاحف ـ وقال ابن أبي داود: في مصحف ـ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وكان رجال يكتبون، ويملي عليهم أُبيٌّ بن كعب رضي الله عنهم أجمعين، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ﴿ **ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾(٢) فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن فقال لهم أبي بن كعب رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ أقرأني آيتين: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم ـ إلى قوله ـ: وهو رب العرش العظيم** ﴾(٣). قال: هذا آخر ما أنزل من القرآن.

فختم (الأمر) بما فتح الله به: بالله الذي لا إله إلا هو، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾(٤).

---

(١) هو أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، الإمام الحافظ الحجة محدث العراق، ولد سنة ٢١٣، وسمع من أبيه وقرأ عليه، وسمع من يحيى بن عبد ربه صاحب شعبة.
قال الخطيب: كان ثقة ثبتا فهما. اهـ.
وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢٩٥ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/٦٦٥.

(٢) سورة التوبة آية ١٢٧.

(٣) سورة التوبة آية ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٥.
كتاب المصاحف ص ٩.

وروى عبد الله بن الإمام أحمد ـ أيضاً ـ والطبراني في الكبير، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: آخر آية نزلت: ﴿ لقد جاءكم رسول امن أنفسكم ﴾ الآية.

قال الهيثمي: وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ثقة سيء الحفظ، وبقية رجاله ثقات[1].

وروى عبد الله بن الإمام أحمد، وأبو بكر بن أبي داود، عن عباد بن عبد الله ابن الزبير قال: أتى الحارث بن خزيمة[2] رضي الله عنه بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ إلى عمر بن الخطاب، فقال: من معك على هذا؟. قال: لا أدري، والله إني لسمعتها من رسول الله ﷺ ووعيتها وحفظتها، فقال عمر رضي الله عنه: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله ﷺ، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات، لجعلتها سورة على حدة، فانظروا أي سورة من القرآن فضعوها فيها، فوضعها في آخر براءة[3].

وروى ابن أبي داود، عن عبد الرحمن بن يحيى بن حاطب، أن عثمان رضي الله عنه قال: من كان عنده شيء من كتاب الله فليأتنا به، وكان لا يقبل شيئاً من ذلك حتى يشهد عليه شاهدان، فجاء خزيمة بن ثابت فقال:

---

(١) مجمع الزوائد ٣٦/٧.
(٢) عند البخاري: أبو خزيمة الأنصاري.
(٣) كتاب المصاحف ص ٣٠.
وأشار الحافظ في الفتح ١٥/٩: إلى أنه حديث غير محفوظ.
والحق أن عجز هذا الحديث يثير في النفس الريبة والشك، لأنه يدل على أن الصحابة تصرفوا في القرآن حسب أهوائهم، وأنهم جعلوا ترتيب آياته وسوره على وفق آرائهم، لأن قوله: ﴿لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة﴾ صريح في ذلك. وقد ذكر الله سبحانه في كتابه أنه تكفل بحفظ القرآن من خطر الأهواء، واجتهادات المخلوقين، فالأولى استبعاد صدور هذه الكلمة من زيد رضي الله عنه.

إني قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما، قيل: وما هما؟. قال: تلقيت من رسول الله ﷺ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ إلى آخر السورة، فقال عثمان رضي الله عنه: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين ترى أن نجعلهما؟. فقال: اختم بهما آخر ما نزل من القرآن، فختمت بهما براءة[1].

٢ ـ جمع عثمان رضي الله عنه.

وروى البخاري والترمذي، وابن أبي داود عن أنس رضي الله عنه، أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قدم على عثمان رضي الله عنه، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان، مع أهل العراق.

وفي رواية: كان يغازي أهل الشام مع أهل العراق، في فتح أرمينية وأذربيجان.

وقال ابن أبي داود: في فرج أرمينية، وقال الفرح: الثغر[2].

وفي رواية له: وكان يغزو قِبَلَ أرمينية وأذربيجان، وأهل الشام، فتنازعوا في القرآن.

وفي رواية: اجتمع لغزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق، فتذاكروا القرآن، فاختلفوا فيه، حتى كاد يكون بينهم فتنة، فأفزع حذيفة رضي الله عنه اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما ـ وفي رواية: فركب حذيفة بن اليمان لما رأى من اختلافهم إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

قال ابن أبي داود: ففزع لذلك عثمان فزعاً شديداً، فأرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها: أن أرسلي إلينا بالصحف ـ وفي رواية: بالمصحف ـ

(١) كتاب المصاحف ص ٣١.
(٢) كتاب المصاحف ١/١٨.

ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة (رضي الله عنها)[(١)] إلى عثمان (رضي الله عنه)[(٢)]، فأمرا زيداً بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم، فنسخوا في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة رضي الله عنها، وأرسل إلع كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن ـ في كل صحيفة أو مصحف ـ أن يُحْرَق.

وقال ابن أبي داود، وقال غيره: أن يُخَرَّق.

أي بالمعجمة.

وفي رواية له: وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به، فذلك زمان حرقت المصاحف بالعراق بالنار[(٣)].

وروى ابن جرير عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه اجتمع في غزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق، فتذاكروا القرآن، فاختلفوا فيه، حتى كاد يكون بينهم فتنة، فركب حذيفة ـ لما رأى اختلافهم في القرآن ـ إلى عثمان رضي الله عنهما فقال: إن الناس اختلفوا في القرآن، حتى إني خشيت أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف.

قال: ففزع لذلك فزعاً شديداً، فأرسل إلى حفصة رضي الله عنها، فاستخرج الصحيفة التي كان أبو بكر رضي الله عنه أمر زيداً رضي الله عنه بجمعها، فنسخ منها مصاحف، فبعث بها إلى الآفاق[(٤)].

---

(١)(٢) زيادة عن: د.

(٣) كتاب المصاحف ١/٢٠.

(٤) تفسير ابن جرير ١/٢٧.

وروى الإمام أبو عمرو الداني في كتابه «المقنع في الرسم» عن حذيفة رضي الله عنه، أنه قال لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ما كنت صانعاً إذا قال الناس: قراءة فلان، وقراءة فلان كما صنع أهل الكتاب؟، فاصنع الآن فجمع عثمان الناس على هذا المصحف، وهو حرف زيد رضي الله عنه[1].

حرق عثمان الصحف بعد نسخ المصحف

ولابن أبي داود في كتاب المصاحف، عن سالم وخارجه: أن أبا بكر الصدِيق رضي الله عنه كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيداً بن ثابت (رضي الله عنه)[2] النظر في ذلك، فأبي حتى استعان عليه بعمر رضي الله عنه، ففعل، فكانت تلك الكتب عند أبي بكر رضي الله عنه، حتى توفي، ثم عند عمر رضي الله عنه حتى توفي، ثم عند حفصة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها، فأرسل إليها عثمان رضي الله عنه، فأبت أن تدفعها، حتى عاهدها ليردنها إليها، فبعثت بها إليه، فنسخها عثمان في هذه المصاحف، ثم ردها إليها، فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان، فأخذها فحرقها[3].

وفي رواية: فلما كان مروان أمير المدينة، أرسل إلى حفصة رضي الله عنها يسألها عن الصحف ليحرقها.

وفي رواية أبي عبيد: ليمزقها، وخشى أن يخالف[4] بعض الكُتَّاب بعضاً فمنعته إياها.

قال ابن شهاب: فحدثني سالم بن عبد الله قال: فلما توفيت حفصة، أرسل إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بعزيمة ليُرسلنَّ بها ساعة رجعوا

---

(١) المقنع ص ١٦.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) كتاب المصاحف ٢/٩، ١٠.

(٤) في م: يخالفه، بزيادة ضمير في آخره. ولا معنى له.

من جنازة حفصة فأرسل بها عبد الله بن عمر إلى مروان فغشاها[1]، وحرقها.

وفي رواية أبي عبيد: فمزقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك اختلاف لما نسخ عثمان رضي الله عنه.

وفي رواية: فأمر بها فشققت.

وقال مروان: إنما فعلت هذا، لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف، فخشيت ـ إن طال بالناس زمان ـ أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول: إنه قد كان منها شيء لم يكتب.

وروى الطبراني ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح ـ عن سالم أن مروان[2] كان يرسل إلى حفصة رضي الله عنها (يسألها عن المصحف الذي نسخ منه القرآن)[3] فتأبى حفصة أن تعطيه إياها، فلما دفنا حفصة، أرسل مروان إلى إبن عمر رضي الله عنهما أرسل إليَّ بذلك المصحف. فأرسلها إليه.

وقال أبو عبيد في الفضائل ـ بعد أن روي الحديث ـ: لم تسمع في شيء من الحديث أن مروان هو الذي مزق المصحف إلا في هذا الحديث.

وروى أبو عبيد عن عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة قال: أتى عليّ رجل وأنا أصلي فقال: ثكلتك أمك، ألا أراك تصلي، وقد أمر بكتاب الله أن يمزق؟. قال: فتجوزت في صلاتي، وكنتُ لا أُحْبَسُ، فدخلت الدار فلم أحبس، ورقيت فلم أحبس فإذا أنا بالأشعري، وإذا حذيفة وابن مسعود رضي الله عنهم يتقاولان، وحذيفة يقول لابن مسعود: ادفع إليهم المصحف. فقال:

---

(١) في هامش م: لعله: فشققها.
(٢) في د: ابن، وهو خطأ.
(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

والله لا أدفعه، فقال: ادفعه إليهم فإنهم لا يألون أمة محمد ﷺ خيراً، فقال: والله لا أدفعه، أقرأني رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ثم أدفعه إليهم؟. والله لا أدفعه إليهم.

وللبخاري وأبي عبيد وعبد بن حميد، عن خارجة بن زيد بن ثابت، أنه سمع زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما نسخنا الصحف في المصحف، فقدت آية من سورة الأحزاب، كنتُ كثيراً أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري.

وفي رواية: فالتمسناها، فوجدناها مع خزيمة الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين:

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[1]

وفي رواية: مع خزيمة، فألحقناها في سورتها في المصحف.

قال عبد في روايته: وكان خزيمة يُدعى ذا الشهادتين[2]، فقتل يوم صفين، مع عليّ رضي الله عنه.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٦/٢٢٦.
(٢) أخرج الإمام أحمد في المسند ٥/٢١٥. وأبو داود في السنن: كتاب الأقضية، باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز أن يحكم به ٣/٣٠٨ حديث رقم ٣٦٠٧. والنسائي في السنن: كتاب البيوع، باب التسهيل في ترك الإشهاد على البيع ٧/٣٠١ - واللفظ لأبي داود - عن عمارة بن خزيمة، أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي، فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابيُّ رسول الله ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال: أوليس قد ابتعتُه منك؟. فقال الأعرابي: لا. والله ما بعتكه، فقال النبي ﷺ: بلى قد ابتعته منك، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بعتكه. فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة =

وفي الأثر الأول دلالة على أنه كان لما أمره الصديق رضي الله عنه ألا يكتب إلا إذا كان قد وجد مكتوباً بحضرة النبي ﷺ وأمره، وقابله - مع ذلك - على المحفوظ في صدور الرجال.

وفي هذا الأخير دليل من قوله: «نسخنا الصحف في المصاحف» إلى آخره أنه أعاد التتبع كما فعل أولاً، ليصح قوله: «فقدت آية من سورة الأحزاب». لأن افتقادها فرع العلم بها، ومن أبعد البعيد: أن يكون سمع النبي ﷺ كثيراً يقرؤها ولا يحفظها، ولا سيما وهو مذكور فيمن جمع القرآن في حياة النبي ﷺ.

والظاهر من هذا التتبع الذي لا يجوز لمن مارس أمثال هذه الهمم أن يفهم غيره: أن يكون لا ينقل آية، إلا إذا وجد من صفاتها على حسب ما هي مكتوبة عدد التواتر، ولارادة (حفظاً)[1] هذا المكتوب بحضرة النبي ﷺ وبأمره إذا جاز له لمثل هذه النازلة، نهى ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو، فلا يوجد مثل هذه الواقعة، فلا تكون الثقة به وإن كان محفوظاً في الصدور، كالثقة به إذا وجد ما كتب منه

= فقال: بم تشهد؟. فقال: بتصديقك يا رسول الله. فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

قال ابن القيم في أعلام الموقعين ١٣٨/٢: وهذا التخصيص إنما كان لمخصص اقتضاه، وهو مبادرته دون من حضر من الصحابة إلى الشهادة لرسول الله ﷺ أنه قد بايع الأعرابي، وكان فرض على كل من سمع هذه القصة أن يشهد أن رسول الله ﷺ قد بايع الأعرابي، وذلك من لوازم الإيمان، والشهادة بتصديقه ﷺ وهذا مستقر عند كل مسلم، ولكن خزيمة تفطن لدخول هذه القضية المعينة تحت عمون الشهادة لصدقه في كل ما يخبر به، فلا فرق بين ما يخبر به عن الله، وما يخبر به عن غيره، في صدقه في هذا وهذا، ولا يتم الإيمان إلا بتصديقه في هذا وهذا. فلما تفطن خزيمة دون من حضر لذلك، استحق أن تجعل شهادته بشهادتين، أ هـ.

(١) ساقطة من: د.

بحضرته[١] ﷺ، وكأنه لم يكن كالذي فعله الصديق رضي الله عنه من كل وجه.

وروى الإمام أحمد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال: طوبي للشام. قيل: ولم ذلك (يا)[٢] رسول الله؟. قال: إن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليها[٣].

الذين جمعوا القرآن من الصحابة

وروى الشيخان، والترمذي، وأبو عبيد، وأبو داود الطيالسي، عن أنس رضي الله عنه قال: جَمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة، كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد. يعني زيد بن ثابت[٤]. رضي الله عنهم. قيل لأنس[٥]: من أبو زيد؟. قال: أحد عمومتي.

وفي رواية للبخاري عنه: مات النبي ﷺ، ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبي الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد: ونحن ورثناه[٦].

واسمه سعد بن عبيد[٧].

---

(١) في د: بحضرة النبي.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/١٨٥.

(٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٦/٢٣٠.

وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بن كعب ١٦/١٩.

(٥) القائل قتادة كما صرحت به رواية مسلم.

(٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٦/٢٣٠.

(٧) قال النووي في شرح مسلم ١٦/١٩: أبو زيد هذا هو: سعد بن عبيد بن النعمان

وهذا الحصر بالنسبة إلى علم أنس رضي الله عنه، أو بالنسبة إلى الأنصار رضي الله عنهم.

قال الإمام أبو شامة في كتاب «المرشد الوجيز»: وقد أشبع القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في كتاب «الانتصار» الكلام في حملة القرآن في حياة رسول الله ﷺ، وأقام أدلة كثيرة على أنهم كانوا أضعاف هذه العدّة المذكورة وأن العادة تحيل خلاف ذلك، ويشهد لصحة (ذلك)[1] كثرة القراء المقتولين يوم مسيلمة باليمامة، وذلك في أول خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وما في الصحيح من قتل سبعين من الأنصار يوم بئر معونة، كانوا يسمون القراء.

وقد قال عبد ار بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة، فقال لي رسول الله ﷺ: اقرأه في شهر، الحديث[2].

وعبد الله غير مذكور في هذه العِدَّة، فدل على أنها ليست للحصر، وما كان من ألفاظها للحصر، فله تأويل.

قال: وقد ذكر القاضي له تأويلات سائغة، منها:

= الأوسي من بني عمرو بن عوف، بدري يعرف بسعد القارىء استشهد بالقادسية سنة خمس عشرة، في أول خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أ هـ.
وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: هذا هو قول أهل الكوفة، وخالفهم غيرهم فقالوا: هو قيس بن السكن الخزرجي من بني عدي بن النجار، بدري. قال موسى بن عقبة: استشهد يوم جيش أبي عبيدة بالعراق سنة خمس عشرة أيضاً، أ هـ.
وفي التجريد للذهبي ٢١٦/١: سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس الأنصاري الأوسي من بني أمية بن زيد أبو زيد القارىء، أ هـ.
فتسميته «سعد» أولى لأنه المشهور عند علماء التراجم، وأما تسميته بقيس فربما جاء من إطلاق اسم أحد جدوده عليه. والله أعلم.

(١) زيادة عن المرشد لأبي شامة.

(٢) تقدم هذا الحديث مخرجاً ص ١٧٠.

أنه لم يجمعه على جميع وجوهه، والأحرف والقراءات التي نزل بها، وأخبر رسول الله ﷺ أنها كلها شاف كاف، إلا أولئك النفر (فقط)[1].

ثم قال: المازري[2]: وإن لم يكمل القرآن سوى أربعة، فقد حفظ جميع أجزائه مئون، لا يحصون، وما من شرط كونه متواتراً أن يحفظ الكلُّ الكلَّ[3].

وقال النووي في أواخر التبيان: أعلم أن القرآن العزيز، كان مؤلَّفاً في زمن النبي ﷺ على ما هو في المصاحف اليوم، ولكن لم يكن مجموعاً في مصحف، بل كان محفوظاً في صدور الرجال.

فكان طوائف من الصحابة يحفظونه كلَّه، وطوائف يحفظون أبعاضاً منه، فلما كان زمن أبي بكر رضي الله عنه (وقتل[4] كثير من حملة القرآن، خاف موتهم، واختلاف من بعدهم، فاستشار الصحابة رضي الله عنهم في جمعه في مصحف، فأشاروا بذلك)[5].

يعني خاف عليه فجمعه.

وروى البخاري في المناقب عن عبد الله بن عمرو، أنه ذُكر عنده عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فقال: ذلك رجل لأزال أحبه بعد ما سمعت

---

(١) زيادة عن المرشد الوجيز.

(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميم المازري، من كبار أئمة المالكية في عصره، ولد سنة ٤٥٣ هـ، ونسبته إلى مازر بجزيرة صقلية، وتوفي بالمهدية سنة ٥٣٦ هـ، عن ثلاث وثمانين سنة. ومن تصانيفه: المعلم بفوائد كتاب مسلم، وايضاح المحصول في علم الأصول.

راجع: وفيات الأعيان ٤١٣/٣.

(٣) المرشد الوجيز ص ٣٨ ـ ٤٠.

(٤) زايدة عن التبيان.

(٥) التبيان للنووي ص ١٢٧.

رسول الله ﷺ يقول: استقرؤوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود ـ فبدأ به ـ وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، رضي الله عنهم[١].

وروى ابن أبي داود عن مسروق قال: قال عبد الله ـ حين صنع بالمصاحف ما صنع ـ: والذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة إلا أعلم حيث أنزلت، وما من آية إلا أعلم فيم أنزلت، ولو أني أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني، تبلغه الإبل لأتيته[٢].

ورواه عنه أبو عبيد، ولفظه: قال: لو أعلم أحداً تبلغنيه الإبـل، أحدث عهداً بالعرضة الأخيرة مني لأتيته.

أو قال: لتكلفت أن آتيه.

وروى ابن أبي داود عن زر قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وأن لزيد ابن ثابت ذؤابتين[٣] (يلعب[٤] مع الصبيان)[٥].

وروى أبو بكر ـ أيضاً ـ عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه، وهو بعرفة فقال: يا أمير المؤمنين جئتك من الكوفة، وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلب، قال: فغضب عمر رضي الله عنه وانتفخ حتى كاد (أن يملأ)[٦] ما بين شعبتي الرجل، قال: من هو ويحك؟. قال: هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: فما زال يطفأ ويتسري عنه الغضب،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود ٢/٣٠٧.
(٢) كتاب المصاحف لابن أبي داود ١/١٤ ـ ١٦.
(٣) الذؤابة: الشعر المضفور من شعر الرأس. النهاية ٢/١٥١.
(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.
(٥) كتاب المصاحف ١/١٤.
(٦) ساقطة من: د.

حتى عاد إلى حاله التي كان عليها ثم قال: ويحك، والله ما أعلم بفتى من الناس أحداً هو أحق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك، كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر الليلة، كذلك في الأمر من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ يمشي، وخرجنا معه نمشي، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله ﷺ: من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما نزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد، قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول: سل تعطه، سل تعطه، فقال عمر رضي الله عنه: فقلت: والله لأغدون فلأبشرنه.

قال: فغدوت لأبشره، فوجدت أبا بكر رضي الله عنه قد سبقني إليه فبشره ولا ـ والله ـ ما سابقته[1] قط إلى خير، إلا سبقني إليه[2].

ورواه أبو عبيد ولفظه: عن علقمة، عن عمر رضي الله عنه قال: سمرنا ليلة عند أبي بكر رضي الله عنه في بعض ما يكون من حاجة رسول الله ﷺ فخرجنا ورسول الله ﷺ يمشي بيني وبين أبي بكر، فلما انتهينا إلى المسجد، إذا رجل يقرأ، فقام يستمع، فقلت: يا رسول الله أَعْتَمْتَ؟، فَغَمَزَنِي بيدِهِ، فسكتُّ، فقرأ وركع وسجد، وجلس يدعو ويستغفر، فقال رسول الله ﷺ: سَلْ تعطه، ثم قال: من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل، فليقرأ كما قرأه ابن أم عبد.

قــال:

علمت أنا وصاحبي أنه عبد الله فلما أصبحت غدوت عليه لأبشره فقال: قد سبقك أبو بكر رضي الله عنه، قال: وما سابقته إلى خير قط، إلا سبقني إليه[3].

---

(١) يعني أبا بكر رضي الله عنه.

(٢) كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٣٧.

(٣) كتاب المصاحف ص ١٣٧.

وروى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة(١).

دقة المسلمين في جمع القرآن

وروى الإمام أبو عمرو الداني في كتابه «المقنع» عن أبي قلابة، عن رجل من بني تميم يقال له ـ فيما أحسب ـ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: اختلفت المعلمون في القرآن حتى اقتتلوا، وكان بينهم قتال، فبلغ ذلك إلى عثمان رضي الله عنه فقال: أعندي تختلفون وتكذِّبون وتلحنون فيه يا أصحاب رسول الله ﷺ؟. اجتمعوا فاكتبوا للناس إما يجمعهم، فكانوا في المسجد فكثروا، فكانوا إذا تماروا في الآية يقولون: إنه إقرأها رسول الله ﷺ فلان بن فلان وهو على رأس أميال من المدينة، فيُبْعث إليه من المدينة فيجيء، فيقولون: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟. فيقول كذا وكذا. فيكتبون كما قال(٢).

وله من رواية أخرى عن أبي قلابة قال: حدثنا من كان يكتب معهم ـ قال حماد: أظنه أنس بن مالك القشيري رضي الله عنه ـ قال: كانوا يختلفون في الآية فيقولون: أقرأها رسول الله ﷺ فلان ابن فلان، فعسى أن يكون على رأس ثلاث ليال من المدينة.

---

(١) أخرجه الترمذي ـ بهذا اللفظ ـ : كتاب المناقب، باب عبد الله بن مسعود ٤/٣٣٨ حديث رقم ٣٨٩٨.
وأخرجه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب سالم، ومناقب عبد الله بن مسعود ٤/٢١٨، ومناقب معاذ بن جبل ومناقب أبي بن كعب ٤/٢٢٨، وكتاب فضائل القرآن، باب القرءُ من أصحاب النبي ﷺ ٦/١٠١.
ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن مسعود ١٦/١٨
(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ١٧.

فذكره نحو ما مضى[١].

ولابن أبي داود، وابن جرير، عن أبي قلابة قال: لما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب: فلا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراء بعض، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه، فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون فيه وتنحتون[٢]، فمن نأى عني من الأمصار[٣] أشد فيه اختلافاً، وأشد بحثاً، فاجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً.

قال أبو قلابة: فحدثني مالك بن أنس[٤] قال: كنت فيمن أملي عليهم، فربما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله أن يكون غائباً، أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدَعْون موضعها، حتى يجيء، أو يرسل إليهم، فلما فرغ من المصحف، كتب عثمان رضي الله عنه إلى أهل الأمصار: إني قد صنعت كذا، وصنعت كذا، ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم[٥].

وقد ساق ابن جرير خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه في جمعه المصحف، وخبر عثمان رضي الله عنه في مثل ذلك سياقاً واحداً، حسناً شافياً، بسند رجاله رجال الصحيح، فقال:

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، بنا[٦] عبد العزيز بن محمد الدراوردي،

---

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ١٧

(٢) كذا. ولعل الصواب: تلحنون.

(٣) في د: الأنصار.

(٤) هكذا في كتاب المصاحف: وعند ابن جرير: أنس بن مالك.

(٥) كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٢١.
وتفسير ابن جرير ١/ ٢٧.

(٦) عند ابن جرير: قال: حدثنا.

عن عمارة ابن غُزِيَّة، عن ابن شهاب، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه زيد رضي الله عنه قال: لما قتل أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة، دخل عمر ابنالخطاب على أبي بكر، رضي الله عنهما فقال: إن أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة، تهافتوا تهافُتَ الفراش في النار، (وإني)[1] أخشى أن لا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك، حتى يُقْتَلُوا وهم حملة القرآن، فيضيع القرآن ويُنسى، فلو جمعته وكتبته؟. فنفر منها أبو بكر رضي الله عنه وقال: أفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ؟.

فتراجعا في ذلك، ثم أرسل أبو بكر رضي الله عنه إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه.

قال زيد: فدخلت عليه، وعمر رضي الله عنه عنده، فقال أبو بكر: إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبَيْتُ عليه، وأنت كاتب الوحي، فإن تكن معه أوافقكما[2]، وإن توافقني لا أفعل.

قال: فاقتص أبو بكر قول عمر، وعمر ساكت، فنفرت من ذلك فقلت: أنفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ؟. إلى أن قال عمر كلمة: وما عليكما لو فعلتما؟.

قال: فذهبنا ننظر، فقلنا: لا شيء، والله ما علينا في ذلك شيء.

قال زيد: فأمرني أبو بكر فكتبته في قِطَع الأُدُم[3]، وكِسِرَ الأكتاف، والعُسُب[4] فلما هلك أبو بكر وكان عمر، كتب ذلك في صحيفة واحدة،

---

(١) زيادة عن ابن جرير.
(٢) عند ابن جرير: اتبعتكما.
(٣) يعني قطع الجلد.
(٤) قال أبو عبيد في الغريب ١٥٦/٤: العسب واحدها عسيب وهو: سعف النخل، وأهل الحجاز يسمونه الجريد.
وراجع: النهاية ٢٣٤/٣.

فكانت عنده، فلما هلك كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي ﷺ، ثم إن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم من غزوة غزاها بمَرْج أرمينية[1]، فلم يدخل بيته، حتى أتى عثمان ابن عفان رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس، قال عثمان: وما ذاك؟. قال: غزوت مَرْج أرمينية، فحضرها أهل العراق وأهل الشام فإذا أهل الشام يقرأون بقراءة أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فيكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه، فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام، فيكفرهم أهل الشام، قال زيد رضي الله عنه: فأمرني عثمان بن عفان رضي الله عنه أن أكتب له مصحفاً وقال: إني مدخل معك رجلاً لبيباً فصيحاً، فما اجتمعتما عليه فاكتباه، وما اختلفتما فيه فارفعاه إليَّ، فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص.

قال: فلما بلغنا ﴿ إن آية مُلْكِه أن يأتيكم التَّابُوتُ ﴾[2]. قال زيد: فقلت: «التابوه» وقال أبان: «التابوت» فرفعنا ذلك إلى عثمان، فكُتِبَت «التابوت».

قال: فلما فرغت عرضته (عرضة)[3]. فلم أجد فيه هذه الآية: ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وما بدَّلوا تبديلاً** ﴾[4]. فاستعرضت المهاجرين أسألهم فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت فكتبتها، ثم عرضته عرضة أخرى، فلم أجد فيه هاتين

---

(١) عند ابن جرير: فرج أرمينية.
(٢) سورة البقرة آية ٢٤٧.
(٣) زيادة عن ابن جرير.
(٤) سورة الأحزاب آية ٢٣.

الآيتين ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾[١] إلى آخر السورة.

فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم (عنها)[٢] فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها مع رجل آخر - أيضاً - يدعى خزيمة[٣]، فأثبتها في آخر براءة، ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة[٤].

ثم عرضته عريضة أخرى، فلم أجد فيه شيئاً، ثم أرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها يسألها أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها ليردنها إليها، فأعطته إياها فعرض المصحف عليها، فلم يختلفا في شيء، فردها إليها وطابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف، فلما ماتت حفصة رضي الله عنها، أرسل إلى عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيفة بعزمة، فأعطاهم إياها، فغسلت غسلاً[٥].

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) سيأتي بعد قليل أن يذكر المؤلف الفرق بين الرجلين.

(٤) في النفس شيء من نسبة هذه العبارة «ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة» إلى زيد رضي الله عنه، لأنها توحي أن الصحابة رضي الله عنهم قد تصرفوا في القرآن حسب أهوائهم، وما تمليه عليه اجتهاداتهم، وأنهم وضعوا كل سورة - بل وكل آية - وفق ما يعن لهم، وهذا أمر بعيد، بل هو المحال بعينه، فوضعهم السور كل سورة عقب أختها، أرجح الأقوال فيه: أنه توقيفي، وأما وضع الآيات في سورها فهذا من المقطوع به أنه توقيفي بترتيب رسول الله ﷺ، فقد كان كما نزلت عليه آية قال لكتاب الوحي: ضعوها في سورة كذا، بعد آية كذا، ومات ﷺ والقرآن مرتب الآيات، متماسك الأواصر، فمن أبعد البعيد، أن يضع زيد آية في سورة ليست منها، أو يؤلف سورة مكونة من عدة آيات على هوى نفسه، وباجتهاده هو، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»؟.

(٥) تفسير ابن جرير ١/٢٦.

وقوله: «لم يفعله رسول الله ﷺ» لعله يعني: كاملاً وإلَّا فقد كان النبي ﷺ لا ينزل عليه شيء، سواء كان آية، أو بعض آية، أو آيات، أو سورة كاملة إلَا دعى كُتَّاب الوحي فيكتبونها، أو من يكتبها منهم.

وقد روى الإمام أحمد، والبيهقي رضي الله عنه في كتاب «المدخل» والدلائل عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا حول رسول الله ﷺ نؤلِّف القرآن من الرقاع، إذ قال: طوبى للشام، فقيل: ولم؟. قال: إن ملائكة الرحمة[1] باسطوا أجنحتها عليهم[2].

قال أبو شامة: ثم قال ـ يعني البيهقي ـ: وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما أنزل من الآيات المتفرقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ، ثم كانت مثبتة في الصدور، مكتوبة في الرقاع واللخاف[3]، والعسب، فجمعها منها في مصحف بإشارة أبي بكر وعمر، ثم نسخ ما جمعه في الصحف في مصاحف بإشارة عثمان بن عفان رضي الله عنه، على ما رسم المصطفى ﷺ[4].

وأخرج هذا الحديث الحاكم في المستدرك، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[5].

---

(١) في الجامع الصغير للسيوطي ٤/٢٧٤ بشرح المناوي عن الطبراني: الرحمن.
(٢) مسند الإمام أحمد ٥/١٨٤، ١٨٥/ط الحلبي.
(٣) قال أبو عبيد في الغريب ٤/١٥٦: اللخاف واحدتها لخفة، وهي حجارة بيض رقاق.
وقال صاحب النهاية ٤/٢٤٤: ومنه حديث جارية كعب بن مالك: فأخذت لخافة من حجر فذبحتها بها.
(٤) هذا هو الكلام اللائق بأهمية هذا العمل، واعتقاد أن ترتيب القرآن وجمعه كان على نمط ما أشار به النبي ﷺ عند كتابة القرآن وقت نزوله. ويستحيل قطعاً أن تكون آية منه وضعت تلقائياً في سورة من السور لأن ما يجوز على آية واحدة من التلفيق والاتفاق، يجوز على جميع آيات القرآن وحاشا أصحاب رسول الله ﷺ أن يرتبوا آيات القرآن على حسب أهوائهم.
(٥) مستدرك الحاكم ٢/٢٢٩.

قال: وفيه البيان الواضح: أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد[1] جمع بعضه بحضرة النبي ﷺ، ثم جمع بحضرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

والجمع الثالث، وهو ترتيب السور، كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان، رضي الله عنهم أجمعين[2].

قال أبو شامة: وخزيمة هذا - يعني صاحب آية الأحزاب - غير أبي خزيمة الذي وجد معه آخر براءة.

ذاك أبو خزيمة بن أوس بن زيد، من بني النجار، شهد بدراً، وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه [3].

وهذا خزيمة «بن ثابت» بن الفاكه، من الأوس، شهد أُحُداً وما بعدها، وقتل يوم صفين[4]. وقيل غير ذلك[5].

قال ابن جرير: فإن قيل: فما بال الأحرف الستة غير موجودة، أنسخت فرفعت بعد ما أنزلها الله تعالى على نبيه ﷺ، وأقرأها ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، أم نسيتها الأمة، فذلك تضييع لما أُمِرَتْ بحفظه؟.

قيل: لم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة، وهي مأمورة بحفظها، ولكنها

---

(١) في د: بل.
(٢) المرشد الوجيز ص ٤٥.
والكلام من قوله: «قال وفيه البيان الواضح» إلى «أجمعين» نقله ابن شامة من المستدرك فهو من كلام الحاكم ٢/٢٢٩ كتاب التفسير، باب جمع القرآن لم يكن مرة واحدة.
(٣) ترجمته في التجريد ٢/١٦٢ ترجمة رقم ١٨٩٧.
والاصابة ٤/٥٢ ترجمة رقم ٣٤٤ من باب الكنى.
(٤) قال ابن حجر في تقريب التهذيب ١/٢٢٣: ذو الشهادتين من كبار الصحابة شهد بدراً، وقتل مع علي يوم صفين، سنة سبع وثلاثين.
(٥) المرشد الوجيز ص ٥١.

أمرت بحفظ القرآن وخُيِّرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت، كما أمرت ـ إذا هي حنثت في يمين وهي موسرة ـ أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت: إما بعتق، أو إطعام، أو كسوة.

فلو اجتمع[1] جميعها على التكفير بأي الكفارات الثلاث شاء المكفر، كانت مصيبة حكم الله: مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله.

فكذلك (الأمة)[2] أمرت بحفظ القرآن، وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت، فرأت علة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد، ورفض القراءة بالستة الباقية، ولم يحظر على أحد قراءته بجميع حروفه، على ما أذن له فيه[3].

وروى أبو عمرو الدانيعن عامر قال: (قال صعصعة)[4]: استخلف الله أبا بكر رضي الله عنه، فأقام المصحف[5].

وعن هشام بن عروة (عن أبيه أن)[6] أبا بكر رضي الله عنه أول من جمع القرآن في المصحف حين قتل أهل اليمامة وعثمان رضي الله عنه الذي جمع المصاحف على مصحف واحد[7].

وروى أبو عبيد في الفضائل عن المطلب بن زياد عن السدي، عن عبد خير[8] قال: أول من جمع القرآن بين اللوحين أبو بكر.

---

(١) عند ابن جرير: أجمع.

(٢) زيادة عن ابن جرير.

(٣) تفسير ابن جرير ١/٢٥.

(٤) زيادة عن المقنع.

(٥) المقنع ص ١٨.

(٦) ساقطة من: د.

(٧) المقنع ص ١٨.

(٨) هو عبد خير بن يزيد الهمداني، أبو عمارة الكوفي، قال الحافظ في التقريب ١/٤٧٠: ثقة، لم يصح له صحبة.

وله عن عبد خير، عن علي رضي الله عنه قال: رحم الله أبا بكر، كان أول من جمع القرآن.

وروى الداني عن ابن وهب[1]، عن مالك رحمه الله، أنه قال: إنما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ[2].

تأييد الناس عثمان في حرق الصحف

وعن سويد بن غَفَلة[3] قال: قال لي علي رضي الله عنه: لو وُلِّيت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه[4].

وروى أبو عبيد، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف، عن سويد بن غفلة الجعفي، قال: قال علي رضي الله عنه في المصاحف - وفي رواية: حين حرق عثمان رضي الله عنه المصاحف -: لو لم يصنعه عثمان رضي الله عنه لصنعته[5].

وفي رواية: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً - أوقولوا له خيراً - في المصاحف واحراق المصاحف، فوالله ما فعل (الذي فعل)[6] في المصاحف إلا

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، المصري، الفقيه.
قال الحافظ في التقريب ١/٤٦٠: ثقة حافظ عابد، صاحب مالك، مات سنة سبع وتسعين. أ هـ.

(٢) المقنع ص ١٨.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في التقريب ١/٣٤١: سويد بن غفلة - بفتح المعجمة والفاء - أبو أمية الجعفي، مخضرم. من كبار التابعين، قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ، وكان مسلماً في حياته، ثم نزل الكوفة، ومات سنة ثمانين، وله مائة وثلاثون سنة. أ هـ.

(٤) المقنع ص ١٨.

(٥) كتاب المصاحف ص ٢٣.

(٦) ساقطة من: د.

عن ملأ منا جميعاً، فقال: ما تقولون في هذه القراءة، فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفراً، قلنا: فما ترى؟. قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا (تكون)[1] فرقة، ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.

قال: فقيل: أي الناس أفصح، وأي الناس أقرأ؟. قالوا: أفصح سعيد ابن العاص، وأقرؤهم زيد بن ثابت، فقال: ليكتب أحدهما، ويملي الآخر، ففعلا وجمع الناس على مصحف واحد.

قال علي رضي الله عنه: والله لو وليت لفعلت الذي فعل[2].

ورواه من طريق مصعب بن سعد، وقال في آخره: فما رأيت أحداً عاب ذلك عليه.

وقال النووي في التبيان: وكان فعله ـ أي عثمان رضي الله عنه ـ أي الذي ذكر في جمع المصحف، واتلاف ما سواه ـ باتفاق منه ومن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسائر الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم.

وإنما لم يجمعه النبي ﷺ (في مصحف واحد)[3]، لما كان يتوقع من زيادة[4]، أو نسخ بعض المتلو، ولم يزل ذلك التوقُّع إلى وفاته ﷺ[5].

وروى ابن أبي داود ـ أيضاً ـ عن أبي المحياة[6] عن بعض آل طلحة بن مصرف قال: دفن عثمان المصاحف بين القبر والمنبر.

---

(١) زيادة عن ابن أبي داود.

(٢) كتاب المصاحف ١/٢٢.

(٣) زيادة عن التبيان.

(٤) في التبيان: زيادته.

(٥) التبيان ص ١٢٧.

وقال النووي بعد ذلك: فلما أَمِنَ أبو بكر وسائر أصحابه ذلك التوقع واقتضت المصلحة جمعه، فعلوه رضي الله عنهم.

(٦) أبو المحياة ـ بضم الميم وفتح الحاء المهملة، وتشديد الياء التحتانية، وهاء بعدها ـ =

وروى ابن أبي داود، وأبو بكر بن أبي شيبة، عن عبد خير، أنه قال: قال علي رضي الله عنه: يرحم الله أبا بكر، هـو أول من جمع مـا بين اللوحين[1].

وفي السنن الكبرى للبيهقي عن علي رضي الله عنـه قال: اختلف الناس في القرآن على عهد عثمان رضي الله عنه، فجعـل الرجـل يقول للرجل: قراءتي خير من قراءتك فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه، فجمعنا أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: إن الناس قد اختلفوا اليوم في القراءة وأنتم بين ظهرانيهم، (فقد رأيت)[2] أن أجمعهم على قراءة واحدة، قال: فأجمع رأينا مع رأيه على ذلك.

قال: وقال علي رضي الله عنه: لو وليت مثل هذا الذي ولي، لصنعت مثل الذي صنع.

وفي رواية: يرحم الله عثمان، لو كنت أنا لصنعت في المصاحف ما صنع عثمان رضي الله عنه.

أخرجه البيهقي في المدخل.

وروى الداني، وأبو عبيد، وابن أبي داود، عن مصعب بن سعد - يعني: ابن أبي وقاص - قال: أدركت الناس - قال ابن أبي داود -: متوافرين - حـين شقق عثمان المصـاحف، فأعجبهم ذلـك. أو قال: لم يعب ذلـك أحد[3].

= هو: يحيى بن يعلى التيمي، الكوفي. ثقة.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٣٦٠.

(١) المصاحف لابن أبي داود ١/٥ بطرق مختلفة.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) المقنع ص ١٨.
وكتاب المصاحف لابن أبي داود ١/١٢.

وقال أبو عبيد: وقال مصعب بن سعد[1]: أدركت الناسَ حين فعل عثمان رضي الله عنه ما فعل، فما رأيت أحداً أنكر ذلك.

يعني من المهاجرين والأنصار. وأهل العلم.

عدد المصاحف التي نسخها عثمان

قال أبو عمرو: وأكثر العلماء على أن عثمان رضي الله عنه، لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن. فوجه إلى الكوفة إحداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة.

وقد قيل: إنه جعله سبع نسخ[2]، ووجَّه من ذلك ـ أيضاً ـ نسخة إلى مكة، ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين[3].

والأول: أصح، وعليه الأئمة، انتهى[4].

وقد روى ابن أبي داود في كتاب «المصاحف» القول الأول عن حمزة الزيات وقال: فبعث بمصحف منها إلى الكوفة، فوضع عند رجل من مراد، فبقي حتى كتبت[5] مصحفي[6] عليه[7].

والقول الثاني رواه عن أبي حاتم السجستاني[8].

---

(١) هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص، أبو زرارة المدني، تابعي، من الثقات وكان كثير الحديث، توفي سنة ١٠٣ هجرية.

راجع: الطبقات الكبرى ١٦٩/٥، تهذيب التهذيب ١٦٠/١٠.

(٢) أشار مكي بن أبي طالب في الإبانة ص ٤٩ بأن رواته أكثر.

(٣) نسبه أبو شامة في المرشد ص ٧٣ إلى أبي حاتم السجستاني، وسينبه عليه المؤلف بعد قليل.

(٤) المقنع ص ٩.

(٥) في د: كتب.

(٦) في د: مصحفه.

(٧) (٨) كتاب المصاحف ص ٣٤.

وتصديق ما مضى من النقول عن الصحابة رضي الله عنهم بموافقة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: أنه ببركته وحسن نيته، وقع الحفظ لهذه الأمة، فانقطعْ ما كان به الخلاف بحفظ ما أثبته على سبيل التواتر، وذهاب ما أمر بتركه، فلم ينقل منه شيء من وجه يصح، واجتمعت الأمة على حظر قراءته، والمنع الشديد من تلاوته.

المنع من القراءات الشاذة

قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح المهذب: ولا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة[1]، لأنها ليست قرآناً، فإن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر فلو خالف وقرأ بالشاذ، أنكر عليه.

---

(١) القراءة الشاذة - في مصطلح علماء القراءات - هي التي تروى آحاداً، وتخالف خط المصحف العثماني، وقد تكون صحيحة السند، موافقة للعربية.

ومن أمثلة هذه القراءات:

القراءة المنسوبة إلى إبن عباس: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم» «في مواسم الحج».

والقراءة المنسوبة إلى عائشة وحفصة: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» «صلاة العصر».

والقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبي وقاص: وله أخ أو أخت «من أم».

والقراءة المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود: إن كانت إلا «زقية» واحدة.

وفي كتب التفسير والحديث والنحو أمثلة كثيرة من هذه القراءات، مثل تفسير الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان، والفتح القدير للشوكاني.

وقد اختلف العلماء في حكم القراءات الشاذة المخالفة لرسم المصحف العثماني.

فنقل الزركشي في البرهان ١/٣٣٢ عن ابن الصلاح أنه قال: إن ما خلا القراءات العشر المتواترة والمستفيضة يقيناً وقطعا - على ما تقرر وتمهد في الأصول - ممنوع على العالم وغير العالم القراءة به منع تحريم، لا منع كراهة في الصلاة وخارج الصلاة، وواجب على من قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك، ويجب منع القارىء بالشواذ وتأثيمه بعد تعريفه وأن لم يمنع عزر. =

وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ[١].

ونقل الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر إجماع المسلمين على أنه[٢] لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يُصَلَّى خلف من قرأ بها[٣].

قال العلماء: فمن قرأ بالشاذ ـ إن كان جاهلاً به وبتحريمه ـ عُرِّف ذلك فإن عاد إليه بعد ذلك، أو كان عالماً به، عُزِّز تعزيزاً بليغاً، إلى أن ينتهي عن ذلك، ويجب على كل مكلَّف قادر على الإنكار أن ينكر عليه.

فإن قرأ الفاتحة في الصلاة بالشاذ، فإن لم يكن فيها تغيير معنى، ولا زيادة حرف ولا نقصه، صحت صلاته، وإلا، فلا[٤].

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ١٣/٣٩٤: وهو قول أكثر العلماء لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ، وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة. أ هـ.

وذهب الإمام ابن الجزري إلى جواز القراءة بالشاذ من القراءات بشرط استفاضتها واشتهارها، فإذا لم تبلغ حد الاشتهار فلا يجوز القراءة بها. ونقل في ذلك كلاماً عن بعض أئمته في النشر ١/١٥.

والحق: أن ذلك قد يفتح باباً خطيراً تدخل منه المطاعن إلى التواتر القرآني، ويتخذ منه أعداء الإسلام سلاحاً يتهجمون به على كتاب الله تبارك وتعالى.

وقد فطن المسلمون الأول إلى هذا فجمعوا القرآن في مصحف واحد وتركوا ما يخالف رسمه من القراءات، وجعلوا سدودا واقية بين القرآن، وبين أسباب التشكك فيه.

وقد كان عبد الله بن مسعود يقرىء الناس بلسان هذيل، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن القرآن نزل بلسان قريش، فاقرىء الناس بلغة قريش. لا بلغة هذيل.

راجع: الجمع الصوتي الأول للقرآن للدكتور لبيب السعيد ص ٢٨٩.

(١) البرهان للزركشي ١/٣٣٣.

(٢) في د: أنها، وهو مخالف لما في المجموع.

(٣) التمهيد ٤/٦٥.

(٤) إلى هنا ينتهي كلام النووي في المجموع ٢/٣٩٢ /ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

ترك البسملة بين الأنفال وبراءة

روى أحمد وأبو داود، والترمذي وقال: حسن، وأبو عبيد في الفضائل وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف، والحاكم وصححه على شرط الشيخين، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان رضي الله عنه: ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتموها في السبع الطول، ما حملكم على ذلك؟.

فقال عثمان رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان، وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، وكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها - وقال أبو عبيد: في الموضع الذي يذكر فيه - كذا وكذا، فإذا نزلت عليه الآية يقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، فإذا نزلت عليه الآية يقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت - براءة من أواخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أمرها[(١)].

وفي رواية: أنها منها، فمن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتها في السبع الطول[(٢)].

---

(١) كيف وقد قال الله تعالى: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون؟.

(٢) في النفس من هذا الحديث شيء، وفي نسبته إلى عثمان رضي الله عنه شك وريب.
قال العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد ١/٣٢٩: في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له، يدور إسناده في كل رواياته على يزيد الفارسي، الذي رواه عن ابن عباس. تفرد به عنه =

. . . .

عوف بن أبي جميلة الأعرابي وهو ثقة. فقد رواه أبو داود ١/٢٨٧ ـ ٢٨٨. والترمذي ٤/١١٣ وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي عن ابن عباس. وفي نسخة الترمذي طبعة بولاق ٢/١٨٢ ـ ١٨٣: حسن صحيح. وزيادة التصحيح خطأ، فإن النسخ الصحيحة التي في شرحه للمباركفوري ليس فيها هذا.

وكذلك لم يذكر في مخطوطتنا الصحيحة من الترمذي، التي صححها الشيخ عابد السندي محدث المدينة في القرن الماضي، وهي التي وضعتها في ص ١٣ من مقدمة شرحي على الترمذي.

وأيضاً: فلم ينقل المنذري والسيوطي عن الترمذي إلا تحسينه.

أنظر شرح أبي داود، والدر المنثور ٣/٢٠٧. ورواه ـ أيضاً ـ ابن أبي داود في كتاب المصاحف ٣١ ـ ٣٢ بثلاثة أسانيد.

والحاكم في المستدرك ٢/٢٢١ ـ ٣٣٠ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢/٤٢.

كلهم من طريق عوف، عن يزيد الفارسي.

ونسبه السيوطي أيضاً في الدر المنثور لابن أبي شيبة، والنسائي ولم أجده فيه، وابن المنذر، وابن حبان، وغيرهم.

ويزيد الفارسي هذا اختلف فيه: أهو يزيد بن هرمز، أم غيره؟.

قال البخاري في التاريخ الكبير ٢/٤/٣٦٧: قال لي علي: قال عبد الرحمن: يزيد الفارسي هو ابن هرمز. قال: فذكرته ليحيى فلم يعرفه. قال: وكان يكون مع الأمراء.

وفي التهذيب ١١/٣٦٩: قال ابن أبي حاتم: اختلفوا هل هو ـ يعني ابن هرمز ـ يزيد الفارسي، أو غيره؟. فقال ابن مهدي وأحمد: هو ابن هرمز.

وأنكر يحيى بن سعيد القطان أن يكونا واحداً، وسمعت أبي يقول: يزيد بن هرمز هذا ليس بيزيد الفارسي، هو سواه.

وذكره البخاري أيضاً في كتاب الضعفاء الضغير ص ٣٧، وقال نحواً من قوله في التاريخ الكبير.

فهذا يزيد الفارسي الذي انفرد برواية هذا الحديث، يكاد يكون مجهولاً حتى شبه على مثل ابن مهدي وأحمد والبخاري أن يكون هو ابن هرمز أو غيره، ويذكره البخاري في الضعفاء، فلا يقبل منه هذا الحديث ينفرد به. وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي: قراءة، وسماعاً وكتابة في المصاحف. =

. . . .

وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه وحاشاه من ذلك.
فلا علينا إذا قلنا: إنه حديث لا أصل له، تطبيقاً للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث.
قال السيوطي في تدريب الرواي ص ٩٩ في الكلام على أمارات الحديث الموضوع: أن يكون منافياً لدلالة الكتاب القطعية، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي.
وقال الحافظ ابن حجر ابن حجر في شرح التحفة: ومنها ما يؤخذ من حال المروي كأن يكون مناقضاً لنص القرآن، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي.
وقال الخطيب في كتاب «الكفاية» ص ٤٣: ولا يقبل خبر الواحد في منافاة حكم العقل، وحكم القرآن الثابت المحكم، والسنة المعلومة، والفعل الجاري مجرى السنة، وكل دليل مقطوع به.
وكثيراً ما يضعف أئمة الحديث راوياً لانفراده برواية حديث منكر يخالف المعلوم من الدين بالضرورة، أو يخالف المشهور من الروايات.
فأولى ان نضعف يزيد الفارسي هذا بروايته هذا الحديث منفرداً به، إلى أن البخاري ذكره في الضعفاء، وينقل عن يحيى القطان: أنه كان يكون مع الأمراء.
ثم بعد كتابة ما تقدم وجدت الحافظ ابن كثير نقل هذا الحديث في التفسير ١٠٦/٤، ١٠٧ وفي كتاب «فضائل القرآن» المطبوع في آخر التفسير ص ١٧ ـ ١٨. ووجدت أستاذنا العلامة السيد محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ علق عليه في الموضوعين.
فقال في الموضع الأول بعد الكلام على يزيد الفارسي: فلا يصح أن يكون ما انفرد به معتبراً في ترتيب القرآن الذي يطلب فيه التواتر.
وقال في الموضع الثاني: فمثل هذا الرجل لا يصح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ به في ترتيب القرآن المتواتر.
وهذا يوافي ما ذهبنا إليه، فلا عبرة بعد هذا كله في هذا الموضوع بتحسين الترمذي، ولا بتصحيح الحاكم، ولا بموافقة الذهبي، وانما العبرة للحجة والدليل، والحمد لله على التوفيق.
انتهى كلام الشيخ أحمد شاكر عليه رحمه الله، وهكذا ذكره بنصه في تعليقه على صحيح ابن حبان حديث رقم ٤٢.
وقد بحث هذا الحديث أستاذنا الجليل: الأستاذ الدكتور أحمد محمد يوسف القاسم في كتابه «الإعجاز البياني في ترتيب القرآن الكريم وسوره» فقال: استدل البيهقي =

= والسيوطي، وابن كثير في فضائل القرآن، وغيرهم، بهذا الحديث، على أن ترتيب سور القرآن ثابت بالتوقيف، إلا الأنفال وبراءة.

قال القرطبي: وفي قول عثمان ﴿قبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها﴾ دليل على أن السور كلها انتظمت بقوله وتبيينه، وأن براءة وَحْدَهَا ضمت إلى الانفال من غير عهد من النبي ﷺ، لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك، وكانتا تدعيان القرينتين، فوجب أن تجمعا وتضم إحداهما إلى الأخرى، للوصف الذي لزمهما من الاقتران ورسول الله ﷺ حي.

ويقول ابن حجر: ولما لم يفصح النبي ﷺ بأمر براءة، أضافها عثمان إلى الأنفال، اجتهاداً منه رضي الله عنه.

وهذا غير مُسَلَّم، إذ كيف نثبت في المصحف أمراً قائماً على مجرد الظن ومن عثمان وحده؟. وقد قال الخطيب في كتابه «الكفاية»: لا يقبل خبر الواحد في منافاة حكم العقل، وحكم القرآن الثابت المحكم، والسنة المعلومة والفعل الجاري مجرى السنة، وكل دليل مقطوع به.

وقوله: ﴿إن رسول الله لَّا كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، يدل في الجملة على التوقيف في القرآن.

وقوله: «فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها»، بعيد إذ الأنفال نزلت في السنة الثانية عقب غزوة بدر، وسورة التوبة نزلت في أواخر السنة التاسعة بعد غزوة تبوك، وبعد خروج أبي بكر على رأس المسلمين إلى الحج، فكيف يعقل أن يظل رسول الله ﷺ زهاء خمسة عشر شهراً، ولا يبين للناس أنها منها، أو غيرها؟. إنه بذلك يكون قد تأخر عن البيان في وقت الحاجة إليه، بل وما تقبل البيان، وحاشاه ﷺ أن يفعل ذلك، ثم إن إطلاق الاسم على كل منها واختلافه فيهما مما يعين أن هذه غير تلك، فقد سمى النبي ﷺ كلاً منهما.

فنسبة كل منهما باسم مستقل يدل أن مدلول كل منهما مختلف، ولكن لأنهما متحدان في الموضوع، وهو وضع الأسس التي بها يقوم الكيان الإسلامي الداخلي والخارجي، وفي الهدف وهو: معالجة شئون المسلمين، وان اختلفت هذا الشئون لاختلاف زمن نزولها، أقول: نظراً لاتحاد السورتين في الموضوع والهدف، فوق ما هنالك من وجوه المناسبات بينهما الواضحة قيل إنهما سورة واحدة، والمراد: كالسورة الواحدة، من باب التشبيه البليغ، فالتوبة كالمتممة للأنفال.

ثم إن عثمان رضي الله عنه يقول: «فظننت أنها منها» وظَنُه هذا ليس حجة في أمر =

. . . .

= القرآن، فإنه وان لم يقف على ما يفيده القطع في براءة والأنفال، وفعل ما فعل بناء على ظنه، إلا أن غيره وقف، وقبل ما فعله ولم يتوقف.

وأيضاً فإن هذا الظن لم يمنعه من ترك فاصل بينهما، دون كتابة سطر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ولم لا يكون علم بعد ذلك، بدليل موافقة أبي بن كعب وغيره من أصحاب المصاحف على ترتيب مصحف عثمان.

أما قوله: ﴿فمن ثم قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

فإن «بسم الله الرحمن الرحيم» لا تخضع لهوى الكاتب يثبتها أو يحذفها كما يشاء.

أخرج أبو داود والحاكم وابن حبان وصححاه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى ينزل «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي رواية: فإذا نزلت «بسم الله الرحمن الرحيم» علموا أن السورة قد انقضت.

قال الحافظ أبو شامة: هذا حديث حسن.

وانما لم تذكر في أول براءة:

قيل: لأنها جاءت بنقض العهود، أو لأن البسملة أمان، أو لغير ذلك من الوجوه التي ذكرها القرطبي والعيني وغيرهما من أئمة التفسير والحديث. والصحيح: ما رواه الإمام القشيري حيث قال: جرد الله سبحانه هذه السورة عن ذكر «بسم الله الرحمن الرحيم»، ليعلم أنه يخص من يشاء وما يشاء بما يشاء، ويفرد من يشاء وما يشاء بما يشاء، ليس لصنعه سبب، وليس له في أفعاله غرض ولا أدب، واتضح للكافة: أن هذه الآية أثبتت في الكتاب لأنها منزلة، وبالأمر هنالك محصلة.

ثم ضعف الوجوه الأخرى التي ذكروها.

فالحاصل: أن البسملة لم ينزل بها جبريل عليه السلام، وما ذكروه فهو التماس للحكمة، مثلما قاله محمد بن الحنفية وسفيان بن عيينة، وما رواه أبو الشيخ، وابن مردوية، عن ابن عباس عن علي أنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف.

هذا وقد قام الإجماع على أن سورة الأنفال سورة مستقلة، غيرها غير سورة التوبة، ومن هنا كان قول الزركشي: إن سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة بإجماع أهل الحل والعقد.

وقال السيوطي: أما سورة فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به.

قال الفخر الرازي: قال القاضي: يبعد أن يقال: إنه عليه الصلاة والسلام لم يبين كون هذه السورة تالية لسورة الأنفال، لأن القرآن مرب من قِبَل الله تعالى ومن قِبَل رسوله ﷺ على الوجه الذي نقل.

انتهى كلام أستاذنا الدكتور احمد قاسم، وهو من الوضوح والشمول بمكان. =

وروى البخاري عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان رضي الله عنه: الآية التي في البقرة: ﴿ **والذين يُتَوَفَّون منكم ويَذَرُون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحَوْل غيرَ إخراج** ﴾ـ[1] لم تكتبها وقد نسختها الآية الأخرى[2]؟ قال: يا ابن أخي لا أُغَيِّر شيئاً (عن)[3] مكانه[4].

بدعة تزيين المصحف

وروى ابن أبي داود، عن أبي بن كعب، وأبي ذر، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، رضي الله عنهم، أن كلا منهم قال: إذا حليتم مصاحفكم، وزوقتم مساجدكم فعليكم الدثار[5].

وروى ـأيضاًـ عن برد بن سنان قال: ما أساءت أمة العمل، إلا زَيَّنَتْ مصاحفها[6] (ومساجدها)[7].

وروى أيضاً عن شقيق، وأبي وائل من طريقين، أن كلا منهما قال: مرَّ عليَّ عبدالله بمصحف، قد زين بالذهب، فقال: إن أحسن ما زُيِّنَ به المصحف، تلاوته في الحق[8].

وعن أبي وائل قال: جاء رجل إلى عبدالله فقال: الرجل يقرأ القرآن منكوساً. فقال: منكوس القلب[9].

= وبهذا يتبين لنا أن الحديث مردود من أصله، لأن متنه تدور حوله الإشكالات، وتوجه إليه الانتقادات، التي تطعن في صحته، أضف إلى ذلك أن أسناده ضعيف متهافت لا يصح الاحتجاج برجاله. والقرآن فوق ذلك كله.

(١) الآية: ـ٢٤.

(٢) هي الآية ٢٣٤ من نفس السورة.

(٣) زيادة عن البخاري.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب سورة البقرة ٦/٣٦.

(٥) في الأصل: الديار، والتصويب عن كتاب المصاحف.

(٦) ساقطة من: د.

(٧) كتاب المصاحف ص ١٥٠ ـ ١٥١.

(٨)(٩) كتاي المصاحف ص ١٥٠ ـ ١٥١.

ورواه أبو عبيد بسند صحيح.

وللطبراني برجال ـ قال الهيثمي: ثقات[1] ـ عن عبدالله رضي الله عنه، أنه جاءه (رجل)[2] فقال: يا أبا عبد الرحمن، أرأيت رجلاً يقرأ القرآن منكوساً؟. قال: ذاك منكوس القلب، فأتي بمصحف قد زُيِّن وذُهِّب، فقال عبدالله: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته في الحق.

وقد تقدم في أوائل الفضائل.

وتقدم كلام أبي عبيد عليه في غريب الحديث[3].

النهي عن خلط سورة بسورة في القراءة

وفي مصنف عبد الرزاق في الجامع عن ابن عيينة[4]، عن عبد الرحمن بن حرملة: سمعت بن المسيب[5] يقول: مر النبي ﷺ بأبي بكر رضي الله عنه وهو يصلي وهو يخافت، ومر بعمر رضي الله عنه وهو يجهر، ومر ببلال رضي الله عنه وهو يخلط فأصبحوا فاجتمعوا عنده فقال: مررت بك يا أبا هريرة وأنت تخافت، قال: أجل بأبي وأمي، إني أسمع من أناجي. قال: ارفع شيئاً. قال: مررت بك يا عمر وأنت تجهر. قال: أجل بأبي وأمي، أسمع الرحمن، وأوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان. قال: اخفض شيئاً. قال:

---

(١) مجمع الزوائد ١٦٨/٧.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) راجع ص ١٣٤.

(٤) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي المكي. قال ابن حجر في التقريب ٣١٢/١: ثقة حافظ فقيه امام حجة، مات في رجب سنة ثمان وتسعين، وله احدى وتسعون سنة.

(٥) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران القرشي المخزومي.

قال ابن حجر في التقريب ٣٠٦/١: أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه. اهـ.

ومررت بك يا بلال وأنت تخلط. قال: أجل بـأبي وأمي، أخلط الطَّيِّب بالطَّيِّب. قال: اقرأ كل سورة على نحوها[1].

ورواه أبو عبيد عن يحيى بن سعيد، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد ابن المسيب، وقال: قال لبلال: مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، فقال: أخلط الطيب بالطيب. فقال: اقرأ السورة على وجهها.

ورواه عن عمر[2] مولى غُفْرة وقال: قال لبلال: إذا قرأت السورة فانفذها.

وروى هذا الحديث أبو داود بإسناد ـ قال النووي في شرح المهذب: صحيح[3] ـ عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ خرج ذات ليلة، فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه يصلي يخفض من صوته، ومر بعمر رضي الله عنه وهو يصلي رافعاً صوته، فلما اجتمعا عند النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك. قال (قد)[4] أسمعتُ من ناجيتُ يا رسول الله، وقال لعمر رضي الله عنه: مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك؟. فقال: يا رسول الله، أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان. فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئاً. وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً[5].

---

(١) المصنف: كتاب الصلاة، باب قراءة الليل ٢/٤٩٥ حديث رقم ٤٢٠٩ مرسلاً.

(٢) هو عمر بن عبد الله المدني، مولى غفره ـ بضم الغين المعجمة، وسكون الفاء ـ كان كثير الإرسال. تقريب التهذيب ٢/٩٥.

(٣) المجموع ٣/٣٩١ ط محمد منير الدمشقي.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراء في صلاة الليل ٢/٣٧ حديث رقم ١٣٢٩.

قال النووي: ورواه أبو داود ـ أيضاً ـ بإسناد صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه بهذه القصة، ولم يذكر قوله: «فقال لأبي بكر» وزاد:

«وقد سمعتك يا بلال تقرأ من هذه السورة، ومن هذه السورة. قال: كلام طيب يجمعه الله بعضه إلى بعض، فقال النبي ﷺ: كلكم قد أصاب[1].

هذا ما أردت جمعه من فضائل القرآن، وحَمَلَته، وآدابه، والاعتناء بجمعه على العموم.

---

(١) سنن أبي داود: الكتاب والباب السابقين، حديث رقم ١٣٣٠.
وعندي: أن الحديث الأول أولى بالمصير إليه، ويجب العمل به من الحديث الثاني الوارد في سنن أبي داود.
قال الإمام بدر الدين الزركشي في البرهان ٤٦٨/١ نقلاً عن البيهقي: وأحسن ما يحتج به أن يقال: إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي ﷺ، وأخذه عن جبريل، فالأولى بالقارىء: أن يقرأه على التأليف المنقول المجمع عليه. وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم.
ونقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية من كل سورة، وقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ مر بأبي بكر وهو يقرأ يخفض بصوته، وبعمر يجهر بصوته». وذكر الحديث، وفيه فقال: «وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة؟. فقال: كلام طيب يجمعه الله بعضه إلى بعض. فقال: كلكم قد أصاب».
وفي رواية لأبي عبيد في «فضائل القرآن»: قال بلال: أخلط الطيب بالطيب. فقال: اقرأ السورة على وجهها ـ أو قال: نحوها، وهذه زيادة مليحة.
وفي رواية: إذا قرأت سورة فأنفذها.
وروى عن خالد بن الوليد أنه أمّ الناس فقرأ من سُور شتى، ثم التفت الى الناس حين انصرف، فقال: شغلني الجهاد عن تعلّم القرآن.
ثم قال أبو عبيد: الأمر عندنا على الكراهة في قراءة القراء هذه الأبيات المختلفة، كما أنكر رسول الله لْا لى بلال، وكما اعتذر خالد عن فعله ولكراهة ابن سيرين له.
وقال الزركشي نقلاً عن الحكيم الترمذي: فبلال رضي الله عنه كان يقصد آيات الرحمة وصفات الجنة فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت ممتزجة كما أنزل الله =

فضائل القرآن بخصوص السور [1]

وأما بخصوص السور :

ما جاء في الاستعاذة [1]

فروى أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، عن أبي سعيد

= تعالى، فإنه أعلم بدواء العباد وحاجتهم، ولو شاء لصنّفهم أصنافاً، وكل صنف على حدة، ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام لا يمل، انتهى بتصرف.

وقال الشيخ غزلان: والقراءة على هذا النحو بدعة ذميمة جرى عليها القراء في هذا الزمان، والذي يحملهم عليها أمران:

أحدهما: حبهم أن يُسْمعوا الناس آيات البشارة والرحمة، دون آيات الوعيد والتهديد، والتخويف بالنار والعذاب. وذلك حمق منهم وجهل، فإن الحكمة تقضي بالجمع بين التبشير والتخويف، دون الاقتصار على أحدهما، فان التبشير والترغيب علاج اليائسين والخائفين، والتهديد والوعيد علاج الغافلين والمغرورين، فلا بد من الجمع بينهما، ليكون في القرآن علاج للناس جميعاً، لا لبعض دون بعض، وليكون فيه أيضاً تحذير للمتقين عاقبة المذنبين وتثبيت لهم على حالهم. وترغيب للمذنبين في أن يسلكوا سبيل المتقين ليفوزوا بثمرات أعمالهم الطيبة في الدنيا والآخرة.

فظهر بذلك أنه لا غنية لأحد عن الترغيب والترهيب، فمن أعرض عن قراءة الآيات التي فيها ذكر النار وأهوالها، أو فيها أوصاف الكفار والعصاة وذمهم وتهديدهم وانذارهم بسوء العاقبة، فقد أهمل جانباً كبيراً مما جاء القرآن لأجله، ويشتد الخطب في ذلك ويعظم إذا اعتقد أن في هذه الآيات من البشاعة ما يقضي باستحسان عدم قراءتها واسماعها للناس.

والأمر الثاني الذي يحملهم على ترك بعض آيات السورة: هو كونهم أقدر على إجادة النغم في بعض الموضوع دون بعض، فيعرضون عن قراءة أجزاء متفرقة منها، ويعمدون إلى قراءة أجزاء أخرى متفرقة لهذا الغرض.

فيتبين من ذلك كله: أن الدافع لهم في كل من الحالتين ذميم مرذول، وأن قراءة القرآن على هذا الوجه تخل ببلاغته، وبالأغراض المقصودة من تلاوته. اهـ. ص ٢٩٦ من كتاب البيان في علوم القرآن.

(١) غير موجود بالأصل.

الخدري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل كبَّر . ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك (١) ، ثلاثاً ، تبارك اسمك ، وتعالى جدك (٢) ، ولا اله غيرك ، ثم يقول : لا إله إلا الله ، ثلاثاً ، ثم يقول : الله أكبر كبيرا ، ثلاثاً ، أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، من همزه ، ونفخه ، ونفثه (٣) .

قال النووي : ولكن الحديث ضعيف (٤) .

ورواه أبو عبيد في غريب الحديث ، ولفظه :

« كان إذا استفتح القراءة في الصلاة قال : أعوذ بالله من الشيطان

---

(١) قال الخطابي في معالم السنن ١/٣٧٥: أخبرني ابن خلاد قال: سألت الزجاج عن دخول الواو في «وبحمدك»؟. فقال معناه: وبحمدك سبحانك.

(٢) قال السندي في شرح سنن النسائي ٢/١٣٢: أي على جلالك وعظمتك.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من رأي الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ١/٢٦ حديث رقم ٧٧٥.

وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ١/١٥٣ حديث رقم ٢٤٢.

وسنن النسائي: كتاب الإمامة، باب نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة ١وبين القراءة ٢/١٣٢ه.

وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب افتتاح الصلاة ١/٢٦٤ حديث رقم ٨٠٤.

ومدار الحديث على عليّ بن علي بن نجاد بن رفاعة الرفاعي البصري، وكنيته أبو اسماعيل، قال الحافظ المنذري في السنن ١/٣٧٥: وثقة غير واحد، وتكلم فيه غير واحد، اهـ.

وراجع الميزان ٣/١٤٧ ترجمة رقم ٥٨٩٥.

(٤) راجع الأذكار ص ٤٣، والمجموع ٣/٣٢٣، كلاهما للإمام النووي.

وسبب ضعفه: أن فيه علي بن علي بن نجاد بن رفاعة البصري أبو اسماعيل رمي بالقدر.

راجع: الخلاصة ص ٢٧٦، والميزان ٣/١٤٧، ومختصر سنن أبي داود ١/٣٧٥.

الرجيم من همزه ونفثه ونفخه ، فقيل : يا رسول الله ، ما همزه ونفثه ونفخه ؟. فقال : أما همزه : فالموتة. وأما نفثه : فالشعر . وأما نفخه : فالكبر (١) .

قال أبو عبيد : المُوتَة : الجنون . وانما سمَّاه همزاً لأنه جعله من النَّخْس والغمز ، وكل شيء دفعته فقد همزته .

وسمى الشعر نفثاً ، لأنه كالشيء ينفثه الإنسان من فيه ، مثل الدقيقة ونحوها وأما الكبر فإنه سمي نفخاً ، لما يوسوس إليه الشيطان في نفسه ، فيعظمها عنده ويحقر الناس في عينه حتى يدخله الكبر ، والتجبر والزهور (٢) .

لكن المختار لجميع القراء العشرة ، وعامة الفقهاء ، في لفظ التعوذ : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » من غير زيادة ، موافقة لما ورد في سورة النحل من قوله تعالى : ﴿ فإذا قَرَأْتَ القرآنَ ـ أي أردت قراءته ، إرادةً قاربت الشروع فيها (٣) ـ **فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ (٤) .

وموافقة لما في الصحيحين عن سليمان بن صُرَد (٥) رضي الله عنه قال : استبّ رجلان عند النبي ﷺ ، وأحدهما يسب صاحبه مُغْضَباً ، قد

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٧٧.
وراجع: الفائق للزمخشري ٣/٢١٣.
(٢) غريب الحديث لأبي عبيد: الموضوع السابق.
(٣) ساقط من: د.
(٤) سورة النحل آية ٩٨.
(٥) قال الحافظ في التقريب ١/٣٢٦: سليمان بن صرد ـ بضم المهملة وفتح الراء ـ ابن الجون الخزاعي، أبو مطرّف الكوفي، صحابي. قتل بعين الوردة، سنة خمس وستين. هجرية.

احمر وجهه ، فقال النبي ﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها ، لذهب عنه ما يجده ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (١) .

ورواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي في اليوم والليلة ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه (٢) .

ورواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه (٣) .

قال شيخنا العلامة مقرىء زمانه شمس الدين بن الجزري في كتابه النشر ، وقد روى الطبراني في الكبير ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ـ فذكر حديثاً يأتي في سورة الحجر ـ إلى أن قال : ثم قرأ

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بد ء الخلق، باب صفة ابليس وجنوده ٤/٩٣، وكتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ٧/٩٩.
وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند ١٦/١٦٣.

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/١٤٠، ١١٤.
وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب ٤/٢٤٨ حديث رقم ٤٧٨٠. كلاهما عن معاذ بن جبل: من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه.

(٣) جامع الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول عند الغضب ٥/٥٠٤ حديث رقم ٣٤٥٢ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.
وراجع: النشر ١/٢٤٤ حيث نص فيه على رواية معاذ.
قال الترمذي: وهذا حديث مرسل. عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل، ومات معاذ في خلافة عمر بن الخطاب، وقتل عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام ابن ست سنين.
قال الحافظ المنذري في مختصر سنن أبي داود ٧/١٦٦: وما قاله الترمذي ظاهر جداً، فإن البخاري ذكر ما يدل على أن مولد عبد الرحمن بن أبي ليلى سنة سبع عشرة، وذكر غير واحد: أن معاذ بن جبل توفي في الطاعون سنة ثمان عشرة، وقيل: سنة سبع عشرة.
وقد أخرج النسائي هذا الحديث من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي ابن كعب، وهذا متصل، اهـ.

رسول الله ﷺ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . الر[1] : ﴿ **تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ، ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾[2] .

وروى أبو الفضل الخزاعي[3] ، من طريق يعقوب الحضرمي[4] ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال : قرأت على النبي ﷺ فقلت : أعوذ بالله السميع العليم . فقال لي : يا ابن أم عبد قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أخذته عن جبريل ، عن ميكائيل ، عن اللوح المحفوظ .

وقال : حديث غريب جيد الإسناد من هذا الوجه .

وذكر[5] (شيخنا)[6] له طرقاً غير هذه[7] ، ثم قال : ورواه الخزاعي ـ أيضاً ـ في كتابه « المنتهى »[8] بإسناد غريب ، عن عبدالله بن

---

(١) سورة الحجر آية ١ ـ ٢ .

(٢) قال الهيثمي ٤٥/٧ : فيه خالد بن نافع الأشعري، قال أبو داود: متروك ـ قال الذهبي: هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك، فقد حدث عنه أحمد ابن حنبل وغيره ـ وبقية رجاله ثقات.

(٣) هو أبو الفضل محمد بن جعفر، بن عبد الكريم، بن بديل، الخزاعي الجرجاني مؤلف كتاب «المنتهي في القراءات العشر» يشمل على مائتين وخمسين رواية وكتاب «تهذيب الأداء في السبع»، قال ابن الجزري: إمام حاذق مشهور من أئمة القراء الموثوق بهم، وتوفي سنة ٤٠٨ هجرية.

راجع: النشر ٣٤/١ وطبقات القراء ١٠٩/٢ ترجمة رقم ٢٨٩٣ .

(٤) المتوفي سنة ٢٠٥ هجرية عن ثمانين عاماً، قال ابن الجزري في النشر ١٨٦/١ : كان إماماً كبيراً، ثقة عالماً، صالحاً ديِّناً، انتهت إليه رياسة القراءة بعد أبي عمرو.

وراجع: طبقات القراء ١٠٩/٢ .

(٥) زيادة عن: د.

(٦) يعني به شيخه شمس الدين ابن الجزري صاحب النشر.

(٧) راجع النشر ٢٤٤/١ .

(٨) قال ابن الجزري في النشر ٩٣/١ : المنتهى في القراءات العشر.

وقال عنه في طبقات القراء ١٠٩/٢ : المنتهي في الخمسة عشر.

مسلم بن يسار قال : قرأت على أبي بن كعب رضي الله عنه فقلت : أعوذ بالله السميع العليم . فقال : يا بني عمن أخذت هذا ؟. قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، كما أمر الله عز وجل [١] .

وأورد شيخنا عن أبي عمرو الداني ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول ما نزل جبريل على رسول الله ﷺ علمه الاستعاذة ، فقال : يا محمد قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم [٢] .

ورواه ابن جرير بلفظ : ﴿ أستعيذ بالله من السميع العليم ﴾ من وجه ضعيف ومنقطع [٣] .

ما جاء في البسملة

وروى ابن مردويه [٤] في تفسيره بسند ـ قال ابن رجب : ضعيف ـ عن بريدة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : أنزلت عليَّ آية لم تنزل على نبي غـير سليمان بن داود عليـه السلام وغيـري ، وهي : بسم الله الـرحمن الرحيم .

---

(١) النشر ١/٢٤٤ .

(٢) النشر ١/٢٤٧ .

ونقل ابن الجزري عن شيخه الحافظ ابن كثير أنه أورده وعقب عليه بقوله: وهذا اسناد غريب، وانما ذكرناه ليُعرف، فإن في سنده ضعفاً وانقطاعاً.

(٣) تفسير ابن جرير ١/٤٠ .

(٤) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردوية الأصبهاني، صاحب التاريخ والتفسير المسند، والمعروف بأن مردوية الكبير، جد ابن مردوية الصغير توفي سنة ٤١٦هـ، أما حفيده فهو الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد ابن أحمد بن موسى بن مردوية المتوفي سنة ٤٩٨ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٣/١٠٥٠، والرسالة المستطرفة ص ٢٤.

وروى أبو داود عن ابن عباس ، والبراء ، رضي الله عنهم ، وصحح الحاكم حديث ابن عباس قال : كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة ، حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم [١] .

ورواه البزار ـ قال الهيثمي : بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح [٢] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ لا يعرف خاتمة السورة ، حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ، فإذا نزل ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ، علم أن السورة قد ختمت ، واستقبلت ـ أو ابتدَأت ـ سورة أخرى .

قال ابن رجب : وروى أبو ذر الهروي في معجمه [٣] بإسناد ضعيف ، عن أبي بريدة (رضي الله عنه) [٤] ، أن النبي ﷺ قرأ : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ، فسردها عشرين مرة .

فضل سورة الفاتحة

وروى الإمام أحمد في المسند ، عن ابن جابر رضي الله عنه ، أن النبي

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من جهر بها ١/٢٠٩ حديث رقم ٧٨٨.
والمستدرك: كتاب الصلاة، باب كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ١/٢٣١.

(٢) مجمع الزوائد ٢/١٠٩.

(٣) في د: أبو داود الهروي في مجمعه، وهو خطأ.
وأبو ذر هو: عبد ـ بدون إضافة ـ بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الأنصاري، الهروي ـ نسبة إلى هراة من بلاد خراسان ـ المالكي، العابد الزاهد الورع، وكتابه هذا كالمستخرج على سنن الدار قطني. مات أبو ذر سنة ٤٣٤ هجرية على خلاف في ذلك.
راجع: الرسالة المستطرفة ص ٢١.

(٤) ساقطة من: د.

ﷺ قال : ألا أخبرك يا عبدالله بن جابر بأخْيَر [١] سورة في القرآن ؟. قلت : بلى يا رسول الله ، قال : اقرأ الحمد لله رب العالمين ، حتى تختمها [٢] .

قال الهيثمي : وفيه عبدالله بن محمد بن عقيل ، وهو سيء الحفظ ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات [٣] .

وروى البخاري ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، والدارمي ، عن أبي سعيد بن المُعَلَّى رضي الله عنه قال : كنت أصلي بالمسجد ، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ، ثم أتيته فقلت : يا رسول الله إني كنت أصلي ، قال : ألم يقل الله عز وجل : ﴿ **استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم** ﴾ ؟ ، ثمّ قال : لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ، قبل أن تخرج من المسجد ، فأخذ بيدي ، فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله إنك قلت : لأعلمنَّك سورة هي أعظم سورة في القرآن ، قال : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ ، هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته [٤] .

ولابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ في مسير فنزل ، ونزل رجل إلى جانبه ، فالتفت النبي ﷺ وقال : ألا أخبرك بأفضل القرآن ؟. قال : بلى ، فتلا : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ [٥] .

---

(١) في المسند: بخير.

(٢) المسند ١٧٧/٤ حديث عبد الله بن جابر رضي الله عنه.

(٣) مجمع الزوائد ٣١٠/٦.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب ٢٠/٦ وكتاب فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب ٢٣١/٦.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب ٧١/٢ حديث رقم ١٤٥٨.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب تأويل قول الله تعالى: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ١٣٩/٢.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب ٤٤٥/٢.

(٥) مستدرك الحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب شفاء المجنون بقراءة فاتحة الكتاب عليه ثلاثة أيام ٥٦٠/١.

وروى مالك في الموطأ عن أبي سعيد بن المُعَلَّى ـ أيضاً ـ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نادى أبي بن كعب رضي الله عنه وهو يصلي ، فلما فرغ من صلاته لحقه ، قال أبي : فوضع رسول الله ﷺ يده على يدي فقال : إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد ، حتى تعلم سورة ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان [١] مثلها ، قال أبي : فجعلت أبطىء في المسجد [٢] رجاء ذلك ، (فلما دَنَوْتُ)[٣] قلت : يا رسول الله ما السورة التي وعدتني ؟. قال : كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة ؟. قال أبيٌ : فقرأت ـ الحمد لله رب العالمين ـ حتى أتيت على آخرها ، فقال رسول الله ﷺ : هي هذه السورة ، وهي السبع المثاني ، والقرآن العظيم ، الذي أعطيت [٤] .

وأخرجه إسحاق [٥] في المسند عن أبي نفسه رضي الله عنه .

وعند ابن خزيمة [٦] ، وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم باختصار ، وقال : على شرط مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه [٧] .

---

(١) في الموطأ والحاكم: القرآن.

(٢) في الموطأ: المشي.

(٣) ما بين القوسين ليس موجوداً بالموطأ.

(٤) موطأ مالك: كتاب الصلاة، باب ما جاء في أم القرآن ١/٨٣.

(٥) هو أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج النيسابوري الحافظ، سمع سفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح وعبد الرزاق، قال الذهبي: وروى عنه الجماعة سوى أبي داود. وأبو العباس السرّاج، وابن خزيمة وأحمد بن حمدون الأعمشي اهـ. وتوفي سنة ٢٥١ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٥٢٤، والرسالة ص ٦٠.

(٦) صحيح ابن خزيمة ١/٢٥٢ حديث رقم ٥٠٠.

(٧) مستدرك الحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب ما أنزلت في التوراة والإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلُ فاتحة الكتاب ١/٥٥٧.

وعند الترمذي وقال : حسن صحيح [1] .

وعبد بن حميد عن أبي هريرة نفسه رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ خرج على أبيٍّ بنِ كعب رضي الله عنه فقال : يا أبي - وهو يصلي - فالتفت أبي فلم يجبه ، وصلى أبي فخفَّف ، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : وعليك السلام ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك ؟ .

فقال : يا رسول الله إني كنت في الصلاة . قال : أفلم تجد فيما أنزل الله إليّ ﴿ **استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ [2] ؟. قال : بلى ، ولا أعود إن شاء الله .

قال : أتحب أن أعلِّمك سورة لم ينزل في التوراة ، ولا في الانجيل ، ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلُها ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال : لعلك أن لا تخرج من ذلك الباب حتى أخبرك بها .

قال : فقمت معه ، فجعل يحدثني ويدي في يده ، فجعلت أتباطأ ، كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها ، فلما دنوت من الباب ، قلت : يا رسول الله ، السورة التي وعدتني ، فقال رسول الله ﷺ : كيف تقرأ في الصلاة ؟، فقرأت أم الكتاب ، قال : هي ، هي ، وهي السبع المثاني التي قال الله عز وجل : ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ [3] ، الذي أوتيت .

وفي رواية غيره قال : فقرأت أم القرآن ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) صحيح الترمذي : كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ٥/١٥٥ حديث رقم ٢٨٧٥ .
(٢) سورة الأنفال آية ٢٤ .
(٣) سورة الحجر : آية ٨٧ .

والذي نفسي بيده ، ما أُنزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها ، وأنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته .

ولأحمد في المسند ، والدارمي ، وأبي عبيد في الفضائل والغريب ، بسند صحيح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال ـ وقرأ عليه أبي رضي الله عنه أم القرآن ـ فقال : والذي نفسي بيده ، ما أنـزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ـ قال الدارمي : والزبور ، وقال أبو عبيد : ولا في الزبور ـ ولا في الفرقان مثلها [١] ، وأنها السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أعطيت [٢] .

ورواه أبو داود ، والدارمي ، عنه أيضاً ، وقال : (قال) [٣] : رسول الله ﷺ : الحمد لله أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني [٤] .

وللطبراني عن أبي زيد [٥] رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة ، فسمع رجلاً يتهجد ، ويقرأ بأم القرآن ، فقام رسول الله ﷺ فاستمع حتى ختمها ، ثم قال : ما في القرآن مثلها .

وفي الفضائل لأبي عبيد ، عن الحسن رحمه الله رفعه : من قرأ فاتحة الكتاب ، فكأنما قرأ التوراة والإنجيل ، والزبور والقرآن .

---

(١) لفظ الدارمي: والقرآن مثلها، وانها السبع المثاني... الخ.

(٢) مسند الإمام أحمد ط/٣٥٧.

وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب ٢/٣٢٠. حديث رقم ٣٣٧٦.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب ٢/٧١ حديث رقم ١٤٥٧ وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب ٢/٤٤٦.

(٥) هو أبو زيد الأنصاري، عمرو بن أخطب، صحابي جليل، نزل البصرة، مشهور بكنيته.

وقال الذهبي في التجريد ٢/١٦٩: أبو زيد: عمرو بن أخطب الأنصاري له صحبة ورواية، وهو جد عزرة بن ثابت.

وراجع: التقريب ٢/٦٥.

وللبخاري ، وأبي داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الحمد لله رب العالمين أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني [1] .

ورواه الطبراني ولفظه : أن النبي ﷺ كان يقول : الحمد لله رب العالمين ، سبع آيات ، إحداهن بسم الله الرحمن الرحيم ، وهي السبع المثاني ، والقرآن العظيم ، وهي أم القرآن ، وفاتحة الكتاب .

ولمسدد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : السبع المثاني : فاتحة الكتاب .

ولأبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوتي رسول الله ﷺ سبعاً من المثاني الطُّوَل ، وأوتي موسى عليه السلام ستاً ، فلما ألقى الألواح ، رفعت ثنتان ، وبقي أربع [2] .

ولإسحاق بن راهوية عن علي رضي الله عنه ، أنه سئل عن فاتحة الكتاب ، فقال : حدثنا نبي الله ﷺ أنها نزلت من كنز تحت العرش .

وعَزَاه ابن رجب في كتاب « الاستغناء بالقرآن » إلى مسند يعقوب بن أبي شيبة بسند منقطع .

وهو في كتاب الفضائل لأبي عبيد بإسناد ضعيف .

وروى الطبراني في الأوسط ـ (بإسناد) [3] قال الهيثمي : فيه الوليد

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير، سورة الحجر ١٠٢/٦.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب ٧١/٢ حديث رقم ١٤٥٧ وسنن الترمذي: كتاب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ١٥٥/٥ حديث رقم ٢٨٧٥ .

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من قال هي من الطول ٧٢/٢ حديث رقم ١٤٥٩ .

(٣) ساقطة من: د.

ابن الوليد ، وثقه أبو حاتم ، وابن حبان ، وتركه جماعة ، وبقية رجاله ثقات [(١)] ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مولود يولد ، إلا وهو مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من فاتحة الكتاب .

وللترمذي ، والنسائي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم عن أبي هريرة ، عن أبي ابن كعب ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل (مثل أم القرآن) [(٢)] ، وهي السبع المثاني ، وهي مقسومة بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل [(٣)] .

ولمسلم ، والأربعة ، وعبد الرزاق في مصنفه الجامع ، وأبي عبيد في الفضائل عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن، فهي خداج (ثلاثاً)[(٤)] غير تمام، فقيل لأبي

(١) مجمع الزوائد ٣١١/٦.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ٢٣١/٤ حديث رقم ٣٠٣٦. وقال: حسن صحيح.

وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب تأويل قول الله تعالى: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ١٣٩/٢.

والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثل فاتحة الكتاب ٥٥٧/١، وليس فيه: وهي مقسومة... الخ.

وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب فضل قراءة فاتحة الكتاب ٢٥٢/١ حديث رقم ٥٠١.

(٤) زيادة عن صحيح مسلم.

وعند النسائي وأبي داود: فهي خداع، فهي خداع، فهي خداع، هي خداع.

والخداع بكسر الخاء، قال في النهاية ١٢/٢: الخداع: النقصان يقال: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تامّ الخلق وأخدجتْه إذا ولدته ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل.

=

هريرة رضي الله عنه : إنا نكون وراء الإمام (١) ؟. فقال : اقرأ بها في نفسك (يا فارسي) (٢) فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي (نصفين) (٢) ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله : أثنى عليّ عبدي واذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله : مجّدني عبدي ـ وقال مرة : فوَّض إليّ عبدي ـ فإذا قال : إياك نعبد واياك نستعين ، قال الله : هذا بيني وبين عبدي ـ زاد أبو عبيد : أولها لي ، وآخرها لعبدي ـ ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل (٣) .

= قال: وانما قال: فهي خداج والخداج مصدر: على حذف مضاف أي ذات خداج، أو يكون قد رصفها بالمصدر نفسه مبالغة. اهـ.

وراجع: شرح مسلم ٤/١٠١، وحاشية السندي على النسائي ٢/١٣٥ وغريب الحديث لأبي عبيد ١/٦٥، ٢٦١، ٣/٤٤٦. وغريب الحديث لابن قتيبة ١/٤٠٦.

(١) القائل هو أبو السائب، أحد رواة الحديث عن أبي هريرة، جاء مصرحاً بقوله في سنن أبي داود: قال: يا أبا هريرة. . . الخ.

وأبو السائب هذا لا يعرف إلا بكنيته: قال النووي في شرح مسلم ٤/١٠٢: لا يعرفون له اسماً وهو ثقة. اهـ.

وقال الحافظ في التقريب ٢/٤٢٦: يقال: اسمه عبد الله بن السائب ثقة.

(٢) زيادة عن صحيح مسلم وسنن النسائي.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٤/١٠١.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ١/٢١٦ حديث رقم ٨٢١.

وسنن النسائي: كتاب الصلاة، باب ترك البسملة في قراءة الفاتحة ٢/١٣٥.

وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب القراءة خلف الإمام ١/٢٧٣. حديث رقم ٨٣٨.

وموطأ مالك: كتاب الصلاة، باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر به بالقراءة ١/٨٤.

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه هذا الحديث من طريق عبدالرزاق ولفظه : قال الله : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل .

قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : اقرأوا ، يقول العبد : الحمد لله رب العالمين ، فيقول الله : حمدني عبدي ، ويقول العبد : الرحمن الرحيم ، فيقول الله : أثنى علي عبدي ، ويقول العبد : مالك يوم الدين، فيقول الله : مجدني عبدي ، وقال : هذه بيني وبين عبدي ، يقول العبد : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : إحداهما لعبدي ولعبدي ما سأل ، قال : يقول عبدي : اهدنا الصراط المستقيم ، إلى آخرها ، يقول الله : هذه لعبدي ، ولعبدي ما سأل (١) .

أخرجه مسلم بمعناه .

وللشيخين وأصحاب السنن الأربعة ، وعبدالرزاق في جامعه ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، يبلغ به النبي ﷺ قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصاعداً (٢) .

ورواه الدارقطني عنه بلفظ « لا تجزىء صلاة لا يقرأ الرجل فيها بفاتحة

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٢٤١، ٢٨٥، ٤٦٠ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم ١/١٢٥
وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٤/١٠٠.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ٢/٢١٧ حديث رقم ٨٢٢ وزاد: قال سفيان: لمن يصلي وحده.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب إيجاب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة ٢/١٣٨ .
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب القراءة خلف الإمام ١/٢٧٣. حديث رقم ٨٣٧.
ومصنّف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب قراءة أم القرآن ٢/٩٣ حديث رقم ٢٦٢٣.

الكتاب » ، وقال : إسناده حسن ، ورجاله ثقات كلهم [١] .

ورواه ابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما ـ قال النووي : بإسناد صحيح [٢] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تجزيء صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب [٣] .

ولأبي داود ، والترمذي وقال : حسن ، والبيهقي وصححه ، والدارقطني وقال : إسناده حسن ، والخطابي وقال : إسناده جيد لا مطعن فيه . عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال : كنا خلف رسول الله ﷺ في صلاة الفجر ، فقرأ رسول الله ﷺ فثقلت عليه القراءة ، فلما فرغ قال : لعلكم تقرأون خلف إمامكم ؟ . قلنا نعم . هذا يا رسول الله ، قال : لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب ، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها [٤] .

الاستشفاء والرقية بفاتحة الكتاب

وللدارمي ، والبيهقي في الشعب ، عن عبدالملك بن عمير رحمه الله ـ مرسلاً ـ : أن النبي ﷺ قال : فاتحة الكتاب شفاء من كل داء [٥] .

---

(١) سنن الدار قطني : كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة أم الكتاب في الصلاة وخلف الامام ١/٣٢١ وقال : هذا إسناد صحيح .

(٢) الأذكار للنووي ص ٤٦ . والمجموع ٢/٣٢٩ .

(٣) صحيح ابن خزيمة : كتاب الصلاة، باب إيجاب القراءة في الصلاة بفاتحة الكتاب ١/٢٤٨ حديث رقم ٤٩٠ .
وابن حبان : موارد الظمآن حديث رقم ٤٥٧ .

(٤) سنن أبي داود : كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ١/٢١٧ حديث رقم ٨٢٣ .
وصحيح الترمذي : كتاب الصلاة، باب ما جاء في القراءة خلف الإمام حديث رقم ٣١٠ .
وسنن الدار قطني : كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة أم الكتاب في الصلاة وخلف الإمام ١/٣١٨ حديث رقم ٥ من الباب .

(٥) سنن الدارمي : كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب ٢/٤٤٥ .

(وقد)[1] وصله أبو الحسن الخلعي[2] في السابع من فوائده ، عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما ، ولفظه : فاتحة الكتاب شفاء من كل داء ، إلا السام والسام : الموت .

وللبزار عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا وضعت جنبك على الفراش ، وقرأت فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، فقد أمنت من كل شيء إلا الموت .

وللبخاري ومسلم ، وأبي داود ، والترمذي واللفظ له ، وعبد بن حميد ، وأبي عبيد ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سريَّة ، فنزلنا بقوم فسألناهم القِرَى ، فلم يَقْرُونا ، فلدغ سيدهم ، فأتونا فقالوا : هل فيكم من يرقى من العقرب ؟ . ـ وفي رواية : فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليم لَدغ[3] ، فهل فيكم من راقٍ ؟ . ـ قلت : نعم ، ولكن لا أرقيه حتى تعطونا غنماً .

قالوا : فإنا نعطيكم ثلاثين شاة ، فقبلنا . فقرأت عليه « الحمد لله رب العالمين » سبع مرات .

وفي رواية : إنه كان يجمع بزاقه ويتفل .

---

(١) ساقطة من : د.

(٢) هو القاضي أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين بن محمد الشافعي المعروف بالخلعي ـ بكسر الخاء المعجمة وفتح اللام ـ نسبة إلى الخلع التي كان يبيعها بمصر. أصله من الموصل، وعاش ومات بمصر، قال صاحب الرسالة المستطرفة: الفقيه الصالح، ذي الكرامات والتصانيف، أعلى أهل مصر إسناداً، توفي سنة ٤٩٢ هـ. وتبلغ فوائده عشرين جزءاً جمعها له أبو نصر أحمد بن الحسين الشيرازي، وخرجها عنه وسماها الخلعيات. اهـ. بتصرف.

(٣) قال النووي في شرح مسلم ١٤/١٨٨ : سليم، أي لديغ. قالوا: سمى بذلك تفاؤلاً بالسلامة، وقيل: لأنه مستهسلم لما به. اهـ.

فكأنما نشط[١] من عقال، فانطلق يمشي، وما به قلبة[٢].

وفي رواية: فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبناً.

وفي رواية: عبداً.

فجعلت أقرأ فاتحة الكتاب، وأمسح المكان الـذي لدغ حتى بـرأ، فأعطونا الغنم، فقبضنا الغنم.

قال: فعرض في أنفسنا شيء فقلنا: لا تعجلوا حتى تـأتوا رسـول الله ﷺ، قال: فلما قدمنا عليه ذكرتُ له الذي صنعت.

قال: وما علمت - وفي رواية: وما يدريك - إنها رقية، اقبضوا الغنم واضربوا لي معكم بسهم[٣].

ولفظ أبي عبيد: فرقاه رجل منهم، فأعطى قطيعاً من غنم[٤]، فأبى أن

---

(١) قال ابن الأثير ٥/٥٧: كثيراً ما يجيء في الرواية «كـأنما نِشط من عقـال» وليس بصحيح، يقال: نَشِطْتُ العقدةَ إذا عقدتُها، وأنشطتها وانتشطتها إذا حللتها.
وقال الزمخشري في الفائق ٢/٣٥٤: نشطت العقدة، عقدتها بأنشوطة وأنشطتهـا: حللتها، ونظيرهما: قسط وأقسط.

(٢) قال في النهاية ٤/٩٨: ألم وعلة.
وقال النووي في الأذكارص ١١٩: وهي بفتح القاف واللام والباء الموحدة: أي وجع.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب الرقي بفاتحة الكتاب، وباب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، وباب في الرقية ٧/١١٣ - ١١٦.
وصحيح مسلم: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ١٤/١٨٧، ١٨٨.
وسنن أبي داود: كتاب الطب، باب كيف الرقي ٤/١٤ حديث رقم ٣٩٠٠، ٣٩٠١.

(٤) قال النووي في شرح مسلم ١٤/١٨٧: القطيع هو الطائفة من الغنم وسائر النَّعم، قال أهل اللغة: الغالب استعماله فيما بين العشر والأربعين.
وقيل: ما بين خمسَ عشرةَ إلى خمس وعشرين، وجمعه أقطاع وأقطعة وقطعان وقطاع وأقاطيع، كحديث وأحاديث. والمراد بالقطيع المذكور في هذا الحديث: ثلاثون شاة، كذا جاء مبيناً. اهـ.
قلت: في سنن أبي داود ٤/١٣ حديث رقم ٣٨٩٦: مائة شاة.

يقبله فقدموا على النبي ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: من أخذ برقية باطل، لقد أخذت برقية حق، خذوا واضربوا لي معكم بسهم[1].

وللبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ مروا بماء فيهم لديغ أوسليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم راق؟. (إن في الماء رَجُلاً لديغا أو سليماً)[2]، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً؟. حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله ﷺ: إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله[3].

ولأبي داود في السنن بإسناد - قال النووي: صحيح[4] - والنسائي، والبيهقي في الدعوات، والدارقطني في السنن في آخر كتاب الأطعمة وهذا لفظه، عن خارجة بن الصلت التميمي[5]، عن عمه - قال النووي[6]: واسمه: علاقة بن صحار وقيل: عبد الله رضي الله عنهما[7] - أنه أتى النبي ﷺ فأسلم، ثم أقبل راجعاً من عنده، فمر على قوم فوجد عندهم رجلاً مجنوناً، فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطى مائة شاة، قال: فأتيت

---

(١) قال النووي في شرح مسلم ١٤/١٨٨: إنما قاله تطييباً لقلوبهم، ومبالغة في تعريفهم أنه حلال لا شبهة فيه، وقد فعل ﷺ في حديث العنبر، وفي حديث أبي قتادة في حمار الوحش مثله.

(٢) زيادة عن البخاري.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم ١١٤/٧.

(٤) الأذكار للنووي ص١٢٠.

(٥) قال الذهبي في التجريد ١٤٧/١: أدرك النبي ﷺ ولم يره.

(٦) الأذكار ص ١٢٥.

(٧) وقال الخطابي في معالم السنن ٧٣/٥ و ٣٦٨: وقيل اسمه العلاء. وقيل: علاثة بن شجّار. وقيل: شجار بالتخفيف. والأول أكثر.

النبي ﷺ فأخبرته فقال: هل إلا هذا؟. قال: لا، قال: خذها، فلعمري من أكل برقية باطل فلقد أكلت برقية حق[1].

ولفظ أبي داود: أتيت النبي ﷺ فأسلمت، ثم رجعت على قوم عندهم رجل مجنون، مُوثَقٌ بالحديد، فقال أهله: إنا حُدِّثْنَا أن صاحبك هذا قد جاء بخير، فهل عندك شيء تداويه؟. فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ فأعطونا مائة شاة، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: هل إلا هذا؟ - وفي رواية: هل قلت غير هذا؟ - قلت: لا، قال: خذها، فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق[2].

قال النووي في الأذكار[3]: ورويناه في كتاب ابن السني بلفظ آخر، وهي رواية أخرى لأبي داود، قال: أقبلنا من عند النبي ﷺ فأتينا على حي من العرب، فقالوا: هل عندكم دواء؟. فإن عندنا معتوهاً في القيود، فجاءوا بالمعتوه في القيود، فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية، أجمع بزاقي، ثم أتفل.

وفي رواية: كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفله. فكأنما نشط[4] من عقال، فأعطوني جعلاً، فقلت: لا، فقالوا: سل النبي ﷺ، فسألته، فقال: (كل)[5]

---

(١) سنن أبي داود: كتاب البيوع، باب في كسب الأطباء ٣/٢٦٦ حديث رقم ٣٤٢٠.
وكتاب الطب، باب كيف الرقي ٤/١٣ حديث رقم ٣٨٩٦.
وسنن الدار قطني: كتاب الأشربة، باب الصيد والذبائح والأطعمة وغير ذلك ٤/٢٩٦ حديث رقم . . من الباب.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الطب، باب كيف الرقي ٤/١٣ حديث رقم ٣٨٩٦.

(٣) الأذكار ص ١٢٠.

(٤) تقدم معنى «نشط» قريباً. وأن الصواب: أنشط، كما في سنن أبي داود ٤/١٣ حديث رقم ٣٨٩٧.

(٥) زيادة عن الأذكار. وعند أبي داود: خذها فلعمري . . . الحديث.
ومعنى «كل»: أي خذ الجعل وكل منه، وعبر بالأكل لأنه المقصود الأصلي من أخذ الجعل ونحوه.

فلعمري من أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق[1].

ولأبي عبيد عن قيس بن أبي حازم قال؛ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رقيت فلاناً، كانت به ريح فبرأ، والله إنْ رَقَيْتُه إلا بالقرآن، فأمر لي بقطيع من الغنم، أفآخذه؟.

فقال رسول الله ﷺ: من أخذ برقية باطل، لقد أخذت برقية حق.

وله عن طلحة بن مصرِّف قال: كان يقال: إذا قرىء القرآن عند المريض، وجد لذلك خفة، قال: فدخلت على خيثمة وهو مريض، فقلت: إني أراك اليوم صالحاً؟. قال: إنه قرىء عندي القرآن.

وعند مسلم، والنسائي، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ (سمع)[2] نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء، فتح اليوم لم يفتح قط[3] إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى

---

(١) عمل اليوم والليلة لابن السنى ص ٢٣٥ حديث رقم ٦٣٥.
(٢) ساقطة من: د.
(٣) قال ابن هشام في المغنى ص ٢٣٣: قط على ثلاثة أوجه:
أحدها: أن تكون ظرف زمان لاستغراق ما مضى. وهذا بفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة في أفصح اللغات، وتختص بالنفي، فيقال: ما فعلته قط. واشتقاقه من «قططته» أي قطعته، فمعنى ما فعلته قط: ما فعلته فيما انقطع من عمري، لأن الماضي منقطع عن الحال والاستقبال، وبنيت لتضمنها معنى مذ والى، إذ المعنى: مذ أن خلقت، أو مذ خلقت إلى الآن.
الثاني: أن تكون بمعنى حَسْب، وهذه مفتوحة القاف، ساكنة الطاء وبنيت لأنها موضوعة على حرفين، يقال: قطي، وقطك، وقط زيد، مثل حسبي وحسبك، وحسب زيد.
الثالث: أن تكون اسم فعل بمعنى: يكفي. فيقال: قطني، بنون الوقاية. انتهى بتصرف واختصار.

الأرض فلم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف[1] منهما إلا أعطيته[2].

النقيض ـ بالمعجمة ـ هو: الصوت.

وسيأتي في آخر الفلق قراءتها مع المعوذتين عند المريض.

ما جاء في أن الفاتحة تعدل ثلثي القرآن

ولعبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ: فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن.

ولا يشكل هذا الحديث بالأحاديث المسمية لها أم القرآن، وأم الكتاب، لأنها اشتملت على جميع مقاصده، بحيث إنه ما من شيء من مقاصده إلا وهو تابع لها، فهي له أصل، كما قاله العلماء[3].

فإن مقاصده ـ كما ذكر الإمام حجة الإسلام الغزالي ـ ستة: ثلاثة مهمة وثلاثة متمة.

الأولى[4]: تعريف المدعو إليه، كما أشير إليه بصدرها، وتعريف

---

(١) عند النسائي: لم تقرأ حرفاً.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ٦/٩١.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب فضل فاتحة الكتاب ٢/١٣٨.
والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلُ فاتحة الكتاب ١/٥٥٨.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/٥٤: اختصت الفاتحة بأنها مبدأ القرآن وحاوية لجميع علومه، لاحتوائها على الثناء على الله، والاقرار بعبادته، والإخلاص له، وسؤال الهداية منه، والإشارة إلى الاعتراف بالعجز عن القيام بنعمه، والى شأن المعاد وبيان عاقبة الجاحدين. اهـ.

(٤) يعني: الثلاثة المهمة.

الصراط المستقيم وقد صُرِّح به فيها، وتعريف الحال عند الرجوع إليه سبحانه وهو الآخرة، كما أشير إليه بقوله: مالك يوم الدين.

والثلاثة الثانية: تعريف أحوال المطيعين، كما أشير إليه بقوله: الذين أنعمت عليهم. وحكاية أحوال الجاحدين، وقد أشير إليها بالمغضوب عليهم ولا الضالين. وتعريف منازل الطريق، كما أشار إليه ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعينُ** ﴾[1].

وإنما كان لا يشكل، لأنه ليس الذكر بالصريح، كالإشارة والتلويح، كما سيأتي في الفرق بين سورتي الإخلاص: الكافرون، وقل هو الله أحد.

قال الإمام ناصر الدين بن الميلق[2]: دلالات القرآن الكريم، إما أن تكون بالمطابقة، أو بالتضمن، أو بالالتزام.

وهذه السورة تدل على جميع مقاصد[3] القرآن بالتضمن والالتزام، ولا تدل على جميعها بالمطابقة.

والاثنان من الثلاثة: ثلثان.

وأيضاً: الحقوق ثلاثة: حق الله على عباده، وحق العباد على الله، وحق بعض العباد على بعض.

وقد اشتملت الفاتحة ـ صريحاً ـ على الحقين الأولين، فناسب كونها

---

(١) سورة الفاتحة آية ٥.

(٢) هو محمد بن عبد الدايم بن سلامة، بن بنت الميلق، ويقال له: ابن الميلق تولى قضاء، الشافعية في شعبان سنة ٧٨٩ ه في عهد السلطان برقوق. وتوفي عام ٧٩٨ هـ. وكان مولده عام ٧١٢ هـ.
راجع: حسن المحاضرة ٢/١١٥. ابن اياس ١/٢٦٧.

(٣) في م: مقاصد جميع القرآن.

بصريحها ثلثين، وحديث «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»[١]، شاهد لذلك. والله أعلم.

ولأبي عبيد بسند رجاله ثقات، عن أبي المنهال سيَّار بن سلامة، أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سقط[٢] عليه رجل من المهاجرين، وعمر يتهجد من الليل، يقرأ بفاتحة الكتاب لا يزيد عليها، ويكبر ويسبح، ثم يركع ويسجد، فلما أصبح الرجل ذكر ذلك لعمر، فقال عمر: لأمك الوَيْلُ، أليست تلك صلاة الملائكة؟.

كيف كانت قراءة النبي ﷺ للقرآن

وللبخاري وأبي داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجة، عن قتادة أنه سأل أنساً رضي الله عنه، عن قراءة رسول الله ﷺ، فقال: كان يَمُدُّ مداً ثم قرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم[٣].

وللطبراني في الكبير - قال الهيثمي: ورجاله ثقات[٤] - عن مسعود بن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٢٤١، ٢٨٥، ٤٦٠.
ومسلم: كتاب الصلاة، باب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٤/١٠٣. كلاهما عن أبي هريرة.

(٢) أنصت إليه مختبئاً.
راجع: تهذيب اللغة ٨/٣٩٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب الترتيل في القرائة ٦/٢٤١.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٣. حديث رقم ١٤٦٥.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب مد الصوت بالقراءة ١٧٩٢.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل ١/٤٣٠ حديث رقم ١٣٥٣.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١٥٥.

يزيد الكندي قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يُقرِىء رجلاً، فقرأ الرجل: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾[1] مرسلة[2]، فقال ابن مسعود: ما هكذا أَقْرَأَنِيها رسول الله ﷺ، فقال: كيف أَقْرَأَكَها يا أبا عبد الرحمن؟. قال: أقرأنيها: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» بمدودها.

وروى الطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه[3] ـ عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ المد، فيس فيه ترجيع[4].

ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى، حتى يصبح ثم نعتت قراءته، فإذا هي تنعت قراءة مُفَسَّرة حرفاً حرفاً[5].

ولعبد الرزاق عن ابن التيمي، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الحمد ثلاث مرات[6].

وللترمذي من رواية ابن أبي مليكة[7]، عن أم سلمة رضي الله عنها

---

(١) سورة التوبة آية ٦٠.

(٢) أي قراءة غير مرتلة، لم يراع فيها أحكام القراءة من المد والغن ونحوهما.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٩.

(٤) قال القرطبي في التذكار ص ١٠٦: الترجيع في القراءة: ترديد الحروف كقراءة النصارى، والترتيل في القراءة هو: التأني فيها والتمهل، وتبيين الحروف والحركات. اهـ.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٢/٧٣. حديث رقم ١٤٦٦.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كان قراءة النبي ﷺ ٥/١٨٢ حديث رقم ٢٩٢٣.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت ٢/١٨١.

(٦) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٨٣ حديث رقم ٦٠٣٧.

(٧) هو عبد الله بن عبد الله، بن عبد الله، بن جدعان بن أبي مليكة ـ مصغراً ـ قال =

قالت: كان رسول الله ﷺ يُقَطِّع قراءته يقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف الرحمن الرحيم، ثم يقف، وكان يقرؤ ها مَلِكِ يوم الدين.

وقال: هذا حديث غريب[1].

وأخرجه أحمد وأبو داود فقالا: قالت: قراءة رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين (يُقَطِّعُ)[2] قراءته، آيةً، آية[3].

وروى الإمام أبو يعقوب البويطي[4] عنها رضي الله عنها قالت: كان ﷺ (يقرأ)[5] في الصلاة «بسم الله الرحمن الرحيم» آية، الحمد لله رب العالمين ـ آيتين ـ الرحمن الرحيم، ثلاثة. مالك يوم الدين. أربعة.

وعد السهروردي في كتابه «المصباح» إلى «الضالين».

وكذا فعل أبو عبد الله أحمد بن محمد، المعروف بابن أوس المقرىء[6]

= الحافظ في التقريب ٤٣١/١: يقال: اسم أبي مليكة زهير التيمي المدني أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ.

(١) صحيح الترمذي: كتاب القراءات، باب في فاتحة الكتاب ١٨٥/٥. حديث رقم ٢٩٢٧.

(٢) في د: يقرأ.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٠٢/٦.
وسنن أبي داود: كتاب الحروف والقراءات ٣٧/٤ حديث رقم ٤٠٠١.

(٤) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي ـ نسبة إلى بويط من قرى الصعيد بمصر ـ فقيه، من كبار أصحاب الشافعي، امتحن في فتنة القول بخلق القرآن، وحُمل إلى بغداد مقيداً، وطلب منه القول بأن القرآن مخلوقٌ فامتنع، فسجن، وظل بالسجن إلى أن مات في سنة ٢٣١ هجرية.
راجع: طبقات الشافعية الكبرى ٢٧٥/١.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري ١٠٧/١.
قال في معجم المؤلفين ٨٤/٢: كان حَيّاً سنة ٣٤١ هجرية.

في كتابه «الوقف والابتداء» فعد إلى «الضالين». وأسند ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها من طريق ابن جريج(١).

وزاد بعد قوله: «الضالين» يقطع قراءته حرفاً حرفاً، ويمد حتى بلغ سبعاً(٢).

الدليل على أن البسملة آية من الفاتحة

وذكر الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها ابنُ خزيمةَ في صحيحه ولفظه: أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة أول الفاتحة «بسم الله الرحمن الرحيم» فعدها آية. «الحمد لله رب العالمين» آيتين، «الرحمن الرحيم» ثلاث آيات «مالك يوم الدين» أربع آيات. وقال: هكذا «إيَّاكَ نعبدُ وايَّاكَ نستعين» وجمع خمس أصابعه(٣).

فقد تبين أن العدد كان بالأصابع، زيادة على الوقف.

ورواه ـ أيضاً ـ البيهقي(٤)، والطحاوي(٥).

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الأموي المكي. قال ابن حجر في التقريب ٥٢٠/١: ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل.

(٢) قال القرطبي في التذكار ص ٩٥: قول أم سلمة: «كان يقطع قراءته» يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه عليه السلام من القرآن، وانما ذكرت فاتحة الكتاب لتبين صفة التقطيع، أو لأنها أم القرآن فيغني ذكرها عن ذكر ما بعدها، كما يعني قراءتها في الصلاة عن قراءة غيرها لجواز الصلاة بها، والا فالتقطيع عام لجميع القراءة لظاهر الحديث، وتقطيع القراءة آية آية أولى عندنا من تتبع الأغراض والمقاصد، والوقوف عند انهائها لحديث أم سلمة رضي الله عنها. اهـ.

(٣) صحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية تامة من الفاتحة ٢٤٨/١ حديث رقم ٤٩٣.

(٤) سنن البيهقي ٤٤/٢.

(٥) شرح معاني الآثار للطحاوي ١٩٩/١.

وأسند أبو عمرو الداني في كتابه «البيان في عدد آي القرآن» مستدلاً على العدِّ في الصلاة باليسار، عن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يُعُدُّ: بسم الله الرحمن الرحيم - آية فاصلة - الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

وكذلك كان يقرؤها: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم** ﴾، إلى آخرها سبع، وعقد بيده اليسرى، وجمع كفيه[١].

وروى أبو داود، وابن خزيمة، والدار قطني وقال: رجال إسناده كلُّهم ثقات وهو إسناد صحيح، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا قرأ يُقَطِّع قراءته آية، آية[١].

وفي رواية: يُقَطِّع قراءته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالكِ يوم الدين.

(وكذلك[٤] كان يقرؤها: إيَّاك نعبدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[٥].

وروى الداني في بيانه من طريق ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن[١] أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ

---

(١) البيان لأبي عمرو الداني: ورقة ٢٢ ب.

(١) سنن أبي داود: كتاب الحروف والقراءات ٣/٣٧ حديث رقم ٤٠٠١.
وصحيح ابن خزيمة: أبواب صلاة التطوع بالليل، باب الترتل بالقراءة في صلاة الليل ٢/١٨٨ حديث رقم ١١٥٨.
وسنن الدار قطني: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات في ذلك ١/٣١٢.
والمستدرك: كتاب الصلاة ١/٢٣٢.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٢٣٢.

(٤) في د: ابن. وهو خطأ. وراجع: ترجمة عبد الله بن أبي ملكية في تقريب التهذيب ١/٤٣١.

فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، إلىآخرها سبع يا أم سلمة.

وروى عبد الرزاق في جامعه، وأبو عبيد في الفضائل، عن ابن جريج (قال)[١]: أخبرني أبي، أن سعيد بن جبير (رضي الله عنه)[٢] أخبره أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني»[٣] أمُّ القرآن. وقرأها عليَّ كما قرأتها عليك[٤]، ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» الآية السابعة، قال ابن عباس: وقد أخرجها الله لكم، فما أخرجها لأحد قبلكم[٥].

قال عبد الرزاق: قرأها علينا ابن جريج: «بسم الله الرحمن الرحيم» آية. الحمد لله رب العالمين، آية. الرحمن الرحيم، آية. مالك يوم الدين، آية. إياك نعبد وإياك نستعين، آية. اهدنا الصراط المستقيم، آية. صراط الذين أنعمت عليهم، إلى آخرها[٦].

زاد أبو عبيد قال: فقلت لأبي: فأخبرك سعيد أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له: «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من القرآن؟. قال: نعم[٧].

---

(١) زيادة عن مصنف عبد الرزاق.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) سورة الحجر آية ٨٧.

(٤) في المصنف: وقرأتها على سعيد كما قرأتها عليك.

(٥) لعله يعني بذلك سورة الفاتحة، كما جاء في الأحاديث، أما إن كان يعني البسملة فغير متجه، فقد جاء في القرآن أن سليمان عليه السلام افتتح بها كتابه الذي أرسله إلى بلقيس ملكة سبأ.

(٦) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ٢/٩٠. حديث رقم ٢٦٠٩.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/٥٥٠.

(٧) ربما كان السؤال عن كونها آية من الفاتحة، أما كونها بعْضَ آية من القرآن فهذا مقطوع به لورودها صريحة في سورة النمل.

وروى ابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ قال: هي فاتحة الكتاب. قيل: فأين السابعة؟. قال: بسم الله الرحمن الرحيم[١].

قال النووي في شرح المهذب[٢]: وفي سنن البيهقي عن علي، وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم، رضي الله عنهم: أن الفاتحة هي السبع المثاني، وهي سبع آيات، وأن البسملة هي الآية السابعة.

وفي سنن الدار قطني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قرأتم الحمد، فاقرأوا «بسم الله الرحمٰن الرحيم»، إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثانى، وبسم الله الرحمٰن الرحيم، إحدى آياتها[٣].

قال الدارقطني: رجال إسناده كُلهم ثقات، وروى موقوفاً.

وفي سنن الدارقطني ـ أيضاً ـ أن النبي ﷺ قال لبريدة رضي الله عنه: بأي شيء تستفتح القرآن، إذا افتتحت الصلاة؟. قال: قلت: ببسم الله الرحمن الرحيم، (قال[٤]: هي هي، ثم خرج)[٥].

---

(١) سنن البيهقي: كتاب الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية تامة من الفاتحة ٤٤/٢.
ولم أعثر عليه في صحيح ابن خزيمة /ط المكتب الاسلامي سنة ١٤٠٠ اهـ.

(٢) المجموع ٣٣٧/٣، والسنن الكبرى للبيهقي ٤٥/٢.

(٣) سنن الدار قطني: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات في ذلك ٣١٢/١ حديث رقم ٣٦ من الباب.

(٤) زيادة عن سنن الدار قطني.

(٥) سنن الدار قطني: الكتاب والباب السابقين ٣١٠/١ حديث رقم ٢٩.
وأصرح منه: ما أخرجه عن علي ٣٠٢/١ وجابر ٣٠٨/١: أن النبي ﷺ قال: كيف تقرأ إذا قمت الى الصلاة؟. قلت: الحمد لله رب العالمين، قال: قل: بسم الله الرحمن الرحيم.

وروى النسائي في سننه، وابن خزيمة في صحيحه، عن نعيم بن عبد الله المُجْمِر[1] قال: صليت وراء أبي هريرة رضي الله عنه فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ بأم القرآن، حتى إذا بلغ «ولا الضالين» قال: آمين، قال الناس: آمين، ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنين قال: الله أكبر، ثم يقول إذا سلَّم: والذي نفسي بيده، إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ[2].

قال النووي: ورواه[3] (أبو حاتم)[4] ابن حبان في صحيحه، والدرقطني في سننه وقال: هذا حديث صحيح (ورواته[5] كلهم ثقات)[6]، (ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيح، وقال)[7]: على شرط البخاري ومسلم[8]. واستدل به الحافظ والبيهقي في كتاب «الخلافيات» ثم قال: ورواة هذا الحديث كلهم ثقات، مُجْمَع على عدالتهم، محتج بهم في الصحيح[9].

ورواه الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه كان إذا قرأ وهو يؤم الناس، افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم[10].

---

(١) قال الحافظ في التقريب ٢/٣٠٥: مولى آل عمر، يعرف بالمجمر ـ بسكون الجيم وضم الميم الأولى وكسر الثانية ـ وكذا أبوه، ثقة. اهـ.

(٢) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ٢/١٣٤ وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب الجهر ببسم الله والمخافتة به جميعها مباح ١/٢٥١ حديث رقم ٤٩٩.

(٣) في المجموع: وأخرجه.

(٤) زيادة عن المجموع.

(٥) زيادة عن سنن الدار قطني والمجموع.

(٦) سنن الدار قطني ١/٣٠٥ حديث رقم ١٤.

(٧) ما بين القوسين ساقط من الأصل وزدناه عن المجموع.

(٨) المستدرك: كتاب الصلاة، باب حديث الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ١/٢٣٢.

(٩) المجموع للنووي ٣/٣٤٥.

(١٠) سنن الدار قطني ١/٣٠٧ حديث رقم ٢٠.

وفي رواية: أن النبي ﷺ كان إذا أمَّ الناس، قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم[1].

وفي رواية: جهر ببسم الله الرحمن الرحيم[1].

قال أبو هريرة: وهي آية من كتاب الله، أقرأوا إن شئتم فاتحة الكتاب، فإنها الآية السابعة[2].

وفي رواية: أن النبي ﷺ كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، ويأمر به.

قال الدارقطني: رجال إسناده كلهم ثقات[3].

وروى الدارقطني في السنن، والحاكم في المستدرك وقال: هذا إسناد صحيح وليس له علة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[4].

وفي رواية الدارقطني ـ قال: إسنادها صحيح، ليس في روايته مجروح[5] ـ: أن النبي ﷺ جهر ببسم الله الرحمن الرحيم[6].

وفي رواية أخرى رواها الترمذي والدارقطني: كان النبي ﷺ يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم[7].

---

(١) (٢) (٣) سنن الدار قطني ١/٣٠٦.

(٤) سنن الدار قطني ١/٣٠٢.
والمستدرك ١/٢٣٢، ٢٣٣ من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك.

(٥) هذه الجملة ليست في سنن الدار قطني، وانما هي في المجموع للنووي ٣/٣٤٧ منسوبة إلى الدار قطني، فربما نقلها الشيخ عن المجموع دون الرجوع للدار قطني، أو أن مرد ذلك إلى خلاف في نُسخ سنن الدار قطني.

(٦) سنن الدار قطني ١/٣٠٣.

(٧) صحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب من رأى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ١/١٥٥ حديث رقم ٢٤٥ وقال: ليس إسناده بذاك.
وسنن الدار قطني ١/١٠٤.

وروى الدارقطني بسند ـ قال: رواته كلهم ثقات ـ عن عبد خير قال: سئل عليٌّ رضي الله عنه، عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين، فقيل: إنما هي ست آيات، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم آية[1].

ولصاحب الفردوس عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، سبَّحت معه الجبال، إلا أنه لا يسمع ذلك منها.

ولأبي عبيد عن سعيد بن المسيب: أنَّ كِتَابَ النبي ﷺ أتى قيصر فقرأه، فقال: إن هذا الكتاب لم أره بعد سليمان بن داود: بسم الله الرحمن الرحيم.

وروى أبو عبيد عَدَّها آيةً من الفاتحة، عن محمد بن كعب القرظي[2] وغيره.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ جهر ببسم الله الرحمن الرحيم[3].

---

(١) سنن الدار قطني: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات في ذلك ١/٣١٣ حديث رقم ٤٠.

(٢) هو أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، المدني، أقام بالكوفة مدة من حياته.

قال الحافظ في التقريب ٢/٢٠٣: ثقة عالم، من الثالثة، ولد سنة أربعين على الصحيح، ووهم من قال: ولد في عهد النبي ﷺ، فقد قال البخاري: إن أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة. اهـ.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب من رأى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ١/٢٤٥. قال الترمذي: وليس إسناده بذاك.

هذا وقد تعددت الأقوال والمذاهب حول البسملة، أهي آية من الفاتحة أو ليست آية منها، كما اختلفت الأقوال في مكانها من السور، مع الاجماع بأنها من القرآن. وأنها جزء آية من سورة النمل، وقد أطال الفقهاء وأكثروا من القول فيها، وتبعهم المفسرون وغيرهم، وخير ما كتب في هذا الموضوع ما رأيته من كلام الشيخ محمد =

. . . .

رشيد رضا في تفسير المنار، فقد جمع أطراف الموضوع ولَمّ شتاته. ووازن بن الأدلة، مشيراً إلى آراء المذاهب فيه. وها أنا أنقله بتمامه للاستفادة به في هذا الموضوع، قال رحمه الله في تفسيره ١/٧٠/ط. الشعب:

وأما كون البسملة آية من الفاتحة، فأقوى الحجج المثبتة له: كتابتها في المصحف الإمام الرسمي الذي وزع نسخه الخليفة الثالث على الأمصار برأي الصحابة وأجمعت عليه الأمة، وكذا جميع المصاحف المتواترة إلى اليوم، والخط حجة علمية كما قال العلامة العضد، وعليه جميع شعوب العلم والمدنية في هذا العصر، لا حجة عندهم أقوى من حجة الكتابة الرسمية، ثم إن إجماع القراء على قراءتها في أول الفاتحة، وان زعم بعضهم أنها آية مستقلة، فإن هذا رأى والعبرة بالعمل، وهو إذا كان عاماً مطرداً من أقوى الحجج، على أن تواترها عن واحد منهم تقوم به الحجة على باقيهم وعلى سائر الناس، فإنه إثبات بالتواتر لا يعارضه نفي ما.

وقد كنا ذكرنا هذه المسألة وآراء أهل الخلاف فيها، ونزيدها إيضاحاً فنقول: وقد وردت أحاديث أحادية في إثبات ذلك ونفيه ترتب عليها اختلاف الفقهاء الذين جعلوا المسألة مسألة مذاهب، ينصر كل حزب منهم أهل المذهب الذي ينسبون إليه «كل حزب بما لديهم فرحون»، ولولا ذلك لاتفقوا، لأن إثبات البسملة في أول الفاتحة في جميع المصاحف المجمع عليها المتواترة حجة قطعية لا تعارض بأحاديث الآحاد وان صح سندها.

وأصرح الأحاديث التي استدلوا بها على كون البسملة ليست آية من الفاتحة ما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب، فهي خداج، يقولها ثلاثاً - أي كلمة فهي خداج -، أي ناقصة غير تامة، كالناقة تلد لغير تمام - فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام؟. فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قالالعبد: «الحمد لله رب العالمين» قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله: أثني على عبدي، فإذا قال: «مالك يوم الدين» قال: مجدني عبدي - وقال مرة: فوض إلى عبدي - وإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل. =

. . . .

= قال النافون: إن الحديث يدل على أن البسملة ليست من الفاتحة لأنها لو كانت منها لذكرت في الحديث.

وهو استدلال سلبي لا يعارض القطعي المتواتر، وهو إثباتها في المصحف واجماع القراء على قراءتها معها عند البدء بالختمات، وثبوت التواتر بذلك على أن عدم ذكرها في الحديث قد يكون لسبب اقتضى ذلك.

ومما يخطر في البال بداهة: أنه كما اكتفى من قسمة الصلاة بالفاتحة دون سائر التلاوة والأذكار والأفعال، اكتفى من الفاتحة بما لا يشاركها فيه غيرها من السور، إذ البسملة آية من كل سورة غير براءة على التحقيق الذي يدل عليه خط المصحف، وثم سبب آخر لعدم ذكر البسملة في القسمة وهو: أنه ليس فيها إلا الثناء على الله تعالى بوصفه بالرحمة، وهو معنى مكرر في الفاتحة وذكر في القسمة.

والعمدة في عدم المعارضة: أن دلالة الحديث ظنية سلبية، واثبات البسملة إيجابي وقطعي، كما تقدم، وإذا كان من علل الحديث المانعة من وصفه بالصحة: مخالفة رواية من الثقات، فمخالفة القطعي من القرآن المتواتر أولى بسلب وصف الصحة عنه، على أن هذا الحديث هو المعارض بالأحاديث المثبتة لكون البسملة من الفاتحة.

واستدلوا أيضاً بحديث أبي هريرة المرفوع عند أحمد وأصحاب السنن قال: إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: «تبارك الذي بيده الملك».

قالوا: وانما هي ثلاثون بدون البسملة.

وأجيب بمثل ما قلناه آنفاً من أن عدد آيات السور باعتبار ما هو خاص بالسورة وهو ما دون البسملة، ويؤيده ما روى عن أبي هريرة من أن سورة الكوثر ثلاث آيات.

وقد روى أحمد ومسلم والنسائي من حديث أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟. فقال: نزلت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر.

وهذا الحديث ناطق بأن البسملة من سورة الكوثر، مع عدم عدها من آياتها لما ذكرنا، فكونها آية من الفاتحة أولى، وهو أصح من حديث أبي هريرة في سورة الملك، لأن البخاري أعله بأن عَبَّاساً الجشمي لا يعرف سماعه من أبي هريرة.

واستدلوا بالأحاديث الواردة في عدم قراءة النبي ﷺ وخلفائه لها في الصلاة، وأصرحها قول عبد الله بن مغفل: صليت مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر، ومع عثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقولها، يعني البسملة. =

. . . .

= رواه أحمد والترمذي وحسنه النسائي وابن ماجة عن عبد الله بن مغفل وهو مجهول، فقد كان له سبعة أولاد، وهذه علة تمنع صحة الحديث. وقد تفرد به الحريري. وقيل: إنه قد اختلط بآخره، وقد يفسر بما ترى فيما قالوه في الحديث الذي بعده.

وفي معناه حديث أنس في احدى الروايات قال: صليت مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم».

رواه أحمد ومسلم.

قال في المنتقى: وفي لفظ «صليت خلف النبي ﷺ وخلف أبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم».

رواه أحمد والنسائي بإسناد على شرط الصحيح.

ولأحمد ومسلم: صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة، ولا آخرها.

ولعبد الله بن أحمد في مسند أبيه عن شعبة، عن قتادة عن أنس قال: صليت خلف رسول الله وخلف أبي بكر وعمر وعثمان، فلم يكونوا يستفتحون القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم.

قال شعبة: قلت لقتادة: أنت سمعته من أنس؟. قال: نعم نحن سألناه عنه.

وللنسائي عن منصور بن زاذان عن أنس قال: صلي بنا رسلو الله ﷺ فلم يُسْمِعْنَا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى بنا أبو بكر وعمر فلم نسمعها منهما.

قال الشوكاني في شرح الحديث: ورواية «فكانوا لا يجهرون» أخرجها ـ أيضاً ـ ابن حبان والدار قطني والطحاوي والطبراني.

وفي لفظ لابن خزيمة: «كانوا يسرون».

وقوله: «كانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين» هذا متفق عليه، وانما انفرد مسلم بزيادة «لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم». وقد أعل هذا اللفظ بالاضطراب. وفسر بأن جماعة من أصحاب شعبة رووه عنه به. وجماعة رووه عنه بلفظ: «فلم أسمع أحداً منهم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم». ثم نقل عن الحافظ: أن بعضهم رواه باللفظين، وقد خرَّج كل رواية.

أقول: وقد جمعوا بين الروايات، بأن المراد بالاستفتاح بالحمد: الاستفتاح بهذه السورة، فقد صح التعبير عنها في حديث آخر بجملة «الحمد لله». وبأن عدم سماعها سببه: عدم الجهر بها. =

. . . .

= وقد يكون له سبب آخر وهو البعد عن أول الصف. ومن العادة: أن يكون صوت القارىء خلفتاً في أول القراءة.

وسبب ثالث: وهو اشتغال المأموم عند السماع بالتحرم ودعاء الافتتاح. وقد عورض وأُعِلَّ حديث أنس على اضطراب متنه بما يأتي عنه من مخالفته له في صفة قراءة النبي ﷺ، وبما رواه الدار قطني وصححه عن أبي سلمة، قال: سألت أنس بن مالك: «أكان رسول الله ﷺ يستفتح بالحمد لله رب العالمين، أو بسم الله الرحمن الرحيم؟.

فقال: إنك سألتني عن شي ما أحفظه، وما سألني عنه أحد قبلك.

فقلت: أكان رسول الله ﷺ يصلي في النعلين؟. قال: نعم. قالوا: وعُرُوضُ النسيان في مثل هذا غير مستنكر. فقد حكى الحازمي عن نفسه أنه حضر جامعاً، وحضره جماعة من أهل التمييز المواظبين في ذلك الجامع، فسألهم عن حال إمامهم في الجهر والإخفات ـ قال: وكان صيّتاً يملأ صوته الجامع ـ فاختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: يجهر، وقال بعضهم يخفت.

أقول: ولم يختلف هؤلاء المصلون في صلاة واحدة، بل في جميع الصلوات وسبب ذلك الغفلة، والناس عرضة لها، ولا سيما الغفلة عن أول صلاة الإمام إذ يكون المأمومون مشغولين بمثل ما يشغله من الدخول فيها، وقراءة دعاء الافتتاح، كما تقدم آنفاً.

وأما أحاديث إثبات كون البسملة من الفاتحة، فمنها:

ما رواه البخاري عن قتادة قال: سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟. فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم.

وروى عنه الدارقُطْني من طريقين: أن النبي ﷺ كان يجهر بالبسملة.

ومنها: حديث أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يقطع قراءته آية، آية: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين.

رواه أحمد وأبو داود بهذا اللفظ، وغيرهما.

ومنها: ما رواه النسائي وغيره، عن نعيم المُجْمِر، قال: صليت وراء أبي هريرة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ بأم القرآن. وفيه: يقول إذا سلَّم: والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ.

وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وقال: على شرط البخاري ومسلم، وأقره الحافظ الذهبي. =

. . . .

= وقال البيهقي: صحيح الإسناد، وله شواهد.
وقال أبو بكر الخطيب فيه: ثابت صحيح، لا يتوجه عليه تعليل.
وروى عن أبي هريرة حديثان آخران بمعناه، وثق بعضهم جميع رجالهما وتكلم بعضهم في بعضهم.
ومنها: حديث علي رضي الله عنه سئل عن السبع المثاني. فقال: الحمد لله رب العالمين. قيل: إنما هي ست؟. قال: بسم الله الرحمن الرحيم آية.
رواه الدار قطني، واسناده كلهم ثقات، لم يطعنوا في أحد منهم.
وله حديثان آخران عنه وعن عمار بن ياسر في إثبات جهر النبي ﷺ بالبسملة في صلاته، قد تكلموا في سندهما.
ومنها: حديث أنس: سمعت رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.
رواه الحاكم وقال: ورواته عن آخرهم ثقات.
وأقره الحافظ الذهبي.
وقد أورد الشوكاني في نيل الأوطار هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها من الروايات الضعيفة الأسانيد، الصحيحة المتون، وذكر حمل الروايات الصحيحة من أحاديث النفي، المعارضة لها، على عدم الجهر بالبسملة، من باب حمل المطلق على المقيد، وهو ترك الجهر. ثم قال:
واذا كان محصّل أحاديث نفي البسملة هو نفي الجهر بها، فمتى وجدت رواية فيها إثبات الجهر، قدمت على نفيه.
قال الحافظ ابن حجر: لا بمجرد تقديم رواية المثبت على النافي ـ أي كما هي القاعدة ـ لأن أنساً يبعد جداً أن يصحب النبي ﷺ مدة عشر سنين، ويصحب أبا بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين سنة، فلا يسمع منهم الجهر بها في صلاة واحدة، بل لكون أنس اعترف بأنه لا يحفظ هذا الحكم، كأنه لبعد عهده به لم يذكر منه إلا الجزم بالافتتاح بالحمد لله جَهْراً فلم يستحضر الجهر بالبسملة، فيتعين الأخذ بحديث من أثبت الجهر. اهـ.
أقول: وقد تقدم نص الرواية عنه بنسيان هذا الحكم آنفاً، فعد حديثه مضطرباً، لا يحتج به.
قال الحافظ ابن عبد البر بعد سرده روايات حديثه في الاستذكار: هذا الاضطراب لا تقوم معه حجة. وقد سئل عن ذلك أنس فقال: كبرت سني ونسيت. اهـ.
وقد روى الطبراني في الكبير والأوسط في سبب ترك النبي ﷺ للجهر بالبسملة في =

= الصلاة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه ﷺ كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. وكان المشركون يهزءون بمكاء وتصدية، ويقولون: محمد يذكر إله اليمامة، وكان مسيلمة الكذاب يسمى رحمن، فأنزل الله «ولا تجهر بصلاتك» فتُسمع المشركين فيهزأوا بك. «ولا تخافت بها» عن أصحابك فلا تسمعهم.

وقد قال في مجمع الزوائد: إن رجاله موثقون.

وقال الحكيم الترمذي: فبقي ذلك إلى يومنا هذا على ذكر الرسم، وان زالت العلة.

وجمع به القرطبي بين الروايات.

وقال ابن القيم في زاد المعاد: إن النبي ﷺ كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم تارة، ويخفيها أكثر مما جهر به... الخ.

وهذا القول معقول، وإذا صح أن سببه ما رواه الطبراني، واعتمده القرطبي والنيسابوري والحكيم الترمذي، يكون ترك الجهر في أول الاسلام بمكة وأوائل الهجرة، والجهر فيما بعده.

وقد علمت ما في حديثي أنس وأبي قتادة المخالفين لهذا، ولا يغرن أحداً قول العلماء: إن منكر كون البسملة من الفاتحة، أو من كل سورة، لا يكفر ومثبتها لا يكفر لتأويله الدليل القطعي بشبهة المعارضة التي تقدمت، وبينا ضعفها، وسنزيده بياناً، والشبهة تَدْرَأُ حَدَّ الردة.

وجملة القول: أن اختلاف الروايات الأحادية في الاسرار بالبسملة والجهر بها قوي. وأما الاختلاف في كونها من الفاتحة، أو ليست منها، فضعيف جداً جداً، وان قال به بعض كبار العلماء ذهولاً عن رسم المصحف الإمام القطعي المتواتر، والقراءات المتواترة التي لا يصح أن تعارض بروايات أحادية أو بنظريات جدلية، وأصحاب الجدل يَجْمَعُون بين الغث والسمين، وبين الضدين والنقيضين. وصاحب الحق منهم يشتبه بغيره، وربما يظهر عليه المبطل بخلابته، إذا كان ألحَنَ بحجته.

وقد ذكر الرازي في تفسيره سبع عشرة حجة على إثبات كون البسملة من الفاتحة منها القوية والضعيفة. وتصدي له الألوسي محاولاً دحضها تعصباً لمذهبه الذي تنحله في الكبر، إذ كان شافعياً فتحول حنفياً، تقرباً إلى الدولة وصرح بهذا التعصب، إذ قال هنا: على المرء نصرة مذهبه، والذب عنه... الخ.

وهذه كبرى زلاته المثبتة لعدم استقلاله، بعدم طلبه الحق لذاته، حتى إنه مَارَى في حجة إثبات البسملة في أولها بخط المصحف المتواتر، فجعلها دليلاً على كونه من القرآن، دون كونها من الفاتحة. وهو من تمحل الجدل، فلا معنى لكونها آية مستقلة في القرآن ألحقت بسوره كلها. =

إنه لقول واهٍ تبطله عبادتهم وسيرتهم، وينبذه ذوقهم، لولا فتنة الروايات والتقليد.
فتعارض الروايات اغتر به أفراد مستقلون، وبـالتقليد فتن كثيـرون ولله في خلقه شئون.
على أن الألوسي حكّم وجدانه، واستفتى قلبه، في بعض فروع المسألة فأفتاه بوجوب قراءة الفاتحة والبسملة في الصلاة، وخانه في كونها آية منها وأورد في حاشية تفسيره على ذلك إشكالاً استكبره جد الاستكبار، وما هو بكبير.
قال في تفسيره روح المعاني: وبالجملة يكاد أن يكون اعتقاد كون البسملة جزءاً من سورة من الفطريات، كما لا يخفي على من سلم له وجدانه، فهي آية من القرآن مستقلة، ولا ينبغي لمن وقف على الأحاديث أن يتوقف في قرآنيتها، أو ينكر وجوب قراءتها، ويقول بسنيتها، فوالله لو ملئت لي الأرض ذهباً، لا أذهب إلى هذا القول، وان أمكنني بفضل الله توجيهه.
وقال الشيخ رشيد رضا: والجواب الحق: أنه لم ينف أحد من القراء كون البسملة من الفاتحة نفياً حقيقياً برواية متواترة عن المعصوم ﷺ، تصرح بأنها ليست من الفاتحة، كما يقول بعض الناس بشبهة عدم رواية بعض القراء لها، وشبهة تعارض الروايات الأحادية التي ذكرنا أقواها، والمخرج منها، أو ليست إلا جزء آية من سورة النمل، كما زعم من لا شبهة لهم على النفي تستحق أن يجاب عنها.
وانما أثبت بعض القراء بالروايات المتواترة: أن البسملة آية من الفاتحة، وبعضهم لم يرو ذلك بأسانيده المتواترة، وعدم نقل الإثبات للشيء ليس نفياً لذلك الشيء، لا رواية، ولا دراية. وأعم من هذا: ما قاله العلماء، من أن بين عدم إثبات الشيء، وبين إثبات عدمه، بوناً بعيداً، كما هو معلوم بالضرورة.
ولو فرضنا أن بعضهم روى التصريح بالنفي، لجزمنا بأن روايته باطلة، سببها: أن بعض رجال سندها اشتبه عليه عدم الإثبات بإثبات النفي، إذ يستحيل عقلاً أن يكون الأمران المتناقضان قطعيين معاً. ورواية الإثبات لا يمكن الطعن فيها. وناهيك وقد عزّزت بخط المصحف الذي هو بتواتره ـ خطاً وتلقيناً ـ أقوى من جميع الروايات القولية، وأعصى على التأويل والاحتمال.
وأما القول بأنها آية مستقلة بين كل سورتين للفصل بينها ما عدا الفصل بين سورتي الأنفال وبراءة، فما هو إلا للجمع بين الروايات الأحادية الظنية المتعارضة.
ويمكن الجمع بغيره مما لا إشكال فيه، إذ لو كانت البسملة للفصل بين السور لم توضع في أول الفاتحة، ولم تحذف من أول براءة للعلة التي ذكرناها عنهم في هذا البحث. =

فضل «آمين» بعد الفاتحة

وفي الفردوس عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ فاتحة الكتاب، ثم يقول: آمين، لم يبق في السماء مَلَكٌ مقرب، إلا استغفر له.

ولمسلم، وأبي داود، والنسائي، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صليتم فأقيموا صفوفكم، ثم ليؤمكم أحدكم، فإذا كبَّر فكبِّروا، فإذا قرأ فأنصتوا، وإذا قال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين، يجبكم الله[1].

ولأبي داود وهذا لفظه، والترمذي وقال: حسن، عن سمرة (بن جندب)[2] رضي الله عنه، أنه حفظ من رسول الله ﷺ سكتتين: (سكتة إذا

= فهي لا تتحقق إلا اذا كانت البسملة من السورة وزد على ذلك ما أوردناه من المعاني والحكم في بدء القراءة بها، وما صح مرفوعاً من كونها هي السبع المثاني.
انتهى كلام الشيخ رشيد رضا.

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة ٤/١١٩.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التشهد ١/٣٥١ حديث رقم ٩٧٢.
وسنن النسائي: كتاب الامامة، باب مبادرة الإمام ٢/٩٦.
وقوله: ﴿فإذا قرأ فأنصتوا﴾ ليست في هذه الرواية، وانما وردت في حديث آخر عند أبي داود: كتاب الصلاة، باب الإمام يصلي من قعود ١/٢٣٣ حديث رقم ٦٠٤.
والنسائي: كتاب الافتتاح، باب إذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا ٢/١٤٢ كلاهما من حديث أبي هريرة عن زيد بن أسلم.
قال أبو داود: وهذه الزيادة ﴿فإذا قرأ فانصتوا﴾ ليست بمحفوظة.
وقال النسائي: كان المُخَرِّميّ يقول: هو ثقة، يعني: محمد بن سعد الأنصاري.
ومحمد بن سعد الأنصاري هذا أحد رجال السند عند النسائي، وهو غير موجود في سند أبي داود.
قال الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/١٦٤: محمد بن سعد الأنصاري الأشهلي أبو سعد المدني، نزيل بغداد، صدوق، مات على رأس المائتين.
(٢) زيادة عن: د.

كبَّر)[١] وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾، وصدقه على ذلك أبي بن كعب رضي الله عنه[٢].

وروى الشيخان وغيرهما ـ وهذا لفظ (البخاري) [٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا قال الإمام : ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ ، فقولوا : آمين ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه [٤] .

---

(١) زيادة عن سنن أبي داود.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب السكتة عند الافتتاح ١/٢٠٧ حديث رقم ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩.
وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في السكتتين ١/١٥٨ حديث رقم ٢٥١.
وأصل الحديث ـ واللفظ لأبي داود ـ: أن سمرة بن جندب وعمران بن حصين تذاكرا، فحدّث سمرة أنه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين: سكتةً إذا كبر، وسكتةً إذا أفرغ من قراءة «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فحفظ ذلك سمرة، وأنكر عليه عمران بن حصين، فكتبا في ذلك إلى أبي بن كعب، وكان في رده عليهما: أن سمرة قد حفظ.
والحكمة من سكتته ﷺ بعد التكبير: أنه كان يدعو بعد تكبيرة الإحرام.
ففي سنن أبي داود ١/٢٠٧ أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كبر في الصلاة سكت بين التكبير والقراءة، فقلت له: بأبي أنت وأمي، أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة؟. أخبرني ما تقول؟. قال: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم أنقني من خطاياي كالثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني بالثلج والماء والبَرَدِ.
وأما سكتته بعد قراء الفاتحة، فقال ابن القيم في زاد المعاد ١/٢٠٨: قد قيل: إنها لأجل قراءة المأموم. فعلى هذا ينبغي تطويلها بقدر قراءة الفاتحة.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب جهر المأموم بالتأمين ١/١٢٩.
وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين ٤/١٢٩.
وموطأ مالك: كتاب الصلاة، باب ما جاء في التأمين خلف الإمام ١/٨٧.

وروى أبو داود ، والترمذي وقال أيضاً : حسن ، عن وائل بن حُجْر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قرأ ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقال : آمين ، مد بها صوته [1] .

ولابن ماجة بإسناد ـ قال المنذري : صحيح [2] ـ وابن خزيمة في صحيحه ، وأحمد والطبراني في الأوسط ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : ما حسدتكم اليهود (على شيء) [3] ما حسدتكم على السلام والتأمين [4] .

= وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام ١/ ٣٣٩.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب الأمر بالتأمين ٢/ ١٤٤.

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام ١/ ٣٤٦ حديث رقم ٩٣٢.
وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في التأمين ١/ ١٥٧ حديث رقم ٢٤٨.
قال الترمذي: وروى شعبة هذا الحديث عن سلمة بن كُهَيْل عن حجر أبي العنبس، عن علقمة بن وائل عن أبيه، أن النبي ﷺ قرأ ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فقال: آمين وخفض بها صوته.
قال الحافظ ابن القيم في تهذيب السُنن ١/ ٤٣٨: حديث وائل بن حجر رواه شعبة وسفيان، فأما سفيان فقال: «ورفع بها صوته». وأما شعبة فقال: «وخفض بها صوته».
وفي هذا الحديث أمور أربعة:
أحدها: اختلاف شعبة وسفيان في: «رفع، وخفض».
الثاني: اختلافهما في حجر، فشعبة يقول: حجر أبو العنبس، والثوري يقول: حجر بن عنبس وصوب البخاري وأبو زرعة قول الثوري.
الثالث: أنه لا يعرف حال حجر.
الرابع: أن الثوري وشعبة اختلفا، فجعله الثوري من رواية حجر عن وائل ابن حجر، وشعبة جعله من رواية حجر عن علقمة بن وائل عن وائل. اهـ. كلام ابن القيم.

(٢) الترغيب والترهيب: كتاب الصلاة، باب الترغيب في التأمين خلف الإمام ١/ ٣٢٨.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) مسند الإمام أحمد ٦/ ١٣٥. =

ولأبي داود عن أبي زهير النميري [1] رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو . فقال : أَوْجَبَ إن ختم ، فقال رجل من القوم : بأي شيء يختم ؟. قال : بآمين (فإنه إن ختم بآمين فقد أوجب) [2] . قال أبو زهير : آمين مثل الطابع على الصحيفة [3] .

وللبيهقي في الدعوات ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ جلوساً ، فقال : إن الله عز وجل أعطاني خصالاً ثلاثاً : أعطاني الصلاة في الصفوف ، وأعطاني التحية ، إنها لَتَحِيَّةُ أهـل الجنة ، وأعطاني التأمين ولم يعطه أحداً من النبيين قبلي ، إلا أن يكون الله أعطى هارون ، يدعو موسى وهارون يؤمِّن [4] ، عليهما السلام .

وروى عبدالرزاق في جامعه عن بشر بن رافع ، عن أبي عبدالله ، عن

= وسنن ابن ماجة: كتاب اقامة الصلاة، باب الجهر بآمين ١/٢٨٧ حديث رقم ٨٥٦.

(١) قال الحافظ المنذري في مختصر السنن: قيل: اسمه فلان بن شرحبيل وقال أبو حاتم الرازي: إنه غير معروف بكنيته، فكيف يعرف اسمه. اهـ. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٨٠: أبو زهير بن أسيد بن جعونة ابن الحارث النميري، وفد على النبي ﷺ مع قيس بن عاصم روى عنه عائذ بن ربيعة. اهـ.

(٢) زيادة عن سنن أبي داود.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام ١/٢٤٧ حديث رقم ٩٣٨.

(٤) دعاء موسى وتأمين هارون عليه، مذكور في سورة يونس، في قوله تعالى: ﴿وقال موسى ربّنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليُضِلّوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ ٨٨-٨٩.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٢: ذكر الدعاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون أمّن، فنزل منزلة من دعا لقوله تعالى: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ فدل ذلك على أن من أمّن على دعاء فكأنما قاله.

أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان موسى بن عمران عليه السلام إذا دعا أمّن هارون عليه السلام [1] .

قال : وسمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : « آمين » اسم من أسماء الله عزّ وجلّ [1] .

---

(١) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب آمين ٢/٩٩ حديث رقم ٢٦٥١ .

فهرس موضوعات الجزء الأول

الفصل الثاني
التعريف بالكتاب